ابن سينا

الشفاء

الالهيات



منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة ايران ١٤٠٥ هـ ق

ابن سينا

الشفاء

الإلهيّات (١)

راجعه وقدّم له

الدكتور ابراهيم مدكور

تحقيق الأستاذين

الأب قنواتى سعيد زايد

الجمهورية العربية المتحده
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإقليم الجنوبى
الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

ابن‌سینا، حسین بن عبدالله، ۳۷۰-۴۲۸ق.
{شفاء. برگزیده. الهیات}
الشّفاء: الهیّات / مؤلّف ابن‌سینا؛ راجعه وقدّم له ابراهیم مدکور؛ تحقیق الأب قنواتي، سعید زاید. — قم: مکتبة سماحة آیة‌الله العظمی المرعشي النجفي الکبری - الخزانة العالمیّة للمخطوطات الاسلامیّة - قم - ایران، ۱۴۳۳هـ = ۲۰۱۲م = ۱۳۹۱.
۴۷۸ص.
۲۰۰۰۰۰۰ ریال

ISBN 978 – 600 – 161 – 069 - 1 (دوره)
ISBN 978 – 600 – 161 – 070 – 7 (جلد)

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
عربی.
۱. مابعدالطبیعه- متون قدیمی تا قرن ۱۴هـ. الف. ۲. فلسفه‌اسلامی- متون قدیمی تا قرن ۱۴هـ. الف. مدکور، ابراهیم بیومی، ۱۹۰۲-۱۹۹۵م. ب. قنواتي، جورج شحاته، ۱۹۰۵-۱۹۹۴م. ج. زاید، سعید. د. کتابخانهٔ بزرگ حضرت آیت‌الله العظمی مرعشی نجفی. گنجینه‌جهانی مخطوطات اسلامی. هـ. عنوان. و. عنوان: شفا. برگزیده. الهیات. ز. الهیات.
BBR ۵۱۹/ الف۲ش۷ ۱۸۰/۱
۱۳۹۱ ۲۴۴۷۸۸۷



الشّفاء (الالهیّات)

المؤلّف : شیخ الرّئیس ابن سینا
المحقّق : الأب قنواتي ؛ سعید زاید
راجعه وقدّم له: دکتور ابراهیم مدکور
النّاشر : مکتبة سماحة آیة‌الله العظمی المرعشي النّجفي الکبری
-الخزانة العالمیّة للمخطوطات الاسلامیّة - قم - ایران
الطّبعة الثّانیة: ۱۴۳۳ هـ . ق/ ۲۰۱۲م / ۱۳۹۱هـ . ش
العدد المطبوع : ۵۰۰ نسخة
المطبعة :گل‌وردي - قم
لیتوغرافیا : تیزهوش – قم
مشرف الطّباعة : علي الحاجي باقریان
الثّمن الدّورة (۱۰ مجلّدات): ۲۰۰۰۰۰۰ ریال
ردمك الدورة: ۱ – ۰۶۹ – ۱۶۱ – ۶۰۰ – ۹۷۸ ISBN (vols.) : 978 – 600 – 161 – 069 – 1
ردمك (المجلّد): ۷ – ۰۷۰ – ۱۶۱ – ۶۰۰ – ۹۷۸ ISBN (vol.) : 978 – 600 – 161 – 070 – 7

AYATOLLAH MAR'ASHI NAJAFI ST., Qom 3715799473, I.R.IRAN
TEL: + 98 251 7741970-78; FAX +98 251 7743637
http:// www.marashilibrary.com
http:// www.marashilibrary.net
http:// www.marashilibrary.org
E_mail: info@marashilibrary.org

الفهرس

الإلهيات (١)

المقالة الأولى

صفحة

المقالة الثانية

المقالة الثالثة

المقالة الرابعة

المقالة الخامسة

الإلهيات (٢)

المقالة السادسة

المقالة السابعة

المقالة الثامنة

المقالة التاسعة

المقالة العاشرة

مقـــدمة

للدكتور إبراهيم مدكور

مقدمة

للدكتور ابراهيم مدكور

يدعو المحسوس إلى اللامحسوس، والظاهر إلى الخفى ، والواقعى إلى المثالى . ولم يقنع المرء يوما بالوقوف عند أقرب هذين الطرفين منالا . بل أبى إلا أن يعانق الطرف الآخر، أو يتوهم أنه يفعل . فتفلسف منذ القدم ، واستمر فى فلسفته إلى اليوم،وسيتفلسف دائما. وكانت الفلسفة قديما جماع المعرفة كلها ، فلم يكن ثمة فاصل بينها و بين العلم . ثم أخذت العلوم تستقل شيئا فشيئا ، فتحدد موضوعها ، ورسم منهجها ، ووضعت قوانينها . وظن أنها باستقلالها هذا لن تدع للفلسفة مجالا ، إلا أنها خلفت وراءها مشاكل لا يقوى علم بعينه على حلها. فإذا كانت قد عرضت للأسباب القريبة والمباشرة، فإنها لم توضح الأسباب البعيدة وغير المباشرة . وإذا كانت قد عنيت بالعلل المادية والفاعلية ، فإنها لم تكشف عن العلل الروحية والغائية . واضطلعت بذلك كله دراسة خاصة ، سميت الفلسفة العامة أو الميتافزيق .

وقد أضحت الميتافزيق وكأنها حاجة ماسة وضرورة لازمة، لا مجرد خرافة . يخلقها العلماء بأنفسهم ، ويغذونها بغذائهم . ومن أخص خصائص الفكر المعاصر أن العلم يختلط فيه بالفلسفة مرة أخرى اختلاطا كبيرا، فالفلاسفة علماء ، والعلماء فلاسفة. وفى عصر الذرة الذى نعيش فيه يجاوز العلم المادة إلى ماوراءها، فيخترق حجب الأثير، و يعيش فى اللامحسوس، ويبحث عن مدركات ما وراء الحس . ويرى بعض أئمة علم الطبيعة المعاصرين أن حقائق الكون لا يمكن أن تفسر تفسيرا تاما إلا إن قلنا بوجود خالق حكيم ، وبذا انتهى العالم والفيلسوف إلى غاية واحدة ، وإن تعددت مناهجهما واختلفت مبادئهما .

(١) ميتافزيقى أرسطو

ولا نزاع فى أن أرسطو هو أول من وضع دعائم الميتافزيقى . حدد موضوعها ، وذهب إلى أن هناك علما يدرس الوجود من حيث هو ، و يرمى إلى معرفة الشيء فى ذاته والعلل الأولى والغائية ، ويسلم بوجود جواهر غير محسوسة . ووقف عليه كتابا من أدق كتبه وأعمقها ، وأجلها وأخطرها ، ويمكن أن يعد بحق خاتمة مذهبه . وهو ما يسمى "بالميتافزيقى". وواضح أن هذا الكتاب يدخل فى مجموعة كتب الخاصة (esotérique) التى كان يتداولها تلاميذه فيما بينهم ، وقد أهداه فعلا لأوديم رئيس المدرسة المشائية من بعده . فلم يكن معدا للجمهير وعامة القراء . ولعله لم يتسع له الوقت لمراجعته ونشره نشرا منظما أثناء حياته ، و بقى مجهولا حتى القرن الأول للميلاد[١] .

ومن هنا أثيرت شكوك مختلفة حوله ، فشك فى نسبته إليه ، واختلف فى موضوعه ، بل وفى اسمه ، وساعد على هذه الشكوك أن ديوجين اللائرسى أغفل ذكره فى فهرسه المشهور لمصنفات أرسطو[٢] . وفيه قطعا خلط وتناقض ، لأنه لم يكن الكتاب المنتهى المحكم التأليف ، وما أشبهه بالمذكرات أو الرسائل المفصلة ، وإن اتفقت فى أغلبها عند هدف واحد . وقد تكون فيه أجزاء ليست من وضع المعلم الأول ، وإنما أضافها تلاميذه من بعده متأثرين فيها بروحه ومنهجه . ولكن لا نزاع فى أن غالبيته من صنعه ، وأضحت نسبته إليه بعيدة عن الشك كل البعد ، فأسلوبه واضح فيه ، وكتبه الأخرى تحيل عليه كما يحيل هو عليها[٣] . وإذا كان ديوجين قد أهمله ، فإن مؤرخين آخرين أشاروا إليه إشارة صريحة[٤] ، وربما كان هذا الإهمال راجعا إلى أن عنوانه لم يكن واضحا أمامه لكثرة ما أطلق عليه من أسماء . وتعاقب الباحثون فى التاريخ القديم فى الشرح والتعليق عليه ، أمثال : نيقولا الدمشقى ، والاسكندر الأفروديسى ، وثامسطيوس .

---

(١) J. Tricot, *La Métaphysique d'Aristote*, Paris 1940, p. II–III.

(٢) O. Hamelin, *Le Système d'Aristote*, Paris 1931, p. 33.

(٣) W. D. Ross, *Aristotle's Metaphysics*, Oxford 1924, V. I, p. XIW.

(٤) Hamelin, *Le Système d'Aristote*. p. 33.

(ب) نقله إلى اللغة العربية

إن كتاب "الميتافزيق" لأرسطو أثر خالد ، وضع فى أثينا ، ثم تدارسه ورثة الثقافة اليونانية من البيزنطيين ، والاسكندريين ، والعرب ، ومسيحى الشرق من نساطرة ويعاقبة ، ومسيحى الغرب ، واستمرت دراسته إلى اليوم . وقد نقل قديما إلى لغات عدة ، كاللاتينية والسريانية والعربية والعبرية . وكان طبيعيا أن يعنى المسلمون بترجمته ، لأن موضوعه يتصل اتصالا وثيقا بدراساتهم الكلامية ، فضلا عن عنايتهم بترجمة مؤلفات أرسطو جميعها . وتضافر على تعريبه عدد غير قليل من المترجمين الممتازين كاسحق بن حنين ، أو المتوسطين كاسطات [1] ، نقلوه عن السريانية أحيانا وعن اليونانية أحيانا أخرى ، وعلى النحو الذى وصلهم به . ونحن نعلم أنه ينقسم إلى أربع عشرة مقالة مرتبة على حسب حروف الهجاء اليونانية كما يلى : (A,a,B,Γ,Δ,E,Z,H,Θ,I,K,Λ,M,N,) ، ويظهر أن العرب لم يصلهم من ذلك إلا اثنتا عشرة مقالة ، فغابت عنهم M,N ، وإن كان ابن النديم يشير إلى أن الأخيرة قد توجد باليونانية بتفسير الاسكندر [2] ، إلا أن الفارابى وابن رشد يهملانهما معا [3] . هـذا إلى أنهم عكسوا الترتيب المألوف ، فقدّموا الألف الصغرى على الألف الكبرى وخلطوا بينهما نوعا ، وما علّق عليه ابن رشد من الألف الكبرى ليس إلا النصف الأخير من الأصل اليونانى [4] .

ولم يقفوا عند ترجمة الكتاب وحده ، بل جدّوا فى البحث عن شروحه ، لأنهم أدركوا ما فيه من غموض وتعقيد ، ولم يجدوا منها إلاّ شرحين لمقالة اللام ، أحدهما تام لثامسطيوس ، والآخر ناقص للاسكندر الأفروديسى [5] ، وكم يأسف الفارابى لأن شرح الأخير لكتاب

(١) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ليبسيك ١٣٢٠ هـ ، ص ٤١ — ٤٢ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٥٢ .

(٣) الفارابى ، فى أغراض الحكيم فى كل مقالة من الكتاب الموسوم بالحروف ، ليدن ١٨٩٥ ، ص ٣٨ ؛ ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، بيروت ١٩٤٨ ، ج VII .

(٤) M. Bouyges, *Notice*, Beyrouth 1952, p.XVIII.

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥٢ ؛ القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١ — ٤٢ .

" ما بعد الطبيعة " كله لم يصل إلى العالم العربى [١] . وقد عنى المسلمون عناية خاصة بمقالة اللام ، فترجموها غير مرة[٢] ، ورجعوا بما وقفوا عليه من شروحها ، وخاصة شرح تامسطيوس الذى فتح الباب فسيحا أمامهم للتوفيق بين الفلسفة والدين [٣] . وربما عدوها عمدة الكتاب جميعه ، لأنها تنصب على البارئ وصفاته الذى يعتبر الموضوع الأساسى للميتافزيق ، وبذا يصبح ما بعد الطبيعة وعلم التوحيد شيئا واحدا [٤] .

وما إن ترجم إلى العربية حتى أخذ مفكروا الإسلام يتدارسونه ويتأثرون به ، وفى رسائل الكندى الفلسفية التى نشرت أخيرا صدى له[٥] ، ولكن نخطئ كل الخطأ إن زعمنا أن هناك صلة مباشرة بينه وبين رسالته المهداة إلى المعتصم والتى عنوانها " فى الفلسفة الأولى"، فهى ليست ترجمة له ولا تلخيصا مطلقا ، ولا تلتقى معه فى موضوعه وإن رددت بعض ماجاء فيه من آراء ونظريات[٦] .

أما الفارابى فقد خلف لنا رسالة دقيقة تبين " أغراض الحكيم فى كل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف " ، ويلاحظ فيها بحق أن هدف الكتاب وموضوعه غير واضحين[٧] ، لذلك يستعرض مقالاته مقالة مقالة ، ملخصا ما اشتملت عليه[٨] . وعنده أن مابعد الطبيعة أو العلم الإلهى علم كلى ينظر فى الشىء العام لجميع الموجودات كالوجود ، والوحدة والقوة والفعل ، والمتقدم والمتأخر ، والعلم الكلى أسمى دون نزاع من

---

(١) الفارابى ، فى أغراض الحكيم ، ص ٣٤ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥٢ .

(٣) عبد الرحمن بدوى ، أرسطو عند العرب ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص (١٩) — (٢٢) .

(٤) الفارابى ، فى أغراض الحكيم ، ص ٣٤ .

(٥) أحمد فؤاد الأهوانى ، كتاب الكندى إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨ ؛ محمد عبد الهادى أبو ريده ، رسائل الكندى الفلسفية ، القاهرة ١٩٥٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٨٠ (١٢) — ٨٠ (١٨) .

(٧) الفارابى ، فى أغراض الحكيم ، ص ٣٤ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٣٦ — ٣٨ .

العلوم الجزئية[1] . ويعترف ابن سينا أنه قرأ كتاب " الميتافزيق " لأرسطو غير مرة دون أن يخرج منه بطائل، حتى خيل إليه أنه لا سبيل إلى فهمه ، وما إن وقعت فى يديه رسالة الفارابى هذه حتى انجلى المبهم ، وكشف الغامض [2] .

(ج) إلهيات ابن سينا

هى الجملة الأخيرة من جمل " الشفاء " الأربع ، وتنصب أولا وبالذات على الفلسفة الأولى ، وإن كانت تعالج بجانبها شيئا من السياسة والأخلاق . وقد عول ابن سينا فيها كثيرا على " ميتافزيق " أرسطو ، ولكنها دون نزاع أدق ترتيبا ، وأكثر انسجاما ، وأوضح هدفا ، وأجلى عبارة . هذا إلى أنها لم تقف عند آراء أرسطو وحدها ، بل ضمت إليها آراء أخرى تتعارض معها كل المعارضة ، وعرضت لمشاكل إسلامية كالإمامة والنبوة ، وما كان لفيلسوف اليونان أن يلمّ بها . ومرت سريعا على التسلسل التاريخى للآراء والنظريات الذى عنى به أرسطو عناية خاصة ، ووقف عنده فى أكثر من مقالة ، وسنلق نظرة سريعة على أهم ما جاء فى " الإلهيات " .

١ — موادها :

تقع " الإلهيات " فى عشر مقالات متفاوتة الحجم والأهمية ، وقد شئنا أن نخرجها فى مجلدين تيسيرا للتداول ، وفى كل مجلد خمس مقالات . والمقالة الأولى أشبه ما يكون بمقدمة عامة تحدد موضوع البحث ، وتبين الأسماء التى أطلقت عليه ، والصلة بينه وبين العلوم الأخرى ، وتوضح منزلته ومنفعته [3] . وفيها شىء مما جاء فى A, α, Γ ، وإن اختلفت عنها اختلافا بيّنا .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ — ٣٦ ؛ الفارابى ، إحصاء العلوم (تحقيق الدكتور عثمان أمين) ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٩٩ — ١٠١ .

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤١٥ — ٤١٦ .

(٣) ابن سينا ، الإلهيات ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج ١ ، ص ٢ — ٥٤ .

ويقف ابن سينا المقالة الثانية على الجوهر ، فيعرّفه ، ويبين أقسامه، وخصائص كل قسم ، والارتباط بين المادة والصورة[1]. وهي بهذا تلتقي نوعا ما مع ماجاء في Z ، H ، وإن التزمت طريقة عرض أوضح، وسلمت من التكرار الملحوظ في "ميتافزيق" أرسطو .

وتنصب المقالة الثالثة على نظرية المقولات ،فتشرح الواحد والكثير، والكم والكيف، وتعنى خاصة ببيان أن العدد كم ، وأن العلم عرض[2] ، إلى غير ذلك من المسائل التي وردت في مقالتي Γ ، I ، ومرت بنا في كتاب " المقولات " من منطق "الشفاء"[3].
وتعد هذه المقالة ، مع المقالتين الخامسة والتاسعة ، من أطول أجزاء الكتاب .

والمقالة الرابعة متممة إلى حد ما لسابقتها، لأنها تعالج التقابل ،فتعرض للتقدم والمتأخر، والقوة والفعل ، والتام والناقص[4] . وبذا تلم شعث أمور أثارها أرسطو في أكثر من مقالة ، مثل Θ ، I .

وتدور المقالة الخامسة حول نظرية الحد ، على نحو ما يلحظ في Z ، فتفرّق بين الكلي والجزئي ، والجنس والنوع ، والفصل والخاصة ، والحد التام والناقص[5] ، وتعيد أمورا سبق لابن سينا أن درسها في كتاب " البرهان "[6] . وتشرح كيفية وجود الأمور العامة ، فتعرض نظرية الوجود الثلاثي للكليات التي سبق له أن بحثها في "المدخل"[7] .

فيبدو إذن في هذا المجلد أن الميتافزيق تختلط بالمنطق ، لأن البحث في مبادئ الجوهر يقود إلى البحث في مبادئ البرهان . ولن نقف عند المسائل المنطقية التي سبق

---

(١) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٧ — ٨٩
(٢) « « ، ج ١ ، ص ٩٣ — ١٦٠
(٣) ابن سينا ، المقولات ، القاهرة ١٩٥٩
(٤) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ١ ، ص ١٦٣ — ١٩١
(٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٥ — ٢٥٢
(٦) ابن سينا ، البرهان ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦١ — ٣٢٩
(٧) ابن سينا ، المدخل ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٦٥ — ٧٢

معالجتها فى منطق " الشفاء " ، وسنبرز فقط وجهة نظر ابن سينا فى بعض المشاكل الميتافزيقية كالجوهر ، والمادة ، والصورة .

وللميتافزيق صلة أيضا بالطبيعيات ، وتبدو هذه الصلة بوضوح فى المجلد الثانى من " الإلهيات " ، فتبحث المقالة السادسة نظرية العلل فى عمق وتفصيل ، بادئة بالعلل الفاعلية ، وواقفة طويلا عند العلل الصورية والغائية[1] ،وقد عرض أرسطو لهذه النظرية فى عدة مقالات ، وخاصة فى H ، ولكن ابن سينا يفصل القول فيها أكثر مما فعل المعلم الأول متأثرا بالشراح السابقين ، ومستعينا بدراساته الطبيعية .

وتعتبر المقالة السابعة أصغر مقالة فى " الإلهيات "[2] ، وهى مقصورة على مناقشة آراء السابقين المعارضين لأرسطو من أفلاطونيين وفيثاغوريين . وبذا وقف ابن سينا بهذا الخلاف المذهبي والتدرج التاريخى عند أضيق حدوده .

أما المقالة الثامنة فموقوفة على المبدأ الأول وصفاته[3] ، وتلتقى التقاء تاما مع مقالة ٨ التى تعتبر فى نظر مفكرى الإسلام عمدة الميتافزيق . ولم يبالوا مطلقا بما يؤخذ عليها من قلة الانسجام أو ضعف الصلة بينها وبين المقالات الأخرى ، ومن أجلها سموا البحث كله بالعلم الإلهى .

وتعالج المقالة التاسعة الصلة بين الله والعالم ، فتكمل المقالة السابقة ، وتشرح نظرية الصدور[4] ، وهى نظرية أفلوطينية تتعارض مع آراء أرسطو المقررة من القول بقدم العالم وإنكار خلقه . وإذا كان الكون كله صادرا عن الله ، فلا بد لنا أن نبين كيفية دخول الشر فى القضاء الإلهى ، ونشرح نظرية العناية[5] . ويختم ابن سينا هذه المقالة بحث فى المعاد[6] ، وما كان أجدره أن يؤخره إلى المقالة التالية .

---

(١) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ — ٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ — ٣٢٤ .

(٣) « « ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ — ٣٧٠ .

(٤) « « ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ — ٤١٤ .

(٥) « « ، ج ٢ ، ص ٤١٤ — ٤٢٣ .

(٦) « « ، ج ٢ ، ص ٤٢٣ — ٤٣٢ .

وفى الحق أن المقالة العاشرة والأخيرة تنصب على دراسات دينية ، بل وإسلامية ، فتعرض للوحى والإلهام[1] ، والأولياء والأنبياء والملائكة[2] ، كما تعرض للعبادات ومنفعتها فى الدنيا والآخرة[3] . ثم تنتقل إلى بعض المشاكل الاجتماعية والأخلاقية[4] ، وتعالجها من وجهة نظر الإسلام مبينة شرائط الخليفة والإمام ، وما يجب لهما من طاعة[5] .

٢ – موضوعها :

لكل علم موضوعه الخاص ، وموضوع العلم الإلهى هو الموجود من حيث هو موجود[6] . والبحث عن الموجود يقتضى البحث عن أسبابه القصوى ، عن مسبب الأسباب ومبدأ المبادئ ، عن المفارقات للمادة أصلا[7] . فموضوعه أشرف الموضوعات ، وهو بهذا أشرف العلوم ، بل إن العلوم كلها تعتمد عليه ، وتستمد منه يقينها وقوتها[8] ، وهو يلتقى معها فى أنه يحصّل كمال النفس الإنسانية ، ويهيئها للسعادة الأخروية .

وقد أطلقوا عليه اسم " الفلسفة الأولى " ، لأنه العلم بأول الأمور فى الوجود ، وأول الأمور فى العموم . ويسمونه " الحكمة " ، لأنه أفضل علم بأفضل معلوم ، أفضل علم لأنه علم اليقين ، وأفضل معلوم لأنه ينصب على البارئ جل شأنه والأسباب التى من بعده . ويسمونه كذلك " العلم الالهى " ، لأنه معرفة الله ومعرفة الأمور المفارقة للمادة فى الحد والوجود[9] . ويسمونه أخيرا " ما بعد الطبيعة " ، وليس المراد بالطبيعة هنا القوة التى هى مبدأ الحركة والسكون ، بل يراد بها جملة الأشياء الحادثة عن المادة الجسمانية بما فيها

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ — ٤٤١ .
(٢) » » ، ج ٢ ، ص ٤٤١ — ٤٤٣ .
(٣) » » ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٦ .
(٤) » » ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ — ٤٥١ .
(٥) » » ، ج ٢ ، ص ٤٥١ — ٤٥٥ .
(٦) » » ، ج ١ ، ص ١٠ — ١٢ .
(٧) » » ، ج ١ ، ص ٤ — ٦ .
(٨) » » ، ج ١ ، ص ١٧ — ١٨ .
(٩) » » ، ج ١ ، ص ١٥ .

من قوى وأعراض[1] ، وربما يكون ابن سينا أميل إلى تعديل هذه التسمية وجعلها " ما قبل الطبيعة "[2] .

وهو بهذا كله يشير إلى مشكلة تاريخية ، وإن لم يقف عندها طويلا ، ونعنى بها هل وضع أرسطو اسما لكتابه الذى يعرف اليوم باسم " الميتافزيق " ؟ ومن الثابت أنه أطلق على المادة الواردة فيه اسم " الفلسفة الأولى " ، أما التسميات الأخرى فمتأخرة عنه ، " ككتاب الحروف " ، أخذا بالرموز التى استعملها أرسطو للدلالة على مقالاته . وقد عرفت هذه التسمية فى العالم العربى ، ورددها الفارابى ، ولكن لم يكن حظها هنا بأعظم منه فى العالم اللاتينى . وأطلق عليه أيضا اسم " الميتافزيق " ، وهى تسمية نجدها لأول مرة عند نيقولا الدمشقى ، وقد أخذها عن أندرونيقوس الذى لاحظ فيها الترتيب المكانى لكتب أرسطو كما قرر الاسكندر الأفروديسى ، لا الدلالة الموضوعية للبحث كما ذهب سمبليقوس[3] .

ويوم أن ترجم العرب هذه التسمية Μετὰ τὰ φυσιxα خلّطوا فيها ، فقالوا " ما دون الطبيعة " ، و"ما فوق الطبيعة"[4] ، ثم عدلوا عنهما وقالوا "ما بعد الطبيعة" . واستقر هذا الاسم برغم ما شاء ابن سينا أن يدخله عليه من تعديل ، وزاده استقرارا استعمال ابن رشد له فى شروحه الطويلة والمختصرة .

ويعتبر الفارابى أول فلاسفة الإسلام الذين أبرزوا الجانب الأنولوجى فى الدراسات الميتافزيقية ، معتمدا فى ذلك على أرسطو نفسه ، فإن مقالة اللام دراسة أنولوجية واضحة. وقد جاراه ابن سينا ،وأطلق على الميتافزيق عامة اسم "الإلهيات"،وفى هذا الإطلاق ضرب من التوسع والتغليب ، وبالتالى إهمال لأجزاء هامة من الفلسفة الأولى . وكأنما شاء

---

(1) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١ .

(2) » » ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(3) Ross, *Aristotle's Metaphysics*, t. I, p. XXXII; Hamelin, *ouvr. cit*, p. 33.

(4) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، كنجسبرج ١٨٨٤ ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ؛ أحمد فؤاد الأهوانى ، كتاب الكندى إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٥٧ — ٦١ .

ابن سينا وأستاذه أن يعارضا فى غير جدوى " علم الكلام " الذى استمسكت به الفرق والمدارس المعاصرة ، وآثرت المدارس الإسلامية المتأخرة "علم العقائد" أو "علم التوحيد"، أو " ما بعد الطبيعة " إن نحت منحى فلسفيا خالصا .

لم يعرض ابن سينا مطلقا فى " إلهياته " لنسبة " كتاب الميتافزيق " إلى أرسطو ، تلك النسبة التى كانت موضع أخذ ورد، لم يعرض لها لأنه لم يعن كثيرا بالأصول التاريخية، هذا إلى أنه لم يخامره أى شك فى صحتها .

٣ — الجوهــر :

إذا كان موضوع الميتافزيق هو الموجود ، فإن الجوهر يعد من أهم أبوابها ، لأنه أساس الموجودات ، يوجد بنفسه ولا يقوم بغيره . يقوم العرض ولا يتقوّم به ، ويسبق الأعراض كلها فى الوجود[١] . والجواهر جسمية وغير جسمية، والجوهر الجسمانى ما كان ذا كيفيات ثابتة ، أو ما اتسم بصورة معينة[٢] . والجواهر غير الجسمية إما جزء جسم كالمادة والصورة ، أو مفارقة للجسم مطلقا كالنفس والعقل[٣] . وبقدر ما يتوسع ابن سينا هنا فى الجواهر الجسمية وأجزاء الجسم ، يهمل تماما الجواهر المفارقة ، وكأنما يؤخرها إلى المقالتين الثامنة والتاسعة حيث يعرض للمبدأ الأول والعقول والنفوس الفلكية .

ولسنا فى حاجة أن نشير إلى أنه يردد أفكارا أرسطية، وإن كان يهمل الجواهر الثانية التى يراها ألصق بالمنطق منها بالميتافزيق . والواقع أن فكرة الجوهر عند أرسطو لا تخلو من تناقض ، فالجوهر الحقيق عنده هو المفرد ، ما يُحس وما يُرى ، وما لا يوجد فى موضوع بحال[٤] . ثم هو فى الوقت نفسه صورة مجردة صالحة لأن تصدق على موجودات أخرى ، وهذه الصورة أقرب ما يكون إلى المثل الأفلاطونية . وليس يسير أن نقول

---

(١) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ١ ، ص ٥٧ — ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٠ — ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٤) Aristote, *Metaph.* Z. 3.

بجوهر يكون تارة مفردا ، وأخرى صورة مجردة . وقد شاء ابن سينا أن يخرج من هـذا المأزق بالتعويل على قسمة الجواهر إلى جسمية ومفارقة ، وطبيعة كل من النوعين تختلف عن الأخرى تمام الاختلاف ، وليس بينها من جامع إلا أن كلا منهما يقوم بنفسه ، وهذا جامع منطق أكثر منه ميتافزيق . والجواهر المفارقة التى يعتد بها ابن سينا الاعتداد كله تقربه من الأفلاطونية بقدر ما تبعده عن الأرسطية .

٤ – المادة والصورة :

يتكون كل جوهر جسمى من مادة وصورة ، ولا يمكن أن توجد إحداهما بالفعل بمعزل عن الأخرى[١] . ذلك لأن الوجود ثمرة تلاقيهما ، وما المادة إلا استعداد وتهيؤ للقبول ووجود بالقوة ، والصورة تحصيل وتحقيق بالفعل[٢] . وإذن لا وجود للمادة الجسمية إلا بوجود الصورة ، ولا وجود للصورة الجسمية إلا بوجود المادة[٣] . فهما متلازمتان ، وتوهم مادة جسمية بمعزل عن الصورة خروج بها من عالم الوجود الفعلى[٤] . ومع هذا ليست المادة والصورة من مقولة المضاف بحيث لا يعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر ، إذ أنا نعقل كثيرا من الصور الجسمية ، ويعز علينا أن نثبت لها مادة[٥] .

غير أن الصور ليست كلها جسمية ، فهناك صور مفارقة للمادة لا تتصل بها مطلقا[٦] . والصورة المادية نفسها أقدم من وجود المادة الجسمية ، يمنحها " واهب الصور " ، فيتم الوجود[٧] . ولا يسترسل ابن سينا فى هذا هنا ، ملاحظا أنه سيعرض له على شكل أظهر فى مواضع أخرى[٨] .

---

(١) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ١ ، ص ٧٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٤ .
(٣) » » ، ص ٧٩ .
(٤) » » ، ص ٧٧ .
(٥) » » ، ص ٨٠ .
(٦) » » ، ص ٨٧ — ٨٨ .
(٧) » » ، ص ٨٩ .
(٨) » » .

وهو بهـذا يفترق على كل حال عن أرسطو ، فبينما يقول الأخير بالمـادة والصورة ليفسر التغير فى عالم قديم أزلى ، إذا بالأول يستخدم الفرض نفسه ليفسر الخلق الذى جاء به القرآن . وما الوجود إلا اتصال المـادة بصورتها ، والعدم انفصالهـا عنها . والصور موجودة أزلا فى العقل الفعّال الذى يعطيها فيتحقق السكون، ويسلبها فيحدث الفساد[1] . وبذا نخرج من غموض المـادة الأرسطية إلى هيولى وعناصر أزلية ، يشكلها ويصورها العقل الفعّال على مقتضى الحكمة .

وكانت فكرة الخلق هـذه من بين الأفكار التى قربت ابن سينـا من فلسفة القرون الوسطى المسيحية ، لأنها ترمى إلى التوفيق بين الدين والفلسفة . ومع هذا لم ترض كثيرين فى الشرق والغرب ، لأن هذا الخلق الأزلى يكاد يكون صوريا ، ولا يدع للبارئ المبدع مجالا يعتد به .

وفى مقابلة ابن سينا بين المـادة والصورة مقابلة واضحة ما أثار مشكلة مبدأ الفردية (Princips d'individuation) ، تلك المشكلة المدرسية الخالصة . هل أساس فردية الموجود وتشخصه مادته أو صورته ؟ لعل ابن سينا أميل — برغم مازعمه جيوم دوفرنى — إلى القول مع دونس اسكوت بأنه الصورة ، فى حين أن القديس توماس يقول بالمـادة . ومهما يكن من أمر فهذه المشكلة لم تستوقف فلاسفة الإسلام بقدر ما استوقفت فلاسفة الغرب .

٥ — القوة والفعل :

تطلق القوة على مقدرة الحيوان على الحركة وإحداث أفعال مختلفة، وهى بهذا فاعلية . وتطلق أيضا على مدى تحمله ومقاومته إذا ما اشتد عليه العمل أو أصيب بأذى بحيث لا ينفعل ، فهى انفعالية[2] . وفى كلتا الحالين قد تكون مجرد استعداد وتهيؤ ، فتصبح مبدأ تغير ووسيلة للانتقال من حال إلى أخرى[3] . والقوى نطقية تستلزم عقلا وتخيلا

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٠ — ٤١٤ .
(٢) » » ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
(٣) » » ، ج ١ ، ص ١٧١ .

كالمفكرة والمتخيلة لدى الإنسان ، وغير نطقية لا إرادة فيها ولا اختيار ، ومن أمثلتها الطبيعة التي تعتبر قوة بأوسع معنى[1] . ومن القوى ما هو قريب ينتقل إلى الفعل فورا ، وما هو بعيد يتم انتقاله في مرحلة طويلة[2] . ومنها ما هو بالطبع والفطرة ، ومنها ما يكتسب بالعادة والصناعة[3] .

ومن الفلاسفة من يزعم أن القوة لا توجد إلاّ متى وجد الفعل ، فالقاعد ليس في جبلته أن يقوم ما لم يقم ، والخشب ليس من شأنه أن يصنع بابا ما لم يصنع . وهذا زعم خاطئ ، ومؤداه استحالة الوجود ، لأن كل حادث — قبل كونه — لابد أن يكون ممكن الوجود ، وإلا امتنع وجوده . وهذا الإمكان وجود بالقوة ، وتهيؤ للوجود بالفعل[4] . وفي شيء من التهكم يلاحظ ابن سينا أن هذا الزعم يؤدي بأصحابه إلى العمى ، لأنهم إن فقدوا الإبصار بالقوة فلن يروا إلاّ مرة واحدة بالفعل ، ثم لا يرون بعدها شيئا[5] .

وهو في هذا يناقش ، على نحو ما صنع أرسطو ، رجال المدرسة الميغارية ، وإن لم يصرح باسمهم ، وكل ما يشير إليه أنهم جماعة عاصروا أرسطو وعاشوا بعده[6] . ثم يذكر اسما غريبا هو "غاريقو"[7] ، وأغلب الظن أنه تعريب محرف لكلمة Μεγαρικοι وقع فيه المترجمون الأول ، فانا نجد الكلمة نفسها في النص العربي لترجمة " الميتافزيق " الذى علق عليه ابن رشد[8] ، وكثيرا ما خلّط هؤلاء المترجمون في الأسماء اليونانية حين عرّبوها .

والقوة والفعل متقابلان : الأولى نقص والثاني كمال ، وإذا كان العالم الأرضي يخالطه الشر فما ذاك إلاّ لأنه عالم القوة . أما العالم السماوي فعالم الفعل الدائم ، ولا سبيل

---

(1) المصدر السابق ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .
(2) « « ، ص ١٧٥ .
(3) « « ، ص ١٧٦ .
(4) « « ، ص ١٧٨ — ١٨٢ .
(5) « « ، ص ١٧٧ .
(6) « « ، ص ١٧٦ .
(7) « « .
(8) ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، تحقيق بويج ، بيروت ١٩٥٢ ، ج ٢ ص ٢٢٢٤ .

للشر إليه[1] . والفعل سابق على القوة عقلا لأنها تستلزمه فى التصور ، وسابق عليها واقعا لأنها تستلزمه فى الوجود ولا تتحول بدونه . و باختصار ما هو بالفعل أزلى أبدى ، وما هو بالقوة حادث ولا بقاء له .

وواضح أن هذا الفصل يلتقى تمام الالتقاء مع مقالة Θ من " الميتافزيق " . و يبدو منه أن ابن سينا فهم فكرة القوة والفعل الأرسطية على وجهها ، وتبين أنها ترمى هى الأخرى إلى تفسير التغير ، كفكرة المادة والصورة . والجديد فيها أنها تتفادى الطفرة والانتقال المفاجئ ، فالتغير عند ابن سينا وأرسطو يسير سيرا مطردا من طرف إلى آخر ، من مجرد استعداد إلى تحقق بالفعل ، والبنّاء لا يبنى إلا أن كان عنده استعداد للبناء ، والوجود ليس إلّا خروجا من عالم القوة إلى عالم الفعل . غير أن ابن سينا يبرز الجانب العلوى لفكرة الفعل ، و يربطها أكثر من الفيلسوف اليونانى بعالم السموات ، عالم الأزلية والأبدية ، وهذا يتسق مع نظام الكون الذى تصوّره .

٦ — نظرية العلل :

وقف عليها ابن سينا مقالة بأكملها ، وعرضها فى وضـوح وترتيب ملحوظين . و إذا كان قد أخذ فيها عن أرسطو ، فإنه أضاف إليه مادة جديدة ، وفصّل القول فيها بدرجة لا تلحظ لدى المعلم الأول . ونحا بهـا منحى يتفق مع الأهداف الرئيسية لمذهبه ، فبرزت لديه الفاعلية إلى جانب الصورية ، وطغت الغائية على الآلية .

وعنده أن العلل أربعة : عنصر أو مادة ، وصورة ، وفاعل ، وغاية . و يراد بالعنصرية أو المـادية جزء من قوام الشيء هو ما يكون بالقوة ، و بالصورة جزء من قوام الشيء هو مايكون بالفعل ، و بالفاعلية ما يفيد وجودا مباينا لذاته ، و بالغائية مايحصل من أجلها وجود مباين لها[2] . ولا يمكن أن تكون العلل إلا أربعا ، لأن السبب إما أن يكون داخلا فى قوام المسبب و جزءا من وجوده ، أولا . فإن كان داخلا فى قوامه فهو مايحقق وجوده بالقوة ،

---

(1) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ١ ، ص ١٨٤ — ١٨٥ .
(2) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

أولك هى الهيولى ، و ما يحقق وجوده بالفعل ، وتلك هى الصورة . و إذا لم يكن داخلا فى قوامه فهو إمّا من أجله يوجد السبب ، وتلك هى الغاية ، أو يكون له شأن فى وجوده دون أن يكون داخلا فى قوامه ، وتلك هى الفاعلية . وقد تعدّ هـــذه العلل خمسا ، على اعتبار أن العنصر من حيث هو هيولى عامة ، ومن حيث دخوله فى موجود معين هيولى خاصة ، وهذا تكرار فى الواقع [1] .

والعنصرية استعداد لقبول شىء كاستعداد اللوح للكتابة ، والخشب لأن يكون سريرا ، والآحاد لأن تكون عددا [2] . وكل عنصر من حيث هو عنصر له القبول فقط ، وأما حصول الصورة فله من غيره [3] . وانتقال العنصر من حال القوة قد يتم دون تركيب فيسمى موضوعا بالقياس إلى ما هو فيه ، أو بتركيب فيسمى أسطقسا ، وهو أصغر ماينتهى إليه القاسم فى القسمة [4] .

ويقال صورة لكل مايصلح أن يفعل ، وبهذا المعنى تشمل الجواهر المفارقة . ويقال أيضا على كل ما تتقوّم به المـادة وتكمل ، فتنشأ عنها الحركات والأعراض المختلفة . وتقال أخيرا على نوع الشىء وفصله وجنسه [5] . وبذا استوعب ابن سينا مختلف المعانى التى ذهب إليها أرسطو فى مدلول الصورة ، وجعلها تواجه نظريتى التغير والمعرفة ، بل وعالم اللامتغير .

والفاعل مايفيد شيئا آخر وجودا ليس له من ذاته ، وليس بلازم أن يكون مؤثرا بالفعل بل قد يكون مفعوله معدوما ، ثم يعرض له ما يصير معه فاعلا [6] . وقد يظن أن الشىء إنما يحتاج إلى العلة الفاعلة فى حدوثه ، فإن وجد استغنى عنها ، و إذن هى لمجرد الحدوث ولابد لها أن تسبق المعلول ، ولا داعى لأن تصاحبه . وهذا ظن باطل ، لأن الوجود بعد الحدوث إن كان بالذات فلا يحتاج إلى علة خارجة عنها ، وإن كان بغير الذات فإنه

---

(1) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .
(2) » » ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .
(3) » » ، ص ٢٨١ .
(4) » » ، ص ٢٨٠ .
(5) » » ، ص ٢٨٢ .
(6) » » ، ص ٢٥٩ .

لا يتحقق ولا يبقى إلا بالعلة التى أحدثته[1] . وفى حديث ابن سينا عن الفاعلية ما يؤذن بأنه يتمسك بالآلية ، ولو فى عالم الطبيعة على الأقل، ولكنه لا يلبث أن يردها إلى غائية مفرطة .

والغاية ما لأجله يكون الشىء،وقد تكون فى نفس الفاعل كالفرح بالغلبة، أو خارجة عنه كمن يفعل شيئا ليرضى به غيره.ومن الغايات التشبه بشىء آخر ،والمتشبّه به من حيث هو متشوق إليه غاية ، والتشبه نفسه غاية[2] . والعلة الغائية سببة لوجود العلل الأخرى، وهى سابقة عليها فى الذهن والوجود ، فهى علة العلل[3] . وإثباتا لهذا يستعرض ابن سينا العلل الأخرى علة علة ، محاولا ردها إلى الغائية[4] . وفى هذا ما يبعده عن أرسطو الذى يرد العلل إلى الهيولى والصورة اللتين يتكون منهما الشىء و يعلم بهما ، والفاعل إنما يفعل على حسب صورته ، والغاية مرتسمة أيضا فى صورة المحرك يقصد إليها[5] . وطبيعى أن يعتد ابن سينا بالغائية اعتدادا أوضح من فيلسوف اليونان ، لأن عالمه كله يخضع للمبدأ الأول غاية الغاية ، وهو أشبه ما يكون " بمملكة غايات " إن صح أن نستعمل هنا التعبير الكانتى.والقول بالغائية لا ينفى الاتفاق أو الصدفة .لأن هذه غاية خفية وغير محددة[6] . ولا عبث فى الكون مطلقا ، بل كل ما فيه يسير حسب نظام ثابت، وتدبّره حكمة أزلية[7] .

والعلل الحقيقية موجودة مع معلولها ، أما المتقدمة عليه فهى علل بالعرض . والعلل متناهية مهما تلاحقت، بحيث تنتهى إلى علة العلل التى هى علة فى ذاتها ، وليست معلولا لشىء آخر . والعلة الكاملة هى التى تعطى الوجود وتبقى عليه ، ويسمى هذا " إبداعا " ،

---

(1) المصدر السابق ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(2) » » ، ص ٢٨٣ .

(3) » » ، ص ٢٩٢ — ٢٩٣

(4) » » ، ص ٢٩٤ — ٢٩٨ .

(5) Aristote, Mét. Δ, 28 ; Phys. II, 8, 199 a.

(6) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(7) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

لأنه " أيس " بعد " ليس " مطلق[1] . وقد يطلق الإبداع على معان أخرى ، وأوضحها الخلق ابتداء من غير مادة سابقة ، وأسمى صوره ما لم يكن بعلة متوسطة ، وإنما يصدر عن العلة الأولى مباشرة[2] . وهنا تظهر ناحية يتميز بها ابن سينا ، وهى حرصه على دقة المصطلحات الفلسفية ، فيحدد معنى الإبداع ، ويلجأ إلى لفظين جديدين يحرص عليهما ويعتز بهما ، ويستعملهما للدلالة على الوجود والعدم ، وهما " الأيس والليس " . وقد استلفتا نظر الخليل بن أحمد اللغوى المشهور من قبل ، وهو ذو نزعة فلسفية معروفة[3] .

وتعتبر العلل الأربعة مبادئ للعلوم عامة ، وإن لم تتوفر فيها بنسبة واحدة . فهى على اختلافها من أسس العلم الطبيعى ، والعلل المادية والصورية دعامة العلم الرياضى ، وعلى الفاعلية والغائية يقوم العلم الإلهى[4] .

٧ – المبدأ الأول :

سبق لنا أن أشرنا إلى أن العلل متناهية ، تنتهى عند علة أولى هى علة العلل ومبدأ الكل ، وليست معلولة لشىء آخر . وتسمى العلة التامة ، لأن جميع الأشياء توجد من أجلها ، وهى لا توجد من أجل شىء[5] . فالمبدأ الأول واجب الوجود بذاته ، وما عداه ممكن يستمد الوجود منه ، هو مبدأ لأنه يصدر عنه كل شىء ، وأول لأنه سابق أزلا على كل وجود[6] . وهو تام الوجود ، لأنه واجب الوجود بذاته ، ولذاته ، وكل وجود فائض من وجوده[7] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ — ٢٦٦ .

(٢) » » ، ص ٢٦٧ .

(٣) الفيروزابادى ، القاموس المحيط ، القاهرة ١٣٤٤ هـ ، ج ٢ ص ١٥٠ .

(٤) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ — ٣٠٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ — ٣٤١ .

(٦) » » ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ .

(٧) » » ، ص ٣٥٥ .

والمبدأ الأول واحد من جميع الوجوه، واحد فى ذاته، واحد فى صفاته . فلا شريك له ، ولا ند ، ولا ضد . برئ من المادة وعلاقاتها ، فلا كم له ، ولا كيف ، ولا أين ، ولا متى . وإذن لا جنس له ، ولا فصل ، ولا نوع ، ولا حد ، ولا ماهية . ولا برهان عليه أيضا ، لأنه برهان نفسه ، وبرهان كل شيء سواه . ويمكن أن يقال إنه جوهر ، بل هو الجوهر الحق فى الواقع ، إذ لا يوجد فى موضوع بحال ، ولكن الأولى ألا يطلق عليه هذا اللفظ[1] .

وهو خير محض ، لأنه وجود تام ، والوجود خير دائما ، ومصدر الخيرات والكمالات كلها[2] . مبرأ من كل عيب ونقص ، فهو جمال وكمال وبهاء ، بل هو غاية فى كل ذلك ، ومصدر الكمال والبهاء فى كل شيء[3] . هو الحق المطلق الذى لا يرق إليه أى شك ، والاعتقاد بوجوده جازم صادق[4] . يعشق ذاته التى هى مبدأ كل نظام ، فهو عاشق ومعشوق فى آن واحد ، إلا أن عشقه لا حركة فيه ولا انفعال[5] .

وأخيرا هو عقل محض يعقل ذاته ، فهو عاقل ومعقول ، وليس فى ذلك تعدد ألبتة لأنه ينصب على شيء واحد[6] . وهو فى عقله لذاته يعقل أنه مبدأ كل شيء ، فيعقل الموجودات جميعها على نحو كلى لا تشوبه شائبة التغير ولا يختلط بالزمن[7] . وكثرة المعقولات لا تؤدى إلى كثرة فى ذاته ، لأن تكثرها إنما يتم بعد انفصالها عنه[8] . يعقل الأسباب فيعقل مسبباتها ، وبذا يحيط علمه بكل شيء ، " لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض " [9] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ — ٣٥٤ .
(٢) » » ، ص ٣٥٦ .
(٣) » » ، ص ٣٥٦ ، ٣٦٨ — ٣٦٩ .
(٤) » » ، ص ٣٥٦ .
(٥) » » ، ص ٣٦٣ .
(٦) » » ، ص ٣٥٧ .
(٧) » » ، ص ٣٥٩ .
(٨) » » ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ — ٣٦٢ .
(٩) » » ، ص ٣٥٩ .

هذه هى فكرة الألوهية عند ابن سينا ، وتقوم على أساسين واضحين هما التوحيد والتنزيه ، فتلتقى دون نزاع مع العقيدة الإسلامية . وفيها عناصر أرسطية ظاهرة ، فالمبدأ الأول عند ابن سينا ، كالمحرك الأول عند أرسطو ، ليس جسما بحال ، لأنه فعل دائم ، والمادة ليست إلا قوة . وهو أيضا عقل يعقل نفسه ، وهنا نجد لدى الفيلسوفين ألفاظا وعبارات تكاد تتكرر بنصها . إلا أن فيلسوف الإسلام لايلبث أن يبتعد عن فيلسوف اليونان، ليقترب من عقيدته على نحو ما صورها معاصروه ومن سبقوه من فلاسفة ومتكلمين. فيرى أن المبدأ الأول واجب الوجود بذاته ، وليست بنا حاجة إلى البرهنة على وجوده ، وبذا يسلم من برهان الحركة المضنى الذى عوّل عليه أرسطو فى الجزء الثامن من " السماع الطبيعى " ، وعاد إليه فى " ما بعد الطبيعة " . ويحاول على نحو ما صنع ثامسطيوس من قبل ، فى شرحه " لمقالة اللام " ، أن يبسط علم الله ويخرج به عن دائرة ذاته ، لأنه ، وهو يعقل ذاته ، يعقل عن طريقها كل شيء[1] . وهذا مالم يقصد إليه أرسطو الذى حرص على أن يعزل إلهه عن عالم التغير والمادة عزلا يكاد يكون تاما[2] . على أن هذا التأويل لايرضى المتكلمين ، وخاصة الغزالى الذى حمل على الفلاسفة حملة عنيفة ، لأنهم قصروا علم الله على الكليات ، وهو الذى يحيط بكل شيء . وكأنما كان ابن سينا يتوقع هذه الحملة ، لذا شاء أن يستخلص من العلم بالكليات علما بالجزئيات. ذلك لأن الأول يعلم الأسباب ، ويعلم ضرورة مايترتب عليها ، فيكون مدركا للامور الجزئية من حيث هى كلية[3] . ولكن هل يسمى هذا علما بالجزئيات حقيقة ؟

٨ — الصدور :

لايقف ابن سينا عند المحرك الذى يحرك دون أن يتحرك ، ويقصد إلى إثبات أن الله علة فاعلة لا مجرد غاية وهدف ، فيقول بالصدور ليبين الصلة بين الله والعالم ، ويفسر الخلق والإبداع . وما دام واجب الوجود عقلا محضا ، فهو يعقل ذاته، ويعقل ضرورة

(١) عبد الرحمن بدوى ، أرسطو عند العرب ، ج ١ ، " من شرح ثامسطيوس لحرف اللام " ، ص ٢٠ .

(٢) Rose, *Aristotle*, London 1680, p. 183.

(٣) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ .

صدور الكل عنه ، فتعقله علة للوجود ، وأول موجود صدر عنه هو العقل الأول ، وهو ممكن بذاته ، واجب الوجود بغيره . ولا يمكن أن يصدر عنه إلاّ جوهر مفارق واحد، لأنه هو نفسه واحد من كل الجهات . وعند العقل الأول تبدأ الكثرة : فبتعقله لواجب الوجود يصدر عنه العقل الثانى ، وبتعقله لذاته من ناحية أنه واجب الوجود بغيره تفيض عنه نفس فلكية ، ومن ناحية أنه ممكن الوجود يفيض عنه الفلك الأقصى . وهكذا حتى نصل إلى العقل العاشر ، أو العقل الفعّال الذى يدبّر عالم الأرض . وتصدر عنه الهيولى الأولى وصورها المختلفة ، بما فيها النفوس البشرية ، ولذا سمى "واهب الصور"[1] .

وإنما كانت العقول عشرة تبعا لعدد الأفلاك، على حسب ماقرره بطليموس فى كتاب "المجسطى" . حقا إن أرسطو يصعد بها إلى نحو ٥٥ ، ولكن النظريات الفلكية التى جاءت بعده أدق وأضبط[2] . فهناك عشرة عقول ، منها تسعة لعالم السموات وواحد لعالم الأرض ، وإلى جانبها تسع نفوس فلكية . وهذه العقول تفسر الحركة والتغير ، كما تفسر الوجود والصلة بين الله والعالم . فهى مصدر حركة الأفلاك ، لأنها قوة غير متناهية . وإذا كان لكل فلك نفس خاصة به ، فإنما تستمد قوتها من عقل الفلك نفسه[3] . ونستطيع بهذا أن نفسر عبارات وردت على لسان المعلم الأول ، وفيها ما يؤذن بالتناقض، وهى " أن الفلك متحرك بطبعه " ، أو " أنه متحرك بالنفس" ، أو " أنه متحرك بقوة غير متناهية "[4] . وتحرك العقول والنفوس الفلكية بعامل الشوق والتشبه بالأسمى . وبما أنها كلها تعشق واجب الوجود ، فالحركة والتغير مردهما فى آخر الأمر إليه[5] .

والعالم مخلوق من عدم ، ولكنه قديم ، " كان الله وخلق "، لا أنه "كان ثم خلق" . لأن القول بحدوث العالم ، على نحو ما تصوره " أحداث المتفلسفة الإسلامية " ، يؤذن بطروء التغير على الله ، وهذا محال[6] . ويظهر أن ابن سينا يشير هنا إلى بعض معاصريه،

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٢ — ٤٠٨ .

(٢) « « ، ص ٤٠٠

(٣) « « ، ص ٣٨٦ — ٣٩٤ .

(٤) « « ، ص ٣٩٢ .

(٥) « « ، ص ٣٩٣ .

(٦) « « ، ص ٣٧٦ — ٣٨٠ .

أمثال أبي القاسم الكرمانى [1] ، وينعتهم " بالمعطلة" ، لأن قولهم بحدوث العالم يؤدى إلى تعطيل وجود واجب الوجود قبل أن يوجد العالم [2] . فالله علة فاعلة خلاقة ، خلقت العالم قبل الزمان ، وبقى متوقفا عليها إلى النهاية .

والقول بخلق العالم يلتقى مع تعاليم الإسلام ، بقدر ما يبتعد عن الأرسطية ، ولا سيما وهو على ذلك النحو من الصدور الذى يرجع إلى أصل أفلوطينى واضح . غير أن هـذا الخلق يكاد يكون صوريا ، لأنه لايدع مجالا للحرية والاختيار ، ويخضع الخالق جل شأنه للضرورة ونظام الكون العام . وبذا لايرضى المعتزلة ولا الأشاعرة الذين يرون أن الله حر ، يخلق أو لا يخلق كما يشاء ، " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " . وابن سينا الحريص على التوحيد يغدق على العقول المفارقة صفات تكاد تختلط بها مع واجب الوجود ، وتنتهى إلى تعدد لم يرده . والواقع أن العقول العشرة نظرية متهافتة ، وهى فى أساسها فلكية طبيعية ، وازداد تهافتها باستخدامها فى الإلهيات . وقد انقضى الزمن الذى كانت تفسر فيه حركات الأفلاك تفسيرا غيبيا أسطوريا ، بعد أن اكتشف نيوتن قانون الجذب العام .

٩ — العناية :

فى الكون آيات عجيبة وحكم باهرة لا يمكن أن تصدر اتفاقا ، وإنما جاءت وليدة تدبير محكم ونظام دقيق ، وهذا ما نسميه العناية . ويراد بها علم الله الأزلى بنظام الخير والكمال ، وصدور العالم عنه وفق ذلك وعلى أكمل وجه ممكن [3] ، ولكن هل معنى هذا ألا سبيل للشر إلى هذا العالم ؟ استمسك بهذا قوم ، وأنكره آخرون .

ولا يجد ابن سينا بدا من التسليم بوجود الشر ، وكيف لا وهو يراه بعينه ، ويسمعه بأذنه . ويذهب إلى أن الشرور متنوعة : فمنها الأمراض والآلام ، ومنها الذنوب والمعاصى ،

---

(١) محمد ثابت الفندى ، الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لذكرى ابن سينا ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٠٤ .

(٢) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤١٤ — ٤١٥ .

ومنها القحط والجدب[1] . وكم يذكرنا هذا بتلك القسمة الثلاثية التي قال بها ليبنتز بعده بنحو سبعة قرون ، وتقوم على تقسيم الشرور إلى ثلاثة أقسام : طبيعية ، وأخلاقية ، وميتافزيقية[2] .

وإذا كان الشر موجودا ، فكيف نوفق بينه وبين عناية الله وخيرية العالم ؟ هذا ما أجهد ابن سينا نفسه في توضيحه، ملاحظا أن هذه الشرور لا تتنافى مع العناية في شيء. ذلك لأنها طفيفة وجزئية ، فلا توجد إلا فيما تحت فلك القمر ، أما عالم السموات فخير كله ، ولا جدال في أن عالم الأرض أصغر بكثير من عالم السماء . على أن الشرور الأرضية نفسها محدودة ، فهي لا تصيب إلا أشخاصا وفي أوقات معينة، في حين أن الأنواع محفوظة والفرد لا أهمية له بجانب النوع[3] . وهناك شرور ظاهرية ، أو إن شئت نسبية ،ليست شرا في ذاتها ، كالجهل بالفلسفة أو الهندسة يكون شرا بالنسبة لأناس، ولا ضير فيه على آخرين[4] ، وكالنار تكون شرا إن أحرقت الناسك الفقير ، وخيرا إن ساعدت على نضج الطعام[5] . وهناك شرور صغيرة توصل إلى خير محقق ، وتقي من شر أعظم ، وكثيرا ما تحدثوا عن أخف الضررين وأهون الشرين ، دون أن يتعارض هذا مع كمال الكون وصلاحه[6] . ووجود هذه الشرور لا يعني أنها غير مرادة، فإن الحكمة فيها واضحة والمصلحة منها ظاهرة، ولا غضاضة مطلقا من دخول الشر في القضاء الإلهي[7] . ولن يحول دخوله دون القول بخيرية العالم ، لأن أكثريته في جانب الخير ، وليس في الإمكان أبدع مما كان[8] .

---

(1) المصدر السابق ، ص ٤١٥ .

(2) Leibnitz, *Théodicée*, I partie, 21 .

(3) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٤١٧ .

(4) المصدر السابق .

(5) » » ، ص ٤٢٠ .

(6) » » ، ص ٤١٨

(7) » » ، ص ٤٢١ .

(8) » » ، ص ٤٢٠ ؛ جميل صليبا ، الكتاب الذهبي ، ص ١٩٠ — ١٩٩ .

نستطيع إذن أن نعد ابن سينا بين المتفائلين، أمثال سقراط وأفلاطون والرواقيين من القدامى أو ليبنتز وڤولتير من المحدثين. وقد عاش فى جو لم تفقد فيه مشكلة الصلاح والأصلح كل ما كان لها من صدى، بعد أن رددها المعتزلة فى حماس وقوة قبله بنحو قرن أو يزيد. واتصل بالغنوصية المزدكية والمانوية التى جعلت من الخير والشر مبدأين أساسيين لفلسفتها وعقيدتها. ومع هذا يأبى ابن سينا إلا أن يربط نظريته فى العناية بأرسطو والمشائية، وكأنه ينحو فى ذلك منحى الاسكندر الأفروديسى الذى عزّ عليه أن تكون هذه النظرية من صنع الرواقيين وحدهم. حقا إن المعلم الأول حرص على أن يخضع الكون لشىء من النظام والغاية، وردد أن الله والطبيعة لا يعملان شيئا عبثا، ولكن فكرة الألوهية عنده لا تتسع لمعنى العناية.

ومهما يكن من أمر فابن سينا يرد — كليبنتز — الخير والشر إلى الله، ولا يرى فى صدور الشر عنه نقصا، لأن ما هو شر فى ذاته خير بالنسبة لجملة العالم. ولكن أليس فى هذا تحديد لقدرة البارئ جل شأنه؟ يظهر أن القائلين بنظرية الصدور فاتهم جميعا أن يضعوا القدرة الإلهية فى مكانها اللائق بها. ومن جهة أخرى، أما كان فى الإمكان أن يخلق العالم ولا شرور فيه؟ يضع ابن سينا هذا السؤال، ولا يجد جوابا عليه إلا أن النظام الأكمل للكون يقتضى وجود هذه الشرور[1].

(د) الإلهيات فى العالم العربى

سبق لنا أن عرضنا لأثر كتاب "الشفاء" فى العالم العربى، وبيّنّا أنه كان دعامة قوية من دعائم الفكر الإسلامى العلمى والفلسفى منذ القرن الخامس إلى القرن الرابع عشر للهجرة[2]. وإذا وقفنا عند "الإلهيات" خاصة، وجدنا أنه كان من أشد أقسامه تأثيرا، لأنه يدور حول مشاكل شغلت الأذهان وكانت أساس البحث فيما سمى بعلوم المعقول.

---

(1) ابن سينا، الإلهيات، ص ٤٢٢.

(2) ابرهيم مدكور، المدخل، القاهرة ١٩٥٢، مقدمة، ص (٢٨).

ففى حياة ابن سينا كان تلاميذه يتذاكرونه ، وفى مقدمتهم الجوزجانى وبهمنيار ، وتابعهم فى ذلك تلاميذهم كاللوكرى والغيلانى من رجال القرن الخامس الهجرى ، والمرخسى والنيسابورى من رجال القرن السادس[1] . وهنا تتصل السلسلة بنصير الدين الطوسى الذى يعد تلميذا مخلصا لابن سينا ، وإن تأخر عنه بنحو قرنين ونصف، وقد وقف من " إلهياته " موقف الشارح والمدافع .

وإلى جانب هؤلاء نجد مفكرين عظيمين من مفكرى الإسلام فى القرن الخامس للهجرة تعاصرا وتلاقيا فى كثير فى اتجاهاتهما ، ونعنى بهما الغزالى والشهرستانى، قرآ "الإلهيات" وألما به إلماما دقيقا ، وأدركا ما فيه من مواطن الضعف . ويكاد الغزالى يركز حملته على الفلاسفة — فى شخص ابن سينا خاصة — حول البارئ وصفاته وصلته بمخلوقاته ،فلا يرتضى فكرة الألوهية على نحو ما صوروها ، وينكر نظرية الصدور وقدم العالم[2] . والشهرستانى ، حين يفصل القول فى حدوث العالم واستحالة قدمه، يحكى على لسان ابن سينا آراء استمد أغلبها من " الإلهيات"[3] . ويجئ ابن رشد فى القرن السادس، فيختم سلسلة كبار الفلاسفة الإسلاميين ، وفى " تفسيره لما بعد الطبيعة " يرجع لابن سينا رجوعه إلى المشائين الآخرين ، ويعرض آراءه المختلفة[4] .

وفى العصور الأخيرة ، يمكننا أن نشير إلى النسفى والإيجى والتفتازانى الذين كانت مؤلفاتهم عمدة البحث النظرى، وقد أخذوا بدورهم عن "الإلهيات" ، وتأثروا به كثيرا . وإذا كانت الدراسات الكلامية هدف هؤلاء جميعا ، فلا غرابة فى أن يرجعوا إلى كتاب ابن سينا وهو فى صميم العلم الإلهى ، مؤيدين كانوا أو معارضين ، وفى فلسفتهم الدينية صدى واضح له .

---

(1) محمود الخضيرى ، الكتاب الذهبى ، ص ٥٢ — ٥٩ .

(2) الغزالى ، تهافت الفلاسفة ، بيروت ١٩٢٧ ، ص ٢٣ — ٧٨ ، ٧٩ — ١٣٢ .

(3) الشهرستانى ، نهاية الاقدام ، لندن ١٩٣٤ ، ص ٢٥ — ٢٩ ، ٣٣ — ٣٥ ، ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(4) ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ٣ ، ص ١٤٩٨ .

(هـ) الإلهيـات فى العالم اللاتينى[1]

لم يقف أثر هذا الكتاب عند الشرق ، بل امتد إلى الغرب ، وكان فى مقدمة أجزاء " الشفاء " التى عنى الغربيون بترجمتها . وقد عرضنا من قبل لهذه الترجمة ، وأشرنا إلى أن طليطلة كانت مقرها الأول ، وأنها بدأت فى تاريخ مبكر ، فى الربع الأخير من القرن الثانى عشر . وعُوّل فيها على الأسبانية الدارجة ، القشتالية ، فكان يترجم من العربية إليها ، ومنها إلى اللاتينية تحت إشراف جند سالينوس ورعايته[2] .

وما إن ترجم كتاب " الإلهيـات " ، أو " الميتافزيق " كما كانوا يسمونه ، إلى اللاتينية حتى اخذ فى نسخه والمسارعة إلى اقتنائه ، وانتشر فى الأوساط الثقافية الأوروبية المختلفة ، كونبليه ، وباريس ، وأكسفورد ، وكولونى . وعنى مفكرو الغرب بدرسه وتفهمه ، لأنه يشرح أرسطو ويكمّله ، وينقّحه خاصة من الناحية الدينية ، ويلتقى مع آراء ألفوها من قبل لدى القديس أوغسطين ، ويواجه مشاكل كانوا يبحثون عن حلها . ونستطيع أن نقول إن فلسفة ابن سينا مثلت فى الغرب بجزءين من أجزاء " الشفـاء " ، هما " كتاب النفس " و " الإلهيـات " ، وقد وصلا فى القرن الثالث عشر إلى منزلة لم يسم إليها أى جزء آخر ، بل ولا أى كتاب فلسفى عربى .

وكان أثر " الإلهيـات " عميقا إلى حدّ أنه كان كثير الورود على الأقلام ، واستخدمت بكثرة بعض تعبيراته وتعاريفه . ووضعت كتب اعتمد فيهـا على كثير من نصوصه ، ومن أخصها " De fluxu entis " ، ذلك الكتاب المنحول الذى يأخذ عن ابن سينـا دون أن يصرح دائما باسمه[3] . وأثار كتاب " الإلهيـات " حركة فكرية اشتد فيهـا الأخذ والرد وهى ما سميت بالأوغسطينية السينوية أو مذهب ابن سينـا اللاتينى[4] .

---

(1) عوّلنـا فى هذا على بحث مستفيض للأب قنواتى لم يتسع له المجال هنـا ، وعنوانه : L'Influence de la Métaphysique d'Avicenne dans l'Occident latin ، وسينشر قريبا .

(2) ابرهيم مدكور ، المدخل ، مقدمة ، ص (٣١) — (٣٢) .

(3) **Edité par R. de Vaux dans,** *Notes et textes sur l'avicennisme latin*

(4) **R. de Vaux,** *l'avicennisme latin*, **Paris 1934.**

وتأثر به مؤيدوه ومعارضوه على السواء ، ويكفى أن نشير إلى مثلين اثنين : روجر بيكون ، والقديس توماس الأكوينى .

فأما الأول فمن أعرف مفكرى القرن الثالث عشر بحياة ابن سينا ومؤلفاته ، وكان معجبا به الإعجاب كله إلى حد أنه كان يعدّه خير شارح لأرسطو والممثل الحق للفكر العربى[1] . وراقه من " الإلهيات " أنه يقول بالبعث والسعادة الأخروية ، ويسلم بالملائكة . وشاء أن يطلق على البابا لقب " خليفة الله فى أرضه "[2] ، على نحو ما صورت المقالة العاشرة من " الإلهيات " الخليفة فى الإسلام[3] .

وأما الثانى فيظهر أنه كان سينويا فى البداية ، ثم تحول إلى معارض فيما بعد ، ونقد القديس أوغسطين لا لشىء إلّا لأن فى آرائه شبها وصلة بالآراء السينوية[4] . ومع هذا كان يتحدث عن ابن سينا دائما باحترام وتقدير ، فلم يقل عنه قط ما قال عن ابن رشد من أنه كان مشوها للحقائق . وأخذ عنه أشياء مختلفة ، بنصها أو بشىء من التعديل ، كالقول بالصور الجسمية ، وقسمة الشرور إلى أنواع ثلاثة ، وأن الله لا جنس له ، وأن وجوده وذاته شىء واحد ، وأنه واجب الوجود بذاته . ويكاد يدور نقده حول المسائل التى تتعارض مع التعاليم الدينية ، كالعلم الإلهى وقصره على الكليات ، ونظرية الصدور وتعارضها مع قدرة الله وحرية الفرد . وهنا يلتقى القديس توماس فى الغرب بحجة الإسلام الغزالى فى الشرق ، ويردد اعتراضات شبيهة بما ورد فى " تهافت الفلاسفة " .

وما إن جاء القرن الرابع عشر حتى بدأ المذهب الرشدى يطغى على المذهب السينوى ، ولكن لم يخفت صوت ابن سينا على كل حال ، وبقى يردد فى هذا القرن والقرنين التاليين . وقد قيل باتصال تاريخى ، أو فكرى على الأقل ، بين بعض النظريات السينوية ونظريات لديكارت وبسكال . ومنذ القرن الماضى عنى أتباع القديس توماس بالبحث عن مصادر

---

(1) R. de Vaux *Notes et textes* p. 68.

(2) " " " op. cit.

(3) ابن سينا ، الإلهيات ، ج ٢ ، ص ٤٥١ — ٤٥٤ .

(4) E. Gilson, *Pourquoi St. Thomas a critiqué St. Augustin*, *Archives*, tome I, Paris 1926.

تفكيره لدى ابن سينا ، إلى جانب عناية المستشرقين بالفيلسوف الإسلامى . وكان العيد الألفى لذكراه فرصة مواتية لإثارة مشاكل ودراسات مختلفة حوله فى الغرب لا تقل عما أثير فى الشرق ، وكان " للإلهيات " من تلك الدراسات حظ أوفر .

* * *

فى كل هذا ما يشهد بأن " الإلهيات " كتاب ذو غاية وأثر وتاريخ . فأما غايته فهى التوفيق بين الفلسفة والدين ، ولتحقيق ذلك وضع ابن سينا مبادئ لم يبتكرها جميعا ، ولكنه عرف كيف ينسّقها ويلائم بينها ، بحيث أضحت فى ثوبها الجديد من صنعه وتأليفه . وقدّر لها أن تبقى دعائم للفلسفة الإلهية عدة قرون .

وأما أثره فيرجع إلى أنه كتب بلغة عصره وروحه ، فصادف هوى وسدّ حاجة ، ونفذ إلى المدارس المختلفة المؤيدة والمعارضة . ففى الشرق نجد الغزالى يأخذ عنه فى الوقت الذى يحمل عليه حملة قاسية، وفى الغرب لم تمنع معارضة القديس توماس له من أن يتأثر به. ولم يقف أثره عند المدارس الإسلامية والمسيحية ، بل امتد إلى المدارس اليهودية ، وكان بعض مفكرى اليهود فى القرون الوسطى منه بمثابة التلاميذ والأتباع .

وأما تاريخه فيصعد إلى أثينا فى أوجها الفكرى ، ويمر بالاسكندرية ، وينتهى إلى بغداد . ثم ينتقل إلى طليطلة ، ومنها إلى باريس وأكسفورد ، وله أصداء فى التفكير المعاصر . يصدر عن " ميتا فزيق " أرسطو أولا ، ولكنه يعدّلها وينقّحها فى ضوء ما جاء به الشراح المتأخرون ، وما أملته عليه بيئته وعقيدته . واستطاع بهذا أن يتآخى مع فلسفات دينية مختلفة شرقية وغربية . قد يكون فى اقترانه بأرسطو ما ساعد على ذيوعه وامتداد أثره ، ولكنه استطاع بنفسه أن يبعث فى الغرب إبان القرن الثالث عشر مذهبا سينويا اقترب من أوغسطين وأفلاطون بقدر ما ابتعد عن أرسطو والمشائية . ولا يزال الباحثون يكشفون فيه عن نواح تربطه بمثل ديكارت ، أو تقربه من مثل برجسون ، ويأبى مفكرو القوقاز اليوم إلا أن يعقدوا نسبا بينه و بين المادية الجدلية .

* * *

ونحن على يقين من أن نشر كتاب " الإلهيات " سيغذى هذه الدراسات المتصلة . وقد عكف على تحقيقه أربعة من أصدقاء ابن سينا ودارسيه ، وهم الأب جورج شحاته

قنواتى ، والأساتذة محمد يوسف موسى ، وسليمان دنيا ، وسعيد زايد . وقد قضوا فى ذلك مدة سنوات ، وعولوا على طائفة مختارة من المخطوطات . وكم كانوا يودون أن يكون بين أيديهم نص محقق لترجمة "الإلهيات" اللاتينية ، ولكن أبطأ الزمن بعض الشيء بالآنسة دالفرنى التى اضطلعت بذلك . ولم يسعهم إلا أن يلجئوا لنسخة من تلك النسخ المأخوذة عن طبعة البندقية H ، التى عوّل عليها الأستاذ محمود الخضيرى فيما عرض من فهرس للمصطلحات [1] . وإنى إذ أقدم ثمرة مجهودهم الطويل ، أحرص على أن أسجل لهم خالص الشكر والتقدير .

ابراهيم مدكور

(1) *Avicenna Metaphysics*, N. Y. 1948.

المخطوطات التى قام عليها التحقيق

(١) الشفاء طبعة طهران ، ورمزه ط

(٢) هامش طبعة طهران ، « طا

(٣) بخيت (الأزهر) ٣٣١ ورمزه ب

(٤) بخيت (هامش) « بخ

(٥) دار الكتب المصرية ١٤٤ « جـ

(٦) « « « ٨٩٤ « د

(٧) « « « ٨٢٦ « ص

(٨) المتحف البريطانى ٧٥٠٠ « م

وجميع المخطوطات قد وصفت عند تحقيق مدخل الشفاء لابن سينا ، عدا مخطوط (جـ) ومخطوط (ص) ، وها هو وصفهما :

فأما جـ فهو : ١٤٤ حكمة

٢٠ × ١١ سم

المكتوب ١٢½ × ٥½ سم

خط فارسى جيد منقط غير مضبوط

١٧ سطرا بالصفحة

هوامش فى كثير من الصفحات

حلية مذهبة ومنقوشة فى أول صفحة ، وتحتها البسملة بالحبر الأحمر .
ونص الصفحة الأولى على بالذهب والنقوش ، وبجدول بالذهب .

وأوله : الفن الثالث عشر من كتاب الشفاء تصنيف الشيخ الرئيس ، المقالة الأولى ، فصل فى ابتداء طلب موضوع العلم "الفلسفة الأولى" لتتبين إنيته فى العلوم وإذ ....

وآخره :

.....الحكمة النظرية فقد سعد، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية فيكاد أن يصير ربا إنسانياً ، أو كاد أن تحل عبادته بعد الله ، وكاد أن يفوض إليه أمور عباد الله ، وهو سلطان العالم الأرضى وخليفة الله فيه .

تم بحث الالهى من كتاب الشفاء

والحمد لله

رب العـالمين

كاتبه العبد الضعيف الجانى ابن

شمس الدين عماد الدين محمود

الكرمانى

فى سنة ٦٨٤

وأما ص فهو ٨٢٦ فلسفة

٢١½ × ١٢ سم حجم الكتاب

١٤ × ٥½ سم = المساحة المكتوبة

١٥٧ ورقة

خط نسخي جميل منقط غير مضبوط

٢١ سطراً بالصفحة

هوامش عديدة بخط فارسى (فى بعض الصفحات) .

أرقام الفصول مكتوبة بالحبر الأحمر .

أوله : الفن الثالث عشر من كتاب الشفاء عشر مقولات

المقالة الأولى فصل فى ابتداء طلب موضوع الفلسفة الأولى ، لتتبين إنيته فى العلوم إذ ....

وآخره : ... فقد سعد ، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير بها ربا إنسانيا ، وكاد أن تحل عبادته بعد الله تعالى وهو السلطان العالم فى الأرض وخليفة الله فيه

تم بالخير وقع الفراغ من مشقة كتابته
يوم الأربعاء خامس عشر من شهر
شوال سنة اربع وثمانين وألف
هجرية على يد الفقير الحقير صفر الكرمانى
اللهم اغفر ذنوبه بحق محمد وآله
وأولاده أجمعين .

المقالة الأولى

وفيها ثمانية فصول



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته على النبي المصطفى محمد وآله الأكرمين أجمعين .

الفن الثالث عشر من كتاب الشفا فى الإلهيات .

المقالة الأولى وهى ثمانية فصول

[الفصل الأول]

٥

(١) فصل

فى ابتداء طلب موضوع الفلسفة الأولى لتبين إنيته فى العلوم

وإذ قد وفقنا الله ولى الرحمة والتوفيق ، فأوردنا ما وجب إيراده من معانى العلوم المنطقية والطبيعية والرياضية ، فبالحرى أن نشرع فى تعريف المعانى الحكمية ، ونبتدئ مستعينين بالله فنقول :

١٠

إن العلوم الفلسفية ، كما قد أُشير إليه فى مواضع أخرى من الكتب ، تنقسم إلى النظرية وإلى العملية . وقد أُشير إلى الفرق بينهما وذُكر أن النظرية هى التى نطلب فيها استكمال القوة النظرية من النفس بحصول العقل بالفعل ، وذلك

---

(١) الرحيم : + وحسبنا الله ونعم الوكيل م (٢) الحمد ... أجمعين : ساقطة من ب ، جـ ، ص || النبي : + المصطفى م (٣) الفن ... الإلهيات : الفن الرابع من الجملة الرابعة من كتاب الشفاء فى الإلهيات وهو فن واحد فى عشر مقالات م || فى الإلهيات : تصنيف الشيخ الرئيس جـ || الإلهيات : + عشر مقالات جـ ، ط ؛ + عشر مقولات ص (٤) وهى ثمانية فصول : ساقطة من جـ ، ص ؛ من جملة الإلهيات ثمانية فصول ط ، طا ؛ من الإلهيات وتعرف الأولى بثمانية فصول م (٦) فصل : الفصل الأول من المقالة الأولى من جملة الإلهيات ط ؛ الفصل الأول من المقالة الأولى طا (٧) موضوع : + العلم جـ (٨) وإذ : إذ جـ (١٠) ونبتدئ : فنبتدئ جـ ، ط (١٢ — ١٣) هى ... النظرية : ساقطة من م .

بحصول العلم التصورى والتصديق بأمور ليست هى هى بأنها أعمالنا وأحوالنا ، فتكون الغاية فيها حصول رأى واعتقاد ليس رأياً واعتقاداً فى كيفية عمل أو كيفية مبدأ عمل من حيث هو مبدأ عملى .

وأن العملية هى التى يطلب فيها أولًا استكمال القوة النظرية بحصول العلم التصورى والتصديق بأمور هى هى بأنها أعمالنا ، ليحصل منها ثانياً استكمال القوة العملية بالأخلاق .

وذُكر أن النظرية تنحصر فى أقسام ثلاثة هى : الطبيعيــة ، والتعليمية ، والإلهية .

وأن الطبيعية موضوعها الأجسام من جهة ما هى متحركة وساكنة ، وبحثها عن العوارض التى تعرض لها بالذات من هذه الجهة .

وأن التعليمية موضوعها إما ما هو كم مجرد عن المـادة بالذات، وإما ما هو ذو كم. والمبحوث عنه فيها أحوال تعرض للكم بما هو كم. ولا يؤخذ فى حدودها نوع مادة ، ولا قوة حركة .

وأن الإلٰهية تبحث عن الأمور المفارقة للـمادة بالقوام والحد . وقد سمعت أيضا أن الإلهى هو الذى يبحث فيه عن الأسباب الأولى للوجود الطبيعى والتعليمى وما يتعلق بهما ، وعن مسبب الأسباب ومبدأ المبادئ وهو الإلٰه تعالى جده .

---

(١) بحصول : لحصول ب ، جـ ، د ، ص ، ط ، طا (٢) الغاية : العلم ط (٥) ليحصل : فيحصل جـ ، ص ، ط ، م (٧) تنحصر : منحصرة جـ ؛ منحصرة ص ، ط || هى : فى جـ ، م (١٢) يؤخذ : يوجد م (١٥) فيه : ساقطة من ب || الأولى : الأول ط ، طا || للوجود : الوجود ص (١٦) مسبب : سبب جـ (١٧) جده : ساقطة من ب .

فهذا هو قدر ما يكون قد وقفت عليه فيما بلغ لك من الكتب . ولم يتبين لك من ذلك أن الموضوع للعلم الإلهي ما هو بالحقيقة إلا إشارة جرت فى كتاب البرهان من المنطق إن تذكرتها . وذلك أن فى سائر العلوم قد كان يكون لك شيء هو موضوع، وأشياء هى المطلوبة، ومبادئ مسلمة منها تؤلف البراهين. والآن ، فلست تحقق حق التحقيق ما الموضوع لهذا العلم ، وهل هو ذات العلة ٥ الأولى حتى يكون المراد معرفة صفاته وأفعاله أو معنى آخر .

وأيضا قد كنت تسمع أن ههنا فلسفة بالحقيقة ، وفلسفة أولى ، وأنها تفيد تصحيح مبادئ سائر العلوم ، وأنها هى الحكمة بالحقيقة . وقد كنت تسمع تارة أن الحكمة هى أفضل علم بأفضل معلوم ، وأخرى أن الحكمة هى المعرفة التى هى أصح معرفة وأتقنها ، وأخرى أنها العلم بالأسباب الأولى للكل . وكنت ١٠ لا تعرف ما هذه الفلسفة الأولى ، وما هذه الحكمة ، وهل الحدود والصفات الثلاث لصناعة واحدة ، أو لصناعات مختلفة كل واحدة منها تسمى حكمة .

ونحن نبين لك الآن أن هذا العلم الذى نحن بسبيله هو الفلسفة الأولى ، وأنه الحكمة المطلقة ، وأن الصفات الثلاث التى رُسم بها الحكمة هى صفات صناعة واحدة ، وهى هذه الصناعة . وقد عُلم أن لكل علمٍ موضوعا يخصّه ، ١٥ فلنبحث الآن عن الموضوع لهذا العلم ، ما هو ؟ ولننظر هل الموضوع لهذا العلم هو إنية الله تعالى جده، أو ليس ذلك، بل هو شيء من مطالب هذا العلم؟

فنقول : إنه لا يجوز أن يكون ذلك هو الموضوع ، وذلك لأن موضوع كل علم هو أمر مُسلَّمَ الوجود فى ذلك العلم ، وإنما يبحث عن أحواله . وقد

---

(١) يكون : كان ط ، م || فيما : مما م (٥) التحقيق : التحقق ب (١٠) وكنت : وقد كنت جـ (١١) والصفات : أو الصفات م (١٣) ونحن : فنحن جـ (١٤) وأنه : وأنها ط || رسم : ترسم ط ا . (١٧) جده : ساقطة من ب ، جـ، ص، م || ذلك كذلك ط ا .

عُلم هذا فى مواضع أخرى . ووجود الإله تعالى جده لا يجوز أن يكون مسلّما
فى هذا العلم كالموضوع ، بل هو مطلوب فيه . وذلك لأنه إن لم يكن كذلك
لم يخل إما أن يكون مسلّما فى هـــذا العلم ومطلوباً فى علم آخر ، وإما أن
يكون مسلّماً فى هذا العلم وغير مطلوب فى علم آخر . وكلا الوجهين باطلان .
٥ وذلك لأنه لا يجوز أن يكون مطلوباً فى علم آخر ، لأن العـــلوم الأخرى
إما خلقية أو سياسية ، وإما طبيعية ، وإما رياضية ، وإما منطقية . وليس
فى العلوم الحكمية علم خارج عن هذه القسمة ، وليس ولا فى شىء منها يُبحث
عن إثبات الإله تعالى جده ، ولا يجوز أن يكون ذلك . وأنت تعرف هذا
بأدنى تأمل لأصول كررت عليك . ولا يجوز أيضا أن يكون غير مطلوب فى علم
١٠ آخر لأنه يكون حينئذ غير مطلوب فى علم ألبتة . فيكون إما بيّنا بنفسه ، وإما
مأيوسا عن بيانه بالنظر ، وليس بيّنا بنفسه ولا مأيوسا عن بيانه ، فإن عليه
دليلا . ثم المأيوس عن بيانه كيف يصح تسليم وجوده ؟ فبقى أن البحث عنه
إنما هو فى هذا العلم .

ويكون البحث عنه على وجهين : أحدهما البحث عنه من جهة وجوده ،
١٥ والآخر من جهة صفاته . وإذا كان البحث عن وجوده فى هذا العلم ، لم يجز
أن يكون موضوع هذا العلم ، فإنه ليس على علم من العلوم إثبات موضوعه ،
وسنبين لك عن قريب أيضا ، أن البحث عن وجوده لا يجوز أن يكون
إلا فى هذا العلم ، إذ قد تبيّن لك من حال هذا العلم أنه بحث عن المفارقات
للمادة أصلا . وقد لاح لك فى الطبيعيات أن الإله غير جسم ، ولا قوة جسم ،

---

(١) جده : ساقطة من جـ ، ص ، م (٢) لأنه إن : لأنه م (٤) باطلان : باطل م (٥) لأنه : أنه ب ، جـ ، م (٦) أو سياسية : وإما سياسية م (٧) عن : من جـ || يبحث : بحث ص ، م (٨) جده : ساقطة من ب (٩) كررت : تكررت ط (١٠) مطلوب فى علم ألبتة : مطلوب ألبتة ط (١١) وليس بيّنا بنفسه : وليس بيّنا فى نفسه م || ولا مأيوسا : هو مأيوس ب ، جـ ، م ؛ هو مأيوسا ص (١٢) دليلا : + بالنظر ط || فبقى : فيبقى ب (١٨) قد : ساقطة من م || تبين : يتبين ص ، م || بحث : يبحث جـ ، ص ، م (١٩) للمادة : عن المادة جـ .

بل هو واحد برىء عن المادة ، وعن مخالطة الحركة من كل جهة . فيجب أن يكون البحث عنه لهذا العلم .

والذى لاح لك من ذلك فى الطبيعيات كان غريبا عن الطبيعيات ، ومستعملا فيها ، منه ما ليس منها ، إلا أنه أريد بذلك أن يُعَجَّل للإنسان وقوف على إنية المبدأ الأول فتتمكن منه الرغبة فى اقتباس العلوم ، والانسياق إلى المقام الذى ٥ هناك ليتوصل إلى معرفته بالحقيقة . ولما لم يكن بد من أن يكون لهذا العلم موضوع وتبين لك أن الذى يُظَن أنه هو موضوعه ليس بموضوعه ، فلننظر : هل موضوعه الأسباب القصوى للموجودات كلها أربعتها لا واحدا منها الذى لم يكن القول به . فإن هذا أيضا قد يظنه قوم .

لكن النظر فى الأسباب كلها أيضا لايخلو إما أن ينظر فيها بما هى موجودات ١٠ أو بما هى أسباب مطلقة ، أو بما هى كل واحد من الأربعة على النحو الذى يخصه . أعنى أن يكون النظر فيها من جهة أن هذا فاعل ، وذلك قابل ، وذلك شىء آخر ؛ أو من جهة ما هى الجملة التى تجتمع منها .

فنقول : لا يجوز أن يكون النظر فيها بما هى أسباب مطلقة ، حتى يكون الغرض من هذا العلم هو النظر فى الأمور التى تعرض للأسباب بما هى أسباب ١٥ مطلقة . ويظهر هذا من وجوه :

أحدها ، من جهة أن هذا العلم يبحث عن معان ليست هى من الأعراض الخاصة بالأسباب بما هى أسباب ، مثل الكلى والجزئى ، والقوة والفعل ، والإمكان والوجوب وغير ذلك .

(٤) للانسان : الإنسان ب ، ط || وقوف : الوقوف ط (٦) ليتوصل : يتوصل ب ، ص ، م
(٧) هو : ساقطة من جـ ، ص ، م (٨) لا : إلا جـ ، ط ، م (١٠) فيها : ساقطة من ب
(١٥) من : فى ب ، جـ ، ص ، م || للأسباب : الأسباب ب ، جـ ، ط || أسباب مطلقة : ساقطة من م (١٨) الخاصة : الخاصية م .

ثم من البيّن الواضح أن هذه الأمور فى أنفسها بحيث يجب أن يبحث عنها ، ثم ليست من الأعراض الخاصة بالأمور الطبيعية والأمور التعليمية . ولا هى أيضا واقعة فى الأعراض الخاصة بالعلوم العملية . فيبق أن يكون البحث عنها للعلم الباق من الأقسام وهو هذا العلم .

٥ وأيضا فإن العلم بالأسباب المطلقة حاصل بعد العلم بإثبات الأسباب للأمور ذوات الأسباب. فإنا ما لم نثبت وجود الأسباب للسبّبات من الأمور بإثبات أن لوجودها تعلقاً بما يتقدمها فى الوجود ، لم يلزم عند العقل وجود السبب المطلق ، وأن ههنا سبباً ما . وأما الحس فلا يؤدى إلا إلى الموافاة . وليس إذا توافى شيئان ، وجب أن يكون أحدهما سببا للآخر . والإقناع الذى يقع للنفس لكثرة ما يورده الحس والتجربة فغير متأكد ، على ما علمت ، إلا بمعرفة ١٠ أن الأمور التى هى موجودة فى الأكثر هى طبيعية واختيارية .

وهذا فى الحقيقة مستند إلى إثبات العلل، والإقرار بوجود العلل والأسباب . وهذا ليس بيّنا أوّليا بل هو مشهور ، وقد علمت الفرق بينهما . وليس إذا كان قريبا عند العقل ، من البين بنفسه أن للحادثات مبدأ ما يجب أن يكون بيّنا بنفسه مثل كثير من الأمور الهندسية المبرهن عليها فى كتاب أوقليدس . ثم البيان ١٥ البرهانى لذلك ليس فى العلوم الأخرى ، فإذن يجب أن يكون فى هذا العلم .

فكيف يمكن أن يكون الموضوع للعلم المبحوث عن أحواله فى المطالب مطلوب الوجود فيه ؟ وإذا كان كذلك فبيّن أيضا أنه ليس البحث عنها من جهة

(٢) الخاصة : الخاصية م || التعليميه : العملية م (٣) أيضا : ساقطة من ب ، ص ، م || الخاصة : الخاصية ، || العملية : + والمنطقية جـ || فيبق : فبق م (٨) إلى : ساقطة من ب ، م (٩) للآخر : الآخر م (١١) واختيارية : أو اختيارية ص (١٣) مشهود : مشهور جـ ، ص (١٦) البرهانى : ساقطة من ط || لذلك : أى بينا بنفسه أن لكل شىء مبدأ م (١٨) وإذا : فإذا جـ ، وإذ م || عنها : هنا ط .

الوجود الذى يخص كل واحد منها ،لأن ذلك مطلوب فى هذا العلم . ولا أيضا من جهة ما هى جملة ما وكل ، لست أقول جملى وكلى . فإن النظر فى أجزاء الجملة أقدم من النظر فى الجملة ، وإن لم يكن كذلك فى جزئيات الكلى باعتبار قد علمته ، فيجب أن يكون النظر فى الأجزاء إما فى هذا العلم فتكون هى أولى بأن تكون موضوعة ، أو يكون فى علم آخر . وليس علم آخر يتضمن ٥ الكلام فى الأسباب القصوى غير هذا العلم . وأما إن كان النظر فى الأسباب من جهة ما هى موجودة وما يلحقها من تلك الجهة فيجب إذن أن يكون الموضوع الأول هو الموجود بما هو موجود .

فقد بان أيضاً بطلان هذا النظر ، وهو أن هذا العلم موضوعه الأسباب القصوى ، بل يجب أن يُعلم أن هذا كماله ومطلوبه .

---

(٢) بجملة ما : بجملة ط (٣) جملى : بجمل ب ، ص ، م (٦) غير : عن م
(٧) وما يلحقها : ما يلحقها ط ، م (٩) فقد : وقد جـ || النظر : الظن جـ ، ص ، م .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى تحصيل موضوع هذا العلم

فيجب أن ندل على الموضوع الذى لهذا العلم لا محالة حتى يتبيّن لنا الغرض الذى هو فى هذا العلم ، فنقول :

إن العلم الطبيعى قد كان موضوعه الجسم ، ولم يكن من جهة ما هو موجود، ولا من جهة ما هو جوهر ، ولا من جهة ما هو مؤلف من مبدئيه ، أعنى الهيولى والصورة ، ولكن من جهة ما هو موضوع للحركة والسكون . والعلوم التى تحت العلم الطبيعى أبعد من ذلك . وكذلك الخلقيات .

وأما العلم الرياضى فقد كان موضوعه إما مقداراً مجرداً فى الذهن عن المادة، وإما مقداراً مأخوذاً فى الذهن مع مادة ، وإما عدداً مجرداً عن المادة، وإما عدداً فى مادة . ولم يكن أيضا ذلك البحث متجهاً إلى إثبات أنه مقدار مجرد أو فى مادة أو عدد مجرد أو فى مادة ، بل كان فى جهة الأحوال التى تعرض له بعد وضعه .

كذلك والعلوم التى تحت الرياضيات أولى بأن لا يكون نظرها إلا فى العوارض التى يلحق أوضاعاً أخص من هذه الأوضاع .

والعلم المنطقى ، كما علمت ، فقد كان موضوعه المعانى المعقولة الثانية التى تستند إلى المعانى المعقولة الأولى من جهة كيفية ما يتوصل بها من معلوم .

(٢) فصل : الفصل الثانى ب ، ط (٤) يتبين : يبين م (٩) الخلقيات : الخلقية ط
(١٣) له : وله م (١٥) إلا فى : الآن ط (١٧) علمت : عرفت جـ .

إلى مجهول ، لا من جهة ما هى معقولة ولها الوجود العقلى الذى لا يتعلق بمادة أصلا أو يتعلق بمادة غير جسمانية . ولم يكن غير هذه العلوم علوم أخرى .

ثم البحث عن حال الجوهر بما هو موجود وجوهر ، وعن الجسم بما هو جوهر ، وعن المقدار والعدد بما هما موجودان ، وكيف وجودهما ، وعن الأمور الصورية التى ليست فى مادة أو هى فى مادة غير مادة الأجسام ، وأنها ٥ كيف تكون وأى نحو من الوجود يخصها ، فما يجب أن يجرد له بحث .

وليس يجوز أن يكون من جملة العلم بالمحسوسات ، ولا من جملة العلم بما وجوده فى المحسوسات ، لكن التوهم والتحديد يجرده عن المحسوسات .

فهو إذن من جملة العلم بما وجوده مباين .

١٠ أما الجوهر فبيّن أن وجوده بما هو جوهر فقط غير متعلق بالمادة وإلا لما كان جوهرٌ إلا محسوساً .

وأما العدد فقد يقع على المحسوسات وغير المحسوسات ، فهو بما هو عدد غير متعلق بالمحسوسات .

وأما المقدار فلفظه اسم مشترك ، فيه ما قد يقال له مقدار ، ويعنى به البعد ١٥ المقوم للجسم الطبيعى ، ومنه ما يقال مقدار ، ويعنى به كمية متصلة تقال على الخط والسطح والجسم المحدود . وقد عرفت الفرق بينهما . وليس ولا واحد منهما مفارقا للمادة ، ولكن المقدار بالمعنى الأول وإن كان لا يفارق المادة فإنه أيضا مبدأ لوجود الأجسام الطبيعية . فإذا كان مبدأ لوجودها لم يجز أن يكون

---

(٣) وجوهر : بجوهر ب ، جـ ، ص ، ط (٤) وعن المقدار : والمقدار م (٧) بما : + هو ص ، ط ، طا ، م (٩) بما : + هو جـ ، ص ، ط || وجوده : موجود ط ، طا (١٤) ويعنى : فيعنى ص || البعد : المهد ط (١٦) واحد : واحداب .

متعلق القوام بها ، بمعنى أنه يستفيد القوام من المحسوسات ، بل المحسوسات تستفيد منه القوام . فهو إذن أيضا متقدم بالذات على المحسوسات . وليس الشكل كذلك ، فإن الشكل عارض لازم للمادة بعد تجوهرها جسما متناهيا موجودا وحملها سطحا متناهيا . فإن الحدود تجب للمقدار من جهة استكمال ٥ المادة به وتلزمه من بعدُ . فإذا كان كذلك لم يكن الشكل موجودا إلا فى المادة ولا علة أولية لخروج المادة إلى الفعل .

وأما المقدار بالمعنى الآخر فإن فيه نظراً من جهة وجوده ، ونظراً من جهة عوارضه . فأما النظر فى أن وجوده أىّ أنحاء الوجود هو ، ومن أى أقسام الموجود ، فليس هو بحثاً أيضاً عن معنى متعلق بالمادة .

١٠ فأما موضوع المنطق من جهة ذاته فظاهر أنه خارج عن المحسوسات .

فبين أن هذه كلها تقع فى العلم الذى يتعاطى مالا يتعلق قوامه بالمحسوسات، ولا يجوز أن يوضع لها موضوع مشترك تكون هى كلها حالاته وعوارضه إلا الموجود . فإن بعضها جواهر ، وبعضها كميات ، وبعضها مقولات أخرى ؛ وليس يمكن أن يعمهما معنى محقق إلا حقيقة معنى الوجود .

١٥ وكذلك قد يوجد أيضا أمور يجب أن تحدد وتحقق فى النفس ، وهى مشتركة فى العلوم . وليس ولا واحد من العلوم يتولى الكلام فيها مثل الواحد

(١) يستفيد : مستفيد ب ، جـ ، ص ، م (٢) إذن : ساقطة من م || أيضا : ساقطة من ب ، جـ ، ص (٤) موجودا : ساقطة من م || الحدود : + يعنى نهايات الأجسام التى جـ ، ط (٨) هو : ساقطة من ب ، ص ، م || ومن : من جـ ، ص (٩) الموجود : الوجود ب ، جـ ، م (٩) متعلق : يتعلق ب ، جـ ؛ ساقطة من م . (١٠) فأما : وأما جـ || المحسوسات : + كلها م (١١) فبين . . . . . . بالمحسوسات : ساقطة من م (١٤) الوجود : الموجود ب ، م .

بما هو واحد ، والكثير بما هو كثير ، والموافق والمخالف ، والضد وغير ذلك ، فبعضها يستعملها استعمالا فقط ، وبعضها إنما يأخذ حدودها ، ولا يتكلم فى نحو وجودها . وليست عوارض خاصة لشىء من موضوعات هذه العلوم الجزئية ، وليست من الأمور التى يكون وجودها إلا وجود الصفات للذوات ولا أيضا هى من الصفات التى تكون لكل شىء . فيكون كل واحد منها ٥ مشتركا لكل شىء ولا يجوز أن يختص أيضا بمقولة ولا يمكن أن يكون من عوارض شىء إلا الموجود بما هو موجود .

فظاهر لك من هذه الجملة أن الموجود بما هو موجود أمر مشترك لجميع هذه، وأنه يجب أن يجعل الموضوع لهذه الصناعة لما قلنا . ولأنه غنى عن تعلم ماهيته وعن إثباته ، حتى يحتاج إلى أن يتكفل علم غير هذا العلم بإيضاح الحال فيه ١٠ لاستحالة أن يكون إثبات الموضوع وتحقيق ماهيته فى العلم الذى هو موضوعه بل تسليم إنيته وماهيته فقط . فالموضوع الأول لهذا العلم هو الموجود بما هو موجود ؛ ومَطَالِبُه الأمور التى تلحقه بما هو موجود من غير شرط .

وبعض هذه أمور هى له كالأنواع : كالجوهر والكم والكيف ؛ فإنه ليس يحتاج الموجود فى أن ينقسم إليها ، إلى انقسام قبلها ، حاجة الجوهر إلى ١٥ انقسامات ، حتى يلزمه الانقسام إلى الإنسان وغير الإنسان . وبعض هذه كالعوارض الخاصة، مثل الواحد والكثير ، والقوة والفعل ، والكلى والجزئى؛ والممكن والواجب، فإنه ليس يحتاج الموجود فى قبول هذه الأعراض والاستعداد لها إلى أن يتخصّص طبيعياً أو تعليمياً أو خلقياً أو غير ذلك .

---

(٢) إنما : + هى جـ ، ص ، ط (٦) يختص : يخصص ص (٧) عوارض : + مخصوصة ط || شىء : بشىء جـ ، ط || موجود : الموجود ط (٨) فظاهر : فظهر جـ ، ص ، طا (٩) وأنه : فإنه جـ || لما : كما ط (١٠) بإيضاح : إيضاح م (١١) فى العلم : للعلم ب ، م (١٤) أمور : الأمور جـ ، ص ، ط .

ولقائل أن يقول ، إنه إذا جعل الموجود هو الموضوع لهذا العلم لم يجز أن يكون إثبات مبادئ الموجودات فيه ، لأن البحث فى كل علم هو عن لواحق موضوعه لا عن مبادئه . فالجواب عن هذا أن النظر فى المبادئ أيضا هو بحث عن عوارض هذا الموضوع ، لأن الموجود كونه مبدأ غير مقوّم له ولا ممتنع فيه ؛ بل هو بالقياس إلى طبيعة الموجود أمر عارض له ، ومن العوارض الخاصة به . لأنه ليس شىء أعم من الموجود ، فيلحق غيره لحوقاً أولياً . ولا أيضا يحتاج الموجود إلى أن يصير طبيعيا أو تعليميا أو شيئا آخر حتى يعرض له أن يكون مبدأ. ثم المبدأ ليس مبدأ للموجود كله ،ولو كان مبدأ للوجود كله لكان مبدأ لنفسه ؛ بل الموجود كله لا مبدأ له ، إنما المبدأ مبدأ للموجود المعلول . فالمبدأ هو مبدأ لبعض الموجود . فلا يكون هذا العلم يبحث عن مبادئ الموجود مطلقاً ، بل إنما يبحث عن مبادئ بعض ما فيه كسائر العلوم الجزئية؛ فإنها وإن كانت لا تبرهن على وجود مبادئها المشتركة، إذ لها مبادئ يشترك فيها جميع ما ينحوه كل واحد منها ، فإنها تبرهن على وجود ما هو مبدأ لما بعدها من الأمور التى فيها .

ويلزم هـذا العلم أن ينقسم ضرورةً إلى أجزاء منها : ما يبحث عن الأسباب القصوى ، فإنها الأسباب لكل موجود معلول من جهة وجوده ، ويبحث عن السبب الأول الذى يفيض عنه كل موجود معلول بما هو موجود معـلول لا بما هو موجود متحرِّك فقط أو متكمِّم فقط . ومنها ما يبحث عن العوارض للوجود . ومنها ما يبحث عن مبادئ العـلوم الجزئية . ولأن مبادئ كل علم

(٢) لواحق : لوازم ب ، م (٣) أيضا : ساقطة من ب (٤) عوارض : لواحق ص ، ط
(٥) العوارض : اللواحق ب ، ج ، ص ، م (٦) الخاصة : الخاصية ج || شىء : ساقطة من م .
(٧) شيئا آخر : أشياء أخر ط (٨) للوجود ... للوجود : للوجود كله ولو كان مبدأ للوجود م (١٢) على : ساقطة من م (١٣) فيها : فيه ج ، ص ، ط ، م (١٤) ما : ساقطة من م (١٦) بما هو موجود معلول : بما هو وجود معلول م (١٧) متحرك فقط : متحرك ب .

أخص هى مسائل فى العلم الأعلى ، مثل مبادئ الطب فى الطبيعى ، والمساحى فى الهندسة ، فيعرض إذن فى هذا العلم أن يتضح فيه مبادئ العلوم الجزئية التى تبحث عن أحوال الجزئيات الموجودة . فهذا العلم يبحث عن أحوال الموجود ، والأمور التى هى له كالأقسام والأنواع ، حتى يبلغ إلى تخصيص يحدث معه موضوع العلم الطبيعى فيسلمه إليه ، وتخصيص يحدث معه موضوع ٥ الرياضى فيسلمه إليه ، وكذلك فى غير ذلك . وما قبل ذلك التخصيص كالمبدأ، فنبحث عنه ونقرر حاله . فتكون إذن مسائل هذا العلم فى أسباب الموجود المعلول بما هو موجود معلول، و بعضها فى عوارض الموجود، و بعضها فى مبادئ العلوم الجزئية .

فهذا هو العلم المطلوب فى هذه الصناعة وهو الفلسفة الأولى، لأنه العلم بأول الأمور فى الوجود ، وهو العلة الأولى وأول الأمور فى العموم ، وهو الوجود ١٠ والوحدة . وهو أيضا الحكمة التى هى أفضل علم بأفضل معلوم ؛ فإنها أفضل علم أى اليقين، بأفضل المعلوم أى بالله تعالى و بالأسباب من بعده . وهو أيضا معرفة الأسباب القصوى للكل . وهو أيضا المعرفة بالله ، وله حد العلم الإلهى الذى هو أنه علم بالأمور المفارقة للمادة فى الحد والوجود . إذ الموجود بما هو موجود ومبادئه وعوارضه ليس شىء منها ، كما اتضح، إلا متقدم الوجود على المادة وغير ١٥ متعلق الوجود بوجودها . وإن بحث فى هذا العلم عما لا يتقدم المادة ، فإنما يبحث فيه عن معنى . ذلك المعنى غير محتاج الوجود إلى المادة ، بل الأمور المبحوث عنها فيه هى على أقسام أربعة : فبعضها بريئة عن المادة وعلائق

---

(٢) إذن : ساقطة من ب ، ص ، م (٣) الجزئيات : جزئيات ص ، م || الموجودة : الموجود ص ، م (٦) كالمبدأ : وكالمبدأ ب ، م ؛ فكالمبدأ ط (١٠) الوجود وهو : الموجود وهو ط (١١) علم ... أفضل : ساقطة من م (١٢) و بالأسباب : والأسباب م (١٣) بالله : + تعالى جـ (١٤) المفارقة : والمفارقة ط (١٥) متقدم الوجود : متقدما ص ، م (١٨) على : ساقطة من جـ ، ص ، ط ، م .

المـادة أصلا . و بعضها يخـالط المـادة، ولكن مخالطة السبب المقوم المتقدم وليست المـادة بمقومة له . و بعضها قد يوجد فى المـادة وقد توجد لا فى مادة مثل العلية والوحدة ، فيكون الذى لها بالشركة بما هى هى أن لا تكون مفتقرة التحقق إلى وجود المـادة ، وتشترك هذه الجملة أيضا فى أنها غير مادية الوجود أى غير مستفادة الوجود من المـادة. و بعضها أمور مادية، كالحركة والسكون ، ٥ ولكن ليس المبحوث عنه فى هذا العلم حالها فى المـادة ، بل نحو الوجود الذى لها . فإذا أخذ هذا القسم مع الأقسام الأخرى اشتركت فى أن نحو البحث عنها هو من جهة معنى غير قائم الوجود بالمـادة .

وكما أن العلوم الرياضية قد كان يوضع فيها ما هو متحدد بالمـادة ، لكن نحو النظر والبحث عنه كان من جهة معنى غير متحدد بالمـادة، وكان لا يخرجه تعلق ١٠ ما يبحث عنه بالمـادة عن أن يكون البحث رياضيا ، كذلك الحال ههنا . فقد ظهر ولاح أن الغرض فى هذا العلم أى شىء هو .

وهذا العـلم يشارك الجدل والسفسطة من وجه ، ويخالفهما من وجه ، ويخالف كل واحد منهما من وجه. أما مشاركتهما فلأن ما يبحث عنه فى هذا العلم لا يتكلم فيه صاحب علم جزئى ، ويتكلم فيه الجدلى والسوفسطائى . وأما ١٥ المخالفة فلأن الفيلسوف الأول من حيث هو فيلسوف أول لا يتكلم فى مسائل العلوم الجزئية وذانك يتكلمان . وأما مخالفته للجدل خاصة فبالقوة ، لأن الكلام الجدلى يفيد الظن لا اليقين كما علمت فى صناعة المنطق. وأما مخالفة السوفسطائية فبالإرادة ، وذلك لأن هذا يريد الحق نفسه ،وذلك يريد أن يظن به أنه حكيم يقول الحق و إن لم يكن حكيما .

---

(٢) مادة : المـادة ط (٨) غير : عن م (١٢) فى هذا العلم : هذا العلم ب ؛ ساقطة من ط (١٣) والسفسطة : والسوفسطائية جـ ؛ والسوفسطيقية ص ، م ؛ والسوفسطية ط (١٤) "ويخالف . . . . وجه" : ساقطة من م (١٧) وذانك : وذينك ص ، ط ، م (١٨) مخالفة : مخالفته ب ، جـ ، ص ، ط || السوفسطائية : للسوفسطيقية ب ؛ السوفسطية ط ؛ السوفسطيقية م .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

فى منفعة هذا العلم ومرتبته واسمه

وأما منفعة هذا العلم ، فيجب أن تكون قد وقفت فى العلوم التى قبل هـذا على أن الفرق بين النافع و بين الخير ما هو ، وأن الفرق بين الضار و بين الشر ٥ ما هو، وأن النافع هوالسبب الموصل بذاته إلى الخير ، والمنفعة هى المعنى الذى يوصل به من الشر إلى الخير .

و إذ قد تقرر هذا فقد علمت أن العلوم كلها تشترك فى منفعة واحدة وهى: تحصيل كمال النفس الإنسانية بالفعل مهيئة إياها للسعادة الأخروية . ولكنه إذا فُتش فى رءوس الكتب عن منفعة العلوم لم يكن القصد متجهاً إلى هـذا ١٠ المعنى، بل إلى معونة بعضها فى بعض،حتى تكون منفعةُ علمٍ ما هى معنى يتوصل منه إلى تحقق علم آخر غيره .

و إذا كانت المنفعة بهذا المعنى فقد يقال قولاً مطلقاً، وقد يقال قولاً مخصّصاً . فأما المطلق فهو أن يكون النافع موصّلا إلى تحقيق علم آخر كيف كان ، وأما المخصّص فأن يكون النافع موصّلا إلى ما هو أجل منه ، وهو كالغاية له إذ هو ١٥ لأجله بغير انعكاس . فاذا أخذنا المنفعة بالمعنى المطلق كان لهذا العلم منفعة .

---

(٧) الشر : الشىء طا (٨) و إذ قد : و إذا جـ ، م (٩) ولكنه : لكنه ص ، م
(١٠) اذا : انه اذا جـ (١١) هى : هو ب ، ص ، ط || يتوصل : يوصل م (١٢) تحقق علم : تحقيق معنى ص (١٣) فقد : قد م || مطلقا : + وقد يقال قولا مطلقا ط
(١٤) تحقيق : تحقق م (١٦) المطلق ... ... منفعة : ساقطة من م || كان : كانت ط .

وإذا أخذنا المنفعة بالمعنى المخصص كان هـذا العلم أجل من أن ينفع فى علم غيره ، بل سائر العلوم تنفع فيه .

لكنا إذا قسمنا المنفعة المطلقة إلى أقسامها كانت ثلاثة أقسام : قسم يكون الموصل منه موصلا إلى معنى أجل منه ؛ وقسم يكون الموصل منه موصلا إلى معنى مساوٍ له ؛ وقسم يكون الموصل منه موصَلاً إلى معنى دونه، وهو أن يفيد فى كمالٍ دون ذاته . وهذا إذا طلب له اسم خاص كان الأولى به الإفاضة ، والإفادة ، والعناية ، والرياسة ، أو شىء مما يشبه هذا إذا استقريت الألفاظ الصالحة فى هذا الباب عثرت عليه .

والمنفعة المخصصة قريبة من الخدمة. وأما الإفادة التى تحصل من الأشرف فى الأخس فليس تشبه الخدمة . وأنت تعلم أن الخادم ينفع المخدوم ،والمخدوم أيضا ينفع الخادم ، أعنى المنفعة إذا أخذت مطلقة ويكون نوع كل منفعة ووجهه الخاص نوعا آخر،فمنفعة هذا العلم الذى بيّنا وجهها هى إفادة اليقين بمبادئ العلوم الجزئية، والتحقق لماهية الأمور المشترك فيها ، وإن لم تكن مبادئ .

فهذا إذن منفعة الرئيس للمرءوس ، والمخدوم للخادم ، إذ نسبة هذا العلم إلى العلوم الجزئية نسبة الشىء الذى هو المقصود معرفته فى هـذا العلم إلى الأشياء المقصود معرفتها فى تلك العلوم . فكما أن ذلك مبدأ لوجود تلك ، فكذلك العلم به مبدأ لتحقق العلم بتلك .

---

(١) وإذا . . بالمعنى : ساقطة من م || بالمعنى : بالوجه ب ، ص ، ط (٤ — ٥) أجل منه ... إلى معنى دونه : ساقطة من م (٨) عثرت : عثر ب ، جـ ، ص ، ط ، م (٩) المخصصة : المخصوصة جـ (١٠ — ١١) وأنت تعلم . . . . ينفع الخادم : ساقطة من م (١٢) ووجهه : وجهة م || الذى : التى ب ، ص ، ط (١٣) والتحقق : والتحقيق جـ ، ص ، ط || المشترك : المشتركة جـ ؛ المشتركة ص ، ط ، طا ، م (١٦) المقصود : المقصودة جـ ، ص ، ط .

وأما مرتبة هذا العلم فهى أن يتعلم بعد العلوم الطبيعية والرياضية .

أما الطبيعية، فلأن كثيرا من الأمور المسلمة فى هذا مما تبين فى علم الطبيعى مثل : الكون ، والفساد ، والتغير ، والمكان ، والزمان وتعلق كل متحرك بمحرك ، وانتهاء المتحركات إلى محرك أول ، وغير ذلك .

٥ وأما الرياضية ، فلأن الغرض الأقصى فى هذا العلم وهو معرفة تدبير البارى تعالى ، ومعرفة الملائكة الروحانية وطبقاتها ، ومعرفة النظام فى ترتيب الأفلاك ، ليس يمكن أن يتوصل إلا بعلم الهيئة ، وعلم الهيئة لا يتوصل إليه إلا بعلم الحساب والهندسة . وأما الموسيقى وجزئيات الرياضيات والخلقيات والسياسة فهى نوافع غير ضرورية فى هذا العلم .

١٠ إلا أن لسائل أن يسأل فيقول: إنه إذا كانت المبادئ فى علم الطبيعة والتعاليم إنما تُبرهَن فى هذا العلم وكانت مسائل العلمين تُبرهَن بالمبادئ ، وكانت مسائل ذينك العلمين تصير مبادئ لهذا العلم ، كان ذلك بيانا دوريا ويصير آخر الأمر بيانا للشىء من نفسه ، والذى يجب أن يقال فى حل هذه الشبهة هو ما قد قيل وشرح فى كتاب البرهان . وإنما نورد منه مقدارَ الكفاية فى هذا الموضع فنقول : ١٥

إن المبدأ للعلم ليس إنما يكون مبدأ لأن جميع المسائل تستند فى براهينها إليه بفعل أو بقوة ، بل ربما كان المبدأ مأخوذا فى براهين بعض هذه المسائل ، ثم قد يجوز أن تكون فى العلوم مسائل براهينها لا تستعمل وصفا ألبتة ؛ بل إنما

---

(١) فهى : فهو ب ، جـ ، ط ، م . (٢) تبين : يتبين ص ، م || علم : العلم ص ، م
(٥) وهو : هو جـ ؛ هو هو ط (٧) ليس : فليس جـ ؛ وليس ص ، ط (٨) والسياسة : والسياسية جـ ، ط (١٠) علم : العلم جـ (١١) وكانت : وقد كانت ط
(١٧) فى : + جميع ط || هذه : ساقطة من ب .

تستعمل المقدمات التي لا برهان عليها . على أنه إنما يكون مبدأ العلم مبدأ بالحقيقة إذا كان يفيد أخذه اليقين المكتسب من العلة ، وأما إذا كان ليس يفيد العلة ، فانما يقال له مبدأ العلم على نحو آخر . وبالحرى أن يقال له مبدأ على حسب ما يقال للحس مبدأ ، من جهة أن الحس بما هو حس يفيد الوجود فقط .

٥ فقد ارتفع إذن الشك ، فإن المبدأ الطبيعي يجوز أن يكون بيّنا بنفسه ، ويجوز أن يكون بيانه في الفلسفة الأولى بما ليس يتبين به فيها بعد ، ولكن إنما تتبين به فيها مسائل أخرى حتى يكون ما هو مقدمة في العلم الأعلى لإنتاج ذلك المبدأ لا يتعرض له في إنتاجه من ذلك المبدأ ، بل له مقدمة أخرى .

وقد يجوز أن يكون العلم الطبيعي أو الرياضي أفادنا برهان " أن " وإن لم ١٠ يفدنا فيه برهان " اللم " ثم يفيدنا هذا العلم فيه برهان " لِمَ " خصوصاً في العلل الغائية البعيدة .

فقد اتضح إنه إما أن يكون ما هو مبدأ بوجه ما لهذا العلم من المسائل التي في العلوم الطبيعية ليس بيانه من مبادئ تتبين في هذا العلم ، بل من مبادئ بيّنة بنفسها ؛ وإما أن يكون بيانه من مبادئ هي مسائل في هذا العلم ، لكن ليس ١٥ تعود فتصير مبادئ لتلك المسائل لعينها بل لمسائل أخرى ؛ وإما أن تكون تلك المبادئ لأمور من هذا العلم لتدل على وجود ما يراد أن نبين في هذا العلم لِمّيته . ومعلوم أن هذا الأمر إذا كان على هذا الوجه لم يكن بيان دور ألبتة ، حتى يكون بيانا يرجع إلى أخذ الشيء في بيان نفسه .

---

(١) برهان : براهين م (٢) اليقين : باليقين ص ؛ ليغير ط (٥) الطبيعي : الطبيعي م
(٦) فيها : فيا جـ ، ص ، ط ، || ولكن : لكن م (٨) له مقدمة : بمقدمة ص ؛ لمقدمة م
(٩) وإن : ساقطة من م (١٠) ثم : + لم م || خصوصا : وخصوصا جـ ، ص ، ط ، م
(١٢) فقد : وقد جـ ، ط (١٣) من : في جـ ، ط ، طا (١٤) لكن : ولكن ص .

ويجب أن تعلم أن فى نفس الأمر طريقاً إلى أن يكون الغرض من هذا العلم تحصيل مبدأ إلا بعد علم آخر. فإنه سيتضح لك فيما بعد إشارة إلى أن لنا سبيلا إلى إثبات المبدأ الأول لا من طريق الاستدلال من الأمور المحسوسة، بل من طريق مقدمات كلية عقلية توجب للوجود مبدأ واجب الوجود وتمنع أن يكون متغيرًا أو متكثرا فى جهة، وتوجب أن يكون هو مبدأ للكل، وأن يكون الكل يجب عنه على ترتيب الكل. لكنا لعجز أنفسنا لا نقوى على سلوك ذلك الطريق البرهانى الذى هو سلوك عن المبادئ إلى الثوانى، وعن العلة إلى المعلول، إلا فى بعض جمل مراتب الموجودات منها دون التفصيل. ٥

فإذن من حق هذا العلم فى نفسه أن يكون مقدما على العلوم كلها، إلا أنه من جهتنا يتأخر عن العلوم كلها، فقد تكلمنا على مرتبة هذا العلم من جملة العلوم. ١٠

وأما اسم هذا العلم فهو أنه: " مابعد الطبيعة ". ويعنى بالطبيعة لا القوة التى هى مبدأ حركة وسكون، بل جملة الشىء الحادث عن المادة الجسمانية وتلك القوة والأعراض.

فقد قيل إنه قد يقال: الطبيعة، للجرم الطبيعى الذى له الطبيعة. والجرم الطبيعى هو الجرم المحسوس بما له من الخواص والأعراض. ومعنى " ما بعد الطبيعة " بَعْدية بالقياس إلينا. فإن أول ما نشاهد الوجود، ونتعرف عن أحواله ١٥

---

(١) الأمر: الأمور ب، ط، م || إلى: فى ب (٢) تحصيل: تحصل م || مبدأ: مبتدأ م || إلا: لاص، م || فيما: مما ط (٣) من الأمور: عن الأمور م
(٤) للوجود: الوجود جـ، ط؛ الموجود ص || وتمنع: تمتنع ط، م (٧) الثوانى: التوالى م
(١٢) ما بعد: فيما بعد خ، جـ، ص، م || لا القوة: القوة ب؛ لا القوة القوة جـ، ص، ط
(١٥) الطبيعة: طبيعة م (١٧) فإن: فإنا ب، ص، م.

نشاهد هذا الوجود الطبيعى . وأما الذى يستحق أن يسمى به هذا العلم إذا اعتبر بذاته ، فهو أن يقال له علم " ما قبل الطبيعة " ، لأن الأمور المبحوث عنها فى هذا العلم ، هى بالذات و بالعموم ، قبل الطبيعة .

ولكنه لقائل أن يقول : إن الأمور الرياضية المحضة التى ينظر فيها فى الحساب والهندسة ، هى أيضا " قبل الطبيعة " ، وخصوصا العدد فإنه لا تعلق لوجوده ٥ بالطبيعة ألبتة ، لأنه قد يوجد لا فى الطبيعة ، فيجب أن يكون علم الحساب والهندسة علم " ما قبل الطبيعة " .

فالذى يجب أن يقال فى هذا التشكيك هو أنه : أما الهندسة فما كان النظر فيه منها إنما هو فى الخطوط والسطوح والمجسمات . فمعلوم أن موضوعه غير مفارق للطبيعة فى القوام ، فالأعراض اللازمة له أولى بذلك . وما كان موضوعه ١٠ المقدار المطلق فيؤخذ فيه المقدار المطلق على أنه مستعد لأية نسبة اتفقت ، وذلك ليس للمقدار بما هو مبدأ للطبيعيات وصورة ؛ بل بما هو مقدار وعرض . وقد عرف فى شرحنا للمنطقيات والطبيعيات الفرق بين المقدار الذى هو بعد الهيولى مطلقا ، و بين المقدار الذى هو كم ، وأن اسم المقدار يقع عليهما بالاشتراك . وإذا كان كذلك فليس موضوع الهندسة بالحقيقة هو المقدار المعلوم المقوم ١٥ للجسم الطبيعى ، بل المقدار المقول على الخط والسطح والجسم . وهذا هو المستعد للنسب المختلفة .

---

(٣) و بالعموم : أو بالعموم م (٤) ولكنه : ولكن م || فى الحساب : بالحساب م (٦) يوجد : + أيضا ص ، م (٧) ما قبل الطبيعة : ما بعد الطبيعة ص ، م (٨) فالذى : والذى ص || يقال : فقوله ص ، م || كان : ساقطة من م (٩) فيه منها : فيها ههنا جـ ، ط (١٠) فالأعراض : والأعراض ص (١٢) بل : + هو ص ؛ بما : ساقطة من م (١٣) عرف : عرفت ص (١٤) بالاشتراك : باشتراك ب ، جـ ، م (١٥) وإذا : فإذا م || هو : ساقطة من ط || المعلوم : ساقطة من ص ، م (١٦) والجسم : والجثة ب ، ص ، ط ، طا ، م .

وأما العدد فالشبهة فيه آكد ، ويشبه فى ظاهر النظر أن يكون علم العدد هو علم " ما بعد الطبيعة " . إلا أن يكون علم " ما بعد الطبيعة " إنما يعنى به شيء آخر ، وهو علم " ما هو مباين " من كل الوجوه للطبيعة ، فيكون قد سُمِّى هذا العلم بأشرف ما فيه . كما يُسمَّى هذا العلم بالعلم الإلٰهى أيضا ، لأن المعرفة بالله تعالى هى غاية هذا العلم . وكثيرا ما تسمى الأشياء من جهة المعنى الأشرف ، والجزء الأشرف ، والجزء الذى هو كالغاية . فيكون كأن هذا العلم هو العلم الذى كماله ، وأشرف أجزائه ، ومقصوده الأول ، هو معرفة ما يفارق الطبيعة من كل وجه . وحينئذ إذا كانت التسمية موضوعة بإزاء هذا المعنى لا يكون لعلم العدد مشاركة له فى معنى هذا الاسم ، فهذا هذا .

ولكن البيان المحقق لكون علم الحساب خارجا عن علم " ما بعد الطبيعة" هو أنه سيظهر لك أن موضوعه ليس هو العدد من كل وجه ، فإن العدد قد يوجد فى الأمور المفارقة ، وقد يوجد فى الأمور الطبيعية ، وقد يعرض له وضع فى الوهم مجرداً عن كل شيء هو عارض له . وإن كان لا يمكن أن يكون العدد موجوداً، إلا عارضا لشيء فى الوجود . فما كان من العدد وجوده فى الأمور المفارقة، امتنع أن يكون موضوعا لأية نسبة اتفقت من الزيادة والنقصان ، بل إنما يثبت على ما هو عليه فقط ، بل إنما يجب أن يوضع بحيث يكون قابلاً لأى زيادة اتفقت ، ولأى نسبة اتفقت إذا كان فى هيولى الأجسام التى هى بالقوة كل نحو من المعدودات ، أو كان فى الوهم ؛ وفى الحالين جميعا هو غير مفارق

(٢) ما : يما جـ ، ص (٥) هى : هو ب ، جـ ، ط ، م (٨) وحينئذ : فحينئذ جـ ، ص ، م
(٩) له : ساقطة من ب || فهذا هذا : فهذا ب ، ط ، م ؛ هذا ص (١٦) يجب : يجوز م
(١٧) هى : الذى هو ب ، جـ ، ط ، م (١٨) كل : ساقطة من ط .

للطبيعة ، فإذن علم الحساب من حيث ينظر فى العدد إنما ينظر فيه وقد حصل له الاعتبار الذى إنما يكون له عند كونه فى الطبيعة ، ويشبه أن يكون أول نظره فيه وهو فى الوهم ، ويكون إنما هو فى الوهم بهذه الصفة ، لأنه وهم له مأخوذ من أحوال طبيعية لما أن تجتمع وتفترق وتتحد وتنقسم .

٥ فالحساب ليس نظرا فى ذات العدد ، ولا نظرا فى عوارض العدد من حيث هو عدد مطلقا ، بل فى عوارضه من حيث هو يصير بحال تقبل ما أشير إليه ، وهو حينئذ مادى أو وهمى إنسانى يستند إلى المادة .

وأما النظر فى ذات العدد ، وفيما يعرض له من حيث لا يتعلق بالمادة ولا يستند إليها ، فهو لهذا العلم .

---

(٤) من : عن ص || طبيعية : الطبيعة جـ ، ط ، طا ، م ؛ طبيعة ص || وتفترق : وتتفرق جـ ، ط || وتتحد : وتتحدد جـ ، ص ، ط (٦) هو : ساقطة من م .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

فى جملة ما يتكلم فيه فى هذا العلم

فينبغي لنا فى هذه الصناعة أن نعرف حال نسبة الشيء والموجود إلى المقولات، وحال العدم، وحال الوجوب ، أى الوجود الضرورى وشرائطه، وحال الإمكان ٥
وحقيقته ، وهو بعينه النظر فى القوة والفعل ؛ وأن ننظر فى حال الذى بالذات والذى بالعرض ؛ وفى الحق والباطل ؛ وفى حال الجوهر ، وكم أقسام هو ، لأنه ليس يحتاج الموجود فى أن يكون جوهرا موجودا إلى أن يصير طبيعيا أو تعليميا ، فإن ههنا جواهر خارجة عنهما ، فيجب أن نعرف حال الجوهر الذى هو كالهيولى ، وأنه كيف هو ، وهل هو مفارق أو غير مفارق ، ومتفق ١٠
النوع أو مختلف ، وما نسبته إلى الصورة ، وأن الجوهر الصورى كيف هو ، وهل هو أيضاً مفارق أو ليس بمفارق ، وما حال المركب ، وكيف حال كلّ واحد منهما عند الحدود ، وكيف مناسبة ما بين الحدود والمحدودات .

ولأن مقابل الجوهر بنوع ما هو العرض ، فينبغى أن نتعرف فى هذا العلم طبيعة العرض ، وأصنافه ، وكيفية الحدود التى تحدّ بها الأعراض ، ونتعرف ١٥
حال مقولة مقولة من الأعراض ، وما أمكن فيه أن يظن أنه جوهر وليس

---

(٣) العلم : + فهرست لعناوين الفصول م (٤) المقولات : المعقولات جـ ، ط (٥) أى : فى جـ ، ص ، ط ، م || الوجود : الموجود جـ ، ط (٦) ننظر : نظر ط .
(٧) أقسام : أقساما م (٨) موجودا : ساقطة من م (١١) الصورة : الصور م .
(١٢) ليس بمفارق : غير مفارق جـ ، ط ، م (١٤) بنوع : نوع م .

بجوهر ، فنبيّن عرضيته ، ونعرف مراتب الجواهر كلها بعضها عند بعض في الوجود بحسب التقدم والتأخر ، ونعرف كذلك حال الأعراض .

ويليق بهذا الموضع أن نتعرف حال الكلّي والجزئي ، والكلّ والجزء ، وكيف وجود الطبائع الكلية ، وهل لها وجود في الأعيان الجزئية ، وكيف وجودها في النفس ، وهل لها وجود مفارق للأعيان والنفس . ٥

وهنالك نتعرف حال الجنس والنوع ، وما يجري مجراهما ، ولأن الموجود لا يحتاج في كونه علة أو معلولا إلى أن يكون طبيعياً أو تعليمياً أو غير ذلك . فبالحري أن نتبع ذلك الكلام في العلل ، وأجناسها ، وأحوالها ، وأنها كيف ينبغي أن تكون الحال بينها وبين المعلولات ، وفي تعريف الفرقان بين المبدأ الفاعلي ، وبين غيره . وأن نتكلم في الفعل والانفعال . وفي تعريف الفرقان ١٠ بين الصورة والغاية ، وإثبات كل واحد منهما ، وأنهما في كلّ طبقة يذهب إلى علةٍ أولى .

ونبين الكلام في المبدأ والابتداء ، ثم الكلام في التقدم والتأخر والحدوث ، وأصناف ذلك ، وأنواعه ، وخصوصية كل نوع منه ، وما يكون متقدما في الطبيعة ومتقدما عند العقل ، وتحقيق الأشياء المتقدمة عند العقل ، ووجه ١٥ مخاطبة من أنكرها ، فما كان فيه من هذه الأشياء رأى مشهور مخالف للحق نقضناه .

فهذه وما يجري مجراها لواحق الوجود بما هو وجود ، ولأن الواحد مساوق للوجود فيلزمنا أن ننظر أيضا في الواحد ، وإذا نظرنا في الواحد وجب أن ننظر في الكثير ، ونعرف التقابل بينهما .

---

(١) فنبين : فنتبين جـ ، ط (٢) كذلك : كيف طا (٥) والنفس : وللنفس م .
(٧) الى : إلا جـ ، ط (١١) الصورة : + وبين جـ ، م || وأنهما : وأنها ب ، ص ، م .
(١٥) وتحقيق : وفي تحقيق جـ ، ط (١٧) الواحد : الوحدة ط ، طا . || مساوق : مساوٍ م . (١٨) فيلزمنا : + أيضا ط .

وهناك يجب أن ننظر فى العدد، وما نسبته إلى الموجودات، وما نسبة الكم المتصل، الذى يقابله بوجه ما، إلى الموجودات، ونعد الآراء الباطلة كلها فيه، ونعرف أنه ليس شىء من ذلك مفارقاً ولا مبدأ للموجودات، ونثبت العوارض التى تعرض للأعداد، والكميات المتصلة، مثل الأشكال وغيرها. ومن توابع الواحد: الشبيه، والمساوى، والموافق، والمجانس، والمشاكل، والمماثل، ٥ والهوهو. فيجب أن نتكلم فى كل واحد من هذه ومقابلاتها، وأنها مناسبة للكثرة مثل الغير الشبيه، وغير المساوى، وغير المجانس، وغير المشاكل، والغير بالجملة، والخلاف، والتقابل، وأصنافها، والتضاد بالحقيقة، وماهيته.

ثم بعد ذلك ننتقل إلى مبادئ الموجودات فنثبت المبدأ الأول وأنه واحد حق فى غاية الجلالة، ونعرف أنه من كم وجه "واحد"، ومن كم وجه ١٠ "حق"، وأنه كيف يعلم كل شىء، وكيف هو قادر على كل شىء، وما معنى أنه يعلم وأنه يقدر، وأنه جواد، وأنه سلام أى خير محض، معشوق لذاته، وهو اللذيذ الحق، وعنده الجمال الحق، وتنفسخ ما قيل وظُنّ فيه من الآراء المضادة للحق، ثم نبيّن كيف نسبته إلى الموجودات عنه، وما أول الأشياء التى توجد عنه. ١٥

ثم كيف تترتب عنه الموجودات مبتدئة من الجواهر الملكية العقلية، ثم الجواهر الملكية النفسانية، ثم الجواهر الفلكية السماوية، ثم هذه العناصر، ثم المكونات عنها. ثم الإنسان وكيف تعود اليه هذه الأشياء، وكيف هو مبدأ

(١ — ٢) وما نسبة الكم المتصل . . . الموجودات : ساقطة من ب (٣) للموجودات : الموجودات ط (٦) وأنها : ولأنها ب، ص ؛ فإنها ط (٧) المساوى : + وغير الموافق ب (١٠ — ١١) فى غاية . . . . . . حق : ساقطة من م (١٤) الموجودات عنه : الموجودات م (١٦) الموجودات : + مترتبة م . (١٧) للفلكية : الملكية م .

لها فاعل ، وكيف هو مبدأ لها كالى ، وماذا تكون حال النفس الإنسانية إذا انقطعت العلاقة بينها وبين الطبيعة ، وأى مرتبة تكون مرتبة وجودها . وندل فيما بين ذلك على جلالة قدر النبوة ، ووجوب طاعتها ، وأنها واجبة من عند الله ، وعلى الأخلاق والأعمال التى تحتاج إليها النفوس الإنسانية مع الحكمة فى أن يكون لها السعادة الأخروية . ونعرف أصناف السعادات . ٥

فإذا بلغنا هذا المبلغ ختمنا كتابنا هذا ، والله المستعان به على ذلك .

(١) هو : ساقطة من ط ١٠ (٢) بينها : بينهما جـ ، ط (٤) الله : + تعالى ب ، ص (٦) المبلغ : الموضع هامش ص ، م || به : ساقطة من ب || به على ذلك : ساقطة من م .

[الفصل الخامس]

(ه) فصل

فى الدلالة على الموجود والشىء وأقسامهما الأوّل ، بما يكون فيه تنبيه على الغرض

فنقول : إن الموجود ، والشىء ، والضرورى ، معانيها ترتسم فى النفس ٥
ارتساماً أولياً، ليس ذلك الارتسام مما يحتاج إلى أن يجلب بأشياء أعرف منها .
فإنه كما أن فى باب التصديق مبادئ أولية ، يقع التصديق بها لذاتها ، ويكون
التصديق بغيرها ، بسببها ، وإذا لم يخطر بالبال أو لم يفهم اللفظ الدال عليها ،
لم يمكن التوصل إلى معرفة ما يعرف بها ، وإن لم يكن التعريف الذى يحاول
إخطارها بالبال أو تفهيم ما يدل به عليها من الألفاظ محاولاً لإفادة علم ليس ١٠
فى الغريزة ، بل منبّهاً على تفهيم ما يريده القائل ويذهب اليه . وربما كان
ذلك بأشياء هى فى نفسها أخفى من المراد تعريفه ، لكنها لعلة ما وعبارة
ما صارت أعرف . كذلك فى التصورات أشياء هى مبادئ للتصور ، وهى
متصورة لذواتها ، وإذا أريد أن يدل عليها لم يكن ذلك بالحقيقة تعريفا لمجهول ،
بل تنبيهاً وإخطاراً بالبال ، باسم أو بعلامة ، ربما كانت فى نفسها أخفى منه ، ١٥
لكنها لعلة ما وحال ما تكون أظهر دلالة .

فإذا استعملت تلك العلامة تنبهت النفس على إخطار ذلك المعنى بالبال ،
من حيث أنه هو المراد لا غيره ، من غير أن تكون العلامة بالحقيقة معلمة

(٦) ذلك : ساقطة من ط ، طا || إلى : ساقطة من ب ، م (٧) التصديق : التصديقات ط
(١١) منبها : منتبها حـ || تفهيم : تفهم م (١٤) لذواتها : بذواتها ص || لمجهول :
لمحصول بخ (١٥) ربما : وربما بخ || منه : منها ط .

إياه . ولو كان كل تصور يحتاج إلى أن يسبقه تصور قبله لذهب الأمر في ذلك إلى غير النهاية ، أو لدار .

وأولى الأشياء بأن تكون متصورة لأنفسها الأشياء العامة للأمور كلها ، كالموجود ، والشيء الواحد وغيره . ولهذا ليس يمكن أن يبين شيء منها ببيان ٥ لادور فيه ألبتة ، أو ببيان شيء أعرف منها . ولذلك من حاول أن يقوم فيها شيئاً وقع في اضطراب ، كمن يقول : إن من حقيقة الموجود أن يكون فاعلا أو منفعلا ؛ وهذا إن كان ولا بد فمن أقسام الموجود ، والموجود أعرف من الفاعل والمنفعل . وجمهور الناس يتصورون حقيقة الموجود ولا يعرفون ألبتة أنه يجب أن يكون فاعلا أو منفعلا ، وأنا إلى هذه الغاية لم يتضح لي ذلك إلا ١٠ بقياس لا غير ، فكيف يكون حال من يروم أن يعرِّف حال الشيء الظاهر بصفة له ، تحتاج إلى بيان حتى يثبت وجودها له ؟ وكذلك قول من قال : إن الشيء هو الذي يصح عنه الخبر ، فإن "يصح" أخفى من "الشيء" و"الخبر" أخفى من "الشيء"، فكيف يكون هذا تعريفاً للشيء؟ وإنما تعرف الصحة ويعرف الخبر بعد أن يستعمل في بيان كل واحد منهما أنه "شيء" أو أنه "أمر" أو أنه "ما" ١٥ أو أنه "الذي"، وجميع ذلك كالمرادفات لاسم الشيء ، فكيف يصح أن يعرف الشيء تعريفا حقيقيا بما لم يعرف إلا به ؟ نعم ربما كان في ذلك وأمثاله تنبيه ما . وأما بالحقيقة فإنك إذا قلت إن الشيء هو ما يصح الخبر عنه ، تكون كأنك قلت : إن الشيء هو الشيء الذي يصح الخبر عنه ، لأن معنى " ما " و " الذي " و " الشيء " معنى واحد ، فتكون قد أخذت الشيء في حد الشيء .

---

(٢) في ذلك : ساقطة من ب (٤) يبين : يتبين ص (٥) منها : منه ط (٦) الموجود : الموجودات م (١٠) حال : ساقطة من م (١٢) والخبر : والجزء م (١٤) الخبر : الجزء م (١٥) ذلك : هذه طا .

على أنا لا ننكر أن يقع بهذا أو ما يشبهه ، مع فساد مأخذه ، تنبيه بوجه ما على الشيء ، ونقول : إن معنى الوجود ومعنى الشيء متصوران فى الأنفس ، وهما معنيان . فالموجود والمثبت والمحصل أسماء مترادفة على معنى واحد ، ولا نشك فى أن معناها قد حصل فى نفس من يقرأ هذا الكتاب .

والشيء وما يقوم مقامه قد يدل به على معنى آخر فى اللغات كلها ، فإن لكل أمرٍ حقيقة هو بها ما هو ، فالمثلث حقيقة أنه مثلث ، وللبياض حقيقة أنه بياض ، وذلك هو الذى ربما سميناه الوجود الخاص ، ولم نرد به معنى الوجود الإثباتى . فإن لفظ الوجود يدل به أيضا على معانى كثيرة ، منها الحقيقة التى عليها الشيء ، فكأنه ما عليه يكون الوجود الخاص للشيء . ٥

ونرجع فنقول : إنه من البين أن لكل شيء حقيقة خاصة هى ماهيته ، ومعلوم أن حقيقة كل شيء الخاصة به غير الوجود الذى يرادف الإثبات ، وذلك لأنك إذا قلت : حقيقة كذا موجودة إما فى الأعيان ، أو فى الأنفس ، أو مطلقا يعمها جميعا ، كان لهذا معنى محصل مفهوم . ولو قلت : إن حقيقة كذا ، حقيقة كذا ، أو أن حقيقة كذا حقيقة ، لكان حشوا من الكلام غير مفيد . ولو قلت : إن حقيقة كذا شيء ، لكان أيضا قولا غير مفيد ما يجهل ؛ وأقل إفادة منه أن تقول : إن الحقيقة شيء ، إلا أن يعنى بالشيء ، الموجود ؛ كأنك قلت : إن حقيقة كذا حقيقة موجودة . وأما إذا قلت : حقيقة آ شيء ما ، وحقيقة بَ شيء آخر ، فإنما صح هذا وأفاد . لأنك تضمر فى نفسك أنه شيء آخر مخصوص مخالف ١٠ ١٥

---

(١) يقع . . . مع : ساقطة من م || يشبهه : يشبه ط ، م (٣) فالموجود : والموجود ب (١٢) الأنفس : النفس ب (١٣) يعمها : يعمهما ب ، جـ ، ص ، ط (١٧) ما : ساقطة من جـ (١٨) صح : يصح ص ، ط || وأفاد : فأفاد م .

لذلك الشيء الآخر، كما لو قلت : إن حقيقة آ وحقيقة ب حقيقة أخرى. ولولا هذا الإضمار وهذا الاقتران جميعا لم يفد ، فالشيء يراد به هذا المعنى .

ولا يفارق لزوم معنى الوجود إياه ألبتة ، بل معنى الموجود يلزمه دائما ، لأنه يكون إما موجودا فى الأعيان ، أو موجودا فى الوهم والعقل ، فإن لم يكن كذا ٥ لم يكن شيئا .

وأن ما يقال : إن الشيء هو الذى يخبر عنه ، حق ؛ ثم الذى يقال ، مع هذا ، إن الشيء قد يكون معدوما على الإطلاق ، أمر يجب أن ينظر فيه . فإن عنى بالمعدوم المعدوم فى الأعيان ، جاز أن يكون كذلك ، فيجوز أن يكون الشيء ثابتا فى الذهن معدوما فى الأشياء الخارجة . وإن عنى غير ذلك كان باطلا ، ١٠ ولم يكن عنه خبر ألبتة ، ولا كان معلوماً إلا على أنه متصور فى النفس فقط . فأما أن يكون متصوَّراً فى النفس صورة تشير إلى شيء خارج فكلّا .

أما الخبر ، فلأن الخبر يكون دائماً عن شيء متحقق فى الذهن . والمعدوم المطلق لا يخبر عنه بالإيجاب ، وإذا أخبر عنه بالسلب أيضا فقد جعل له وجود بوجه ما فى الذهن . لأن قولنا : "هو" ، يتضمن إشارة ، والإشارة إلى ١٥ المعدوم — الذى لا صورة له بوجه من الوجوه فى الذهن — محال . فكيف يوجب على المعدوم شيء ؟

ومعنى قولنا : إن المعدوم "كذا" ، معناه أن وصف "كذا" حاصل للمعدوم ، ولا فرق بين الحاصل والموجود . فنكون كأنا قلنا : إن هذا الوصف

---

(٩) الأشياء : الأعيان ط (١٢) أما : وأما ص (١٤) هو : ساقطة من ط
(١٥) فكيف : وكيف ب ، م .

موجود للمعدوم . بل نقول : إنه لا يخلو أن ما يوصف به المعدوم و يحمل عليه إما أن يكون موجودا وحاصلا للمعدوم أو لا يكون موجودا حاصلا له ؛ فإن كان موجوداً وحاصلًا للمعدوم ، فلا يخلو إما أن يكون فى نفسه موجودا أو معدوما ، فإن كان موجودا فيكون للمعدوم صفة موجودة ، و إذا كانت الصفة موجودة ، فالموصوف بها موجود لا محالة ، فالمعدوم موجود ، وهذا محال ؛ و إن كانت الصفة معدومة ، فكيف يكون المعدوم فى نفسه موجودا لشئ ؟ فإن ما لا يكون موجودا فى نفسه ، يستحيل أن يكون موجودا للشىء . نعم قــد يكون الشىء موجوداً فى نفسه ولا يكون موجودا لشىء آخر ، فأما إن لم تكن الصفة موجودة للمعدوم فهى نفى الصفة عن المعدوم ، فإنه إن لم يكن هذا هو النفى للصفة عن المعدوم ، فإذا نفينا الصفة عن المعدوم ، كان مقابل هذا ، فكان وجود الصفة له ؛ وهذا كله باطل .

و إنما نقول : إن لنا علماً بالمعدوم ، فلأن المعنى إذا تحصل فى النفس فقط ولم يُشر فيه إلى خارج ، كان المعلوم نفس ما فى النفس فقط ، والتصديق الواقع بين المتصور من جزئيه هو أنه جائز فى طباع هذا المعلوم وقوع نسبة له معقولة إلى خارج ، وأما فى هذا الوقت فلا نسبة له ، فلا معلوم غيره .

وعند القوم الذين يرون هذا الرأى ، أن فى جملة ما يُخبر عنه ويُعلم أموراً لا شيئية لهـا فى العدم ، ومن شاء أن يقف على ذلك فليرجع إلى ما هذوا به من أقاويلهم التى لا تستحق فضل الاشتغال بها .

---

(١) لا يخلو أن : لا يخلو ب ، جـ ، ص ، م (٦) المعدوم : للمعدوم ط (٧) يستحيل : فيستحيل جـ (٩) لم تكن : لا تكون م || فهى : فهو جـ ، م (١٠) للصفة عن : ساقطة من ط ، طا (١١) كان : وكان ط (١٣) يشر : يشير م || خارج : الخارج جـ ، ص ، ط (١٤) طباع : طبائع جـ ، ص ، ط ، م (١٥) وأما فى هذا : وفى ب ، جـ ، ص ، م .

وإنما وقع أولئك فيما وقعوا فيه بسبب جهلهم بأن الإخبار إنما يكون عن معانٍ
لها وجود فى النفس ، وإن كانت معدومة فى الأعيان ، ويكون معنى الإخبار
عنها أن لها نسبة ما إلى الأعيان. مثلا إن قلت : إن القيامة "تكون"، فَهِمْتَ
القيامة وفَهِمْتَ "تكون" ، وحملت "تكون" التى فى النفس ، على القيامة التى
٥ فى النفس ، بأن هذا المعنى إنما يصح فى معنى آخر معقول أيضا ، وهو معقول
فى وقت مستقبل ، أن يوصف بمعنى ثالث معقول ، وهو معقول الوجود .
وعلى هذا القياس الأمر فى الماضى . فبين أن المخبر عنه لا بد من أن يكون
موجوداً وجودا ما فى النفس . والإخبار فى الحقيقة هو عن الموجود فى النفس،
وبالعرض عن الموجود فى الخارج . وقد فهمت الآن أن الشىء بماذا يخالف
١٠ المفهوم للوجود والحاصل ، وأنهما مع ذلك متلازمان .

وعلى أنه قد بلغنى أن قوماً يقولون : إن الحاصل يكون حاصلا ، وليس
بموجود ، وقد تكون صفة الشىء ليس شيئا لا موجودا ولا معدوما ،
وأن "الذى" و "ما" يدلان على غير ما يدل عليه الشىء. فهؤلاء ليسوا من جملة
المميِّزين . وإذا أخذوا بالتمييز بين هذه الألفاظ من حيث مفهوماتها انكشفوا.

١٥ فنقول الآن : إنه وإن لم يكن الموجود ، كما علمت ، جنساً ، ولا مقولاً
بالتساوى على ما تحته ، فإنه معنى متفق فيه على التقديم والتأخير. وأول ما يكون،
يكون للماهية التى هى الجوهر ثم يكون لما بعده . وإذ هو معنى واحد

---

(٢) معنى : مع م (٤) فى : ساقطة من ب (٤ — ٥) على ... النفس : ساقطة من م
(٥) فى (الأول) : ساقطة من ب || إنما : ساقطة من م (٦) فى : ساقطة من م (٨) هو : وهو ط
(٩) الموجود فى الخارج : الموجود الخارج م || بماذا : ماذا م (١٣) يدلان : تدل م
(١٤) وإذا : فإذا ط (١٥) الموجود : الوجود ط || جنسا : حسيا ط (١٦) وأول :
فأول به ، ط (١٧) الجوهر : لجوهر طا .

على النحو الذى أومأنا إليه فتلحقه عوارض تخصّه ، كما قد بينا قبل . فلذلك
يكون له علم واحد يتكفل به . كما أن لجميع ما هو صحى علما واحدا .

وقد يعسُر علينا أن نعرف حال الواجب والممكن والممتنع بالتعريف المحقق
أيضا ؛ بل بوجه العلامة . وجميع ما قيل فى تعريف هذه مما بلغك عن الأولين
قد يكاد يقتضى دورا . وذلك لأنهم ، على ما مر لك فى فنون المنطق ، إذا ٥
أرادوا أن يحدوا الممكن، أخذوا فى حده إما الضرورى وإما المحال ولا وجه غير
ذلك . وإذا أرادوا أن يحدوا الضرورى، أخذوا فى حده إما الممكن وإما المحال.
وإذا أرادوا أن يحدوا المحال أخذوا فى حده إما الضرورى وإما الممكن . مثلا
إذا حدوا الممكن قالوا مرة ، إنه غير الضرورى أو أنه المعدوم ، فى الحال
الذى ليس وجوده ، فى أى وقت فُرض من المستقبل ، بمحال . ثم إذا احتاجوا ١٠
إلى أن يحدوا الضرورى قالوا : إما أنه الذى لا يمكن أن يفرض معدوما ،
أو أنه الذى إذا فرض بخلاف ما هو عليه كان محالا . فقد أخذوا الممكن تارة
فى حده ، والمحال أخرى . وأما الممكن فقد كانوا أخذوا ، قبل ، فى حده
إما الضرورى وإما المحال . ثم المحال ، إذا أرادوا أن يحدوه ، أخذوا فى حده
إما الضرورى بأن يقولوا : إن المحال هو ضرورى العدم ؛ وإما الممكن ١٥
بأن يقولوا : إنه الذى لا يمكن أن يوجد ؛ أو لفظاً آخر يذهب مذهب هذين.

وكذلك ما يقال من أن الممتنع هو الذى لا يمكن أن يكون ، أو هو الذى
يجب أن لا يكون . والواجب هو الذى هو ممتنع ومحال أن لا يكون ، أو ليس

(١) فلذلك : ولذلك ص ، ط (٤) تعريف : ساقطة من م || عن : من جـ ، ط
(٦) ولا وجه : لا وجه م (٧) وإذا : فإذا جـ ، ص ، ط (٨) وإذا : فإذا ص ||
يحدوا : يحددوا ط (٩) حدوا : أخذوا جـ ، ص ، ط (١٠) فرض : فرضت ب ||
ثم إذا : ثم إن ب ، جـ ، م (١٢) ما هو عليه : ما عليه جـ (١٣) وأما : أما م .
(١٧) أو هو : وهو م (١٨) أو ليس : وليس ب ، جـ ، م .

بممكن أن لا يكون . والممكن هو الذى ليس يمتنع أن يكون أو لا يكون ، أو الذى ليس بواجب أن يكون وأن لا يكون. وهذا كله كما تراه دور ظاهر. وأما كشف الحال فى ذلك فقد مر لك فى أنولوطيقا .

على أن أولى هذه الثلاثة فى أن يتصور أولا ، هو الواجب . وذلك لأن الواجب يدل على تأكد الوجود ، والوجود أعرف من العدم ، لأن الوجود يعرف بذاته ، والعدم يعرف ، بوجه ما من الوجوه ، بالوجود . ومن تفهمنا هذه الأشياء يتضح لك بطلان قول من يقول : إن المعدوم يعاد لأنه أول شىء مخبر عنه بالوجود . وذلك أن المعدوم إذا أعيد يجب أن يكون بينه وبين ما هو مثله ، لو وجد بدله ، فرق . فإن كان مثله إنما ليس هو لأنه ليس الذى كان عدم ، وفى حال العدم كان هذا غير ذلك ، فقد صار المعدوم موجودا على النحو الذى أومأنا إليه فيما سلف آنفا .

وعلى أن المعدوم إذا أعيد احتيج أن تعاد جميع الخواص التى كان بها هو ما هو . ومن خواصه وقته ، وإذا أعيد وقته كان المعدوم غير معاد ، لأن المعاد هو الذى يوجد فى وقت ثان . فإن كان المعدوم تجوز إعادته وإعادة جملة المعدومات التى كانت معه ، والوقت إما شىء له حقيقة وجود قد عدم ، أو موافقة موجود لعرض من الأعراض ، على ما عرف من مذاهبهم ، جاز أن يعود الوقت والأحوال ، فلا يكون وقت ووقت ، فلا يكون عود . على أن العقل يدفع هذا دفعاً لا يحتاج فيه إلى بيان، وكل ما يقال فيه فهو خروج عن طريق التعليم .

---

(١) بممكن : يمكن جـ || ليس : لا ط || يمتنع : بممتنع م (٢) وهذا : وهذه ط (٣) فقد مر : فقدم م (٦) من الوجوه : ساقطة من ب ، ص ، م || تفهمنا : تفهيمنا ب ، ص ، ط (١٠) عدم : وعدم ط (١٢) احتيج : + إلى ط || جميع : بجميع جـ ؛ بجمع طا (١٣) وإذا : فإذا جـ ، م (١٥) قد : فقد ب ؛ وقد خ ، ص (١٦) ما عرف : ما عرفت ص .

[الفصل السادس]

(و) فصل

في ابتداء القول في الواجب الوجود ، والممكن الوجود ، وأن الواجب الوجود لا علة له ، وأن الممكن الوجود معلول ، وأن الواجب الوجود غير مكافىء لغيره في الوجود ، ولا متعلق بغيره فيه ٥

ونعود إلى ما كنا فيه فنقول : إن لكل واحد من الواجب الوجود، والممكن الوجود ، خواص . فنقول : إن الأمور التي تدخل في الوجود تحتمل في العقل الانقسام إلى قسمين ، فيكون منها ما إذا اعتبر بذاته لم يجب وجوده ، وظاهر أنه لا يمتنع أيضا وجوده ، وإلا لم يدخل في الوجود ، وهذا الشيء هو في حيّز الإمكان ، ويكون منها ما إذا اعتبر بذاته وجب وجوده . ١٠

فنقول: إن الواجب الوجود بذاته لا علة له ، وإن الممكن الوجود بذاته له علة ، وإن الواجب الوجود بذاته واجب الوجود من جميع جهاته ، وإن الواجب الوجود لا يمكن أن يكون وجوده مكافئا لوجود آخر ، فيكون كل واحد منهما مساويا للآخر في وجوب الوجود ويتلازمان . وأن الواجب الوجود لا يجوز أن يجتمع وجوده عن كثرة ألبتة . وأن الواجب الوجود لا يجوز أن تكون ١٥ الحقيقة التي له مشتركا فيها بوجه من الوجوه ، حتى يلزم من تصحيحنا ذلك أن يكون واجب الوجود غير مضاف ، ولا متغير ، ولا متكثر ، ولا مشارك في وجوده الذي يخصه .

---

(٣) الواجب : واجب م (٥) مكافىء : مكاف ب، جـ، د، ص، ط || بغيره : لغيره ص، م
(٨) وظاهر : فظاهر جـ (١١) الوجود : ساقطة من جـ (١٦) من الوجوه : ساقطة من ب ، م .

أما أن الواجب الوجود لا علة له ، فظاهر . لأنه إن كان لواجب الوجود علة فى وجوده ، كان وجوده بها . وكل ما وجوده بشىء ، فإذا اعتبر بذاته دون غيره لم يجب له وجود ، وكل ما إذا اعتبر بذاته دون غيره ، ولم يجب له وجود ، فليس واجب الوجود بذاته . فبين أنه إن كان لواجب الوجود بذاته علة لم يكن واجب الوجود بذاته . فقد ظهر أن الواجب الوجود لا علة له .

٥ وظهر من ذلك أنه لا يجوز أن يكون شىء واجب الوجود بذاته ، وواجب الوجود بغيره ، لأنه إن كان يجب وجوده بغيره ، فلا يجوز أن يوجد دون غيره ، وكلما لا يجوز أن يوجد دون غيره ، فيستحيل وجوده واجبا بذاته . ولو وجب بذاته ، لحصل . ولا تأثير لإيجاب الغير فى وجوده الذى يؤثر غيره فى وجوده

١٠ فلا يكون واجبا وجوده فى ذاته .

وأيضا أن كل ما هو ممكن الوجود باعتبار ذاته ، فوجوده وعدمه كلاهما بعلة ، لأنه إذا وجد فقد حصل له الوجود متميزاً من العدم ، وإذا عدم حصل له العدم متميزاً من الوجود . فلا يخلو إما أن يكون كل واحد من الأمرين يحصل له عن غيره أو لا عن غيره ، فإن كان عن غيره فالغير هو العلة ؛

١٥ وإن كان لا يحصل عن غيره ، ومن البين أن كل ما لم يوجد ثم وجد فقد تخصص بأمر جائز غيره .

وكذلك فى العدم ، وذلك لأن هذا التخصيص إما أن تكفى فيه ماهية الأمر أو لا تكفى فيه ماهية ، فإن كانت ماهيته تكفى لأى الأمرين كان ، حتى يكون

---

(١) لأنه : أنه ب || كان : كانت جـ ، ص ، ط (٣) دون غيره : دونه جـ ، ص ، ط ، م . (٤) فبين : فتبين جـ ، ص ، ط || إن : لو ص ، ط || بذاته : + فى ذاته بخ ، جـ ، ص ، م (٥) الواجب : واجب جـ ، ص ، م (٨) وكلما ... غيره : ساقطة من ب ، م (١١) فوجوده : ووجوده جـ ، ص ، ط (١٢) وإذا : فإذا ط (١٤) فالغير : والغير م (١٧) التخصيص : التخصص م (١٨) ماهية : ماهيته م || كانت : كان ص || ماهيته تكفى : يكفى ماهية ص ، ط .

حاصلًا ، فيكون ذلك الأمر واجب الماهية لذاته ، وقد فرض غير واجب ، هـذا خلف . وإن كان لا يكفي فيه وجود ماهيته ، بل أمر يضاف إليه وجود ذاته ، فيكون وجوده لوجود شيء آخر غير ذاته لا بد منه فهو علتـه ، فله علة . وبالجملة فإنما يصير أحد الأمرين واجبا له ، لا لذاته ، بل لعلة .

٥ أما المعنى الوجودى فبعلةٍ ، هى علة وجودية . وأما المعنى العدمى فبعلةٍ ، هى عدم العلة للمعنى الوجودى ، وعلى ما علمت . فنقول : إنه يجب أن يصير واجباً بالعلة ، وبالقياس إليها . فإنه إن لم يكن واجبا ، كان عند وجود العلة وبالقياس إليها ممكناً أيضا ، فكان يجوز أن يوجد وأن لا يوجد غير متخصص بأحد الأمرين ، وهـذا محتاج من رأس إلى وجود شيء ثالث يتعين له به ١٠ الوجود من العـدم ، أو العدم عن الوجود عند وجود العلة ، فيكون ذلك علة أخرى ، ويتمادى الكلام إلى غير النهاية . وإذا تمادى إلى غير النهاية لم يكن ، مع ذلك ، قد تخصص له وجوده ، فلا يكون قد حصل له وجود ، وهـذا محال . لا لأنه ذاهب إلى غير النهاية فى العلل فقط ، فإن هـذا فى هذا الموضع بعدُ مشكوك فى إحالته ، بل لأنه لم يوجد بعـدُ ما به يتخصص وقد فرض ١٥ موجوداً . فقد صح أن كل ما هو ممكن الوجود لا يوجد ما لم يجب بالقياس إلى علته .

ونقول : ولا يجوز أن يكون واجب الوجود مكافئا لواجب وجود آخر ، حتى يكون هذا موجوداً مع ذلك ، وذلك موجوداً مع هذا ، وليس أحدهما

(٥) علة : + بجملة ط (٩) له : ساقطة من ط (١١) لم يكن : لا يكون جـ ، م ؛ فلا يكون ط (١٢) تخصص : تعين م || وجوده : وجود م || قد : ساقطة من ص ، م (١٣) فقط : ساقطة من ط . (١٤) مشكوك : شكوك جـ (١٥) لا : فلا ط (١٧) ونقول : فنقول جـ ، ص ، ط ، م .

علة للآخر ، بل هما متكافئان فى أمر لزوم الوجود . لأنه لا يخلو إذا اعتبر
ذات أحدهما بذاته دون الآخر ، إما أن يكون واجبا بذاته أو لا يكون واجبا
بذاته ، فإن كان واجبا بذاته فلا يخلو إما أن يكون له وجوب أيضا باعتباره
مع الثانى ، فيكون الشىء واجب الوجوب بذاته ، وواجب الوجود لأجل
٥ غيره ، وهذا محال ، كما قد مضى . وإما أن لا يكون له وجوب بالآخر ،
فلا يجب أن يتبع وجوده وجود الآخر ، ويلزمه أن لا يكون لوجوده علاقة
بالآخر ، حتى يكون إنّما يوجد إذا وجد الآخر هذا . وأما إن لم يكن واجبا
بذاته ، فيجب أن يكون باعتبار ذاته ممكن الوجود ، وباعتبار الآخر واجب
الوجود . فلا يخلو حينئذ إما أن يكون الآخر كذلك أو لا يكون ، فإن كان
١٠ الآخر كذلك فلا يخلو حينئذ إما أن يكون وجوب الوجود لهذا من ذلك ،
وذلك فى حد إمكان الوجود ، أو فى حد وجوب الوجود . فإن كان وجوب
الوجود لهذا من ذلك ، وذلك هو فى حد وجوب الوجود ، وليس من نفسه ،
أو من ثالث سابق ، كما قلناه فى وجه سلف ، بل من الذى يكون منه ، كان
وجوب وجود هذا شرطاً فيه وجوب وجود ما يحصل بعد وجوب وجوده ،
١٥ بَعْدية بالذات فلا يحصل له وجوب وجود ألبتة . وإن كان وجوب الوجود
لهذا من ذلك ، وذلك فى حد الإمكان ، فيكون وجوب وجود هذا من ذات
ذلك وهو فى حد الإمكان ، ويكون ذات ذلك فى حد الإمكان مفيداً لهذا
وجوب الوجود ، وليس له حد الإمكان مستفادا من هذا ، بل الوجوب .

---

(١) علة : علته ط ، علا (٢) دون ... بذاته : ساقطة من م || أو لا يكون : ولا يكون ط .
(٧) لم يكن : لا يكون ب ، جـ ، م (٨) الآخر : الثانى م (٩) حينئذ : ساقطة من ب ، ص ، م
|| الآخر : الثانى م (١٠) لهذا : هذا جـ ، ط (١١) وذلك : + هو ط (١٢) وذلك
هو : وهو ذلك ص (١٣) قلناه : قلنا ص ، م (١٤) وجود : الوجود م (١٧) وهو :
ساقطة من ط || ويكون : يكون ب ، فيكون جـ ، ص || ويكون ... الإمكان : ساقطة من ط .

فتكون العلة لهذا إمكان وجود ذلك ، وإمكان وجود ذلك ليس علته هـذا ، فيكونان غير متكافئين ، أعنى ما هو علته بالذات ومعلول بالذات .

ثم يعرض شيء آخر وهو ، أنه إذا كان إمكان وجود ذلك هو علة إيجاب وجود هذا ، لم يتعلق وجود هذا بوجوبه ؛ بل بإمكانه . فوجب أن يجوز وجوده مع عدمه وقد فرضا متكافئين ، هذا خلف فإذن ليس يمكن أن يكونا ٥ متكافئى الوجود ، فى حالٍ ما ، لا يتعلقان بعلة خارجة ، بل يجب أن يكون أحدهما هو الأول بالذات ، أو يكون هناك سبب خارج آخر يوجبهما جميعا بإيجاب العلاقة التى بينهما أو يوجب العلاقة بإيجابهما . والمضافان ليس أحدهما واجباً بالآخر ، بل مع الآخر ، والموجب لهما العـلة التى جمعتهما ، وأيضا المـادتان أو الموضوعان أو الموصوفان بهما . وليس يكفى وجود ١٠ المـادتين أو الموضوعين لهما وحدهما ، بل وجود ثالث يجمع بينهما . وذلك لأنه لا يخلو إما أن يكون وجود كل واحد من الأمرين وحقيقته هو أن يكون مع الآخر ، فوجوده بذاته يكون غير واجب ، فيصير ممكناً ، فيصير معلولًا ، ويكون كما قلنا ليس علته مكافئة فى الوجود ، فتكون إذن علته أمراً آخر ، فلا يكون هو والآخر علة للعلاقة التى بينهما ، بل ذلك الآخر . وإما أن لا يكون، ١٥ فتكون المعية طارئةً على وجوده الخاص لاحقةً له . وأيضا فإن الوجود الذى يخصه لا يكون عن مكافيه من حيث هو مكافيه ؛ بل عن علة متقدمة إن كان معلولا . فحينئذ إما أن يكون وجوده ذلك عن صاحبه ، لا من حيث يكافيه،

---

(١) علته : علة ص (٤) بامكانه : وجوده إمكانه جـ ، ط (٥) فرضا : فرضنا جـ ، ص ، ط (٦) متكافئى الوجود : متكافئين فى الوجود طا || بعلة : بعلته ط (٧) خارج آخر : خارج ب ، آخر ط (٩) جمعتهما : جمعتها ط ، طا (١٠) أو : ساقطة من ص ، م (١١) وحدهما : أو أحدهما م (١٣) فيصير ممكنا : فيكون ممكنا جـ (١٦) وجوده : وجود ص ، م (١٨) يكافيه : مكافيه ص .

بل من حيث وجود صاحبه الذى يخصه ، فلا يكونان متكافئين ، بل علة ومعلولا . ويكون صاحبه أيضا علة للعلاقة الوهمية بينهما كالأب والابن . وإما أن يكونا متكافئين من جملة ما يكون الأمران ليس أحدهما علة للآخر ، وتكون العلاقة لازمة لوجودهما ، فتكون العلة الأولى للعلاقة هى أمر خارج ٥ موجد لذاتيهما على ما علمت ، والعلاقة عرضية ، فيكون لا تكافؤ هناك إلا بالعرض المباين أو اللازم . وهذا غير ما نحن فيه ، ويكون للذى بالعرض علة لا محالة ، فيكونان من حيث التكافؤ معلولين .

---

(٢) العلاقة : العلاقة ب (٥) موجد : موجود بخ (٦) اللازم : للازم م || الذى : الذى ب ، طا .

[الفصل السابع]

(ز) فصــل

فى أن واجب الوجود واحد

ونقول أيضا : إن واجب الوجود يجب أن يكون ذاتا واحدة . وإلا فليكن كثرة ويكون كل واحد منها واجب الوجود ، فلا يخلو إما أن يكون كل واحد ٥ منها فى المعنى الذى هو حقيقته ، لا يخالف الآخر البتة أو يخالفه . فإن كان لا يخالف الآخر فى المعنى الذى لذاته بالذات ، ويخالفه بأنه ليس هو ، وهذا خلاف لا محالة ، فيخالفه فى غير المعنى . وذلك لأن المعنى الذى هو فيهما غير مختلف ، وقد قارنه شىء به صار هــذا أو فى هذا ، أو قارنه نفس أنه هــذا أو فى هذا ، ولم يقارنه هــذا المقارن فى الآخر ، بل ما به صار ذاك ذاك ، ١٠ أو نفس أن ذاك ذاك ، وهــذا تخصيص ما قارن ذلك المعنى ، وبينهما به مباينــة .

فإذن كل واحد منهما يباين الآخر به ، وليس يخالفه فى نفس المعنى ، فيخالفه فى غير المعنى .

والأشياء التى هى غير المعنى وتقارن المعنى هى الأعراض واللواحق الغــير ١٥ الذاتية . وهــذه اللواحق فإما أن تعرض لوجود الشىء بما هو ذلك الوجود

---

(٣) واجب : الواجب جـ ، ص ، ط (٥) كثرة : كثيرة ص ، م || ويكون : فيكون جـ ، ص ، ط ، م (٩) به : ساقطة من جـ ، ط (١٠) أوفى : فم || ولم : أولم ط || ذاك ذاك : ذلك ذلك جـ (١١) ذاك ذاك : ذلك ذلك جـ || به : ساقطة من م (١٣) نفس : ساقطة من ص ؛ + أصل جـ ، ص ، ط (١٤) فيخالفه ... المعنى : ساقطة من م (١٥) والأشياء : فالأشياء جـ ؛ بل نقول الأشياء ط (١٦) لوجود : لحقيقة ص ، ط || هو : + تلك الحقيقة أولوجوده بماهو ص ، ط .

فيجب أن يتفق الكل فيه وقد فرض أنها مخالفة فيه ، وهذا خلف . وإما أن تعرض له عن أسباب خارجة لا عن نفس ماهيته ، فيكون لولا تلك العلة لم تعرض ، فيكون لولا تلك العلة لم يختلف ، فيكون لولا تلك العلة لكانت الذوات واحدةً أو لم تكن ، فيكون لولا تلك العلة ليس هذا بانفراده واجب
٥ الوجود،وذلك بانفراد ، واجب الوجود لا من حيث الوجود ، بل من حيث الأعراض ، فيكون وجوب وجود كل واحد منهما الخاص به ، المنفرد له ، مستفاداً من غيره . وقد قيل إن كل ما هو واجب الوجود بغيره فليس واجب الوجود بذاته ، بل هو فى حد ذاته ممكن الوجود،فتكون كل واحدة من هذه، مع أنها واجبة الوجود بذاتها ، ممكنة الوجود فى حد ذاتها وهذا محال .

١٠ ولنفرض الآن أنه يخالفه فى معنى أصلى ، بعد ما يوافقه فى المعنى ، فلا يخلو ذلك المعنى إما أن يكون شرطاً فى وجوب الوجود ، أو لا يكون . فإن كان شرطا فى وجوب الوجود ، فظاهر أنه يجب أن يتفق فيه كل ما هو واجب الوجود ، وإن لم يكن شرطا فى وجوب الوجود ، فوجوب الوجود متقرر دونه وجوب وجود ، وهو داخل عليه ، عارض ، مضاف إليه ، بعد ما تم ذلك
١٥ وجوب وجود ، وقد منعنا هذا وبينا فساده . فإذن لا يجوز أن يخالفه فى المعنى .

---

(١) فيه : فيها طا || أنها : أنهما جـ || وهذا : فهذا ب ؛ هذا م (٣) لكانت : كانت جـ ، ص ، م ؛ لكان ط . (٥ — ٦) وذلك ... الأعراض : ساقطة من ب (د) لا من حيث الوجود : ساقطة من جـ ، ص ، م . (٦) منهما : منها ط ، طا (٨) واحدة : واحد ط (٩) بذاتها : بذواتها م . || حد ذاتها : حدود ذواتها ص ؛ حد ذواتها م || وهذا : وهو ط . || محال : هذا طا . (١١) ذلك : لذلك ص .

بل يجب أن نزيد لهذا بياناً من وجه آخر وهو : أن انقسام معنى وجوب الوجود فى الكثرة لا يخلو من وجهين: إما أن يكون على سبيل انقسامه بالفصول وإما على سبيل انقسامه بالعوارض . ثم من المعلوم أن الفصول لا تدخل فى حد ما يقام مقام الجنس . فهى لا تفيد الجنس حقيقته، وإنما تفيده القوام بالفعل، وذلك كالناطق ، فإن الناطق لا يفيد الحيوان معنى الحيوانية ، بل يفيده القوام ٥ بالفعل ذاتا موجودة خاصة .

فيجب أيضاً أن تكون فصول وجوب الوجود ، إن صحت ، بحيث لا تفيد وجوب الوجود حقيقة وجوب الوجود، بل يفيده الوجود بالفعل . وهذا محال من وجهين: أحدهما، أنه ليس حقيقة وجوب الوجود إلا نفس تأكد الوجود، لا كحقيقة الحيوانية التى هى معنى غير تأكد الوجود ، والوجود لازم لها ، ١٠ أو داخل عليها ، كما علمت . فإذن إفادة الوجود لوجوب الوجود ، هى إفادة شرط من حقيقته ضرورةً ، وقد منع جواز هذا ما بين الجنس والفصل . والوجه الثانى ، أنه يلزم أن تكون حقيقة وجوب الوجود متعلقةً فى أن تحصل بالفعل بموجب له ، فيكون المعنى الذى به يكون الشىء واجب الوجود يجب وجوده بغيره ، وإنما كلامنا فى وجوب الوجود بالذات، فيكون الشىء الواجب ١٥ الوجود بذاته واجب الوجود بغيره ، وقد أبطلنا هذا .

فقد ظهر أن انقسام وجوب الوجود إلى تلك الأمور ،لا يكون انقسام المعنى الجنسى إلى الفصول . فتبين أن المعنى الذى يقتضى وجوب الوجود لا يجوز

(٣) وإما : أو ط (٤) حقيقته : حقيقة ب، جـ ، ط ، م || بالفعل : + ذاتا موجودة ط
(١٣) أنه : ساقطة من ط (١٤) له : لها ب (١٥) بغيره : لغيره ط
(١٨) إلى الفصول : بالفصول ص || فتبين : فبين م .

أن يكون معنى جنسياً ينقسم بفصول أو أعراض ، فبقى أن يكون معنى نوعياً .
فنقول : ولا يجوز أن تكون نوعيته محمولة على كثيرين ، لأن أشخاص النوع
الواحد ، كما بينا ، إذا لم تختلف فى المعنى الذاتى ، وجب أن تكون إنما تختلف
بالعوارض ، وقد منعنا إمكان هذا فى وجوب الوجود ، وقد يمكن أن نبين
٥ هذا بنوع من الاختصار ، ويكون الغرض راجعاً إلى ما أردناه .

فنقول : إن وجوب الوجود إذا كان صفة للشيء وموجوداً له ، فإما أن يكون
واجباً فى هذه الصفة ، أى فى وجوب الوجود ، أن تكون عين تلك الصفة
موجودة لهذا الموصوف ، فيمتنع الواحد منها أن يوجد وجودا لا يكون صفة
له ، فيمتنع أن يوجد لغيره ، فيجب أن يوجد له وحده ؛ وإما أن يكون
١٠ وجودها له ممكناً غير واجب . فيجوز أن يكون هذا الشيء غير واجب الوجود
بذاته وهو واجب الوجود بذاته ، هذا خلف . فوجوب الوجود لا يكون
إلا لواحد فقط .

فإن قال قائل : إن وجوده لهذا ، لا يمنع وجوده صفة للآخر فكونه صفةً
للآخر لا يبطل وجوب كونه صفةً له . فنقول : كلامنا فى تعيين وجوب الوجود
١٥ صفة له ، من حيث هو له ، من حيث لا يلتفت فيه إلى الآخر ، فذلك ليس
صفة للآخر بعينه ؛ بل مثلها الواجب فيها ما يجب فى تلك بعينها . وبعبارة أخرى
نقول : إن كون الواحد منها واجب الوجود ، وكونه هو بعينه ، إما أن يكون
واحدا ، فيكون كل ما هو واجب الوجود فهو هو بعينه وليس غيره . وإن كان

(٢) فنقول : قلنا طا || نوعيته : نوعيه ط (٣) إنما تختلف : إنما اختلفت ب ؛ إنما اختلف جـ ، م (٤) نبين : فنبين م (٥) بنوع : بحوم (٧) أى ... الوجود : ساقطة من م || تلك : هذه م (٨) موجودة : الموجودة جـ ، ط (١٣) فكونه : وكونه ط (١٤) لا يبطل : ليس يبطل ب (١٧) كون : كان ط (١٨) فهو هو : فهو ص .

كونه واجب الوجود ، غير كونه هو بعينه ، فمقارنة واجب الوجود لأنه هو بعينه ، إما أن يكون أمراً لذاته ، أو لعلة وسبب موجب غيره . فإن كان لذاته ، ولأنه واجب الوجود ، فيكون كل ما هو واجب الوجود هذا بعينه . وإن كان لعلة وسبب موجب غيره ، فلكونه هذا بعينه سبب ، فلخصوصية وجوده المنفرد سبب ، فهو معلول . ٥

فإذن واجب الوجود واحد بالكلية ليس كأنواع تحت جنس ، وواحد بالعدد ليس كأشخاص تحت نوع ، بل معنى شرح اسمه له فقط ، ووجوده غير مشترك فيه . وسنزيد هذا إيضاحا فى موضع آخر . فهذه الخواص التى يختص بها واجب الوجود .

١٠ وأما الممكن الوجود ، فقد تبين من ذلك خاصيته وهو أنه يحتاج ضرورة الى شىء آخر يجعله بالفعل موجودا . وكل ما هو ممكن الوجود فهو دائما ، باعتبار ذاته ، ممكن الوجود ، لكنه ربما عرض أن يجب وجوده بغيره ، وذلك إما أن يعرض له دائما ، وإما أن يكون وجوب وجوده عن غيره ليس دائما ، بل فى وقت دون وقت . فهذا يجب أن يكون له مادة تتقدم وجوده بالزمان ، كما سنوضحه . ١٥

والذى يجب وجوده بغيره دائما ، فهو أيضا غير بسيط الحقيقة . لأن الذى له باعتبار ذاته ، غير الذى له من غيره ، وهو حاصل الهوية منهما جميعاً فى الوجود ، فلذلك لا شىء غير واجب الوجود تعرى عن ملابسة ما بالقوة والإمكان باعتبار نفسه ، وهو الفرد ، وغيره زوج تركيبى .

---

(٢) وسبب : أو سبب م . (٨) موضع : مواضع ب . (١٠) خاصيته : خاصته ب ، ط .
(١٦) بغيره : لغيره ص ، ط .

[الفصل الثامن]

(ح) فصل

فى بيان الحق ، والصدق ، والذب عن أول الأقاويل ، فى المقدمات الحقة

٥ أما الحق فيفهم منه الوجود فى الأعيان مطلقاً ، ويفهم منه الوجود الدائم ، ويفهم منه حال القول أو العقد الذى يدل على حال الشىء فى الخارج إذا كان مطابقاً له ، فنقول : هذا قول حق ، وهذا اعتقاد حق . فيكون الواجب الوجود هو الحق بذاته دائماً ، والممكن الوجود حق بغيره ، باطل فى نفسه . فكل ما سوى الواجب الوجود الواحد باطل فى نفسه .

١٠ وأما الحق من قبل المطابقة فهو كالصادق، إلا أنه صادق فيما أحسب باعتبار نسبته إلى الأمر ، وحق باعتبار نسبة الأمر إليه .

وأحق الأقاويل أن يكون حقاً ما كان صدقه دائماً ، وأحق ذلك ما كان صدقه أوليا ليس لعلة .

وأول كل الأقاويل الصادقة الذى ينتهى إليه كل شىء فى التحليل ، حتى أنه ١٥ يكون مقولا بالقوة أو بالفعل فى كل شىء يُبين أو يَتبين به ، كما بيناه فى كتاب البرهان ، هو أنه : لا واسطة بين الإيجاب والسلب . وهذه الخاصة ليست من عوارض شىء إلا من عوارض الموجود بما هو موجود ، لعمومه فى كل موجود .

(٣) الأقاويل : الأوائل م . (٧) الواجب : واجب جـ ، ص . (١٥) يبين : يتبين م || بيناه : بيانه م .

والسوفسطائى إذا أنكر هذا ، فليس ينكره إلا بلسانه معانداً . أو يكون قد
عرض له شبهة فى أشياء فسد عليه عنده فيها طرفا النقيض لغلط جرى عليه مثلا ،
لأنه لا يكون حصل له حال التناقض وشرائطه . ثم إن تبكيت السوفسطائى ،
وتنبيه المتحير أبدا ، إنما هو فى كل حال على الفيلسوف ، ويكون لا محالة
بضرب من المحاورة . ولا شك أن تلك المحاورة تكون ضرباً من القياس الذى ٥
يلزم مقتضاه ، إلا أنه لا يكون فى نفسه قياسا يلزم مقتضاه ، ولكن يكون
قياسا بالقياس .

وذلك لأن القياس الذى يلزم مقتضاه على وجهين : قياس فى نفسه ،
وهو الذى تكون مقدماته صادقة فى أنفسها ، وأعرف عند العقلاء من النتيجة ،
ويكون تأليفه تأليفا منتجا ، وقياس كذلك بالقياس ، وهو أن تكون حال ١٠
المقدمات كذلك عند المحاور حتى يسلم الشئ وإن لم يكن صدقا ، وإن كان صدقا
لم يكن أعرف من النتيجة التى يسلمها ، فيؤلف عليه بتأليف صحيح مطلق أو عنده .
وبالجملة فقد كان القياس ما إذا سلمت مقدماته لزم منه شئ ، فيكون ذلك
قياسا من حيث هو كذا . ولكنه ليس يلزم أن يكون كل قياس قياسا يلزم
مقتضاه ، لأن مقتضاه يلزم إذا سلم ، فإذا لم يسلم كان قياسا . لأنه قد أورد ١٥
فيه ما إذا وضع وسلم لزم ، ولكن لما لم يسلم بعد لم يلزم مقتضاه ، فيكون القياس
قياسا ، أعم من كونه قياسا يلزم مقتضاه .

---

(٢) له : ساقطة من ب ، ط . || أشياء : + قد ص . (٣) له : ساقطة من ب
(٥) المحاورة : [تبدأ نسخة د بهذه الكلمة] . (٦) يكون : ساقطة من د .
(١١) المقدمات : + ما د ، ط . || وإن كان : أو إن كان ب ، ط ، م . (١٢) يسلمها :
لا يسلمها د ، جـ ، ص ، م (١٥) لأنه : + كان ط (١٦) وسلم : + ذلك ط || لم :
ساقطة ط ، م .

وكونه قياساً يلزم مقتضاه ، هو أيضا على قسمين ، على ما علمت ، فالقياس الذى يلزم مقتضاه بحسب الأمر فى نفسه ، هو الذى مقدماته مسلمة فى أنفسها ، وأقدم من النتيجة . وأما الذى هو بالقياس ، فالذى قد سلم المخاطب مقدماته ، فتلزمه النتيجة .

٥ ومن العجائب أن السوفسطائى الذى غرضه المماراة يضطر إلى أحد الأمرين: إما إلى السكوت والإعراض ، وإما إلى الاعتراف لا محالة بأشياء ، والاعتراف بأنها تنتج عليه .

وأما المتحير فعلاجه حل شبهة ، وذلك لأن المتحير لا محالة إنما وقع فيما وقع فيه إما لما يراه من تخالف الأفاضل الأكثرين ، ويشاهده من كون رأى ١٠ كل واحد منهم مقابلا لرأى الآخر الذى يجده قرنا له ، لا يقصر عنه ، فلا يجب عنده أن يكون أحد القولين أولى بالتصديق من الآخر ؛ وإما لأنه سمع من المذكورين المشهورين المشهود لهم بالفضيلة أقاويل لم يقبلها عقله بالبديهة ، كقول من قال : إن الشئ لا يمكنك أن تراه مرتين ، بل ولا مرة واحدة ، وإن لا وجود لشئ فى نفسه ، بل بالإضافة . فإذا كان قائل مثل هذا القول ١٥ مشهوراً بالحكمة لم يكن بعيدا أن يتحير الشادى لقوله . وإما لأنه قد اجتمع عنده قياسات متقابلة النتائج ليس يقدر على أن يختار واحدا منها ويزيف الآخر .

---

(١) وكونه .. مقتضاه : ساقطة من د ، ص (٢) مقتضاه : + وكونه قياسا ط || الأمر : الأمور د || أنفسها : قسمها م (٣) وأما : فأما د (٥) العجائب : العجاب د || الأمرين : أمرين م (٦) إلى الاعتراف : إلى اعتراف م || والاعتراف : واعتراف ب ، م (٨) فعلاجه : فعلاجه طا (١٠) منهم : منهما م (١١) بالتصديق : بالصدق جـ ، د ص ، ط ، م (١٢) عقله : ساقطة من د (١٦) أن : + يقول ط .

فالفيلسوف يتدارك ما عرض لأمثال هؤلاء من وجهين: أحدهما حل ما وقع فيه من الشك ، والثانى التنبيه التـام على أنه لا يمكن أن يكون بين النقيضين واســطة .

أما حل ما وقع فيه فمن ذلك أن يعرفه أن الناس ناس لا ملائكة . ومع ذلك فليس يجب أن يكونوا متكافئين فى الإصابة ، ولا يجب إذا كان واحد أكثر صوابا فى شىء من آخر، أن لا يكون الآخر أكثر صواباً منه فى شىء آخر . وأن يعرف أن أكثر المتفلسفين يتعلم المنطق وليس يستعمله ، بل يعود آخر الأمر فيه إلى القريحة فيركبها ركوب الراكض من غير كف عنان أو جذب خطام . وأن من الفضلاء من يرمز أيضا برموز، ويقول ألفاظاً ظاهرة مستشنعة أو خطأ وله فيها غرض خفى ، بل أكثر الحكماء ، بل الأنبياء الذين لا يؤتون من جهة غلطا أو سهوا هذه وتيرتهم . فهذا يزيل شغل قلبه من جهة ما استنكر من العلماء. ثم يعرفه فيقول : إنك إذا تكلمت فلا يخلو إما أن تقصد بلفظك نحو شىء من الأشياء بعينه ، أو لا تقصد ، فإن قال إذا تكلمت لم أفهم شيئا ، فقـد خرج هذا من جملة المسترشدين المتحيرين ، وناقض الحال فى نفسه ، وليس الكلام معه هذا الضرب من الكلام .

وإن قال : إذا تكلمت فهمت باللفظ كل شىء فقد خرج عن الاسترشاد .

---

(١) فالفيلسوف : والفيلسوف د || يتدارك : سيتدارك طا . (٢) التنبيه : تنبيه ب ، جـ ، ص ، م (٤) ذلك أن يعرفه : ذلك يعرفه ط || يعرفه أن الناس : يعرفه الناس د (٥) واحد : الواحد د ، ص ؛ واحدا م (٧) وليس : فليس د || فيه : ساقطة من د (٨) الراكض : الرابض طا (٩) ظاهرة : ظاهر ط || مستشنعة : مستبشعة ص (١٠) فيها : فيه د ، ص (١١) جهة : حيث د (١٣) لم : ولم جـ .

فإن قال : إذا تكلمت فهمت به شيئاً بعينه ، أو أشياء كثيرة محدودة. فعلى كل حال فقد جعل للفظ دلالة على أشياء بأعينها لا يدخل فى تلك الدلالة غيرها . فإن كانت تلك الكثرة تتفق فى معنى واحد فقد دل أيضا على معنى واحد ، وإن لم يكن كذلك فالاسم مشترك ، ويمكن لا محالة أن يفرد لكل واحد من تلك الجملة اسما ؛ فهذا يسلمه من قام مقام المسترشدين المتحيرين . وإذا كان الاسم دليلاً على شىء واحد كالإنسان مثلا فاللا إنسان، أعنى ما هو مباين للإنسان لا يدل عليه ذلك الاسم بوجه من الوجوه. فالذى يدل عليه اسم الإنسان لايكون الذى يدل عليه اسم اللا إنسان، فإن كان الإنسان يدل على اللا إنسان، فيكون لا محالة الإنسان ، والحجر ، والزورق ، والفيل شيئا واحدا ؛ بل يدل على الأبيض ، والأسود ، والثقيل ، والخفيف ، وجميع ما هو خارج مما دل عليه اسم الإنسان. وكذلك حال المفهوم من الألفاظ هذه، فيلزم من هذا أن يكون كل شىء وأن يكون ولا شىء من الأشياء نفسه، وأن لا يكون للكلام مفهوم.

ثم لا يخلو إما أن يكون هذا حكم كل لفظ ، وحكم كل مدلول عليه باللفظ، أو يكون بعض هذه الأشياء بهذه الصفة ، وبعضها بخلافها . فإن كان هذا فى كل شىء فقد عرض أن لا خطاب ولا كلام، بل لا شبهة ولا حجة أيضا . وإن كان فى بعض الأشياء قد تميز الموجبة عن السالبة ، وفى بعضها لا تميز ، فحيث تميز يكون لا محالة ما يدل عليه الإنسان غير ما يدل عليه باللا إنسان ؛ وحيث

(١) فإن : وإن ب || كثيرة : معدودة ط (٢) فقد : قد ب ، د ، ص ، م || بأعينها : بأعيانها د ، ص ، م ؛ بعينها جـ (٤) ويمكن : يكون ط (٦) كالإنسان : كاللاإنسان م || فاللا إنسان : فالإنسان جـ ، د ، ط (٧) للإنسان : للا إنسان د ، ط || فالذى : والذى جـ ، ص ؛ الذى ب ، ط (٨) اللا إنسان : للا إنسان ط (١٠) مما : عما م (١١) الألفاظ : ألفاظ م (١٢) شىء : + كل شىء م || ولا شىء : لا شىء جـ ، د ، ص ، ط (١٦) عن : من ب ، جـ ، د ، ط ، م (١٧) تميز يكون : لا تميز تكون م || باللا إنسان : بالإنسان ط .

لا يتميز مثلا كالأبيض واللا أبيض يكون مدلولها واحدا ، فيكون كل شىء هو لا أبيض فهو أبيض ، وكل شىء هو أبيض فهو لا أبيض ، فالإنسان إذا كان له مفهوم متميز فإن كان أبيض فهو أيضا لا أبيض الذى هو والأبيض واحد ، واللا إنسان كذلك ؛ فيعرض مرة أخرى أن يكون الإنسان واللا إنسان غير متميزين . ٥

فهذا وأمثاله قد يزيح علة المتحير المسترشد فى أن يعرف أن الإيجاب والسلب لا يجتمعان ، ولا يصدقان معا . وكذلك أيضا قد تبين له أنهما لا يرتفعان ولا يكذبان معا ، فإنه إذا كذبا معا فى شئ ، كان ذلك الشئ ليس بانسان مثلا ، وليس أيضا بلا إنسان . فيكون قد اجتمع الشىء الذى هو اللا إنسان وسالبه الذى هو لا لا إنسان ، وقد نبه على بطلانه . فهذه الأشياء ١٠ وما يشبهها مما لا يحتاج أن نطول فيه ، وبحل الشبه المتقابلة من قياسات المتحير يمكننا أن نهديه .

وأما المتعنت فينبغى أن يكلف شروع النار ، إذ النار واللانار واحد ؛ وأن يؤلم ضربا ، إذ الوجع واللاوجع واحد ؛ وأن يمنع الطعام والشراب ، إذ الأكل والشرب وتركهما واحد . ١٥

فهذا المبدأ الذى ذببنا عنه من يكذبه ، هو أول مبادئ البراهين ، وعلى الفيلسوف الأول أن يذب عنه . ومبادئ البراهين تنفع فى البراهين . والبراهين تنفع فى معرفة الأعراض الذاتية لموضوعاتها . لكن معرفة جوهر الموضوعات

---

(١) يكون : فيكون ص (٢) فهو أبيض ، وكل شىء هو أبيض : ساقطة من د || فهو : هو جـ || فالانسان : والانسان ب ، م (٣) له : ساقطة من د || لا أبيض : اللا أبيض ط ، (٧) قد تبين : قد يتبين د ؛ ساقطة من ط (١٠) وسالبه : وسالبته م (١١) وبحل الشبه : وبحل الشبهة جـ ، ص ، ط .

الذى كان فيما سلف يعرف بالحد فقط ، فما يلزم الفيلسوف ههنا أن يحصله ،
فيكون لهذا العلم الواحد أن يتكلم فى الأمرين جميعا .

لكن قد يشكك على هذا أنه إن تكلم فيها ، على سبيل التحديد والتصور ،
فهو ذلك الذى يتكلم فيه صاحب العلم الجزئى ، وإن تكلم فيها فى التصديق صار
٥ الكلام فيها برهانيا

فنقول : إن هذه التى كانت موضوعات فى علوم أخرى تصير عوارض
فى هذا العلم ، لأنها أحوال تعرض للوجود ، وأقسام له ، فيكون ما لا يبرهن
عليه فى علم آخر ، يبرهن عليه ههنا .

وأيضا إذا لم يلتفت إلى علم آخر وقسم موضوع هذا العلم نفسه إلى جوهر
١٠ وعوارض تكون خاصة له ، فيكون ذلك الجوهر الذى هو موضوع العلم ما
أو الجوهر مطلقا ، ليس موضوع هذا العلم ، بل قسما من موضوعه ، فيكون
ذلك بنحو ما عارضاً لطبيعة موضوعه ، الذى هو الموجود ، إن صار ذلك
الجوهر دون شئ آخر لطبيعة الموجود أن تقارنه أو يكون هو . فإن الموجود طبيعة
يصح حملها على كل شىء ، كان ذلك الجوهر أو غيره . فإنه ليس لأنه موجود
١٥ هو جوهر، أو جوهر ما، وموضوع ما ، على ما فهمت، قبل هذا، فيما سلف .

ومع هذا كله فليس البحث عن مبادئ التصور والحد حداً ولا تصوراً ،
ولا البحث عن مبادئ البرهان برهانا ، حتى يصير البحثان المتخالفان بحثا واحدا .

---

(١) الذى كان : التى كانت د ، ص ؛ التى كان جـ ، ط || فيما : فقد ط ؛ ساقطة من ب ، م
(٣) يتشكك : يشكل جـ ، د ، ط ؛ يشكك ص ، م || فيها : فى هذا جـ ، د ، ص ، ط
|| والتصور : والتصوير ص . (٦) التى : إن د ؛ الذى م || أخرى : آخر ط
(٨) يبرهن : يتبرهن م (٩) موضوع : ساقطة من ب ، د ، م (١٢) ذلك : ساقطة
من جـ ، د ، ص ، م (١٣) طبيعة : وطبيعة د (١٤) الجوهر : جوهر ط (١٥) وموضوع :
أو موضوع ص ، م .

المقالة الثانية

وفيها أربعة فصول

---

(١) الثانية : + من الجملة الرابعة من الكتاب م .
(٢) أربعة فصول : ساقطة من جـ ، د ، ص ، ط ، طا .

[الفصل الأول]

(١) فصل

فى تعريف الجوهر وأقسامه بقول كلى

فنقول : إن الوجود للشيء قد يكون بالذات مثل وجود الإنسان إنساناً ، وقد يكون بالعرض مثل وجود زيد أبيض . والأمور التى بالعرض لا تحد . ٥
فلنترك الآن ذلك ولنشتغل بالموجود ، والوجود الذى بالذات .

فأقدم أقسام الموجودات بالذات هو الجوهر ، وذلك لأن الموجود على قسمين : أحدهما ، الموجود فى شيء آخر ، ذلك الشيء الآخر متحصل القوام والنوع فى نفسه ، وجودا لا كوجود جزء منه ، من غير أن تصح مفارقته لذلك الشيء ، وهو الموجود فى موضوع؛ والثانى ، الموجود من غير أن يكون فى شيء ١٠
من الأشياء بهذه الصفة ، فلا يكون فى موضوع ألبتة ، وهو الجوهر .

وإن كان ما أشير إليه فى القسم الأول موجوداً فى موضوع ، فذلك الموضوع لا يخلو أيضا من أحد هذين الوصفين ؛ فإن كان الموضوع جوهرا فقوام العرض فى الجوهر ، وإن لم يكن جوهرا كان أيضا فى موضوع ورجع البحث

(٤) الانسان إنسانا : الأشياء ط (٥) زيد : فهد ب ؛ ساقطة من ط || أبيض : الأبيض د || لاتحد : + ههنا د (٨) الموجود : الوجود جـ ، ص ، ط || ذلك : وذلك جـ ، ص ، ط || الشيء : ساقطة من ط (٩) مفارقته : مفارقة جـ ، ص ، ط (١١) فلا يكون : ولا يكون ط (١٢) وإن : وإذ ب ؛ وإذا جـ ، ص ؛ فإذ م || القسم الأول : القسمة الأولى جـ ، م ؛ الصفة الأولى ط (١٤) العرض فى الجوهر : الجوهر العرض فى م .

إلى الابتداء ، واستحال ذهاب ذلك إلى غير نهاية ، كما سلبين فى مثل هذا المعنى خاصة . فيكون لا محالة آخره فيما ليس فى موضوع ، فيكون فى جوهر ، فيكون الجوهر مقوم العرض موجودا ، وغير متقوم بالعرض ، فيكون الجوهر هو المقدم فى الوجود .

٥ وأما أنه هل يكون عرض فى عرض ، فليس بمستنكر ، فإن السرعة فى الحركة ، والاستقامة فى الخط ، والشكل المسطح فى البسيط ، وأيضا فإن الأعراض تنسب إلى الوحدة والكثرة ، وهذه ، كما سلبين لك ، كلها أعراض . والعرض وإن كان فى عرض فهما جميعاً معا فى موضوع ، والموضوع بالحقيقة هو الذى يقيمهما جميعاً ، وهو قائم بنفسه .

١٠ ثم قد جوّز كثير ممن يدعى المعرفة أن يكون شئ من الأشياء جوهرا وعرضا معا بالقياس إلى شيئين ، فيقول : إن الحرارة عرض فى غير جسم النار ، لكنها فى جملة النار ليست بعرض لأنها موجودة فيه بجزء ، وأيضا ليس يجوز رفعها عن النار ، والنار تبقى ، فإذن وجودها فى النار ليس وجود العرض فيها ، فإذا لم يكن وجودها فيها وجود العرض ، فوجودها فيها وجود الجوهر . وهذا غلط

١٥ كبير ، وقد أشبعنا القول فيه فى أوائل المنطق ، وإن لم يكن ذلك موضعه ، فإنهم إنما غلطوا فيه هناك .

---

(١) نهاية : النهاية د ، ص (٢) آخره : بآخره ب ، جـ ، ص ، ط (٥) يكون عرض فى : يكون فى د || فليس بمستنكر : فليس ذلك بمستنكر جـ ؛ فليس ذلك بمستنكر ص ، م (٨) معا : ساقطة من ب (٩) يقيمهما : يقومها د (١٠) شئ : + واحد ص (١١) فيقول : وقال جـ ، د ، ص ، م (١٢) فيه : فيها جـ ، ص (١٤) العرض : + فيها د ، ط (١٥) وقد : قد جـ ، د ، ص (١٦) غلطوا فيه : غلطوا فيه جـ ، د ، ص ، ط ؛ غلطوا من ط .

فنقول : قد علم ، فيما سلف ، أن بين المحل والموضوع فرقاً ، وأن الموضوع يعنى به ما صار بنفسه ونوعيته قائما ، ثم صار سببا لأن يقوم به شىء فيه ليس بجزء منه . وأن المحل كل شىء يحله شىء فيصير بذلك الشىء بحال ما ، فلا يبعد أن يكون شىء موجودا فى محل ويكون ذلك المحل لم يصر بنفسه نوعا قائما كاملا ٥ بالفعل ، بل إنما تحصل قوامه من ذلك الذى حله وحده ، أو مع شىء آخر ، أو أشياء أخرى اجتمعت ، فصيرت ذلك الشىء موجوداً بالفعل ، أو صيرته نوعا بعينه . وهذا الذى يحل هذا المحل يكون لا محالة موجوداً لا فى موضوع . وذلك لأنه ليس يصلح أن يقال : إنه فى شىء ، إلا فى الجملة ، أو فى المحل ، وهو فى الجملة بجزء ، وكان الموضوع ما يكون فيه الشىء ، وليس بجزء منه ، ١٠ وهو فى المحل ليس كشئ حصل فى شئ ، ذلك الشئ قائم بالفعل نوعا ، ثم يقيم الحال فيه ؛ بل هذا المحل جعلناه إنما يتقوم بالفعل بتقويم ما حله ، وجعلناه إنما يتم له به نوعيته إذا كانت نوعيته إنما تحصل أو تصير له نوعيةً باجتماع أشياء جملتها يكون ذلك النوع . فبين أن بعض ما فى المحل ليس فى موضوع . وأما إثبات هذا الشىء الذى هو فى محل دون موضوع ، فذلك علينا إلى قريب .

١٥ وإذا أثبتناه ، فهو الشىء الذى يخصه فى مثل هذا الموضع باسم الصورة ، وإن كنا قد نقول لغيره أيضا صورةً باشتراك الاسم . وإذا كان الموجود

---

(١) فرقا : فرقانا ص (٢) يعنى : بمعنى د (٣) بحال : كحال ب ؛ محال د ، ط
(٤) محل : المحل ب ، جـ ، ص ، م (٧) بعينه : بنفسه ط (٨) أن : لأن طا
(١١) يتقوم ... إنما : ساقطة من ط || وجعلناه : أو جعلناه ط (١٢) نوعيته إنما : نوعية إنما ط || نوعية : نوعيته ص ؛ نوعيتها هامش ص (١٥) وإذا : فإذا ص || الموضع : الموضوع د .

لا فى موضوع هو المسمى جوهراً ، فالصورة أيضا جوهر . فأما المحل الذى لا يكون فى محل آخر فلا يكون فى موضوع لا محالة، لأن كل موجود فى موضوع فهو موجود فى محل ولا ينعكس . فالمحل الحقيق أيضا جوهر ، وهذا المجتمع أيضا جوهر .

٥ وقد عرفت من الخواص التى لواجب الوجود أن واجب الوجود لا يكون إلا واحداً ، وأن ذا الأجزاء أو المكافى لوجوده لا يكون واجب الوجود ، فمن هذا يعرف أن هذا المركب، وهذه الأجزاء كلها فى أنفسها، ممكنة الوجود، وأن لها لا محالة سببا يوجب وجودها .

فنقول أولا : إن كل جوهر فإما أن يكون جسماً، وإما أن يكون غير جسم، ١٠ فإن كان غير جسم فإما أن يكون جزء جسم ، وإما أن لا يكون جزء جسم ، بل يكون مفارقا للاجسام بالجملة . فإن كان جزء جسم فإما أن يكون صورته، وإما أن يكون مادته . وإن كان مفارقا ليس جزء جسم فإما أن تكون له علاقة تصرف ما فى الأجسام بالتحريك ويسمى نفساً ، أو يكون متبرئا عن المواد من كل جهة ويسمى عقلاً . ونحن نتكلم فى إثبات كل واحد من هذه الأقسام .

---

(١) موضوع : موضع ط (٣) ولا ينعكس : وليس ينعكس ط (٦) لوجوده : الوجودها
(١٠) غير جسم : + بل يكون ط (١١) بالجملة : وبالجملة د (١٢) له : ساقطة من د (١٤) نتكلم : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص ، م .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى تحقيق الجوهر الجسمانى وما يتركب منه

وأول ذلك معرفة الجسم وتحقيق ماهيته .

أما بيان أن الجسم جوهر واحد متصل وليس مؤلفا من أجزاء لا تجزأ ، ٥
فقد فرغنا عنه . وأما تحقيقه وتعريفه فقد جرت العادة بأن يقال : إن الجسم
جوهر طويل عريض عميق ، فيجب أن ينظر فى كيفية ذلك . لكن كل
واحد من ألفاظ الطول والعرض والعمق يفهم منه أشياء مختلفة . فتارة يقال :
طول للخط كيف كان ، وتارة يقال طول لأعظم الخطين المحيطين بالسطح
مقدارا ، وتارة يقال طول لأعظم الأبعاد المختلفة الممتدة المتقاطعة كيف كانت ١٠
خطاً أو غير خط ، وتارة يقال طول للبعد المفروض بين الرأس ومقابله من القدم
أو الذنب من الحيوان . وأما العرض فيقال للسطح نفسه ، ويقال لأنقص
البعدين مقدارا ، ويقال للبعد الواصل بين اليمين واليسار . والعمق أيضا قد
يقال لمثل البعد الواصل بين السطحين ، وقد يقال له مأخوذا ابتداء من فوق ،
حتى إن ابتدأ من أسفل سمى سمكا . فهذه هى الوجوه المشهورة فى هذا . ١٥

وليس يجب أن يكون فى كل جسم خط بالفعل ، فإن الكرة ليس فيها خط
بالفعل ألبتة ولا يتعين فيها المحور مالم تتحرك ؛ وليس من شرط الكرة فى أن

---

(٣) تحقيق : تركيب م || وما يتركب : وما يركب د || منه : عنه ب ، د ، ص ، منها جـ (٦) الجسم : + هو ب (١٠) المختلفة : ساقطة من جـ ، د ، ص ، م || كانت : كان ب ، ص
(١٣) بين : من د (١٤) ابتداء : ابتداؤه م (١٥) فهذه : وهذه ط .

تصير جسما أن تكون متحركة حتى يظهر فيها محور أو خط آخر . فإنها تحقق
جسما بما يحقق الجسمية ، ثم يعرض لها أو يلزمها الحركة . وأيضا الجسم ليس
يجب أن يكون فيه من حيث هو جسم سطح ، فإنه إنما يجب فيه من حيث
يكون متناهيا ، وليس يحتاج فى تحققه جسما وفى معرفتنا إياه جسما إلى أن يكون
٥ متناهيا ، بل التناهى عارض لازم له ، ولذلك لايحتاج إلى تصوره لجسم حين
يتصور الجسم . ومن تصور جسماً غير متناه فلم يتصور جسما لا جسما ، ولا
يتصور عدم التناهى إلا المتصور جسما. لكنه أخطأ كمن قال : إن الجسم آلة ،
فقد أخطأ فى التصديق ولم يخطئ فى تصور بسيطيه وهما الموضوع والمحمول .

ثم إن كان لابد لجسم فى تحققه جسما أن تكون له سطوح ، فقد يكون جسم
١٠ محيط به سطح واحد وهو الكرة. وليس أيضا من شرط الجسم فى أن يكون جسماً
أن تكون له أبعاد متفاضلة، فإن المكعب أيضا جسم مع أنه محاط بحدود ستة،
ومع ذلك ليس فيه أبعاد متفاضلة حتى يكون له طول وعرض وعمق
بأحد المعانى .

ولا أيضا يتعلق كونه جسماً بأن يكون موضوعا تحت السماء ، حتى تعرض
١٥ له الجهات لأجل جهات العالم ، ويكون له طول وعرض وعمق بمعنى آخر ،
وإن كان لابد من أن يكون إما سماء وإما فى سماء .

---

(١) متحركة : متحركا جـ ، د ، ص ، ط ، م || فيها : فيه بـ ، ص ، ط م || فإنها : فإنه سـ ، ط ، م || تحقق : يحقق ط (٢) يحقق : يحقق بـ ، د ، ص ، ط ، طا || الجسمية : جسميته د || لها أو يلزمها : له أو يلزمه سـ ، د ، ط ، م (٤) تحققه : تحقيقه د ، ط ، م (٥) لازم : ساقطة من د || حين : حتى بخ ، هامش ص (٦) لا جسما : لا جسم د || ولا يتصور : ولا تصور م (٧) المتصور : المتصور جـ ، ط ، طا (٩) لابد لجسم : لابد فى الجسم جـ ؛ لابد فى الجسم د ؛ لابد فلجسم م || سطوح : سطح ب ، جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٠) وهو الكرة : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٢) له : + سطح فقد يكون جسم يحيط به سطح واحد وليس أيضا د .

فبين من هذا أنه ليس يجب أن يكون فى الجسم ثلاثة أبعاد بالفعل على الوجوه المفهومة من الأبعاد الثلاثة حتى يكون جسما بالفعل .

فإذا كان الأمر على هذا ، فكيف يمكننا أن نضطر أنفسنا إلى فرض أبعاد ثلاثة بالفعل ، موجودة فى الجسم ، حتى يكون جسما ، بل معنى هذا الرسم للجسم أن الجسم هو الجوهر الذى يمكنك أن تفرض فيه بعدا كيف شئت ٥
ابتداء ، فيكون ذلك المبتدأ هو الطول ، ثم يمكنك أن تفرض أيضا بعدا آخر مقاطعا لذلك البعد على قوائم ، فيكون ذلك البعد الثانى هو العرض ، و يمكنك أن تفرض فيه بعدا ثالثا مقاطعا لهذين البعدين على قوائم تتلاقى الثلاثة على موضع واحد ، ولا يمكنك أن تفرض بعداً عمودياً بهذه الصفة غير هذه الثلاثة .

١٠ وكون الجسم بهذه الصفة هو الذى يشار لأجله إلى الجسم بأنه طويل عريض عميق ، كما يقال : إن الجسم هو المنقسم فى جميع الأبعاد . وليس يعنى أنه منقسم بالفعل مفروغ عنه ، بل على أنه من شأنه أن يفرض فيه هذا القسم .

فهكذا يجب أن يعرّف الجسم ، وهو أنه الجوهر الذى كذا صورته ، وهو بها هو ما هو ، ثم سائر الأبعاد المفروضة فيه بين نهاياته ونهاياته أيضا وأشكاله ١٥
وأوضاعه أمور ليست مقومة له ، بل هى تابعة لجوهره . وربما لزم بعض الأجسام شىء منها أو كلها ، وربما لم يلزم بعض الأجسام شىء منها أو بعضها .

(١) فبين : فتبين ص (٢) جسما : جسما ط (٦) ثم يمكنك : و يمكنك جـ ، م || آخر مقاطعا : لآخر متقاطعا جـ (٧) ذلك البعد الثانى : ذلك الثانى ص ، م (٨) البعدين : ساقطة من م (٩ — ١٠) غير ... الصفة : ساقطة من ب (١١) يعنى : + به ، ب ، د ، ص ، ط (١٢) منقسم : ينقسم ب و جـ ، د ، ص ، ط (١٤) هو ما : هو هو ما م (١٥) أمور : ساقطة من د ، ط || ليست : ساقطة من جـ || مقومة : بمقومة ط .

ولو أنك أخذت شمعة فشكلتها بشكل افترض لها أبعاد بالفعل بين تلك النهايات معدودة مقدرة محدودة ، ثم إذا غيرت ذلك الشكل لم يبق شىء منها بالفعل واحداً بالشخص بذلك الحد وبذلك القدر ، بل حدثت أبعاد أخرى مخالفة لتلك بالعدد ، فهذه الأبعاد هى التى من باب الكم .

٥ فإن اتفق أن كان جسما ، كالفلك مثلا ، تلزمه أبعاد واحدة ، فليس ذلك له بما هو جسم ، بل لطبيعة أخرى حافظة لكمالاته الثانية . فالجسمية بالحقيقة صورة الاتصال القابل لما قلناه من فرض الأبعاد الثلاثة . وهذا المعنى غير المقدار وغير الجسمية التعليمية . فإن هذا الجسم من حيث له هذه الصورة لا يخالف جسما آخر بأنه أكبر أو أصغر ، ولا يناسبه بأنه مساوٍ أو معدود به ١٠ وعادّ له أو مشارك أو مباين ، وإنما ذلك له من حيث هو مقدّر ومن حيث جزء منه يعده. وهذا الاعتبار له غير اعتبار الجسمية التى ذكرناه. وهذه أشياء قد شرحناها لك بوجه أبسط فى موضع آخر يحتاج أن تستعين به .

ولهذا ما يكون الجسم الواحد يتخلخل ويتكاثف بالتسخين والتبريد، فيختلف مقدار جسميته . وجسميته التى ذكرناها لا تختلف ولا تتغير ، فالجسم الطبيعى ١٥ جوهر بهذه الصفة .

وأما قولنا : الجسم التعليمى . فإما أن يقصد به صورة هذا من حيث هو محدد ، مقدّر، مأخوذ فى النفس ، ليس فى الوجود ، أو يقصد به مقدار ما ذو اتصال أيضا بهذه الصفة من حيث له اتصال محدود مقدّر كان فى نقش

---

(١) فشكلتها : فتشكلها د (٢) شىء : ساقطة من م (٧) قلناه : قلنا م || وهذا : وعلى هذا م (١٠) وإنما : فإنما ط (١١) وهذا : وهذه د || ذكرناه : ذكرناه ب، جـ، د، م (١٢) شرحناها : شرحنا ب ، د، ط || آخر : ساقطة من ب (١٣) يتخلخل : يتحلل م (١٧) محدد : محدود بخ جـ ، د ، ص ، طا || مأخوذ : مأخوذة د، ط، م (١٨) أيضا : ساقطة من م || مقدر: ساقطة من جـ، د ، ص ، م || نقش : النقش د .

أو فى مادة . فالجسم التعليمى كأنه عارض فى ذاته لهــذا الجسم الذى بيناه ، والسطح نهايته ، والخط نهاية نهايته . وسنوضح القول فيا بعد فيهـا ، وننظر فى أن الاتصال كيف يكون لها وكيف يكون للجسم الطبيعى .

فنقول أولا : إن من طباع الأجسام أن تنقسم ولا يكفى فى إثبات ذلك المشاهدات ، فإن لقائل أن يقول : إن الأجسام المشاهدة ليس شىء منها هو ٥ جسم واحد صرفا ، بل هى مؤلفة من أجسام ، وإن الأجسام الوحدانية غير محسوسة ، وأنها لا يمكن أن تنقسم بوجه من الوجوه .

وقد تكلمنا على إبطال هذا بالبيانات الطبيعية ،وخصوصا على أسهل المذاهب نقضاً ، وهو مذهب من خالف بينها بالأشكال . فإن قال قائل : إن طبائعها وإن أشكالها متشاكلة . فحينئذ يجب أن يبطل مذهبه ورأيه بما أقول . ١٠

فنقول : إن جعل أصغر الأجسام لا قسمة فيه لا بالقوة ولا بالفعل حتى كان كالنقطة جملة ، فإن ذلك الجسم يكون لا محالة حكمه حكم النقطة فى امتناع تأليف الجسم المحسوس عنه ، وإن لم يكن كذلك ، بل كان فى ذاته بحيث يمكن أن يفرد منه قسم عن قسم . لكنه ليس يطيع الفصــل المفرق بين القسمين اللذين يمكن فرضهما فيه توهما . ١٥

فنقول : لا يخلو إما أن يكون حال ما بين القسم والقسم مخالفة لحال ما بين الجزء والجزء فى أن الجزءين لا يلتحمان وأن القسمين لا يفترقان ، أمرا لطبيعة

(٢) فيا : فيما م || فيها : ساقطة من ب ، جـ ، د ، م (٦) وإن : فإن د (٧) تنقسم : تقسم ب ، حـ ، ط ، م (٨) هذا بالبيانات : هذه البيانات ب (١١) لا قسمة : لا يتجه ط || كان : أنه ب ، جـ ، ص ، م ؛ كأنه أنه د (١٢) تأليف الجسم : تأليف جسم د (١٣) منه : منه بخ || كذلك : لذلك م . (١٦) يكون : + كون م || والقسم : + الى بخ ؛ + التى هى جـ (١٧) لا يلتحمان : لا يلتئمان د ؛ لا يجتمعان ص .

الشىء وجوهره ، أو بسبب من خارج عن الطبيعة والجوهر . فإن كان سببا من خارج عن الطبيعة والجوهر فإما أن يكون سبباً يتقوم به الطبيعة والجوهر بالفعل كالصورة للمادة والمحل للعرض ، أو سبباً لا يتقوم به . فإن كان سببا لايتقوم به لجائز من حيث الطبيعة والجوهر أن يكون بينهما التئام عن افتراق وافتراق عن التئام ، فتكون هذه الطبيعة الجسمية باعتبار نفسها قابلة للانقسام وإنما لاتنقسم بسبب من خارج . وهذا القدر يكفينا فيما نحن بسبيله . وأما إن كان ذلك السبب يتقوم به كل واحد من الأجزاء إما تقوماً داخلا فى طبيعته وماهيته ، أو تقوما فى وجوده بالفعل غير داخل فى ماهيته مختلفاً فيه فيعرض أول ذلك أن هذه الأجسام مختلفة الجواهر . وهؤلاء لا يقولون به . وثانيا أن طبيعة الجسمية التى لها لايكون مستحيلاً عليها ذلك وإنما يستحيل ذلك عليها من حيث صورة تنوعها ، ونحن لانمنع ذلك ، ويجوز أن يقارن الجسمية شىء يجعل ذلك الجسم قائما نوعاً لا يقبل القسمة ولا الاتصال بغيره، وهذا قولنا فى الفلك . والذى يحتاج إليه ههنا هو أن تكون طبيعة الجسمية لاتمنع ذلك بما هى طبيعة الجسمية .

فنقول أولا : قد تحققنا أن الجسمية من حيث هى جسمية ليست غير قابلة للانقسام ، ففى كل طباع الجسمية أن تقبل الانقسام . فيظهر من هذا أن صورة الجسم والأبعاد قائمة فى شىء . وذلك أن هذه الأبعاد هى الاتصالات أنفسها أو شىء يعرض للاتصال ، على ما سنحققها ، وليست أشياء يعرض لها

---

(١) بسبب : لسبب ص ، م (٦) لاتنقسم : لم تنقسم جـ ، د ، ص ، ط (٧) تقوما : مقوما طا
(٨) مختلفا : ويختلف ب ، د ، ص ، طا ، م ؛ فيختلف جـ (١٠) ذلك : قبول
الانقسام د ، ص (١٦) كل : ساقطة من م (١٨) ما سنحققها وليست : ما سنحقق
ليست ب ، جـ ، د ، ص ، م .

الاتصال . فان لفظ الأبعاد إسم لنفس الكميات المتصلة لا للأشياء التى عرض لها الاتصال . والشىء الذى هو الاتصال نفسه أو المتصل بذاته فستحيل أن يبقى هو بعينه ، وقد بطل الاتصال . فكل اتصال بُعْدٌ إذا انفصل بطل ذلك البعد وحصل بعدان آخران . وكذلك إذا حصل اتصال ، أعنى الاتصال بالمعنى الذى هو فصل لا عرض ، وقد بينا هـذا فى موضع آخر . فقد حدث بعد آخر وبطل كل واحد مما كان بخاصيته . ففى الأجسام إذن شىء موضوع للاتصال والانفصال ، ولما يعرض للاتصال من المقادير المحدودة .

وأيضا فإن الجسم من حيث هو جسم له صورة الجسمية ، فهو شىء بالفعل؛ ومن حيث هو مستعد أى استعداد شئت فهو بالقوة ؛ ولا يكون الشىء من حيث هو بالقوة شيئا هو من حيث هو بالفعل شيئا آخر ، فتكون القوة للجسم لا من حيث له الفعل . فصورة الجسم تقارن شيئا آخر غيرا له فى أنه صورة ، فيكون الجسم جوهراً مركباً من شىء عنه له القوة ، ومن شىء عنه له الفعل . فالذى له به الفعل هو صورته ، والذى عنه بالقوة هو مادته ، وهو الهيولى .

ولسائل أن يسأل ويقول : فالهيولى أيضا مركبة ، وذلك لأنها فى نفسها هيولى وجوهر بالفعل ، وهى مستعدة أيضا .

فنقول : إن جوهر الهيولى وكونها بالفعل هيولى ليس شيئا آخر إلا أنه جوهر مستعد لكذا ، والجوهرية التى لها ليس تجعلها بالفعل شيئا من الأشياء ،

---

(٢) فستحيل : فيستحيل د (٣) فكل : وكل د ، ص ، ط (٦) مما : فيام
(٧) ولما : ولا جـ || المقادير : + المدودة د (٨) فهو : وهو جـ (١١) له : لها جـ ، د (١٣) به الفعل : بالفعل ص ، ط || عنه : له طا || بالقوة : القوة ب ، جـ ، د ، ط ، م || هو مادته : هى مادته جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٤) ويقول : فيقول ب ، جـ ، ص ، ط (١٧) من : فى ط || من الأشياء : ساقطة من م .

بل تُعِدُّها لأن تكون بالفعل شيئا بالصورة . وليس معنى جوهريتها إلا أنها أمر ليس فى موضوع . فالإثبات ههنا هو أنه أمر ، وأما أنه ليس فى موضوع فهو سلب ، " وأنه أمر " ليس يلزم منه أن يكون شيئا معينا بالفعل لأن هذا عام ، ولا يصير الشىء بالفعل شيئا بالأمر العام ما لم يكن له فصل يخصه ، ٥ وفصله أنه مستعد لكل شىء ، فصورته التى تظن له هى أنه مستعد قابل .

فاذن ليس ههنا حقيقة للهيولى تكون بها بالفعل ، وحقيقة أخرى بالقوة ، إلا أن يطرأ عليه حقيقة من خارج ، فيصير بذلك بالفعل وتكون ، فى نفسها واعتبار وجود ذاتها ، بالقوة . وهذه الحقيقة هى الصورة . ونسبة الهيولى إلى هذين المعنيين أشبه بنسبة البسيط إلى ما هو جنس وفصل من نسبة المركب ١٠ إلى ما هو هيولى وصورة .

فقد بان من هذا أن صورة الجسمية من حيث هى صورة الجسمية محتاجة إلى مادة ، ولأن طبيعة الصورة الجسمية فى نفسها من حيث هى صورة جسمية لا تختلف . فإنها طبيعية واحدة بسيطة ، ليس يجوز أن تتنوع بفصول تدخل عليها بما هى جسمية ، فإن دخلتها فصول تكون أمورا تنضاف اليها من خارج ، ١٥ وتكون أيضا إحدى الصور المقارنة للمادة ، ولا يكون حكمها معها حكم الفصول الحقيقية .

وبيان هذا هو أن الجسمية إذا خالفت جسمية الأخرى فيكون لأجل أن هذه حارة وتلك باردة ، أو هذه لها طبيعة فلكية وتلك لها طبيعة أرضية . وليس

---

(٢) موضوع : موضع ط ؛ + بالقوة جـ ، ص ؛ + بأن ط (٣) فهو : وهو جـ || أن يكون ساقطة من د ، ط || معينا : متعينا ط (٤) ما : وما ط (٦) بالقوة : القوة ط ، م (١١) صورة الجسمية : هذه الصورة الجسمية م || هى : هو د ، ط (١٢) الصورة : صورة جـ ، د ، ص ، م || من حيث هى : أى د (١٤) أمورا : + لها د || تنضاف : تضاف ص ، ط (١٥) إحدى : أحد ط || ولا يكون : فلا يكون ب ، ص (١٨) وتلك لها : وتلك الأخرى لها جـ ، د ، ص ، م .

هذا كالمقدار الذى ليس هو فى نفسه شيئا محصلا مالم يتنوع بأن يكون خطا أو سطحا
أوجسما، وكالعدد الذى ليس هو شيئا محصلا ما لم يتنوع اثنين أو ثلاثة أو أربعة .
ثم إذا تحصل لا يكون تحصله بأن ينضاف اليه شىء من خارج ، وتكون الطبيعة
الجنسية كالمقدارية أو العددية دونها طبيعة قائمة مشار إليها تنضاف إليها طبيعة
أخرى فتتنوع بها ؛ بل تكون طبيعة الاثنينية نفسها هى العددية التى تحمل على ٥
الاثنينية وتختص بها ، والطولية نفسها هى المقدارية التى تحمل عليها وتختص بها .

وأما ههنا فلا يكون كذلك ، بل الجسمية إذا أضيف اليها صورة أخرى
لا تكون تلك الصورة التى تظن فصلا والجسمية باجتماعها جسمية ، بل تكون
الجسمية أحدهما متحصلة فى نفسها متحققة . فإنا نعنى ههنا بالجسمية التى
كالصورة لا التى كالجنس ، وقد عرفت الفرق بينهما فى كتاب البرهان ، وسيأتيك ١٠
ههنا إيضاح وبيان لذلك .

على أنك قد تحققت فيما تبين لك الفرق بينهما ، فما كان كالمقدار يجوز أن
تكون أنواعه تختلف بأمور لها فى ذاتها ؛ والمقدار المطلق لا يكون له فى ذاته
شىء منها ، وذلك لأن المقدار المطلق لا تحصل له ذات متقررة إلا أن تكون
خطا أو سطحا ، فإذا تحصل خطا أو سطحا جاز أن يكون للخط لذاته ، مخالفة ١٥
للسطح بفصل هو محصل لطبيعة المقدارية ، خطا أو سطحا .

---

(٢) جسما : جسمانيا م (٣) لايكون : يكون ط ، م || تحصله : محصله ط || الطبيعة : لطبيعة م (٤) الجنسية... دونها : الجنسية دونها كالمقدارية أو العددية ب (٥) الاثنينية : + فى د (٧) وأما : فأما م (٩) التى : الذى ب ، ط ، طا ، م (١٠) كالصورة : كالمادة ب ، جـ ، طا || لا التى : لا الذى ب ، ص ، ط ، طا ، م (١١) لذلك : لهذا جـ ، ص (١٢) فيما : مما م (١٥) للخط : الخط م (١٦) بفصل : لفصل م .

وأما الجسمية التى نتكلم فيها فهى فى نفسها طبيعة محصلة، ليس تحصل نوعيتها بشىء ينضم إليها، حتى لو توهمنا أنه لم ينضم إلى الجسمية معنى، بل كانت جسمية لم يمكن أن يكون متحصلا فى أنفسنا إلا مادة واتصال فقط . وكذا إذا آبتنامع الاتصال شيئا آخر فليس لأن الاتصال نفسه لا يتحصل لنا إلا بإضافته إليه وقرنه به،
٥ بل بحجج أخرى تبين أن الاتصال لا يوجد بالفعل وحده . فليس أن لا يوجد الشىء بالفعل موجودا هو أن لا تتحصل طبيعته ، فإن البياض والسواد كل شىء منهما متحصل الطبيعة معنًى متخصصاً ، أتم تخصيصه الذى هو فى ذاته ؛ ثم لا يجوز أن يوجد بالفعل إلا فى مادة .

وأما المقدار مطلقا فيستحيل أن يحصل طبيعة مشارا إليها إلا أن يحصل
١٠ بالضرورة خطاً أو سطحاً ، حتى يصير جائزا أن يوجد ، لا أن المقدار يجوز أن يوجد مقدارا ، ثم يتبعه أن يكون خطا أو سطحا على سبيل أن ذلك شىء لا يوجد الأمر دونه بالفعل . وإن كان متحصل الذات ، فإن هذا ليس كذلك ، بل الجسمية تتصور أنها وجدت بالأسباب التى لها أن توجد بها وفيها وهى جسمية فقط بلا زيادة ، والمقدار لا يتصور أنه وجد بالأسباب التى له أن
١٥ يوجد بها وفيها وهو مقدار فقط بلا زيادة . فذلك المقدار لذاته يحتاج إلى فصول حتى يوجد شيئا متحصلا ، وتلك الفصول ذاتيات له لا تحوجه إلى أن

---

(١) تحصل : تحصلها د (٢) حتى : + يكون ب (٣) متحصلا : متحصلة د || أنفسنا : أنفسها جـ ، ص ، ط || واتصال : واتصال جـ ، د ، ص ، ط || وكذا : وكذلك جـ ، د ، ص ، م (٤) بإضافته : بالإضافة د (٥) فليس : وليس د (٧) الطبيعة : الطبيعة ط || تخصيصه : تخصصه جـ (١٢) الأمر : الا من جـ ، ص ، ط || بالفعل : الفعل د ، ط || كذلك : كذا جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٤) وجد : وجدت ب ، د || له : لها ب ، جـ ، د (١٥) وهو مقدار : وهى جسمية ب ، د || فذلك المقدار : والمقدار د ؛ فكذلك المقدار م || يحتاج : محتاج ط (١٦) لا تحوجه : لا تخرجه ط ؛ تخرجه م .

يصير لحصولها غير المقدار . فيجوز أن يكون مقدارا يخالف مقدارا فى أمر له بالذات .

وأما صورة الجسمية من حيث هى جسمية فهى طبيعة واحدة بسيطة محصلة لا اختلاف فيها ، ولا تخالف مجرد صورة جسمية لمجرد صورة جسمية بفصل داخل فى الجسمية ، وما يلحقها إنما يلحقها على أنها شىء خارج عن طبيعتها . ٥
فلا يجوز إذن أن تكون جسمية محتاجة إلى مادة، وجسمية غير محتاجة إلى مادة .
واللواحق الخارجية لا تغنيها عن الحاجة إلى المادة بوجه من الوجوه ، لأن الحاجة إلى المادة إنما تكون للجسمية ولكل ذى مادة لأجل ذاته ، وللجسمية من حيث هى جسمية لا من حيث هى جسمية مع لاحق .

فقد بان أن الأجسام مؤلفة من مادة وصورة . ١٠

(١) لحصولها : بحصولها م || مقدارا يخالف مقدارا : المقدار يخالف المقدار د ، ط .
(٢) الخارجية : الخارجة جـ ، ص ، م .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

فى أن المادة الجسمانية لا تتعرى عن الصورة

ونقول الآن إن هذه المادة الجسمانية يستحيل أن توجد بالفعل متعرية عن
٥ الصورة . ومما يوضح ذلك بسرعة أنا بينا أن كل وجود يوجد فيه شىء بالفعل
محصل قائم ، وأيضا استعداد لقبول شىء آخر ، فذلك الوجود مركب من مادة
وصورة ، والمادة الأخيرة غير مركبة من مادة وصورة .

وأيضا إنها إن فارقت الصورة الجسمية فلا يخلو إما أن يكون لها وضع وحيز
فى الوجود الذى لها حينئذ، أو لا يكون ، فإن كان لها وضع وحيز وكان يمكن أن
١٠ تنقسم فهى لا محالة ذات مقدار وقد فرض لا مقدار لها ، وإن لم يمكن أن
تنقسم ولها وضع فهى لا محالة نقطة ويمكن أن ينتهى إليها خط ، ولا يجوز
أن تكون مفردة الذات منحازة ، على ما علمت فى مواضع .

وأما إن كان هذا الجوهر لا وضع له ولا إليه إشارة ، بل هو كالجواهر
المعقولة ، لم يخل إما أن يحل فيه البُعْد المحصل بأسره دفعة ، أو يتحرك هو إلى
١٥ كمال مقداره تحركا على الاتصال . فإن حل فيه المقدار دفعة وحصل لا محالة مع
تقدره فى حيز مخصوص فيكون قد صادفه المقدار مختصا بحيّز ، وإلا لم يكن

---

(٥) كل : لكل جـ ، ط || وجود : موجود هامش ص (٧) الأخيرة : الاخرة م
(٨) إما : ساقطة من م (٩) وكان : فكان ب (١٠) يمكن : يمكن د
(١٥) كمال مقداره : كمال مقدار ط ؛ مقداره د || تحركا : محركا ب ؛ متحركا ط (١٦) تقدره : مقدره ب ، بخ ؛ + إما د .

حيز أولى به من حيز ، فقد صادفه المقدار حيث انضاف إليه ، فيكون لا محالة قد صادفه وهو فى الحيز الذى هو فيه ، فيكون ذلك الجوهر متحيزا ، إلا أنه عساه أن لا يكون محسوسا ، وقد فرض غير متحيز ألبتة ، هذا خلف .
ولا يجوز أن يكون التحيز قد حصل له دفعة من قبول المقدار ، لأن المقدار إن وافاه وليس هو فى حيز كان المقدار يقترن به لا فى حيز، ولم يكن يوافيه فى حيز مخصوص من الأحياز المختلفة المحتملة له ، فيكون حينئذ لا حيز له ، وهذا محال؛ أو يكون فى كل حيز يمكن أن يكون له لا يخصص ببعضه ، وهذا أيضا محال . ٥

وهذا يظهر ظهوراً أكثر فى توهمنا هيولى مدرة ما قد تجردت ثم حصل فيها صورة تلك المدرة ، فلا يجوز أن تحصل فيها وليست فى حيز ، ولا يجوز أن تكون تلك المدرة تحصل فى كل حيز هو بالقوة حيز طبيعى للدرة ، فإن المدرية لا تجعلها شاغلة لكل حيز لنوعها ، ولا تجعلها أولى بجهة من حيزها دون جهة، ولا يجوز أن توجد إلا فى جهة مخصوصة من جملة كلية الحيز ، ولا يجوز أن تحصل فى جهة مخصوصة ، ولا مخصص له بها من الأحوال . إذ ليس إلا اقتران صورة بمادة، وذلك مشترك الاحتمال للحصول فى أى جهة كانت من الجهات الطبيعية لأجزاء الأرض . وقد علمت أن مثل هذا الحصول فى جهة من الحيز إنما يكون فيما يكون بسبب وقوعه بالقرب منه بقسر قاسر خصص ذلك القرب باتجاهه ١٠ ١٥

---

(١) حيز أولى : حيزا أولى م || المقدار : + من د (٣) عساه : عسى جـ ، ط ، م
(٤) التحيز : المتميز ط (٧) لا يخصص : لا يخصص ص || أيضا : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م (٨) وهذا : وبهذا ص || ظهورا : ظهور ط (٩) فلا يجوز : ولا يجوز بخ
(١٠) تلك : ساقطة من جـ ، د ، م || للدرة فإن : ساقطة من د || المدرية : للدرية د (١١) لا تجعلها لا تجعله م || شاغلة : شاغلا ب ، جـ ، د ، ط ، م || لنوعها : لنوعه ب ، جـ ، د ، م ؛ نوعها ط || ولا تجعلها : ولا تجعله ب ، د ، ص ، ط ، م || حيزها : حيزه ب ، جـ ، م (١٣) تحصل : تحصل ص ، م (١٤) مشترك : مشتركة جـ (١٤) كانت : كان جـ ، ص ، م (١٦) وقوعه بالقرب : وقوعها بقرب بخ || القرب باتجاهه : القاسر بقرب اتجاهه د || باتجاهه : اتجاهه جـ ، ص ، م .

إلى ذلك المكان بعينه بالحركة المستقيمة أو حدوثه فى الابتداء هناك . وبذلك القرب أو وقوعه فيه بنقل ناقل لذلك تخصص، وقد أشبع لك الكلام فى هذا.

فالهيولى التى للدرة لا تختص بعد التجريد ، ثم ليس صورة المدرية بجهة إلا أن يكون لها مناسبة مع تلك الجهة لتلك المناسبة لا لنفس كونها هيولى أولا ؛ ولا لنفس اكتسابها بالصورة ثانيا تخصصت بها ؛ وتلك المناسبة وضع ما . ٥

وكذلك إن كان قبوله المقدار بكماله لا دفعة ، بل على انبساط ، وعلى أن كل ما من شأنه أن ينبسط ، فله جهات ، وكل ما له جهات فهو ذو وضع فيكون ذلك الجوهر ذا وضع وحيز ، وقيل لا وضع له ولا حيز ، وهذا خلف .

والذى أوجب هـذا كله فرضُنا أنه يفارق الصورة الجسمية ، فيمتنع ان يوجد بالفعل إلا متقوما بالصورة الجسمية ، وكيف تكون ذاتٌ لا حيز لها ١٠ فى القوة ولا فى الفعل تقبل الكم ؟

فتبين أن المادة لا تبقى مفارقة .

وأيضاً فإنها لا تخلو إما أن يكون وجودها وجودَ قابلٍ ، فيكون دائما قابلا لشىء لا يعرى عن قبوله لها ، وإما أن يكون لها وجود خاص متقوم ، ثم يلحق به أنه يقبل فيكون بوجودها الخاص المتقوم غير ذى كم وغير ذى حيز ، ١٥

---

(١) وبذلك : أو بذلك د (٣) للدرة : فى المدرة طا || لا تختص : لا تخصص طا || التجريد : التحريك م (٥) ولا لنفس : ولنفس م || ثانيا : ثانية د (٦) انبساط : انبساطه ط || وعلى : على جـ (٨) فيكون : و يكون ص (٩) فيمتنع : فمتنع م (١٠) وكيف : فكيف د || لا حيز : لا جزء ط ؛ ولا جزء م (١١) فى القوة : بالقوة طا ، م || فى الفعل : بالفعل د ، طا ، م (١٣) وجود : ساقطة من ب || قابلا : قابلة ص (١٤) قبوله لها : مقبول غ ، د ، م ؛ مقبول له جـ ؛ مقبول لها ص (١٥) الخاص : الخاصة د || ذى : ذات جـ || كم : + وقد قام غير ذى كم د ، ط ؛ وقد قام كان غير ذى كم || حيز : + وقد قام غير ذى كم وغير ذات حيز جـ ؛ + وقد قام غير ذى كم وغير ذى حيز ص .

فيكون المقدار الجسمانى هو الذى عرض له وصير ذاته بحيث له بالقوة أجزاء
بعد ما آن لذاته أن تقوّم جوهرا فى نفسه غير ذى حيز ولا كمية ولا قبول قسمة .

فإن كان وجوده الخاص الذى يتقوم به لا يبقى عند التكثر أصلا ، فيكون
ما هو متقوم بأنه لا حيز له ، ولا ينقسم بالوهم ، والعرض يعرض له أن يبطل
عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه ، وإن كانت تلك الوحدانية لا لما ٥
تقوّم به الهيولى ، بل لأمر آخر . ويكون ما فرضناه وجوداً خاصا له ليس
وجودا خاصا به يتقوم ، فيكون حينئذ للمادة صورة عارضة بها تكون واحدة
بالقوة والفعل ، وصورة أخرى عارضة بها تكون غير واحدة بالقوة والفعل .
فيكون بين الأمرين شىء مشترك ، هو القابل للأمرين ، من شأنه أن يصير
مرة وليس فى قوته أن ينقسم ومرة أخرى وفى قوته أن ينقسم أعنى القوة ١٠
القريبة التى لا واسطة لها .

فلنفرض الآن هــذا الجوهر وقد صار بالفعل اثنين ، وكل واحد منهما
بالمدد غير الآخر ، وحكمه أنه يفارق الصورة الجسمانية ، فليفارق كل واحد
منهما الصورة الجسمانية ، فيبقى كل واحد منهما جوهرا واحدا بالقوة والفعل .
ولنفرضه بعينه لم ينقسم إلا أنه أزيل عنه الصورة الجسمانية حتى يبقى جوهرا ١٥
واحدا بالقوة والفعل ، فلا يخلو إما أن يكون بعينه هذا الذى بقى جوهرا وهو
غير جسم ، هو بعينه مثل الذى هو بجزئه الذى بقى كذلك مجرداً أو يخالفه ؛

---

(١) عرض له : عرض ب ، ص ، ط ؛ + وإن د (٢) آن : + له ط || لذاته : بذاته
ص ، ط ؛ لذا د (٣) فان : وإن ب || وجوده : وجود جـ ، د ، ط || به : ساقطة من د
(٤) حيز : جوهر ب ، جـ ، د ، ص ، ط || والعرض : والفرض ص (٧) به يتقوم : يقوم به ط
(٨ — ٩) بالقوة والفعل فيكون : بالقوة فيكون ب ، د ، ص ، ط ، م (١٢) وقد : قد جـ ،
د ، ص ، ط ، م (١٣) فليفارق : + فى ب ، ط (١٥) ينقسم : يقسم م || يبقى : بقى م
(١٦) بعينه : ساقطة من د ، ص ، م (١٧) بجزئه : جزؤه ب ، ط ؛ جزء هامش ص .

فإن خالفه فلا يخلو إما أن يكون لأن هذا بقي وذلك عُدم، أو بالعكس، أو يكون كلاهما قد بقيا — ولكن تختص بهذا كيفية أو صورة لا توجد إلا لذلك — أو يختلفان بالتفاوت بعد الاتفاق في المقدار أو الكيفية أو غير ذلك .

فإن بقي أحدهما وعدم الآخر، والطبيعة واحدة ، متشابهة، وإنما أعدَم أحدَهما رفعُ الصورة الجسمانية فيجب أن يعدمَ الآخر ذلك بعينه .

٥

وإن اختص بهذا كيفية ، والطبيعة واحدة ولم تحدث حالة إلا مفارقة الصورة الجسمانية ، ولم يحدث مع هذه الحالة إلا ما يلزم هذه الحالة ، فيجب أن يكون حال الآخر كذلك .

فإن قيل : إن الأولين وهما اثنان متحدان فيصيران واحدا ؛ فنقول : ومحال أن يتحد جوهران، لأنهما إن اتحدا وكل واحد منهما موجود فهما اثنان لا واحد، وإن اتحدا وأحدهما معدوم والآخر موجود فالمعدوم كيف يتحد بالموجود؟ وإن عدما جميعا بالاتحاد وحدث شيء ثالث منهما فهما غير متحدين بل فاسدين ، وبينهما وبين الثالث مادة مشتركة، وكلامنا في نفس المادة لا في شيء ذي مادة.

١٠

وأما إن اختلفا بالتفاوت في المقدار أو غير ذلك ، فيجب أن يكونا وليس لها صورة جسمانية ولها صورة مقدارية ، وهذا خلف .

١٥

وأما أن لا يختلفا بوجه من الوجوه ، فيكون حينئذ حكم الشيء لو لم ينفصل عنه ما هو غيره ، هو حكمه بعينه وقد انفصل عنه غيره ، وحكمه مع غيره وحكمه

(١) وذلك : وذاك م (٢) لا توجد إلا : لا توجد ب ؛ لا توجدان جـ ، ص (٦) ولم تحدث : ساقطة من د (٩) متحدان : يتحدان ص || ومحال : ومن المحال ب ، جـ ؛ والمحال م (١٠) لأنهما إن اتحدا : لأنهما اتحدا م (١١) فالمعدوم : فالعدم م (١٢) فاسدين وبينهما : فاسدان بينهما م (١٣) مشتركة : ومشتركة د (١٤) إن اختلفا : يختلفا د || المقدار : القدر جـ ، د ، م || أو غير ذلك : ساقطة من ب ، جـ ، م (١٥) صورة جسمانية ولها : ساقطة من جـ ، د || ولها : لها ص ، ط ، م (١٦) وأما أن لا : وأما إن لم جـ ، ص ؛ وإن لم د ؛ وأما أن م (١٧) ما هو غيره : + وحكمه وحده بما غ || هو حكمه : هو جـ ، م ؛ ساقطة من د || بعينه : + حكمه جـ ؛ + حكم د || عنه غيره : منه غيره ص ، ط .

وحده ومن كل جهة حكما واحدا ، هذا خلف . أعنى أن يكون حكم بعض الموضوع وحكم كله واحداً من كل جهة ، أعنى أن يكون لو كان الشىء لن ينقص بأن يؤخذ منه شىء كما إذا أخذ منه شىء ، وحكمه ولم يضف إليه شىء حكمه وقد أضيف إليه شىء .

وبالجملة كل شىء يجوز فى وقت من الأوقات أن يصير اثنين ، ففى طباع ذاته استعداد للانقسام لايجوز أن يفارقه ، وربما يمتنع عنه بعارض غير استعداد الذات ، وذلك الاستعداد محال إلا بمقارنة المقدار للذات .

فبق أن المادة لا تتعرى عن الصورة الجسمية . ولأن هذا الجوهر إنما صار كمًّا بمقدارٍ حلّه ، فليس بكم بذاته ، فليس يجب أن تختص ذاته بقبول قطر بعينه دون قطر وقدر دون قدر ، وإن كانت الصورة الجسمية واحدة ونسبة ما هو غير متجزئ ولا متكمّ فى ذاته ، بل إنما يتجزأ ويتكم بغيره إلى أى مقدار يجوز وجوده نسبة واحدة ، وإلا فله مقـــدار فى ذاته يطابق ما يساويه دون ما يفضل عليه .

فبين من هذا أنه يمكن أن تصغر المادة بالتكاثف وتكبر بالتخلخل ، وهــذا محسوس بل يجب أن يكون تعين المقدار عليها بسبب يقتضى فى الوجود ذلك

(٢) الموضوع : الموجود د || أن : ساقطة من م (٣) كما : + هو ط (٥) اثنين : اثنين ص (٦) وربما : ربما م || يمتنع : يمتنع ص || بعارض : العارض د ، ط || غير : عن م (٧) الذات : للذات ب ، جـ ؛ ساقطة من م ؛ + وغير د ، ط || للذات : الذات ب ، د ، ط ، م ؛ ساقطة من جـ (٨) الجسمية : الجسمانية ب (٩) بذاته : ذاته ط (١٠) الجسمية : الجسمانية د ، ص (١٠ — ١١) ما هو غير : غير ما هو ب ، جـ ، د ، ط ، م (١١) متجزئ : متحيز ب ، جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٢) نسبة : نسبته ط ، م (١٣) عليه : + وهو للكل والجزء واحد لا بد مع أن يكون منه يطابق جزءا من المقدار وليس له فى ذاته جزء د ؛ + جزء جـ . (١٥) تعين : تقدير ب || عليها : عليه جـ .

المقـــدار . وذلك لسبب لا يخلوا إما أن يكون أحد الصور والأعراض التى تكون فى المادة ، أو سببا من خارج . فإن كان سببا من خارج فإما أن يفيد ذلك المقدار المقدر بتوسط أمر آخر أو بسبب استعداد خاص . فيكون حكم هذا وحكم القسم الأول واحداً يرجع إلى أن الأجسام لاختلاف أحوالها تختلف
٥ مقاديرها . وإما أن لا تكون الافادة بسبب ذلك وبتوسطه ، فتكون الأجسام متساوية الاستحقاق للكم ومتساوية الأحجام ، وهذا كاذب .

ومع ذلك أيضا فليس يجب أن يصدر عن ذلك السبب حجم بعينه دون حجم إلا لأمر ، وأعنى بذلك الأمر شرطا ينضاف إلى المادة به تستحق المقدار المعين لا لنفس كونها مادة ولا أيضا لكونها مادة لها مصور بالكية ، بل يكون للمادة
١٠ شىء لأجله تستحق أن يصورها المصور بذلك الحجم والكية . ويجوز أن تختلف بالنوع مطلقا ، ويجوز أن تختلف بالأشد والأضعف ليس بالنوع مطلقا ، وإن كان الأشد والأضعف قد يقارب الاختلاف فى النوع ، لكن بين الاختلاف بالنوع مطلقا وبين الاختلاف بالأشد والأضعف مخالفة معلومة عند المعتبرين فقد علم أن الهيولى قد تتهيأ بعينها لمقادير مختلفة وهذا أيضا مبدأ للطبيعيات .

١٥ وأيضا فإن كل جسم يختص لا محالة بحيز من الأحياز ، وليس له الحيز الخاص به بما هو جسم ، وإلا لكان كل جسم كذلك ، فهو إذن لا محالة مختص به لصورة ما فى ذاته ، وهذا بين . فإنه إما أن يكون غير قابل للتشكيلات

---

(١) أحد : إحدى ط ،م ؛ ساقطة من ب . (٣) أمر : آثرد || استعداد : استمال ط ،م (٦) ومتساوية : ومتشابهة ط ، م (٨) بذلك : بقول طا ، م (٩) مصور : تصور د (١١) بالنوع : ساقطة من ط (١٤) للطبيعيات : الطبيعيات م (١٥) الحيز : حيزه جـ ، ص م ؛ حيزد || كل جسم : كل كل ط || لا محالة : ساقطة من م (١٦) مختص : يختص د (١٧) بين : + وأيضا جـ ، د ، ص ، ط .

والتفصيلات فيكون بصورة ما صار كذلك لأنه بما هو جسم قابل له ، وإما
أن يكون قابلا لها بسهولة أو بعسر . وكيف ما كان ، فهو على إحدى الصور
المذكورة فى الطبيعيات . فإذن المادة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة .
فالمادة إذن إنما تتقوم بالفعل بالصورة ، فإذن المادة إذا جردت فى التوهم ،
فقد فعل بها ما لا يثبت معه فى الوجود . ٥

(١) لأنه : لا أنه د . (٢) وكيف : فكيف ب . (٣) الجسمية : المجسمة د ، م . (٤) فى التوهم : بالتوهم د (٥) فقد : وقد د .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

فى تقديم الصورة على المادة فى مرتبة الوجود

فقد صح أن المادة الجسمانية إنما تقوم بالفعل عند وجود الصورة ، وأيضاً
٥ فإن الصورة المادية ليست توجد مفارقة للمادة . فلا يخلو إما أن تكون بينهما
علاقة المضاف فلا تعقل ماهية كل واحد منهما إلا مقولة بالقياس إلى الآخر .

وليس كذلك ، فإنا نعقل كثيرا من الصور الجسمانية ، ونحتاج إلى تكلف
شديد حتى نثبت أن لها مادة ، وكذلك هذه المادة نعقلها الجوهرَ المستعد ،
ولا نعلم من ذلك أن ما تستعد له يجب أن يكون فيه منه شىء بالفعل
١٠ إلا ببحث ونظر .

نعم هى من حيث هى مستعدة مضافة إلى مستعد له و بينهما علاقة الإضافة،
لكن كلامنا فى مقايسة ما بين ذاتيهما دون ما يعرض لها من إضافة أو يلزمهما،
وقد عرفت كيف هذا .

وأيضاً فإن كلامنا فى الحال بين المادة و بين الصورة من حيث هى موجودة.
١٥ والاستعداد لا يوجب علاقة مع شىء هو موجود لا محالة ، و إن كان يجوز

---

(٦) معقولة : معقولة جـ ، د ، ص ، ط (٨) لها : له م (٩) فيه : ساقطة
من ط . (١١) نعم هى من : نعم من جـ || حيث هى مستعدة : حيث مستعدة ط ، م
|| مستعد : ساقطة من ط . (١٢) ذاتيهما : ذاتيها ط ، م || يلزمهما : يلزمه م .
(١٤) و بين الصورة : والصورة م .

ذلك فلا يخلو إما أن تكون العلاقة بينهما علاقة ما بين العلة والمعلول ، و إما أن
تكون العلاقة بينهما علاقة أمرين متكافئى الوجود ليس أحدهما علة ولا معلولا
للآخر، ولكن لا يوجد أحدهما إلا والآخر يوجد . وكل شيئين ليس أحدهما
علة للآخر ولا معلولاً له ثم بينهما هذه العلاقة فلا يجوز أن يكون رفع أحدهما
علة لرفع الآخر من حيث هو ذات ، بل يكون أمراً معه ، أعنى يكون رفعا ٥
لا يخلو عن أن يكون مع رفع ، لا رفعا موجب رفع ، إن كان ولا بد . وقد
عرفت الفرق بين الوجهين ، فقد عرفت أن الشىء الذى رفعه علة لرفع شىء آخر
فهو علته ، فقد بان هذا لك قبل فى مواضع على التفصيل وسيزداد إيضاحا
فى خلل ما نفهمه .

وأما الآن فقد علمت ، ههنا ، أنه فرق بين أن يقال فى الشىء : إن رفعه ١٠
علة لرفع شىء ، و بين أن يقال : لا بد من أن يكون مع رفعه رفع شىء . فإن
كان ليس رفع أحد هذين الشيئين المذكورين علة لرفع الآخر، بل لا بد من أن
يكون مع رفعه ارتفاع الآخر ، فلا يخلو إما أن يكون رفع المرفوع منهما يوجب
رفع شىء ثالث غيرهما ، أو يجب عن رفع شىء ثالث ، حتى أنه لولا رفع
عَرض لذلك الثالث لم يمكن رفع هذا، أو لا يكون شىء من ذلك. فإن لم يمكن، ١٥
بل كان ليس يرتفع هذا إلا مع ذلك ، وذلك إلا مع هذا من غير سبب ثالث
غير طبيعتهما ، فطبيعة كل واحد منهما متعلقة فى الوجود ، بالفعل ، بالآخر .

---

(٢) متكافئى : متكافى جـ، د، ص، ط || علة : + للآخر د، ط (٣) وكل : فكل جـ، ص، || شيئين : شىء ط (٤) له : للآخر جـ، د، ص، ط، م. (٥) أعنى : حتى ط .
(٦) إن كان : وإن كان م . (٨) فقد : قد ب، د (١١) رفع : ساقطة من د
(١٢) المذكورين : ساقطة من م || لرفع : رفع د (١٣) رفعه : ساقطة من ب ، ص، م
(١٥) يمكن (الأولى) : يكن جـ، ص، م. || يمكن الثانية : يكن م (١٦) ذلك وذلك : ذاك وذاك ص،
(١٧) طبيعتهما : طبيعتها ط || فى الوجود : بالوجود م .

فإما أن يكون ذلك لماهيتهما فتكون مضافة ، وقد بان أنها ليست مضافة ؛ وإما أن يكون فى وجودهما . وبين أن مثل هذا لا يكون واجب الوجود فيكون فى ماهيته ممكن الوجود ، لكنه يصير بغيره واجب الوجود فلا يجوز ألبتة أن يصير واجب الوجود بذلك الآخر ، فقد بينا هذا . فيجب أن يصير واجب الوجود هو وصاحبه معه فى آخر الأمر ، إذا ارتقينا إلى العلل بشىء ثالث ، ويكون ذلك الشىء الثالث ، من حيث هو علة بالفعل لوجوب وجودهما ، لا يصح رفع أحدهما إلا برفع كونه علة بالفعل . فيكون هذان إنما يرتفعان برفع سبب ثالث ، وقد قلنا ليس كذلك ، هذا خلف . فقد بطل هذا ، وبقى الحق أحد القسمين الآخرين .

١٠ فإن كان رفعهما بسبب رفع شىء ثالث حتى يكونا هما معلولاه ، فلننظر كيف يمكن أن تكون ذات كل واحد منهما تتعلق بمقارنة ذات الآخر . فإنه لا يخلو إما أن يكون كل واحد منهما يجب وجوده من العلة بوساطة صاحبه ، فيكون كل واحد منهما هو العلة القريبة لوجوب وجود صاحبه ، وهذا محال ، فقد بان أن هذا مستحيل فيما سلف من أقاويلنا ، وإما أن يكون ١٥ أحدهما بعينه أقرب إلى هذا الثالث ، فيصير هو العلة الواسطة ، والثانى هو المعلول ، ويكون الحق هو القسم الذى قلنا : إن العلاقة بينهما علاقة يكون بها أحدهما علة والآخر معلولا .

---

(١) لماهيتهما : لماهيتها م (٢) يكون فى وجودهما : يكون وجودهما د (٣) بغيره : لغيره ط (٤) الآخر : للآخر م ، + فيكون حينئذ مضافا فإذ قد صح أنهما ليسا مضافين ط || فقد : وقد د . (٥) آخر : ساقطة من د . || إلى : فى ب ، د ، ص ، ط ، م (٦) ويكون : فيكون د ، م (١١) بمقارنة : مقارنة م (١٤) محال : خلف ب || فقد : قد د (١٦) القسم : + الثانى ب || بها : لها م .

فأما إن كان رفع أحدهما يوجب رفع ثالث يجب عن رفعه رفع الثانى منهما، فقد صار أحدهما علة العلة، وعلة العلة علة. والأمر يتقرر فى آخره على أن يكون أحدهما معلولا والآخر علة .

فلننظر الآن أيهما ينبغى أن تكون العلة منهما. فأما المادة فلا يجوز أن تكون هى العلة لوجود الصورة ، أما أولا : فلأن المادة إنما هى مادة ، لأن لها قوة القبول والاستعداد ، والمستعد بما هو مستعد لا يكون سببا لوجود ما هو مستعد له ، ولو كان سببا لوجب أن يوجد ذلك دائما له من غير استعداد .

وأما ثانيا : فإنه من المستحيل أن تكون ذات الشىء سبباً لشىء بالفعل وهو بعد بالقوة ؛ بل يجب أن تكون ذاته قد صارت بالفعل ، ثم صار سببا لشىء آخر، سواء كان هذا التقدم بالزمان أو بالذات ، أعنى ولو لم يكن ألبتة موجودا إلا وهو سبب للثانى ، و إلا أن يقوم به الثانى بالذات، ولذلك يكون متقدما بالذات. وسواء كان ما هو سبب له يقارن ذاته أو يكون مفارقا ذاته، فإنه يجوز أن يكون بعض أسباب وجود الشىء إنما يكون عنه وجود شىء يكون مقارنا لذاته، و بعض أسباب وجود الشىء إنما يكون عنه وجود شىء مباين لذاته، فإن العقل ليس ينقبض عن تجويز هذا . ثم البحث يوجب وجود القسمين جميعا ، فإن كانت المادة سببا للصورة فيجب أن تكون لها ذات بالفعل أقدم من الصورة ، وقد منعنا هذا منعاً ليس بناؤه على أن ذاته لا يمكن أن يوجد

---

(١) فأما : وأما جـ، ص، م. || يوجب : موجب ط. || رفعه رفع الثانى : رفعه الثانى د.
(٢) علة العلة وعلة : علة للعلة وعلة د (٤ — ٥) تكون هى العلة : تكون هو العلة ط.
(٥) فلأن : فإن ط || إنما : ساقطة من ط (٦) ما هو: ما هى م (٨) فإنه : فلأنه ص (٩) صارت بالفعل : صار بالفعل ب، جـ، ص، ط، م (١١) ولذلك : وحاولك ب (١٤) مقارنا : مباينا ب || و بعض ... ... لذاته : ساقطة من ب.
(١٥) يوجب : بوجوب م . (١٧) منعنا : ساقطة من ب.

إلا ملتزما لمقارنة الصورة ، بل على أن ذاته يستحيل وجودها أن يكون بالفعل إلا بالصورة ، وبين الأمرين فرق .

وأما ثالثا فإنه إذا كانت المادة هي العلة القريبة للصورة، والمادة لا اختلاف لها في ذاتها ، وما يلزم من الشيء الذي لا اختلاف فيه لا اختلاف فيه ألبتة ، فكان يجب أن تكون الصور المادية لا اختلاف فيها. فإن كان اختلافها لأمور تختلف من أحوال المادة ، فتكون تلك الأمور هي الصور الأولى في المادة ، ويعود الكلام بأصله جذعا . فإن كان علة وجود هذه الصور المختلفة المادة وشيء آخر مع المادة ليس في المادة ، حتى لا تكون المادة وحدها هي العلة القريبة ، بل المادة وشيء آخر فيكون ذلك الشيء الآخر والمادة إذا اجتمعا جميعا حصل صورةٌ ما معيّنة في المادة . وإن كان شيء غير ذلك الآخر واجتمع مع المادة حصلت صورة غير تلك الصور المعينة ، فتكون المادة في الحقيقة لها قبول الصورة .

وأما خاصية كل صورة فإنما تكون عن تلك العلل . وإنما تكون كل صورة هي هي بخاصيتها فتكون علة وجود كل صورة بخاصيتها هي الشيء الخارج ، ولا يكون للمادة في تلك الخاصية صنع ، وإنما كانت تلك الصورة موجودة وجودها بتلك الخاصية، فيكون لا صنع للمادة في خصوصية وجود كل صورة،

---

(٣) فإنه : فلأنه جـ (٤) وما يلزم : ويلزم م || الذي لا اختلاف فيه : + ألبتة ص، ط .
(٥) فكان : وكان د || الصور : الصورة جـ (٦) المادة : المادة جـ ، ص ، ط ، م ؛ الصور د . || الصور : الصورة جـ، د (٧) بأصله : ساقطة من جـ، د، م (٨) وشيء : وشيئا م || هي : ساقطة من ب، جـ، د، م (١٠) معينة : تعيه د . || واجتمع : أو اجتمع جـ، ط، م . (١٢) الصورة : الصورة م . (١٤) هي هي : هي ماهي جـ، ط ؛ ماهي هي ص . (١٥) وإنما : وأما د . || كانت : كان ص .

إلا أنها لا بد منها فى أن توجد الصورة فيها ، وهذه خاصية العلة القابلية ، فيبقى لها القبول فقط. فقد بطل أن تكون المادة علة للصورة بوجه من الوجوه.

وقد بقى أن تكون الصورة وحدها هى التى بها يجب وجود المادة .

فلننظر هل يمكن أن تكون الصورة وحدها هى التى بها يجب وجود المادة . فنقول : أما الصورة التى لا تفارقها مادتها فذلك جائز فيها ، وأما الصورة التى ٥ تفارق المادة ، وتبقى المادة موجودة بصورة أخرى ، فلا يجوز ذلك فيها . وذلك لأن هذه الصورة ، لو كانت وحدها لذاتها علة ، لكانت المادة تعدم بعد عدمها ، وتكون للصورة المستأنفة مادة أخرى توجد عنها ، ولكانت تلك المادة حادثة ، ولكان يحتاج لها إلى مادة أخرى . فيجب إذن أن تكون علة وجود المادة شيئا مع الصورة ، حتى تكون المادة إنما يفيض وجودها عن ١٠ ذلك الشيء . لكن يستحيل أن يكمل فيضانه عنه بلا صورة ألبتة ، بل إنما يتم الأمر بهما جميعا .

فيكون تعلق المادة فى وجودها بذلك الشيء وبصورة كيف كانت تصدر عنه فيها ، فلا تعدم بعدم الصورة ، إذ الصورة لا تفارقها إلا لصورة أخرى تفعل مع العلة — التى عنها مبدأ وجود المادة — ما كانت تفعله الصورة الأولى. ١٥ فبما أن هذا الثانى يشارك الأول فى أنه صورة ، يشاركه فى أنه يعاونه على إقامة

---

(٢) للصورة : الصورة ط (٣) وقد : وقد جـ ، ص ، ط ، م ؛ ساقطة من د . || وحدها : ساقطة من ب ، د ، ص ، م (٤) تكون : + وجود ط || هى التى : ساقطة من ب ، د ، ص ، م (٨) بعد عدمها : أو بعدمها هامش جـ || ولكانت : ولكان جـ ، ص ، م ؛ + يكون ب ، جـ ، د ، ص ، م (٩) لها : بها جـ (١٢) بهما : بها د (١٤) عنه : عنها ط || فيها : ساقطة من جـ ، ط || فلا تعدم : لا تعدم م (١٥) كانت : كان جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٦) الأول : الأولى د ، ص ، ط || يعاونه : يعاون ب ، ص ، ط ، م .

هذه المادة، و بما يخالفه يجعل المادة بالفعل جوهرا غير الجوهر الذى كان يفعله الأول .

فكثير من الأمور الموجودة إنما تتم بوجود شيئين ، فإن الإضاءة والإنارة إنما تحصل من سبب مضىء ، ومن كيفية لا بعينها تجعل الجسم المستنير قابلا لأن ينفذ فيه الشعاع ولا ينعكس ثم تكون تلك الكيفية تقيم الشعاع على خاصية ٥ غير الخاصية التى تقيمه كيفية أخرى من الألوان .

و يجب أن لا تناقش فيما لفظنا به من نفوذ الشعاع وانعكاسه ، بعد أنك بالغرض بصير . ولا يبعد — إذا تأملت — أن تجد لهذا أمثلة أشد موافقة ولا يضرك أن لا تجد أيضا مثالا ، فإنه ليس يجب أن يكون لكل شىء مثال .

١٠ ولقائل أن يقول : إنه إن كان تعلق المادة بذلك الشىء و بصورة فيكون مجموعهما كالعلة له ، و إذا بطلت الصورة بطل هذا المجموع الذى هو العلة ، فوجب أن يبطل المعلول .

فنقول : إنه ليس تعلق المادة بذلك الشىء و بالصورة ، من حيث الصورة صورة معينة بالنوع ، بل من حيث هى صورة . وهذا المجموع ليس يبطل ١٥ ألبتة ، فإنه يكون دائما موجودا ذلك الشىءُ ، والصورة من حيث هى صورة ،

(١) هذه : هذا ط (٣) فكثير : وكثير جـ ، د ، ص ، ط ، م . (٥) لأن ينفذ : لا ينفذ ب ، م ؛ لأن لا ينفذ جـ ، ص ، ط || فيه : فيها م || ولا ينعكس : ولا أن ينعكس جـ (٦) تقيمه : ساقطة من د . (٧) وانعكاسه : وانعكاساته م (٨) لهذا : لهذه جـ ؛ لها ط . (١٠) أن : إذا ص (١٠ — ١٢) و بصورة ... الشىء : ساقطة من م (١٢) فوجب : فيجب د (١٤) بالنوع : النوع م (١٥) ذلك : وذلك ص || صورة : + لم يكن المادة ط .

فيكون لو لم يكن ذلك الشيء لم تكن المادة ؛ ولو لم تكن الصورة من حيث هي صورة لم تكن المادة . ولو بطلت الصورة الأولى لا بسبب تعقب الثانى لكان يكون ذلك الشيء المفارق وحده ، ولا يكون الشيء الذى هو الصورة من حيث هو صورة . فكان يستحيل أن يفيض من ذلك الشيء وجود المادة، إذ هو وحده بلا شريك أو شريطة . ٥

ولكن لقائل أن يقول : إن مجموع ذلك : العلة والصورة ليس واحدا بالعدد، بل واحد بمعنى عام ، والواحد بالمعنى العام لا يكون علة للواحد بالعدد ، ولمثل طبيعة المادة فإنها واحدة بالعدد . فنقول : إنا لا نمنع أن يكون الواحد بالمعنى العام المستحفظ وحدة عمومه بواحد بالعدد علة الواحد بالعدد ؛ وههنا كذلك ، فإن الواحد بالنوع — مستحفظ بواحد بالعدد — هو المفارق . فيكون ذلك الشيء يوجب المادة ، ولا يتم إيجابها إلا بأحد أمور تقارنه ، أيها كانت . ١٠ وأما ما هذا الشيء فستعلمه بعد .

فالصور إما صور لا تفارقها المادة ، وإما صور تفارقها المادة ولا تخلو المادة عن مثلها .

فالصور التى تفارق المادة إلى عاقب ، فإن معقبها فيها يستبقيها بتعقيب تلك الصورة ، فتكون الصورة من وجه واسطة بين المادة المستبقاة وبين مستبقيها، ١٥

---

(١) ذلك : ساقطة من جـ || الشيء : ساقطة من ب || ولو لم : وإن لم د || لم تكن المادة ولو : ساقطة من ط (٢) ولو بطلت : فلو بطلت د (٣) ولا يكون : فلا يكون د ، ط (٤) هو صورة : هى صورة د || يفيض من : يفيض عن م (٥) بلاشريك أو شريطة : بلا شريكة وشريطة د ؛ بلاشريكة أو شريطة ص، ط، م (٦) والصورة : أو الصورة د (٧) بل : + هو ط (٨) طبيعة : طبيعته م (٩) لواحد بالعدد : بواحد للعدد ط || وههنا كذلك : وههنا ب، د، م ؛ وهنا كذلك ط (١٣) فالصور : فالصورة ب ، جـ || ؛ إما صور : إما صورة ص || وإما صور : وإما صورة جـ ، ص (١٥) فالصور: والصور ب ؛ فالصورة جـ ، ص || تفارق : + تفارقها جـ (١٦) وجه : + واحد د || وبين : + مادة د || مستبقيها : معقبها د ، ط .

والواسطة فى التقويم ، فإنه أولا يتقوم ذاته ، ثم يقوم به غيره أولية بالذات ، وهى العلة القريبة من المستبق فى البقاء . فإن كانت تقوم بالعلة المبقية للمادة بواسطتها ، فالقوام لها من الأوائل أولا ، ثم للمادة ، وإن كانت قائمة لا بتلك العلة ، بل بنفسها ، ثم تقام المادة بها فذلك أظهر فيها .

وأما الصور التى لا تفارقها المادة فلا يجوز أن تجعل معلولة للمادة حتى تكون المادة تقتضيها وتوجبها بنفسها ، فتكون موجبة لوجود ما تستكمل به ، فتكون من حيث تستكمل به قابلة ، ومن حيث توجبه موجدة ، فتكون توجب وجود شىء فى نفسها تتصور به . لكن الشىء من حيث هو قابل ، غيره من حيث هو موجب . فتكون المادة ذات أمرين : بأحدهما تستعد ، وبالآخر يوجد ١٠ عنها شىء . فيكون المستعد منهما هو جوهر المادة ، وذلك الآخر أمرا زائدا على كونه مادة تقارنه وتوجب فيه أثرا كالطبيعة للحركة فى المادة ، فيكون ذلك الشىء هو الصورة الأولى ، ويعود الكلام جذعا .

فإذن الصورة أقدم من الهيولى ، ولا يجوز أن يقال إن الصورة بنفسها موجودة بالقوة دائما ، وإنما تصير بالفعل بالمادة ، لأن جوهر الصورة هو الفعل.

١٥ وأما طبيعة ما بالقوة فإن محلها المادة ، فتكون المادة هى التى يصلح فيها أن يقال لها إنها فى نفسها بالقوة تكون موجودة ، وإنها بالفعل بالصورة ،

---

(١) التقويم : التقديم د . (٢) تقوم : تتقوم ص (٤) بها : بذاتها ط
(٥) وأما : + تعليق م || الصور : الصورة جـ ، د ، ص ، ط . (٧) فتكون : + المادة ص
(٨) قابل : + من ط (٨—٩) هو قابل ... ... وبالآخر : ساقطة من م
(١٠) عنها : عنه جـ ، د ، ص ، ط ، م || هو : ساقطة من ص . (١١) كونه : كونها ب ، د ، ص (١٢) ويعود : فيعود د ، ص (١٤) دائما : ساقطة من م || تصير : + موجودة جـ ، ط (١٦) بالصورة : + فيكون من حق ما سمى مادة أن يسمى صورة وما سمى صورة أن يسمى مادة ص ، ط .

والصورة وإن كانت لا تفارق الهيولى فليست تتقوم بالهيولى ، بل بالعلة المفيدة إياها الهيولى وكيف تتقوم الصورة بالهيولى وقد بيّنا أنها علّتها ؟ والعلة لا تتقوم بالمعلول، ولا شيئان اثنان يتقوم أحدهما بالآخر بأن كل واحد منهما يفيد الآخر وجوده . فقد بان استحالة هذا ، وتبين لك الفرق بين الذى يتقوم به الشىء وبين الذى لا يفارقه .

فالصورة لا توجد إلا فى الهيولى ، لا أن علة وجودها الهيولى ، أو كونها فى الهيولى . كما أن العلة لا توجد إلا مع المعلول، لا أن وجود العلة هو المعلول أو كونه مع المعلول ؛ كما أن العلة إذا كانت علة بالفعل لزم عنها المعلول وأن تكون معها ، كذلك الصورة إذا كانت صورة موجودة يلزم عنها أن تقوّم شيئا ؛ ذلك الشىء مقارن لذاتها . فكأن ما يقوّم شيئا بالفعل ، ويفيده الوجود، ١٠ منه ما يفيده وهو مباين ، ومنه ما يفيده وهو ملاق وإن لم يكن جزء منه مثل الجوهر للأعراض التى يلحقها أو يلزمها ، والمزاجات .

وبيّن بهذا أن كل صورة توجد فى مادة مجسمة ، فبعلة ما توجد ؛ أما الحادثة فذلك ظاهر فيها ، وأما الملازمة للمادة فلأن الهيولى الجسمانية إنما خصصت بها لعلة . وسنبين هذا أظهر فى مواضع أخرى . ١٥

---

(٢) الهيولى : والهيولى ط || وكيف : فكيف ط || والعلة : فالعلة د ، ط (٣) ولا شيئان اثنان : ولا شيئين اثنين د ، م (٤) فقد : قد ب ، م ؛ وقد جـ ، ط || وتبين : ويتبين ب ، جـ ، د ، ص ، ط (٦) الهيولى : هيولى م (٧) هو : هى ب ، جـ ، ص ، ط ، م (٨) أو كونه مع المعلوم : ساقطة من م (٩) موجودة : وموجودة م (١٢) أو يلزمها : ويلزمها م (١٣) فبعلة : فبعلتها جـ ، ط || ما : ساقطة من جـ (١٤) الملازمة : اللازمة ط ؛ الملزوم د (١٥) خصصت : خصص د || لعلة ... أظهر : ساقطة من د || فى : من جـ || أخرى : + إنشاء الله تعالى تمت المقالة الثانية من الفن الثالث من كتاب الشفاء بحمد الله تعالى ص .



المقالة الثالثة[1]

وفيها عشر فصول[2]

---

(١) المقالة الثالثة : + من الجملة الرابعة من الكتاب م (٢) عشر فصول ؛ وفيها عشر فصول ص ، ط ؛ ساقطة من بـ .



[الفصل الأول]

(١) فصل

فى الإشارة إلى ما ينبغى أن يبحث عنه من حال المقولات التسع وفى عرضيتها

فنقول : قد بينا ماهية الجوهر ، وبينا أنها مقولة على المفارق ، وعلى الجسم ، ٥
وعلى المادة ، والصورة . فأما الجسم فإثباته مستغنى عنه ، وأما المادة والصورة
فقد أثبتناهما ، وأما المفارق فقد أثبتناه بالقوة القريبة من الفعل ، ونحن مثبتوه
من بعد .

وعلى أنك إن تذكرت ما قلناه فى النفس ، صح لك وجود جوهر مفارق
غير جسم ، فبالحرى أن ننتقل الآن إلى تحقيق الأعراض وإثباتها . ١٠

فنقول : أما المقولات العشرة فقد تفهمت ماهياتها فى افتتاح المنطق .
ثم لا يشك فى أن المضاف من جملتها — من حيث هو مضاف — أمر عارض لشئ
ضرورةً . وكذلك النسب التى هى فى "أين" و"متى" وفى "الوضع" وفى "الفعل"
و "الانفعال" فإنها أحوال عارضة لأشياء هى فيها ، كالموجود فى الموضوع .
اللهم إلا أن يقول قائل : إن الفعل ليس كذلك ، فإن وجود الفعل ليس ١٥

---

(٢) فصل : الفصل الأول ب، ط (٤) وفى : فى ب، جـ، د، م (٦) فأما : وأما جـ || مستغنى : مستغن ص، م (٧) مثبتوه : + بالفعل ب (٩) تذكرت : تذكر ط || ماقلناه : ماقلته د (١٠) ننتقل : ننقل ط (١١) أما : وأما ص || العشرة : العشر ص ، م || تفهمت : افهمت ص ، ط ؛ تفهمنا طا (١٢) لايشك : لاشك ص || فى : ساقطة من ص ، م || حيث هو مضاف : حيث مضاف جـ ، ط (١٣) هى : ساقطة من م (١٤) والانفعال : وفى الانفعال ص ، م (١٥) فإن : لأن ب .

فى الفاعل، بل فى المفعول . فإن قال ذلك، وسلم له، فليس يضر فيما ترومه من أن الفعل موجود فى شىء وجوده فى الموضوع، وإن كان ليس فى الفاعل.

فبقى من المقولات ما يقع فيه إشكال، وأنه هل هو عرض أو ليس بعرض، مقولتان : مقولة الكم، ومقولة الكيف .

٥ أما مقولة الكم، فكثير من الناس رأى أن يجعل الخط والسطح والمقدار الجسمانى من الجوهر، وأن لا يقتصر على ذلك، بل يجعل هذه الأشياء مبادىء الجواهر . وبعضهم رأى ذلك فى الكيات المنفصلة، أى الأعداد، وجعلها مبادىء الجواهر .

وأما الكيف فقد رأى آخرون من الطبيعيين أنها ليست محمولة ألبتة، ١٠ بل اللون جوهر بنفسه، والطعم جوهر آخر، والرائحة جوهر آخر، وأن من هذه قوام الجواهر المحسوسة، وأكثر أصحاب الكون ذاهبون إلى هذا .

فأما شكوك أصحاب القول بجوهرية الكيف، فالأحرى بها أن تورد فى العلم الطبيعى، وكأنا قد فعلنا ذلك .

وأما أصحاب القول بجوهرية الكم، فمن ذهب إلى أن المتصلات هى جواهر ١٥ ومبادىء للجواهر فقد قال : إن هذه هى الأبعاد المقومة للجوهر الجسمانى، وما هو مقوم للشىء فهو أقدم، وما أقدم من الجواهر فهو أولى بالجوهرية، وجعل النقطة أولى الثلاثة بالجوهرية .

---

(٣) وأنه : فإنه ب (٥) أن : بأن ب، د، ط (٩) أنها : أنه د، طا || ليست محمولة : ليس محمول د (١١) الجواهر المحسوسة : الجوهر المحسوس ب (١٣) وكأنا : فكأنا ط .

وأما أصحاب العدد ، فإنهم جعلوا هذه مبادئ الجواهر ، إلا أنهم جعلوها
مؤلفة من الوحدات حتى صارت الوحدات مبادئ للمبادئ ، ثم قالوا : إن
الوحدة طبيعة غير متعلقة فى ذاتها بشىء من الأشياء ، وذلك لأن الوحدة تكون
فى كل شىء ، وتكون الوحدة فى ذلك الشىء غير ماهية ذلك الشىء ، فإن الوحدة
فى الماء غير الماء ، وفى الناس غير الناس ، ثم هى بما هى وحدة مستغنية ٥
عن أن تكون شيئا من الأشياء ، وكل شىء فإنما يصير هو ما هو بأن يكون
واحدا متعينا ، فتكون الوحدة مبدأ للخط وللسطح ولكل شىء ، فإن السطح
لا يكون سطحا إلا بوحدة اتصالها الخاص ، وكذلك الخط والنقطة أيضا وحدة
صار لها وضع . فالوحدة علة كل شىء . وأول ما يكون ويحدث عن الوحدة
العدد . فالعدد علة متوسطة بين الوحدة وبين كل شىء ، فالنقطة وحدة ١٠
وضعية ، والخط اثنوية وضعية ، والسطح ثلاثية وضعية ، والجسم رباعية
وضعية ؛ ثم تدرجوا إلى أن جعلوا كل شىء حادثا عن العدد .

فيجب علينا أولا أن نبين : أن المقادير والأعداد أعراض ، ثم نشتغل بعد
ذلك بحل الشكوك التى لهؤلاء . وقبل ذلك يجب أن نعرف حقيقة أنواع الكمية ،
والأولى بنا أن نعرف طبيعة الوحدة ، فإنه يحق علينا أن نعرف طبيعة الواحد ١٥
فى هذه المواضع بشيئين : أحدهما ، أن الواحد شديد المناسبة للوجود الذى
هو موضوع هذا العلم ؛ والثانى ، أن الواحد مبدأ ما بوجه ما للكمية .

---

(٥) وفى : فى د (٧) وللسطح : والسطح ص ، ط ، م (٨) وكذلك : فكذلك م ||
الخط : الخط م || أيضا : ساقطة من د (٩) ما يكون : ما يكون ص ، م
(١٠) فالنقطة : + لها ط (١١) اثنوية : اثنوه ب ، م (١٣) نبين : نبين د (١٤) ذلك :
ساقطة من د || يجب : + علينا ص ، ط (١٥) الوحدة : الواحد م (١٦) هذه المواضع :
هذا الموضع ط (١٧) والثانى : الثانى م || أن : لأن ب ، د ، م .

أما كونه مبدأ للعدد ، فأمر قريب من المتأمل . وأما المتصل فلأن الاتصال وحدة ما ، وكأنه علة صورية للمتصل ، ولأن المقدار كونه مقدارا هو أنه بحيث يقدر ، وكونه بحيث يقدر هو كونه بحيث يعد ، وكونه بحيث يعد كونه بحيث أن له واحدا .

(١) المتصل : المتصل د (٢) وكأنه : وكأنها جـ ، ط (٤) واحدا : واحدا واحدا ص .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى الكلام فى الواحد

فنقول : إن الواحد يقال بالتشكيك على معان تتفق فى أنها لا قسمة فيها
بالفعل من حيث كل واحد هو هو ، لكن هذا المعنى يوجد فيها بتقدم وتأخر ، ٥
وذلك بعد الواحد بالعرض .

والواحد بالعرض هو أن يقال فى شىء يقارن شيئا آخر ، أنه هو الآخر ،
وأنهما واحد . وذلك إما موضوع ومحمول عرضى ، كقولنا : إن زيدا
وابن عبد الله واحد ، وإن زيدا والطبيب واحد ؛ وإما محمولان موضوع ،
كقولنا : الطبيب هو وابن عبد الله واحد ، إذ عرض أن كان شىء واحد ١٠
طبيبا وابن عبد الله ؛ أو موضوعان فى محمول واحد عرضى ، كقولنا : الثلج
والجص واحد ، أى فى البياض ، إذ قد عرض أن حمل عليهما عرض واحد .

لكن الواحد الذى بالذات ، منه واحد بالجنس ، ومنه واحد بالنوع
وهو الواحد بالفصل ، ومنه واحد بالمناسبة ، ومنه واحد بالموضوع ، ومنه
واحد بالعدد . ١٥

---

(٣) فى ... الواحد : ساقطة من د || فى الواحد : وحده جـ (٤) بالتشكيك : لتشكيك د || تتفق : متفق د (٥) بالفعل : ساقطة من ط ، م || وتأخر : وبتأخر ب (٨) وأنهما : فإنهما د (٩) موضوع : موضع ط ، م (١٠) كقولنا : + إن جـ ، د ، ص || واحد إذ : واحدان م (١١) موضوعان : موضوعات م (١٢) حمل : يحمل ط .

والواحد بالعدد قد يكون بالاتصال ، وقد يكون بالتّماس ، وقد يكون لأجل نوعه ، وقد يكون لأجل ذاته . والواحد بالجنس قد يكون بالجنس القريب ، وقد يكون بالجنس البعيد . والواحد بالنوع كذلك قد يكون بنوع قريب لا يتجزأ إلى أنواع ، وقد يكون بنوع بعيد فيوافق أحد قسمى الباب ٥ الأول ، وإن كان هناك اختلاف فى الاعتبار .

وإذا كان واحدا بالنوع فهو لا محالة واحد بالفصل ، ومعلوم أن الواحد بالجنس كثير بالنوع ، وأن الواحد بالنوع قد يجوز أن يكون كثيرا بالعدد ، وقد يجوز أن لا يكون إذا كانت طبيعة النوع كلها فى شخص واحد ، فيكون من جهة نوعا ومن جهة لا يكون نوعا ، إذ هو من جهة كلى ومن جهة ليس ١٠ بكلى . وتأمل هذا فى الوضع الذى نتكلم فيه على الكلى ، أو تذكر مواضع سلفت لك .

وأما الواحد بالاتصال فهو الذى يكون واحدا بالفعل من جهة ، وفيه كثرة أيضا من جهة .

أما الحقيق فهو الذى تكون فيه الكثرة بالقوة فقط ، وهو إما فى الخطوط : ١٥ فالذى لا زاوية له ، وفى السطوح أيضا : البسيط المسطح ، وفى المجسمات : الجسم الذى يحيط به سطح ليس فيه انفراج على زاوية ، ويليه ما يكون فيه كثرة بالفعل إلا أن أطرافها تلتقى عند حد مشترك مثل جملة الخطين المحيطين

---

(٢) والواحد : فالواحد جـ ، ص ، ط ، م (٤) لا يتجزأ : ولا يتجزأ جـ ، ص ، ط ، م || فيوافق : ويوافق د (٥) اختلاف : خلاف م (٧) الواحد بالنوع : + فهو لا محالة واحد بالفصل وأن الواحد بالجنس كثيرا بالنوع وأن الواحد بالنوع د || كثيرا : ساقطة من د (٨) كانت : كان م || كلها : كله د ، م (٩) ومن جهة لا يكون : ومن لا يكون د (١٥) أيضا : + من د ؛ ساقطة من م (١٦) الجسم : المجسم أيضا م .

بالزاوية ، ويليه أن تكون الأطراف متماسة تماسا يشبه المتصل فى تلازم حركة بعضها لبعض فتكون وحدتها كأنها تابعة لوحدة الحركة لأن هناك التحاما ، وذلك كالأعضاء المؤلفة من أعضاء ، وأولى ذلك ما كان التحامه طبيعيا لا صناعيا .

٥ والوحدة بالجملة فى هذه أضعف ، وتخرج عن الوحدة الاتصالية إلى الوحدة الاجتماعية . فالوحدة الاتصالية أولى من الاجتماعية بمعنى الوحدة ، وذلك أن الوحدة الاتصالية لا كثرة فيها بالفعل، والوحدة الاجتماعية فيها كثرة بالفعل. فهناك كثرة غشيتها وحدة لا تزيل عنها الكثرية .

والوحدة بالاتصال إما معتبرة مع المقدار فقط وإما أن تكون مع طبيعة ١٠ أخرى مثل أن تكون ماء أو هواء . ويعرض للواحد بالاتصال أن يكون واحدا فى الموضوع ، فإن الموضوع المتصل بالحقيقة جسم بسيط متفق الطبع، وقد علمت هذا فى الطبيعيات . فيكون موضوع وحدة الاتصال واحدا أيضا فى الطبيعة من حيث أن طبيعته لا تنقسم إلى صور مختلفة ؛ بل نقول : إن الواحد بالعدد لا شك أنه غير منقسم بالعدد من حيث هو واحد ، بل ولا غيره ١٥ مما هو واحد منقسم من حيث هو واحد ، لكنه يجب أن ينظر فيه من حيث الطبيعة التى عرض لها الوحدة ، فيكون الواحد بالعدد منه ما ليس من طبيعته التى عرض لها الوحدة أن يتكثر مثل : الإنسان الواحد ، ومنه ما من طبيعته ذلك كالماء الواحد والخط الواحد فإنه قد يصير الماء مياها والخط خطوطا .

---

(٣) أعضاء : الأعضاء ط (٦) فالوحدة : والوحدة جـ (٧) بالفعل : + فهناك كثرة بالفعل د (٨) كثرة : + بالفعل جـ، ص، ط || غشيتها : غشتها جـ || لا تزيل : لاتزيد ط || الكثرية : الكثرة ب ، د ، د ، ص ، ط (٩) أن تكون : ساقطة من د ، ص ، م (١١) المتصل : المتصل ص، م || بالحقيقة : بالفعل د (١٢) علمت : + أنه م (١٥) من حيث هو واحد : + به م || لكنه : لكن د (١٨) كالماء الواحد والخط الواحد : كالواحد د .

والذى ليس من طبيعته ذلك فإما أن يكون قد يتكثر من وجه آخر ، و إما أن
لا يكون . مثال الأول : الواحد بالعدد من الناس ، فإنه لا يتكثر من حيث
طبيعته ، أى من حيث هو إنسان إذا قسم ، لكنه قد يتكثر من جهة أخرى
إذا قسم إلى نفس و بدن ، فيكون له نفس و بدن وليس واحد منهما بإنسان .
٥ وأما الذى لا يكون فهو على قسمين : إما أن يكون موجودا له — مع أنه
شىء ليس بمنقسم — طبيعة أخرى ، و إما أن لا يكون . فإن كان موجودا له
مع ذلك طبيعة أخرى فإما أن تكون تلك الطبيعة هى الوضع وما يناسب
الوضع ، فتكون نقطة والنقطة لا منقسمة من حيث هى نقطة ولا من جهة
أخرى ، وهناك طبيعة غير الوحدة المذكورة ؛ وإما أن لا يكون الوضع
١٠ وما يناسبه ، فيكون مثل العقل والنفس ، فإن العقل له وجود غير الذى يفهم
من أنه لا ينقسم ، وليس ذلك الوجود بوضع ، وليس ينقسم فى طبيعته
ولا فى جهة أخرى . وأما الذى لا يكون هناك طبيعة أخرى فكنفس الوحدة
التى هى مبدأ العدد ، أعنى التى إذا أضيف إليها غيرها صار مجموعهما عددا .
فمن هذه الأصناف من الوحدة ما لا ينقسم مفهومه فى الذهن ، فضلا عن
١٥ قسمة مادية أو مكانية أو زمانية .

ولنعد القسم الذى يتكثر أيضا من حيث الطبيعة الواحدة بالوحدة ومن
حيث الاتصال ، فمن ذلك أن يكون تكثره فى الطبيعة التى هى لذاتها معدة
لكثرة عن الوحدة ، وهذا هو المقدار ؛ ومن ذلك أن يكون تكثره فى طبيعة

---

(٣) قد : ساقطة من م (٦) له : ساقطة من جـ ، د ، م (١١) من أنه : مع طا || الوجود : الموجود م || طبيعته : طبيعة جـ ، د ، ص ، ط (١٢) فكنفس : كنفس ط (١٣) التى : الذى د (١٤) الأصناف : الاتصاف د || ما لا ينقسم : لا ينقسم جـ ، ط (١٥) أومكانية : مكانية م (١٦) حيث : + له م .

إنما لها الوحدة المعدة للتكثر بسبب غير نفسها ، وذلك هو الجسم البسيط مثل الماء . فإن هذا الماء واحد بالعدد وهو ماء وفى قوته أن يصير مياها كثيرة بالعدد لا لأجل المائية ، بل لمقارنة السبب الذى هو المقدار . فتكون تلك المياه الكثيرة بالعدد واحدة بالنوع وواحدة أيضا بالموضوع ، لأن من طبع موضوعها أن تتحد بالفعل واحدا بالعدد . ٥

ولا كذلك أشخاص الناس ، فإنها ليس من شأن عدة موضوعات منها أن يتحد موضوع إنسان واحد نعم كل واحد منها واحد بموضوعه الواحد ، ولكن ليس المجتمع من الكثرة واحدا بالموضوع ، وليس حاله حال كل قطعة من الماء ، فإنها واحدة فى نفسها بموضوعها .

١٠ والجملة يقال إنها واحدة فى الموضوع ، إذ من شأن موضوعاتها أن تتحد موضوعا واحدا بالاتصال ، فيكون جملتها حينئذ ماء واحدا .

لكن كل واحد من هذين القسمين إما أن يكون حاصلا فيه جميع ما يمكن أن يكون له أو لا يكون ، فإن كان فهو تام وواحد بالتمام ، وإن لم يكن فهو كثير ، ومن عادة الناس أن يجعلوا الكثير غير الواحد . وهذه الوحدة التمامية ١٥ إما أن تكون بالفرض والوهم والوضع كدرهم تام ودينار تام ، وإما أن تكون بالحقيقة . وذلك إما بالصناعة كالبيت التام، فإن البيت الناقص لا يقال له بيت واحد . وإما بالطبيعة كشخص إنسان واحد تام الأعضاء .

---

(٢) وهو ماء وفى : مآ فى ب ؛ وما فى د ؛ ماء وفى ص ، م (٤) وواحدة : ووحدة د
(٩) بموضوعها : لموضوعها د ؛ بموضوعه ج (١١) بالاتصال : ساقطة من د ، ص ، م
(١٢) لكن : ولكن ب || فيه : فى ط (١٣) تام : التمام د (١٤) الواحد : واحد د ، ص ، م || الوحدة : ساقطة من ج || التمامية : التامة م (١٥) والوهم : ساقطة من د ، ص ، م .

ولأن الخط المستقيم قد يقبل زيادة فى استقامة ليست موجودة له ، فليس بواحد من جهة التمام .

وأما المستدير فإذ ليس يقبلها ، بل حصلت له بالطبع الإحاطة بالمركز من كل جهة ، فهو تام وواحد بالتمام، ويشبه أن يكون أيضا كل شخص من الناس واحدا من هذه الجهة ، فيكون بعض الأشياء يلزمه التمام كالأشخاص والخط المستدير، وبعضها لا يلزمه التمام كالماء والخط المستقيم .

وأما الواحد بالمساواة فهو بمناسبة ما، مثل أن حال السفن عند الربان وحال المدينة عند الملك واحدة، فإن هاتين حالتان متفقتان، وليس وحدتهما بالعرض، بل وحدة ما يتحد بهما بالعرض ، أعنى وحدة السفينة والمدينة بهما هى وحدة بالعرض . وأما وحدة الحالتين فليست الوحدة التى جعلناها وحدة بالعرض .

فنقول من رأس : إنه إذا كانت الوحدة إما أن تقال على أشياء كثيرة بالعدد ، أو تقال على شىء واحد بالعدد ، وقد بينا أنا حصرنا أقسام الواحد بالعدد .

فلنمل إلى الحيلية الأخرى ، فنقول : وأما الأشياء الكثيرة بالعدد فإنما يقال لها من جهة أخرى واحدة لاتفاق بينها فى معنى . فإما أن يكون اتفاقها فى نسبة أو فى محمول غير النسبة ، وإما فى موضوع . والمحمول إما جنس ، وإما نوع،

(٣) حصلت : حصل ب ، ج، ط || الإحاطة : والإحاطة د ، م (٤) وواحد : فهو واحد ب، ج، ص، ط، م || بالتمام : بالتام د || أيضا : ساقطة من ب (٥) كالأشخاص والخط المستدير : ساقطة من م (٦) كالماء والخط المستقيم : ساقطة من م (٧) بالمساواة : بالمناسبة ص ؛ بالنسبة هامش ص || فهو : فهى ج ، د ، ط ، م || بمناسبة : مناسبة ج ، د ، ص ، ط (٨) عند : من ب ، ط ، م || الملك : المليك د (١٠) وأما : ساقطة من ص ، ط || الحالتين : الحالين ص ؛ لحالتين ط || فليست : فليس ج ، ط (١١) فنقول : ونقول ص || كثيرة : هى كثيرة ج ، ص ، م؛ هى كثرة د، ط (١٢) أنا : إذا ص || حصرنا : أحصرنا ب (١٤) لاتفاق : لاتفارق د ، ط || بينها : بينهما ب ، ط ، م || نسبة : بالنسبة د ؛ النسبة ص ، ط ، م (١٥) موضوع : الموضوع ط .

وإما فصل ، وإما عرض ، فيكون سهلا عليك من هـذا الموضع أن تعرف إنا قد حققنا أقسام الواحد ، وأنت تعرف مما قد عرفت أيها أولى بالوحدة وأسبق استحقاقا لها ، فتعرف ان الواحد بالجنس أولى بالوحدة من الواحد بالمناسبة، وأن الواحد بالنوع أولى من الواحد بالجنس ، والواحد بالعدد أولى من الواحد بالنوع ، والبسيط الذى لا ينقسم بوجه أولى من المركب ، والتام من الذى ٥ ينقسم أولى من الناقص .

والواحد قد يطابق الموجود فى أن الواحد يقال على كل واحد من المقولات كالموجود ، لكن مفهومهما — على ما علمت — مختلف ، ويتفقان فى أنه لا يدل واحد منهما على جوهر بشىء من الأشياء ، وقد علمت ذلك .

(١) وإما فصل : وفصل م (٢) وأنت : فأنت د؛ وأنك ج، ط (٨) مفهومهما : مفهومها ط ، م || على ما علمت : كما علمت د ، ص ، م (٩) بشىء : شىء م .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

فى تحقيق الواحد والكثير وإبانة أن العدد عرض

والذى يصعب علينا تحقيقه الآن ماهية الواحد . وذلك أنا إذا قلنا : إن الواحد هو الذى لا يتكثر ضرورةً ، فأخذنا فى بيان الواحد الكثرة .

وأما الكثرة فمن الضرورة أن تُحد بالواحد ، لأن الواحد مبدأ الكثرة ، ومنه وجودها وماهيتها ، ثم أى حد حددنا به الكثرة استعملنا فيه الواحد بالضرورة . فمن ذلك ما تقول : إن الكثرة هى المجتمع من وحدات ، فقد أخذنا الوحدة فى حد الكثرة ، ثم عملنا شيئا آخر وهو أنا أخذنا المجتمع فى حدها ، والمجتمع يشبه أن يكون هو الكثرة نفسها . وإذا قلنا من الوحدات أو الواحدات أو الآحاد فقد أوردنا بدل لفظ الجمع هذا اللفظ ، ولا يفهم معناه ولا يعرف إلا بالكثرة .

وإذا قلنا : إن الكثرة هى التى تعد بالواحد ، فنكون قد أخذنا فى حد الكثرة الوحدة ، ونكون أيضا قد أخذنا فى حدها العد والتقدير ، وذلك إنما يفهم بالكثرة أيضا .

---

(٣) الواحد والكثير : الوحدة والكثرة ج ، د ، ط (٤) والذى : الذى ب ، ج ، ص ، ط ، م || تحقيقه الآن : الآن تحقيق ص ، ط || وذلك : والكثيرين طا (٥) فأخذنا : فإنا أخذنا د (٨) هى : هو ب ، ج ، ص ، ط ، م (٩) عملنا : علمنا د (١١) أوردنا : أخذنا ج ، د ، ص ، م || بدل : ساقطة من ج ، د ، ص ، ط ، م || الجمع : الجميع م ؛ + مع ج ، ص ، ط ، م || هذا : وهذا د || ولا يفهم : لا يفهم د ، ص (١٢) وإذا : وإن ج || فنكون : نكون م (١٣) الوحدة : الواحد ط || وذلك : + هو ب ، د ، ط .

فما أعسر علينا أن نقول فى هــذا الباب شيئاً يعتد به ، لكنه يشبه أن تكون الكثرة أيضا أعرف عند تخيلنا ، والوحدة أعرف عند عقولنا ، ويشبه أن تكون الوحدة والكثرة من الأمور التى نتصورها بدياً ، لكن الكثرة نتخيلها أولا ، والوحدة نعقلها من غير مبدأ لتصورها عقلى، بل إن كان ولا بد نخيالى . ثم يكون تعريفنا الكثرة بالوحدة تعريفا عقليا ، وهنالك تؤخذ الوحدة متصورة بذاتها ٥ ومن أوائل التصور، ويكون تعريفنا الوحدة بالكثرة تنبيهاً يستعمل فيه المذهب الخيالى لنومئ إلى معقول عندنا لا نتصوره حاضرا فى الذهن .

فإذا قالوا : إن الوحدة هى الشىء الذى ليس فيــه كثرة دلّوا على أن المراد بهذه اللفظة الشىء المعقول عندنا بديا الذى يقابل هــذا الآخر أو ليس هو فينبه عليه بسلب هذا عنه . ١٠

والعجب ممن يحد العدد فيقول : إن العدد كثرة مؤلفة من وحدات أو من آحاد ، والكثرة نفس العدد ، ليس كالجنس للعدد ، وحقيقة الكثرة أنها مؤلفة من وحدات . فقولهم : إن الكثرة مؤلفة من وحدات ، كقولهم : إن الكثرة كثرة . فإن الكثرة ليست إلا اسما للمؤلف من الوحدات .

١٥ فإن قال قائل : إن الكثرة قد تؤلف من أشياء غير الوحدات مثل الناس ، والدواب . فنقول : إنه كما أن هذه الأشياء ليست وحدات ، بل أشياء موضوعة للوحدات ، كذلك أيضا ليست هى بكثرة ، بل أشياء موضوعة للكثرة ، وكما أن تلك الأشياء هى واحدات لا وحدات ، فكذلك هى كثيرة لا كثرة .

(١) يشبه : يشتبه ب ، ج ، د ، ط (٢) تخيلنا : تخليتنا ط ؛ تخليه م || والوحدة أعرف عند عقولنا : ساقطة من ب ، م (٤) نعقلها : + أولا والوحدة نعقلها ج ، د ، ص ، ط || بل : ساقطة من م || نخيالى : نخيال ط (٥) وهنالك : وهناك ب ، ج ، د ، ص ، ط || بذاتها : بذاتهما ط (٩) أو ليس : ليس د ؛ إذ ليس هامش ص (١٦) فنقول : فيقال د ، ص ، م (١٨) واحدات : آحاد ص ، ط || فكذلك : كذلك ج ، د ، ص ، ط ، م || كثيرة لا كثرة : كثرة لا كثيرة م .

والذين يحسبون أنهم إذا قالوا : إن العدد كية منفصلة ذات ترتيب ، فقد تخلصوا من هذا ، لما تخلّصوا . فإن الكية يحوج تصورها للنفس إلى أن تعرف بالجزء والقسمة أو المساواة . أما الجزء والقسمة فإنما يمكن تصورها بالكية ، وأما المساواة فإن الكية أعرف منها عند العقل الصريح لأن المساواة من الأعراض ٥ الخاصة بالكية التي يجب أن توجد في حدها الكية .

فيقال : إن المساواة هي اتحاد في الكية والترتيب الذي أخذ في حد العدد أيضا ، هو مما لا يفهم إلا بعد فهم العدد . فيجب أن يعلم أن هذه كلها تنبيهات مثل التنبيهات بالأمثلة والأسماء المترادفة ، وأن هذه المعاني متصورة كلها أو بعضها لذواتها ، وإنما يدل عليها بهذه الأشياء لينبه عليها وتميز فقط .

١٠ فنقول الآن : إن الوحدة إما أن تقال على الأعراض ، وإما أن تقال على الجواهر. فإذا قيلت على الأعراض فلا تكون جوهراً ، ولا شك في ذلك ، وإذا قيلت على الجواهر فليست تقال عليها كفصل ولا جنس البتة ، إذ لا دخول لها في تحقيق ماهية جوهر من الجواهر ، بل هو أمر لازم للجوهر ، كما قد علمت. فلا يكون إذن قولها عليها قول الجنس والفصل ، بل قول "عرضى". فيكون الواحد ١٥ جوهرا ، والوحدة هي المعنى الذي هو العرض ، فإن العرض الذي هو أحد الخمسة — وإن كان كونه عرضا بذلك المعنى — قد يجوز عليه أن يكون جوهراً ، وإنما يجوز ذلك إذا أخذ مركبا ، كالأبيض . وأما طبيعة المعنى البسيط منه

(٣) بالكية : بالكثرة ب ، هامش ص (٤) لأن : ولأن د (٥) الخاصة : الخاصية م || توجد : توخذ ص (٩) لينبه عليها : ساقطة من د (١٤) قولها : قوله ج ، د ، ص ، ط ، م (١٥) جوهرا والوحدة : ساقطة من د (١٧) وإنما : فإنما ب ، د ، ص ، ط ، م || ذلك : + عليه م || المعنى : بالمعنى ج ، ط .

فهى لا محـالة عرض بالمعنى الآخر، إذ هو موجود فى الجوهر وليس بجزء منه
ولا يصح قوامه مفارقاً له .

فلننظر الآن فى الوحدة الموجودة فى كل جوهر التى ليست بجزء منه مقومة له،
هل يصح قوامها مفارقة للجوهر ؟

فنقول : إن هـذا مستحيل ، وذلك لأنها إن قامت وحدة مجردة لم يخل إما ٥
أن تكون مجرد أن لا تنقسم وليس هناك طبيعة هى المحمول عليها أنها لا تنقسم،
أو تكون هنـاك طبيعة أخرى . والقسم الأول محال ، فإنه لا أقل من يكون
هناك وجود ، ذلك الوجود لا ينقسم ، فإن كان ذلك الوجود لا محالة معنى
غير الوحدة وأنه لا ينقسم، فإما أن يكون ذلك الوجود جوهرا أو يكون عرضا،
فإن كان عرضا فالوحدة فى عرض لا محالة ثم فى جوهر ، وإن كان جوهرا ١٠
— والوحدة لا تفارقه — فهى موجودة فيـه وجود ما فى الموضوع ، وإن
كانت مفارقة ، تكون الوحدة — إذا فارقت ذلك الجوهر — يكون لها جوهر
آخر تصير إليه وتقارنه إذا فرض وجودها مقـارنة بالجوهرية ، ويكون ذلك
الجوهر — لو لم تصر إليه هذه الوحدة — لم تكن له وحدة ، وهذا محـال .
أو تكون له وحدة كانت ووحدة لحقت ، فتكون له وحدتان لا وحدة ، فيكون ١٥
جوهران لا جوهر واحد ، لأن ذلك الجوهر واحدان ، وهذا محال . وأيضا
فإن كانت كل وحدة فى جوهر آخر ، فأحد الجوهرين لم تنتقل إليـه الوحدة

(٢) ولا يصح : لا يصح ط (٣) مقومة : مقوم ب، ج، ط، م (٤) مفارقة : مفارقا ب،
ج، د ، ط، م (٩) الوجود : الموجود ص (١٠) عرض : العرض ب، ج ، د، ط
(١١) والوحدة : فالوحدة ج ، ط (١٢) مفارقة : مفارقة ص ، ط (١٣) وتقارنه :
وتقارنه هامش ص، م || إذا : وإذ م (١٤) هذه : ذلك ط || لم تكن له وحدة : ساقطة من د
(١٥) لا وحدة : ساقطة من د ، م (١٧) فأحد : وأحد م .

وعاد الكلام جذعا فيا انتقل إليه الوحدة وصار أيضا جوهرين ، وإن كانت كل وحدة فى الجوهرين جميعا فتكون الوحدة اثنوية ، هذا خلف . فقد بان أن الوحدة ليس من شأنها أن تفارق الجوهر الذى هى فيه .

ونبتدئ فنقول : إنه إن كانت الوحدة ليست بجرد أنها لا تنقسم، بل كانت ٥ وجوداً لا ينقسم حتى يكون الوجود داخلا فى الوحدة لا موضوعا لها ، فإذا فرضنا أنه قد فارقت هذه الوحدة الجوهر إن كانت يمكن أن توجد بذاتها كانت وجوداً لا ينقسم بجرداً ولم تكن وجوداً لا ينقسم فقط ، بل تكون الوحدة وجوداً جوهريا لا ينقسم إذا قام ذلك الوجود لا فى موضوع . فلا تكون للأعراض وحدة بوجه من الوجوه . وإن كان للأعراض وحدة تكون ١٠ وحدتها غير وحدة الجوهر ، وتكون الوحدة تقال عليها باشتراك الاسم .

فيكون أيضا من الأعداد ما تأليفه من وحدة الأعراض ، ومن الأعداد ما تأليفه من وحدة الجواهر فلننظر هل يشتركان فى معنى الوجود الذى لاينقسم أولا يشتركان ؟ فان لم يشتركا فتكون الوحدة فى أحَدِيهما وجوداً منقسماً وفى الآخر ليس كذلك . ولسنا نعنى بوحدة الأعراض أو الجواهر ذلك ، ١٥ حتى نعنى فى أحَدِيهما بالوحدة شيئا غير أنه وجود غير منقسم . وإن اشتركا فى ذلك المعنى ، فذلك المعنى هو الوجود الغير المنقسم الذى إياه نعنى بالوحدة؛ وذلك المعنى أعم من المعنى الذى ذكرناه قبيل الآن ، فإن ذلك كان يلزمه

(٢) وحدة : واحدة د || اثنوية : اثنوه ب ، م || فقد بان : فبين ج ، د ، ط ، فتبين ص ، م (٤) ونبتدئ : ونبدأ م (٥) لها : له م (٧) تكن : + أيضا ج ، د ، ص ، ط ، م (٨) إذا : إذ ج ، د ، ص ، ط (٩) كان : كانت د (١١ — ١٢) الأعراض ... ما تأليفه : ساقطة من م (١٢) من وحدة : ساقطة من م (١٤) الآخر : الأخرى ب ، د ، ص ، ط ، طا ، م (١٦) فذلك : وذلك د .

مع كونه وجوداً لا ينقسم ، أن يكون وجوداً جوهريا ، إذ قد كان يمكن فرضه مجردا ، وذلك المعنى لا محالة إن كان جوهراً لم يعرض للعرض ، وليس يلزم أن نقول إنه إن كان عرضا لم يعرض للجوهر ، فإن الجوهر يعرض له العرض ويقوم به العرض ، والعرض لا يعرض له الجوهر حتى يكون قائما فيه .

فإذن الوحدة الجامعة أعم من ذلك المعنى وكلامنا فيها ، ومن حيث هى وجود لا ينقسم فقط بلا زيادة أخرى وذلك لا يفارق موضوعاته وإلّا صار ذلك المعنى الأخصّ . فإنه من المحال أن تكون الوحدة وجوداً غير منقسم فى الأعراض والجواهر ويجوز مع ذلك أن تفارق ، فيكون جوهرا عرض لعرض ، أو أن تكون الوحدة مختلفة فى الجواهر والأعراض .

فبين أن الوحدة حقيقتها معنى عرضى ومن جملة اللوازم للأشياء .

وليس لقائل أن يقول : إن هذه الوحدة إنما لا تفارق على سبيل ما لا تفارق المعانى العامة قائمة دون فصولها ، كما لا تفارق الإنسانية الحيوانية . وامتناع هذه المفارقة لا يوجب العرضية ، بل إنما يوجب العرضية امتناع مفارقة يكون للمعنى المحصّل الموجود المشخّص .

فنقول : ليس الأمر كذلك ، فإن نسبة ما فرضناه أعم إلى ما فرضناه أخص ليس نسبة المنقسم اليه بفصل مقوّم . فقد بيّنا أن الوحدة غير داخلة فى حد جوهر أو عرض ، بل نسبة لازم عام . وإذا أشرنا إلى بسيط واحد منه كان

(١) وجودا : وجوديا د ، م (٢) إن : إذ م (٣) إن : ساقطة من د
(٦) موضوعاته : موصوفاته م (٧) فإنه : فإذ كان هذا ب ، ج ؛ فإذن كان بخ ؛ فإذا كان هذا د ، ص ؛ فإذ كان م || المحال : + أعنى ج ، ص (٨) الجواهر : الجوهر ط
(١١) إنما : فإنما م (١٢) كما ... الحيوانية : ساقطة من م (١٤) الموجود المشخص : الوجود المشخصة م (١٥) إلى ما فرضناه : ساقطة من م .

متميز الذات عن التخصيص الذى يقارنه ، لا كاللونيــة التى فى البياض ، فإذا صح أنه غير مفــارق صح أن المحمول الذى هو معنى لازم عام مشتق الاسم من اسم معنى بسيط هو معنى الوحدة، وذلك البسيط عرض . وإذا كانت الوحدة عرضا ، فالعدد المؤلف من الوحدة عرض .

(١) التخصيص : + ـه م (٣) وإذا : وإن ج ؛ وإذ م .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

فى أن المقادير أعراض

وأما الكيات المتصلة فهى مقادير المتصلات، أما الجسم الذى هو الكم فهو مقدار المتصل الذى هو الجسم بمعنى الصورة ، على ما عرفته فى عدة مواضع ، ٥ وأما الجسم بالمعنى الآخر الداخل فى مقولة الجوهر فقد فرغنا منه .

وهذا المقدار قد بان أنه فى مادة ، وأنه يزيد و ينقص والجوهر باق ، فهو عرض لا محالة ، ولكنه من الأعراض التى تتعلق بالمادة و بشىء فى المادة ، لأن هــذا المقدار لا يفارق المادة إلا بالتوهم ، ولا يفارق الصورة التى ١٠ للمادة ، لأنه مقدار الشىء المتصل الذى يقبل أبعاد كذا ، وهذا لا يمكن أن يكون بلا هذا الشىء المتصل كما أن الزمان لا يكون إلا بالمتصل الذى هو المسافة وهذا المقدار هو كون المتصل بحيث يمسح بكذا كذا مرة ، أو لا ينتهى المسح إن توهم غير متناه توهماً . وهذا مخالف لكون الشىء بحيث يقبل فرض الأبعاد المذكورة ، فإن ذلك لا يختلف فيه جسم وجسم . وأما أنه يمسح بكذا ١٥ كذا مرة ، أو أنه لا يفنى مسحه بكذا ألبتة ، فقد يختلف فيه جسم وجسم .

---

(٣) المقادير : الكيات د || أعراض : عرض م (٤) المتصلة : ساقطة من ط || فهو : وهو ب (٦) منه : عنه ب ، جـ ، ص ، ط (٨) وبشىء : وبشىء د (١٠) مقدار : + هذا ص || الشىء المتصل : الشىء ب ، ص ، ط ، م ؛ المتصل جـ || أبعاد : أبعادا جـ || لا يمكن : لا يكون د (١١) هذا الشىء المتصل : هذا الشىء ب ، ص ، م (١٢) كذا مرة : وكذا مرة جـ ، ط ؛ ساقطة من د || أو لا ينتهى : منه أو لا ينتهى ص ؛ منه أو لا ينتهى م (١٣) مخالف : يخالف م (١٤) أنه : + جسم د (١٥) كذا : وكذا جـ ، ط ؛ بكذا د || أو أنه : وأنه جـ ، ط ، م || مسحه : + مسحه د .

فهذا المعنى هو كمية الجسم ، وذلك صورته . وهذه الكمية لا تفارق تلك
الصورة فى الوهم ألبتة ، لكن هى والصورة تفارقان المادة فى الوهم .

وأما السطح والخط فبالحرى أن يكون له اعتبار أنه نهاية ، واعتبار أنه مقدار ؛
وأيضا للسطح اعتبار أنه يقبل فرض بعدين فيه على صفة الأبعاد المذكورة ،
٥ أعنى بُعْدين فقط يتقاطعان على زاوية قائمة ؛ وأيضا أنه يقدر ويمسح ، ويكون
أعظم وأصغر ، وأنه يفرض فيه أيضا أبعاد بحسب اختلاف الأشكال .

فلنتأمل هذه الأحوال فيه فنقول : أما قبوله لفرض بُعْدين فإنما ذلك له لأنه
نهاية الجسم الذى هو قابل لفرض الأبعاد الثلاثة ، فإن كون الشىء نهاية لقابل
الثلاثة من حيث هو نهاية لمثل ذلك لا أنه نهاية مطلقا ، ومقتضاه أن يكون
١٠ قابلًا لفرض بُعْدين ، وليس هو بهذه الجهة مقدار ، بل هو بهذه الجهة مضاف .
وإن كان مضافاً لا يكون إلا مقداراً ، وقد عرفت الفرق بين المضاف مطلقا
وبين المضاف الذى هو المقولة التى لا تجوز ، على ما بينا أن يكون مقداراً
أو كيفاً . وأما أنه مقدار فهو بالجهة الأخرى التى بها يمكن أن يخالف غيره من
السطوح فى القدر والمساحة ولا يمكن أن يخالفها بالمعنى الأول بوجه ؛ لكنه
١٥ من الجهتين جميعا عرض ، فإنه من حيث هو نهاية عارض للتناهى ، لأنه موجود
فيه بجزء منه ولا يقوم دونه ، وقد قلنا إنه ليس من شرط الموجود فى شىء
أن يطابق ذاته ، وأما أين قلنا هذا ففى الطبيعيات ، فليتأمل هناك إن عرضت
من هذه الجهة شبهة .

---

(٢) لكن : هى م (٣) وأما : فأما د || له : ساقطة من م (٧) فيه : ساقطة من ب || بعدين : البعدين جـ ، د ، ص ، م (٨) الأبعاد : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ط ، م (٩) أنه : أنها م (١٢) المقولة التى : مقولة الذى جـ ، د ، ط ، م (١٣) التى : الذى جـ || بها : لها ط ، م (١٤) لكنه : لكن ط .

وأيضا من حيث هو مقدار هو عرض ، ولو كان كون السطح بحيث يفرض
فيه بعدان أمرا له فى نفسه لم تكن نسبة المقدارية فى السطح إلى ذلك الأمر
نسبة المقدارية إلى الصورة الجسمية، بل تكون نسبة ذلك المعنى إلى المقدارية
فى السطح نسبة فصل إلى جنس ، والنسبة الأخرى نسبة عارض إلى صورة .
وأنت تعلم هذا بتأمل الأصول . ٥

واعلم أن السطح لعرضيته ما يحدث ويبطل فى الجسم بالاتصال والانفصال
واختلاف الأشكال والتقاطيع ، وقد يكون سطح الجسم مسطحا ، فيبطل من
حيث هو مسطح ، فيحدث مستدير . وقد علمت فيما سلف من الأقاويل أن
السطح الواحد بالحقيقة لا يكون موضوعا للكرية والتسطيح فى الوجود، ولذلك
ليس كما أن الجسم الواحد يكون موضوعا لاختلاف أبعاد بالفعل تترادف عليه ١٠
فكذلك السطح إذا أزيل عن شكله حتى تبطل أبعاده فلا يمكن ذلك إلا بقطعه .
وفى القطع إبطال صـــورة السطح الواحدة التى بالفعل ؛ وقد علمت هذا من
أقوال أخرى ، وعلمت أن هذا لا يلزم فى الهيولى حتى تكون الهيولى للاتصال
غيرها للانفصال، وقد علمت أنه إذا أُلِّفَتْ سُطُوحٌ ووصلَ بعضها ببعض تأليفاً
يبطل الحـــدود المشتركة كان الكائن سطحا آخر بالعدد ، لو أعيد إلى تأليفه ١٥
الأول لم يكن ذلك السطح الأول بالعدد بل آخر مثله بالعدد ، وذلك لأن
المعدوم لا يعاد .

---

(١) وأيضا : + هو جـ د ، ط ، م (٢) أمرا له : أمر إليه ط || نسبة : نسبته ط
(٤) السطح : + إلى ط (٦) ما يحدث : ما يعرض يحدث م (٧) والتقاطيع : والتقاطع د
(٨) فيحدث : ويحدث ص (٩) والتسطيح : والتسطيح م || ولذلك : وكذلك م
(١١) السطح : لأن السطح ب ، جـ ، ص ، م || شكله : أشكاله ط (١٢) إبطال :
إبطاله م || الواحدة : الواحد جـ (١٣) وعلمت : وقد علمت د ، ص ، ط (١٤) ألفت :
ألف ب ، ط (١٦) بل آخر : ساقطة من م .

و إذ قد عرفت صورة الحال فى السطح فقد عرفت فى الخط فاجعله قياساً عليه.
فقد تبين لك أن هذه أعراض لا تفارق المادة وجوداً، وعرفت أيضا أنها لا تفارق
الصورة التى هى فى طباعها مادية توهماً أيضا . فقد بقى أن تعلم كيف ينبغى
أن يفهم قولنا : إن السطح يفارق الجسم توهماً ، و إن الخط يفارق السطح
٥ توهما .

فنقول : إن هذه المفارقة تفهم فى هذا الموضع على وجهين : أحدهما
أن نفرض فى الوهم سطح ولا جسم ، وخط ولا سطح ، والآخر أن يلتفت إلى
السطح ولا يلتفت إلى الجسم أصلاً أنه معه أو ليس معه . وأنت تعرف أن الفرق
بين الأمرين ظاهر ، فإنه فرق بين أن ينظر إلى الشىء وحده و إن كان معتقدا
١٠ أنه مع غيره لا يفارقه ، و بين أن ينظر إليه وحده مع شرط مفارقته ما هو معه ،
محكوما عليه بأنه كما التفت إليه وحده حتى يكون هو فى وهمك قائم وحده .
فهو مع ذلك يفرق بينه و بين الشىء الآخر محكوماً بأن ذلك الشىء ليس معه .

فمن ظن أن السطح والخط والنقطة قد يمكن أن يتوهم سطحا وخطا ونقطة
مع فرض أن لا جسم مع السطح ولا مع الخط ولا مع النقطة فقد ظن باطلا ،
١٥ وذلك لأنه لا يمكن أن يفرض السطح فى الوهم مفرداً ليس نهاية لشىء إلا أن
يتوهم مع وضع خاص و يتوهم له جهتان توصلان الصائر إليه إيصالا يلقى جانبين
غيرين ، كما علمت . فيكون حينئذ ما توهم سطحا غير سطح .

---

(٢) أعراض : الاعراض د || وعرفت : وقد عرفت ص ، ط (٣) طباعها : طباعه م || تعلم : + أيضا جـ (٤) و إن الخط : والخط ب (٤ — ٥) و إن الخط... توهما : ساقطة من ط ، م (٦) الموضع : الموضوع د (٧) نفرض : يعرض ب ، د ، ط (٨) تعرف : تعلم ب ، جـ ، ص (١٠) مفارقته : مفارقة جـ ، ص || ما هو : هو د (١١) يكون : ساقطة من د ، م (١٢) يفرق : + فارق جـ ، م || محكوما : محكوم جـ ، ص ، م (١٥) مفردا : مفرط ط (١٦ — ١٧) جانبين... سطحا : ساقطة من ط .

فإن السطح هو نفس الحد لا ذو الحدين ، وإن توهم السطح نفس النهاية التى تلى جهة واحدة فقط من حيث هو كذلك أو نفس الجهة ، والحد — على أن لا انفصال له من جهة أخرى — كان ماهو نهايته متوهما معه بوجه ما ، وكذلك الحال فى الخط والنقطة .

والذى يقال إن النقطة ترسم بحركتها الخط فإنه أمر يقال للتخيل، ولا إمكان وجود له ، لا لأن النقطة لا يمكن أن تفرض لها مماسة متنقلة ، فإنا قد بينا أن ذلك ممكن فيها بوجه ، لكن المماسة لما كانت لا تثبت وكان لا يبقى الشيء بعد المماسة إلا كما كان قبل المماسة ، فلا تكون هناك نقطة بقيت مبدأ خط بعد المماسة ولا يبقى امتدادٌ بينها وبين أجزاء المماسة ، لأن تلك النقطة إنما صارت نقطة واحدة كما علمت فى الطبيعيات بالمماسة لاغير ، فإذا بطلت المماسة بالحركة فكيف تبقى هى نقطة ؟ وكذلك كيف يبقى ماهى مبدأ له رسما ثابتا ؟ بل إنما ذلك فى الوهم والتخيل فقط . وأيضا فإن حركتها تكون لا محالة ، وهناك شيء موجود تكون الحركة عليه أو فيه ، وذلك الشيء قابل لأن يتحرك فيه فهو جسم أو سطح أو بُعْد فى سطح أو بُعْد هو خط ، فتكون هذه الأشياء موجودة قبل حركة النقطة ، فلا تكون حركة النقطة علة لأن توجد هى .

---

(١) نفس : + الخط م (٢) والحد : فالحد جـ (٥) فإنه أمر : فأمر ص ، ط || للتخيل : للتخييل جـ ، ص ، ط ؛ التخيل م (٦) له : + بوجه جـ || تفرض : يعرض جـ (٦ — ٧) مماسة ... لما : ساقطة من ب (٧) ممكن : جائز جـ ، د ، ص ، م || وكان : فكان جـ ، د (٩) يبقى : بقى ص || أجزاء : الأجزاء ص ؛ أخرم (١٠) واحدة : واحدا ب ، جـ ، م (١١) بل : + له ط ، م (١٢) فى الوهم والتخيل : فى التخيل ب ، د ، ط ، م (١٣) أوفيه : وفيه م || فهو جسم : فهو بعد جسم بخ ، جـ ؛ بعد جسم د (١٣ — ١٤) فهو جسم ... خط : ساقطة من م (١٤) فى سطح أو بعد : ساقطة من د .

فأما وجود المقـدار الجسمانى فظاهر ، وأما وجود السطح فلوجوب تناهى المقـدار الجسمانى ، وأما وجود الخط فبسبب جواز قطع السطوح وافتراض الحدود لهـا . وأما الزاوية فقد ظن بها أنها كية متصلة غير السطح والجسم ، فينبغى أن ينظر فى أمرها ، فنقول : إن المقدار جسمًا كان أو سطحاً فقـد
٥ يعرض له أن يكون محاطاً بين نهايات تلتق عند نقطة واحدة، فيكون من حيث هو بين هذه النهايات شيئاً ذا زاوية من غير أن ينظر إلى حال نهاياته من جهة فكأنه مقدار أكثر من بعد ينتهى عند نقطة، فإن شئت سميت نفس هذا المقدار من حيث هو كذلك زاوية ، وإن شئت سميت الكيفية التى له من حيث هو هكذا زاوية ؛ فيكون الأول كالمربع والثـانى كالتربيع . فإن أوقعت الاسم
١٠ على المعنى الأول قلت : زاوية مساوية وناقصة وزائدة لنفسها ، لأن جوهرها مقدار ، وإن أوقعت على المعنى الثانى قلت ذلك لها بسبب المقدار الذى هى فيه كالتربيع ، ولأن هذا الذى هو الزاوية بالمعنى الأول يمكن أن يفرض فيه إما أبعاد ثلاثة أو بعدان ، فهو مقدار جسم أو سطح .

والذى يظنه من يقول : إنه إنما يكون سطحاً إذا تحرك الخـط الفاعل إياه
١٥ فى الوهم بكلتى نقطتيه حتى أحدثه ، حتى كان قد يحـرك الطول عرضا بالحقيقة فحدث عرض بعد الطول فكان طول وعرض ؛ بل لم يتحرك الخط المحدث للزاوية لا فى الطول وحده كما هو ولا فى العرض حتى يحدث سطح ، وإنمـا تحرك بأحد رأسيه فحدثت الزاوية . فجعل الزاوية جنساً رابعاً من المقادير .

---

(٢) فبسبب : بسبب د (٨) له : ساقطة من د (٩) هكذا : كذا ب، جـ، ص (١١) هى : هو جـ، ص، ط (١٢) ولأن : فلأن جـ، ص، م (١٤) إذا : لو ب، إن لو د ؛ أو م (١٦) الخط : ساقطة من ط .

والسبب فى هذا جهله بمعنى قولنا : إن للشىء ثلاثة أبعاد أو بُعْدَين حتى يكون جسما أو مسطحا . فإذ قد عرفت ذلك عرفت أن هذا الذى قاله لا يلزم، ولا ينبغى أن يكون للعاقل إليه إصغاء ، وإنما هو شروع من ذلك الإنسان فيما لا يعنيه . وهذا الغافل الحيران قد يذهب إلى أن السطح بالحقيقة هو المربع أو المستطيل لا غير . وليس كلامه مما يهم فضل شغل به . فقد عرفت وجود الأقدار وأنها ٥ أعراض وأنها ليست مبادئ للأجسام، إذ الغلط فى ذلك إنما عرض لما عرفت .

وأما الزمان فقد كان تحقق لك عرضيته وتعلقه بالحركة فيما سلف، فبقى أن تعلم أنه لا مقدار خارجاً عن هذه المقادير، فنقول: إن الكم المتصل لا يخلو إما أن يكون قاراً حاصل الوجود بجميع أجزائه ، أو لا يكون ، فإن لم يكن ، بل كان متجدد الوجود شيئا بعد شىء فهو الزمان . ١٠

وإن كان قاراً وهو المقدار ، فإما أن يكون أتم المقادير وهو الذى يمكن فيه فرض أبعاد ثلاثة ، إذ ليس يمكن أن يفرض فيه فوق ذلك ، وهذا هو المقدار المجسم ، وإما أن يفرض فيه بُعْدان فقط ، وإما أن يكون ذا بُعْدٍ واحد فقط إذ كل متصل فله بعد مّا بالفعل أو بالقوة ، ولما كان لا أكثر من ثلاثة ولا أقل من واحد فالمقادير ثلاثة والكميات المتصلة لذاتها أربعة . وقد يقال لأشياء ١٥ أخر أنها كميات متصلة وليست كذلك .

---

(١) للشىء : الشىء د ، ط ، م (٢) ذلك عرفت : ساقطة من د (٥) مما : فيما د ، ص ، ط ، م (٧) فبقى : فيبقى ص || أن تعلم : ساقطة من ط (٨) إن : لأن ب ، م (١٠) فهو : وهو م (١١) وهو المقدار : فهو المقدار د ، ط (١١) فيه : ساقطة من جـ (١٢ — ١٣) فوق... يفرض فيه : ساقطة من م (١٣) واحد : ساقطة من ط (١٤) بالقوة : القوة جـ ، م (١٥) والكميات : فالكميات ب ، جـ ، ط (١٦) وليست : وليس جـ .

أما المكان فهو السطح ، وأما الثقــل والخفة فإنها توجب بحركاتها مقادير في الأزمنة والأمكنة ، وليس لهـا في نفسها أن تجزأ بجزء يعدها ، وأن تقابل بالمساواة والمفاوتة بأن يفرض لها حد ينطبق على حد مايجانسه ، حتى ينطبق مايليه منه على ما يليه مما يجانسه ، فينطبق عليه الحد الآخر فيساوى أو يختلف فلا يساوى ، بل يفاوت ، فإنا نعنى بالمساواة والمفاوتة المعرّفتين للقدار هـذا المعنى . وأما التجزئة التي تعرض لخفة والثقل بأن يكون ثقل نصف ثقل فإن ذلك لأنه يتحرك في الزمان نصف المسافة ، أو في المسافة ضعف الزمان ، أو تحرك الأعظم إلى أسفل في آلة حركة يلزم معها أن يتحرك الأصغر إلى العلو أو أمرا مما يجرى هذا المجرى .

فهو كالحرارة التي تكون ضعف الحرارة لأجل أنها تفعل في الضعف أو لأنها في ضعف الجسم الحار المتشابه في الحرارة . وكذلك حال الصغير والكبير والكثير والقليل فإن هـذه أعراض أيضا تلحق الكيات من باب المضاف ، وأنت قد حصلت الكلام في جميع هذه في موضع آخر .

فالكية بالجملة حدها هى أنها التي يمكن أن يوجد فيها شيء منها يصح أن يكون واحدا عادًا ، ويكون ذلك لذاته سواء كانت الصحة وجودية أو فرضية .

(١) فإنها توجب بحركاتها : فإنهما يوجبان بحركاتهما ط (٢) لها : لهما ص ، ط || نفسها : نفسهما ص ، ط || يعدها : يعدهما ط ، م (٣) والمفاوتة : والمتفاوتة د || لها : لهما جـ ، ص ، ط || حتى ينطبق : فينطبق ب ؛ وينطبق جـ ، د ؛ وبطبق م (٤) على : ساقطة من ص (٧) يتحرك : تحرك م (٨) في آلة : وآلة م (١٠) تكون : ساقطة من م || في الضعف : بالضعف د || أو لأنها : ولأنها ط (١١) الحار : + بالحار د || المتشابه : المشابه ب || في الحرارة : لحرارة د (١٢) هذه : هذا ط (١٣) موضع آخر : مواضع أخرب (١٤) حدها : ساقطة من م || أنها : إنما ب ؛ ساقطة من جـ ، د ، ط ، م .

[الفصل الخامس]

(ه) فصل

فى تحقيق ماهية العدد ، وتحديد أنواعه ، و بيان أوائله

و بالحرى أن نحقق ههنا طبيعة الأعداد ، وخاصياتها ، وكيف يجب أن يتصور حالها ووجودها ، فقد انتقلنا عنها إلى الكميات المتصلة مستعجلين ، ٥ لأن غرضنا كان يوجب ذلك . فنقول : إن العدد له وجود فى الأشياء، ووجود فى النفس . وليس قول من قال : إن العدد لا وجود له إلا فى النفس بشىء يعتد به ، أما إن قال : إن العدد لاوجود له مجردا عن المعدودات التى فى الأعيان إلا فى النفس ، فهو حق . فإنا قد بينا أن الواحد لا يتجرد عن الأعيان قائما بنفسه إلا فى الذهن ؛ فكذلك ما يترتب وجوده على وجود الواحد . وأما أن ١٠ يكون فى الموجودات أعداد فذلك أمر لاشك فيه إذا كان فى الموجودات وحدات فوق واحدة ، وكل واحد من الأعداد فإنه نوع بنفسه ، وهو واحد فى نفسه من حيث هو ذلك النوع، وله من حيث هو ذلك النوع خواص. والشىء الذى لا حقيقة له محال أن تكون له خاصية الأولية أو التركيبية أو التامية أو الزايدية أو الناقصية أو المربعية أو المكعبية أو الصمم وسائر الأشكال ١٥ التى لها .

---

(٤) نحقق : نحقق به ، د ، ص ، ط ، م (٥) عنها : عنه ط (٩) فإنا : + إذ م
(١١) يكون : ساقطة من م || إذا : إذ جـ ، ص ؛ أو د (١٢) الأعداد : الوحدات طا
(١٤) خاصية : خاصيته : ص ، ط || التركيبية : التركيب جـ، د، ص ، م (١٥) الزايدية : الزايدة م .

فإذن لكل واحد من الأعداد حقيقة تخصه وصورة يتصور منها فى النفس ، وتلك الحقيقة وحدته التى بها هو ما هو . وليس العدد كثرة لا تجتمع فى وحدة حتى يقال : إنه مجموع آحاد . فإنه من حيث هو مجموع هو واحد يحتمل خواص ليست لغيره . وليس بعجيب أن يكون الشىء واحدا من حيث له صورة ما كالعشرية مثلا أو الثلاثية و له كثرة ، فمن حيث العشرية ما هو بالخواص التى للعشرة ، وأما لكثرته فليس له فيها إلا الخواص التى للكثرة المقابلة للوحدة، ولذلك فإن العشرة لا تنقسم فى العشرية إلى عشرتين لكل واحدة منهما خواص العشرية .

وليس يجب أن يقال : إن العشرة ليس هى إلا تسعة وواحد ، أو خمسة وخمسة ، أو واحد وواحد وواحد كذلك حتى نتهى إلى العشرة . فإن قولك : العشرة تسعة وواحد، قول حملت فيه التسعة على العشرة وعطفت عليه الواحد، فتكون كأنك قلت : إن العشرة أسود وحلو ، فيجب أن تصدق عليه الصفتان المعطوفة إحداهما على الأخرى ، فتكون العشرة تسعة وأيضا واحدا . فإن لم ترد بالعطف تعريفا ، بل عنيت ما يقال : إن الانسان حيوان وناطق ، أى حيوان ذلك الحيوان الذى هو ناطق . تكون كأنك قلت : إن العشرة تسعة ، تلك التسعة التى هى واحد ، وهذا أيضا مستحيل . وإن عنيت

---

(١) فإذن : فإن م || واحد : ساقطة من جـ ، ص ، ط || تخصه : مخصبة د ، ط (٤) لغيره وليس : ساقطة من د || وليس : ليس م || بعجيب : بعجب ص ، م (٦) التى للعشرة : إلى العشرة م (٧) فإن : قال د || واحدة : واحد ب ، جـ ، د ، م (٩) هى إلا : هو إلا ب ، جـ ، د ، م ؛ إلا هو ط || وواحد : وواحدة جـ ، ط (١٠) وواحد وواحد : وواحد جـ ، د ؛ وواحد واحد ص ، م || كذلك : ساقطة من م || إلى العشرة : ساقطة من م (١١) وواحد : وواحدة ص ، ط (١٢) فتكون كأنك : فكأنك جـ || إن العشرة : العشرة ب ، جـ ، ط ، م (١٣) إحداهما : أحدهما م || فتكون : + كأنك قلت واحد ط (١٥) ناطق : الناطق جـ ، ط .

أن العشرة تسعة مع واحد ، وكان مرادك أن العشرة هى التسعة التى تكون مع واحد ، حتى إن كانت التسعة وحدها لم تكن عشرة ، فإذا كانت مع الواحد كانت تلك التسعة عشرة ، فقد أخطأت أيضا . فإن التسعة إذا كانت وحدها أو مع أى شىء كان معها فإنها تكون تسعة ولا تكون عشرة ألبتة . فإن لم تجعل "مع" صفةً للتسعة ، بل للموصوف بها ، فتكون كأنك قلت : إن العشرة تسعة، ٥ ومع كونها تسعة هى أيضا واحد ، فذلك أيضا خطأ ، بل هذا كله مجاز من اللفظ مغلط ، بل العشرة مجموع التسعة والواحد إذا أخذا جميعا فصار منهما شىء غيرهما .

وحد كل واحد من الأعداد — إن أردت التحقيق — هو أن يقال : إنه عدد من اجتماع واحد وواحد وواحد ، وتذكر الآحاد كلها . وذلك لأنه ١٠ لا يخلو إما أن يحد بالعدد من غير أن يشار إلى تركيبه مما ركب منه ، بل بخاصية من خواصه ، فذلك يكون رسم ذلك العدد لا حده من جوهره ، وإما أن يشار إلى تركيبه مما ركب منه . فإن أشير إلى تركيبه من عددين دون الآخر مثلا أن تجعل العشرة من تركيب خمسة وخمسة لم يكن ذلك أولى من تركيب ستة مع أربعة ، وليس تعلق هويته بأحدهما أولى من الآخر . وهو بما هو عشرة ١٥ ماهية واحدة ، ومحال أن تكون ماهية واحدة ، وما يدل على ماهية من حيث هى واحدة حدود مختلفة .

---

(٢) كانت : كان جـ ، ص ، ط (٣) أخطأت : أخطأ د (٥) للتسعة : التسعة د ، ط
(٦) هى أيضا واحد ، فذلك أيضا خطأ : أيضا هى واحدة فذلك أيضا هى خطأ د ، م ؛ أيضا هى واحدة فذلك أيضا هى خطأ ط (١٠) وواحد وواحد : ووواحد واحد ؛ ب ؛ واحد وواحد جـ ؛ وواحد د || لأنه : أنه ب ، د ، ص ، م (١١) بخاصية : بخاصة ب ، م (١٢) منه : عنه د ، م
(١٤) خمسة : + وعشرة م (١٥) هويته : هويتها جـ ، د ، ط || وهو : وهى د ، ص
(١٥-١٦) عشرة ماهية : عشرة ماهيتها د ، ط ؛ عشرة ماهيته م (١٦) ماهية واحدة : ماهيته واحدة ب ، ص ، م ؛ ماهيتها واحدة جـ ، د || على ماهية : على ماهيته ب ، جـ ، م ؛ على ماهيتها د ، ص .

فإذا كان كذلك فحده ليس بهذا ولا بذاك ، بل بما قلنا . ويكون —
إذا كان ذلك كذلك — وقد كان له التركيب من خمسة وخمسة ، ومن ستة
وأربعة ، ومن ثلاثة وسبعة ، لازماً لذلك وتابعا ، فتكون هذه رسوما له .
على أن تحديدك بالخمسة يحوج إلى تحديد الخمسة فينحل ذلك كله إلى الآحاد
٥ وحينئذ يكون مفهوم قولك : إن العشرة من خمسة وخمسة ، هو مفهوم قولك :
من ثلاثة وسبعة ، وثمانية واثنين ، أعنى إذا كنت تلحظ تلك الآحاد .
فأما إذا لحظت صورة الخمسة والخمسة ، والثلاثة والسبعة ، كان كل اعتبار غير
الآخر . وليس للذات الواحدة حقائق مختلفة المفهومات ، بل إنما تتكثر
لوازمها وعوارضها ، ولهذا ما قال الفيلسوف المقدم : لا تحسبن أن ستة
١٠ ثلاثة وثلاثة ، بل هو ستة مرة واحدة .

ولكن اعتبار العدد من حيث آحاده مما يصعب على التخيل وعلى العبارة فيصار
إلى الرسوم .

ومن الواجب ، ومما يجب أن يبحث عنه من حال العدد حال الاثنوة .
فقد قال بعضهم : إن الاثنوة ليست من العدد ، وذلك لأن الاثنوة هي الزوج
١٥ الأول ، والوحدة هي الفرد الأول ، وكما أن الوحدة التي هي الفرد الأول ليس

(١) كذلك : ذلك د || فحده : فحدها ص || بهذا ولا بذاك : بهذه أولا بذلك د ، بهذا أولى بذاك جـ || ويكون : يكون د (٢) ذلك : ساقطة من جـ || كذلك : ساقطة من د ، م || وقد : فقد ب ، د ، ط ؛ لقد ص ، م || التركيب : التراكيب ط (٣) له : لها د (٤) يحوج : محوج جـ ، ط || فينحل : فيستحيل د (٥) من : ساقطة من ص || هو مفهوم قولك : ساقطة من ص (٧) فأما إذا : فإذا جـ ، د || لحظت : لاحظت جـ || والخمسة : ساقطة من م || كل : ساقطة من د ، + ذلك الاعتبار ط (٩) لوازمها وعوارضها : لوازمه وعوارضه ب ، جـ ، م (١١) ولكن : لكن ب ، جـ ، م (١٢) الرسوم : + "ل" د (١٣) ومن : من ب ، جـ ، د ، ص ، م || حال العدد : أحوال العدد د || حال الاثنوة : حال الاثنوية جـ ، ص ؛ وحال الاثنوية د (١٤) الاثنوة : الاثنويه د ، ص || لأن الاثنوة : لأن الاثنوية د .

بعدد ، فكذلك الاثنوة التي هي الزوج الأول ليس بعدد . وقال : ولأن العدد
كثرة مركبة من الآحاد ، والآحاد أقلها ثلاثة ، ولأن الاثنوة لا تخلو إن كانت
عددا إما أن تكون مركبة أو لا تكون ، فإن كانت مركبة فعددها غير الواحد ،
وإن كانت عددا أولاً فلا يكون لها نصف . وأما أصحاب الحقيقة فلا يشتغلون
بأمثال هذه الأشياء بوجه من الوجوه ، فإنه لم تكن الوحدة غير عدد لأجل أنها ٥
فرد أو زوج ، بل لأنها لا انفصال فيها إلى وحدات .

ولا إذا قالوا : مركبة من وحدات ، يعنون بها ما يعنيه النحويون
من لفظ الجمع وأن أقله ثلاثة بعد الاختلاف فيه ، بل يعنون بذلك أكثر وأزيد
من واحد. وقد جرت عادتهم بذلك، ولا يبالون أن لا يوجد زوج ليس بعدد،
وإن وجد فرد ليس بعدد، فما فرض عليهم أن يدأبوا في طلب زوج ليس بعدد. ١٠
وليسوا يشترطون في العدد الأول أن يكون لا نصف له مطلقا ، بل لا نصف
له عددا من حيث هو أول ، وإنما يعنون بالأول أنه غير مركب من عدد .

وإنما يعنى بالعدد ما فيه انفصال ويوجد فيه واحد، فالاثنوة أول العدد،
وهو الغاية في القلة في العدد . وأما الكثرة في العدد فلا تنتهي إلى حد ، وقلة
الاثنوة ليست مما تقال بذاتها ، بل بالقياس إلى العدد . ١٥

---

(١) الاثنوة : الاثنوية د ، ص ، + ليست م || وقال : قال ب ، جـ ، د ، ص || ولأن : لأن ط (٢) الآحاد : آحاد د ، م || والآحاد : فالآحاد جـ || الاثنوة : الاثنوية د || كانت : كان ط ، م (٣) تكون مركبة : تكون مركبا ب ، د ، ط ، طا ، م || أو لا تكون : أو لا ب ، أو تكون أولا د ، ط ، م (٤) يشتغلون : يشغلون جـ (٥) فإنه : فإن م (٦) لأنها : لأجل أنها خ (٧) يعنون بها : لا يعنون به ب || يعنون بها ما يعنيه : يعنون ما يعنوه د ؛ يعنون ما يعنيه م (٨) الاختلاف : الخلاف د || وأزيد : أو أزيد م (٩) واحد : وحدة ب ، ص ، ط ؛ واحدة طا (١٠) ليس : وليس م || بعدد : + إذ وجدوا فردا ليس بعدد ب ، م ؛ إن وجد فرد ليس بعدد جـ ؛ إذا وجدوا فردا ليس بعدد ص ؛ إذ وجدوا فردا وليس بعدد ط ؛ إذا وجدوا فردا وليس بعدد طا (١١) يكون لا نصف : يكون نصف ط (١٣) ما فيه : ما هو فيه ب ، ط || فالاثنوة : فالاثنوية جـ ، د ، ص (١٤) في العدد : من العدد جـ (١٥) الاثنوة : الاثنوية جـ ، د ، ص || ليست : ليس د .

وليس إذا لم تكن الاثنوة أكثر من شيء يجب من ذلك أن لا تكون قلتها بالقياس إلى غيرها ، فليس يجب أن يكون ما يعرض له إضافة إلى شيء يلزم أن تكون له إضافة أخرى إلى شيء آخر يقارن تلك الإضافة ، فإنه ليس يجب إذا كان شيء من الأشياء تعرض له إضافتان إضافة قلة وإضافة كثرة معاً — حتى يكون كما أنه قليل بالقياس إلى شيء فهو كثير بالقياس إلى شيء آخر — فيلزم من ذلك أن تكون كل قلة تعرض لشيء يعرض له معها الكثرة ، كما أنه ليس إذا كان شيء هو مالكا ومملوكا يجب أن لا يكون شيء مالكا وحده ، أو شيء هو جنس ونوع يلزم أن لا يكون شيء هو جنس وحده ، فإنه ليس إنما صار القليل قليلا لأجل أن له شيئا هو أيضا عنده كثير ، بل لأجل الشيء الذى ذلك الشيء بالقياس إليه كثير .

فالاثنوة هى القلة الأقلة ، أما قلة فبالقياس إلى كل عدد لأنها تنقص من كل عدد ، وأما الأقله فلأنها ليست بكثير عند عدد ، وإذا لم تقس الاثنوة إلى شيء آخر لا تكون قليلة .

والكثرة يفهم منها معنيان : أحدهما أن يكون الشيء فيه من الآحاد فوق واحد ، وهذا ليس بالقياس إلى شيء آخر البتة ، والآخر أن يكون الشيء فيه ما فى شيء آخر وزيادة ، وهذا هو الذى بالقياس .

---

(١) الاثنوة : الاثنوية جـ ، د ، ص || أكثر : فأكثر ط (٥) فيلزم : يلزم هامش جـ ، م
(٦) لشئ : للشئ ص ، م (٧) ومملوكا : مملوكا د (١٠) كثير : كثيرة جـ (١١) فالاثنوة : فالاثنوية جـ ، د ، ص ؛ الاثنوه ط || هى : + مقابلا ط || الأقلة : الأقلية د ، ص ، ط || أما : مام || قلة : قلته ص ، ط (١٢) الأقلة : الأقلية جـ ، د ، ص ، ط || فلأنها : لأنها ط || وإذا : فإذا د || الاثنوه : الاثنوية ب ، ص ، ط ، م (١٣) لا تكون : لم تكن م (١٥) آخر : ساقطة من ط ، م .

وكذلك العظم والطول والعرض ، فالكثرة مطلقة تقابل الوحدة مقابلة الشيء مع مبدئه الذى يكيله ، والكثرة الأخرى تقابل القلة مقابلة المضاف، ولا تضاد بين الوحدة والكثرة بوجه من الوجوه ، وكيف والوحدة تقوم الكثرة ، ويجب أن نحقق القول فى هذا .

---

(٢) مبدئه : مبتداه م .

[الفصل السادس]

(و) فصل

فى تقابل الواحد والكثير

و بالحرى أن نتأمل كيف تجرى المقابلة بين الكثير والواحد، فقد كان التقابل
٥ عندنا على أصناف أربعة ، وقد تحقق ذلك . وسنحقق بعد أيضا أن صورة
التقابل توجب أن تكون أصنافه على هذه الجملة ، وكان من ذلك تقابل التضاد.
وليس يمكن أن يكون التقابل بين الوحدة والكثرة على هذه الجملة ، وذلك
أن الوحدة مقوّمة للكثرة ولا شىء من الأضداد يقوم ضده ، بل يبطله و ينفيه .

لكن لقائل أن يقول : إن الوحدة والكثرة هذا شأنهما ، فإنه ليس يجب أن يقال :
١٠ إن الضد يبطل الضد كيف كان ، بل إن قال : إن الضد يبطل الضد بأن يحل
فى موضوعه ، فالوحدة أيضا من شأنها أن تبطل الكثرة بأن تحل الموضوع الذى
للكثرة ، على ما جوزت أن يكون الموضوع تعرض له الوحدة والكثرة .

فنقول فى جواب هذا الإنسان : إن الكثرة كما أنها إنما تحصل بالوحدة
فكذلك الكثرة إنما تبطل ببطلان وحداتها ، ولا تبطل الكثرة ألبتة لذاتها بطلانا
١٥ أوليا ، بل يعرض لوحداتها أولا أن تبطل ، ثم يعرض لها أن تبطل معها
لبطلان وحداتها . فتكون الوحدة إذا أبطلت الكثرة فليس بالقصد الأول
تبطلها ، بل إنما تبطل أولا الوحدات التى للكثرة عن حالها بالفعل إلى أن

---

(٣) الواحد والكثير : الوحدة والكثرة ط (٦) من ذلك : ذلك من م (٧) الوحدة والكثرة : الواحد والكثير جـ ، ص ، م || الجملة : الجهة ط (٩) لكن : بل ط (١١) فى : ساقطة من ص || فى . . . تحل : ساقطة من جـ ، ط (١٥) أولا أن : أولأن م || معها : معاب ، جـ ، د ، م (١٦) لبطلان : يبطلان ط || وحداتها : وحدتها جـ || فليس : فليست ج ، ص ، م || الأول : + أن ط (١٦ — ١٧) فليس . . . للكثرة : ساقطة من م •

تصير بالقوة ، فيلزم أن لا تكون الكثرة . فإذن الوحدة إنما تبطل أولا الوحدة على أنها ليست تبطل الوحدة كما تبطل الحرارة البرودة . فإن الوحدة لا تضاد الوحدة ، بل على أن تلك الوحدات يعرض لها سبب مبطل بأن تحدث عنه هذه الوحدة وذلك ببطلان سطوح .

٥ فإن كان لأجل هذه المعاقبة التى على الموضوع يجب أن تكون الوحدة ضد الكثرة ، فالأولى أن تكون الوحدة ضد الوحدة وعلى أن تكون الوحدة ليست تبطل الوحدة إبطال الحرارة للبرودة ، لأن الوحدة الطارئة إذا أبطلت الوحدة الأولى أبطلتها عما ليس هو بعينه موضوع الوحدة الأخرى ، بل الأحرى أن يظن أنه جزء موضوعه .

١٠ وأما الكثرة فليست تبطل عن هذه الوحدة بطلانا أوليا ، بل ليس يكفى فى شرط المتضادين أن يكون الموضوع واحدا يتعاقبان فيه بل يجب أن تكون — مع هذا التعاقب — الطبائع متنافية متباعدة، ليس من شأن أحدهما أن يتقوم بالآخر للخلاف الذاتى فيهما وأن يكون تنافيهما أوليا .

وأيضا فلقائل أن يقول : إنه ليس موضوع الواحد والكثير واحدا ، فإن شرط المتضادين أن يكون للاثنين منهما بالعدد موضوع واحد ، وليس لوحدة ١٥ بعينها وكثرة بعينها موضوع واحد بالعدد ، بل فى موضوع واحد بالنوع . وكيف يكون موضوع الوحدة والكثرة واحدا بالعدد ؟

---

(٢) كما : + أنه د (٣) مبطل : + يبطله جـ || بأن : بل م (٤) ببطلان : كبطلان ط
(٥) هذه : هذه هذه ط (٦) وعلى أن تكون الوحدة : وعلى أن الوحدة جـ ، ص ، م
(٧) للبرودة : البرودة ط (٨) موضوع الوحدة الأخرى : موضوع الأخرى ط || الأحرى أحرى جـ (١٢) متنافية متباعدة : المتنافية المتنابدة د (١٣) فيهما : فيها ب ، جـ ، د ، ص || تنافيهما : تنافيها ب ، د ، ص ، م (١٤) وأيضا : أيضا ط || الواحد والكثير : الوحدة والكثرة جـ ، ص ؛ الواحد والكثرة م (١٥) منهما : منها د ، م (١٧) الوحدة والكثرة : الكثرة د ، م .

ثم لا يخفى عليك أن تعلم مما سلف لك حقيقة هذا وما فيه وعليه وله ، فقد ظهر وبان أن التقابل الذى بين الواحد والكثير ليس بتقابل التضاد . فلننظر هل التقابل بينهما تقابل الصورة والعدم ؟

فنقول : إنه يلزم أول ذلك أن يكون العدم منهما عدم شىء من شأنه أن يكون للموضوع أو لنوعه أو لجنسه ، على ما قد مضى لك من أمر العدم . ولك أن تتمحل وجها تجعل به الوحدة عدم الكثرة فيما من شأنه بنوعه أن يتكثر ، وأن تتمحل وجها آخر تجعل به الكثرة عدم للوحدة فى أشياء فى طبيعتها أن تتوحد . لكن الحق لا يجوز أن يكون شيئان كل واحد منهما عدم وملكة بالقياس إلى الآخر ، بل الملكة منهما هو المعقول بنفسه الثابت بذاته ، وأما العدم فهو أن لا يكون ذلك الشىء الذى هو المعقول بنفسه الثابت بذاته فيما من شأنه أن يكون ، فيكون إنما يعقل ويحد بالملكة .

وأما القدماء فقوم جعلوا هذا التقابل من العدم والملكة ، وجعلوها هى المضادة الأولى ، ورتبوا تحت الملكة والصورة : الخير والفرد والواحد والنهاية واليمين والنور والساكن والمستقيم والمربع والعلم والذكر ، وفى حيز العدم مقابلات هذه كالشر والزوج والكثرة واللانهاية واليسار والظلمة والمتحرك والمنحنى والمستطيل والظن والأنثى .

وأما نحن فقد يصعب علينا أن نجعل الملكة هى الوحدة ونجعل الكثرة هى العدم . أما أولا ، فإنا هو ذا نحد الوحدة بعدم الانقسام أو عدم الجزء بالفعل ،

---

(١) لايخفى : ساقطة من جـ ، ص ، م (٢) والكثير : وبين الكثير م || فلننظر : فننظر جـ ، م (٤) منهما : بينهما جـ ، م (٦) وجها : + آخر د (٨) وملكة : ملكة م (٩ ــ ١٠) وأما العدم . . . بذاته : ساقطة من م (١٣) الأولى : الأول ط || والصورة الخير : الخير والصورة د || الخير : والخير ب ، ص ، م (١٤) وفى : ومن ب ، جـ ، د ، ص ، م .

وتأخذ الانقسام والتجزء فى حد الكثرة ، وقد ذكرنا ما فى هذا . وأما ثانيا ، فإن الوحدة موجودة فى الكثرة مقومة لها ، وكيف تكون ماهية الملكة موجودة فى العدم حتى يكون العدم يتألف من ملكات تجتمع ؟ وكذلك إن كانت الملكة هى الكثرة فكيف يكون تركيب الملكة من أعدامها ؟ فليس يجوز أن تجعل المقابلة بينهما مقابلة العدم والملكة . ٥

وإذ لا يجوز هذا فليس يجوز أن يقال : إن المقابلة بينهما هى مقابلة التناقض، لأن ما كان من ذلك فى الألفاظ فهو خارج عن موافقة هذا الاعتبار ، وما كان منه فى الأمور العامة فهو من جنس تقابل العدم والملكة ، بل هو جنس هذا التقابل . فإن بإزاء الموجبة الثبوت ، و بإزاء السالبة العدم ، و يعرض فى ذلك من المحال ما يعرض فيما قلنا . فلننظر أنه : هل التقابل بينهما تقابل المضاف ؟ ١٠

فنقول : ليس يمكن أن يقال : إن بين الوحدة والكثرة فى ذاتيهما تقابل المضاف ، وذلك لأن الكثرة ليس إنما تعقل ماهيتها بالقياس إلى الوحدة حتى تكون إنما هى كثرة لأجل أن هناك وحدة ، وإن كان إنما هى كثرة بسبب الوحدة . وقد علمت فى كتب المنطق الفرق بين ما لا يكون إلا بشىء و بين ما لا تقال ماهيته إلا بالقياس إلى شىء . بل إنما تحتاج الكثرة إلى أن يفهم ١٥ لها أنها من الوحدة ، لأنها معلولة للوحدة فى ذاتها ، ومعنى أنها معلولة غير معنى أنها كثيرة، والإضافة لها إنما هى من حيث هى معلولة ، والمعلولية لازمة للكثرة

---

(١) مافى : فى جـ ، د ، ط ؛ ما طا (٢) فإن : فبأن ؛ بـ ؛ فلأن ص (٣) تجتمع : تجمع ب
(٤) تجعل : تحصل د (٦) وإذ : فإذ جـ || فليس : فلا ط (٧) من : فى جـ ، ص ، ط (١٣) إنما : + يكون د || أن : لأن طا || كثرة : الكثرة جـ ، د
(١٥) يفهم : + أن م (١٧) كثيرة : كثرة ص || لازمة : لازم جـ ، م .

لا نفس الكثرة . ثم لو كانت من المضاف لكان كما تقال ماهيتها بالقياس إلى الوحدة
لكان يقال ماهية الوحدة من حيث هى وحدة بالقياس إلى الكثرة على شرط
انعكاس المضافين ، ولكانا متكافئين فى الوجود من حيث هذه وحدة وتلك
كثرة ، وليس الأمر كذلك .

٥ فإذ قد بان لك جميع هذا ، فبالحرى أن تجزم أن لا تقابل بينهما فى ذاتيهما
ولكن يلحقهما تقابل وهو : أن الوحدة من حيث هى مكيال تقابل الكثرة
من حيث هى مكيل . وليس كون الشىء وحدة ، وكونه مكيالا ، شيئا واحدا
بل بينهما فرق . والوحدة يعرض لها أن تكون مكيالا ، كما أنها يعرض لها ان
تكون علة . ثم الأشياء يعرض لها — بسبب الوحدة التى توجد لها — أن
١٠ تكون مكاييل ، لكن واحد كل شىء ومكياله هو من جنسه . فالواحد فى الأطوال
طول ، وفى العروض عرض ، وفى المجسمات مجسم ، وفى الأزمنة زمان ، وفى
الحركات حركة ، وفى الأوزان وزن ، وفى الألفاظ لفظ ، وفى الحروف حرف .

وقد يجتهد أن يجعل الواحد فى كل شىء أصغر مما يمكن ليكون التفاوت فيه
أقل ما يكون ، فبعض الأشياء يكون واحده مفترضا بالطبع مثل : جوزة
١٥ وبطيخة ، وبعضها يفرض فيه واحد بالوضع . فما زاد على ذلك الواحد أخذ
أكثر من الواحد ، وما نقص منه لم يؤخذ واحدا ، بل يكون الواحد هذا
المفروض بتمامه ، ويجعل هذا الواحد أيضا من أظهر الأشياء فى ذلك الجنس

(١) لا نفس الكثرة : ساقطة من جـ (٢) لكان يقال : فكان يقال جـ ، هامش ص
(٣) متكافئين : يتكافآن م (٥) فإذ : إذ جـ ؛ وإذ ط (٦) تقابل : تقال د
(٧) شيئا واحدا بل : ساقطه من م . (٨) بينهما . . . مكيالا : ساقطة من م
|| أنها يعرض لها : أنها يعرض ط ، م (١٠) كل شىء : كالشىء ط ، كل ط || الأطوال : الأطول م
(١٢) وفى الألفاظ . . . حرف وفى ألفاظ الحروف حرف م (١٣) التفاوت فيه : المتفاوت
منه ب (١٤) واحده : واحدا د (١٥) وبعضها : وفى بعضها جـ ، ط || بالوضع : بالطبع م
(١٦) واحدا : واحد د || يكون : يجعل جـ ، ط .

فالواحد مثلا فى الأطوال : شبر ، وفى العروض مثلا : شبر فى شبر ، وفى المجسمات : شبر فى شبر فى شبر ، وفى الحركات : حركة مقدرة معلومة ، ولا توجد حركة بهذه الصفة عامة للجميع إلا الحركات المتقدرة بالطبيعة ، وخصوصا التى لا تختلف ، بل تمتدّ متفقة حتى تبقى واحدة فى كل تقدير ، وخصوصا التى هى أقل مقدار حركة . ٥

فالأقل مقدار حركة هو الأقل زمانا ، وهذا هو الحركة الفلكية السريعة جدا المضبوط قدرها ، لأن الدور لا يزاد عليه ، ولا ينقص المعلوم صغر مقدارها بسرعة العود ليس مما ينتظر تجدده إلى حين ، بل فى كل يوم وليلة تتم دورة قريبة إلى الموجود والتجديد و إلى التجزئة أيضا بحركات الساعات . فتكون حركة ساعة واحدة مثلا هى مكيال الحركات ، وكذلك زمانها مكيال الأزمنة ، ١٠ وقد يفرض فى الحركات حركة واحدة بحسب المسافات ، إلا أن ذلك غير مستعمل وغير واقع موقع الفرض الأول .

وأما فى الأثقال فنفرض أيضا ثقل درهم ودينار واحد أيضا . وفى أبعاد الموسيقى إرخاء النغمة التى هى ربع طنينى أو ما يجرى مجراها من الأبعاد الصغار ومن الأصوات الحرف المصوت المقصور ، أو الحرف الساكن ، أو مقطع ١٥ مقصور .

(١ — ٢) وفى المجسمات : + مثلا ص ؛ والمجسمات د ؛ ساقطة من م (٢) شبر ... شبر : ساقطة من د ، م ؛ شبر فى شبر ط || مقدرة : متقدرة جـ ، ط (٤) حتى تبقى : فتبقى ب ، ط
(٦) فالأقل : والأقل د ، ص ، م (٧) عليه : عليها جـ ، ط (٨) تجدده : بحدوده م
(٩) الموجود : الوجود م (١٠) الحركات ... مكيال ساقطة من د || زمانها : بزمانها م
(١١) المسافات : المسافة ب ، ص ، ط (١٣) فنفرض : فلنفرض ط ، م || أبعاد : الأبعاد جـ ، د (١٤) إرخاء النغمة : الإرخاء ب ، د ؛ الإرخاة جـ ، ص ، م || طنينى : طنين جـ ، ص (١٥) الحرف المصوت : الحروف المصوت د ، م || المصوت : المصور ط
(١٦) مقصور : + كقولنا أنابك تن جـ .

وليس يجب أن يكون كل واحد من هذه الأوضاع واقعا بالضرورة ، بل يقع بالفرض . ويمكن أن يفرض الواحد من كل باب ما هو أنقص وأزيد مما فرض، ومع هذا فليس يجب إذا كان فى هذه الأشياء واحد منه مفروض أن يكال به جميع ما هو من ذلك الجنس ، فإنه يجوز أن يكون الآخر مباينا لكل ما كيل ٥ به أولا .

فههنا خط مباين لخط ، وسطح مباين لسطح ، وجسم مباين لجسم . وإذا كان الخط والسطح والجسم تُباين جسما وسطحا وخطا ، فكذلك الحركة قد تُباين الحركة . وإذا كان كذلك فالزمان والثقل أيضا يباين الزمان والثقل أيضا، ويجوز أن يكون لهذا الذى يباين ذلك مباين غير ذلك ، وقد علمت جميع هذا ١٠ فى صناعة التعاليم .

وإذا كان كذلك فستكون إذن الوحدات التى تفرض لكل جنس من هذه كثيرة وتكاد أن لا تتناهى . وإذا كان هناك واحد يصلح لكيل شىء فستكون أشياء تكاد أن لا تتناهى لأن تكال به ، ولما كان المكيال يعرف به المكيل ، عد العلم والحس كالمكاييل للأشياء ، فإنها تعلم بهما . فقال بعضهم : إن الإنسان ١٥ يكيل كل شىء ، لأن له العلم والحس ، وبهما يدرك كل شىء . وبالحرى أن كون العلم والحس مكيلين بالمعلوم والمحسوس، وأن يكون ذلك أصلا له، لكنه قد يقع أن يكال المكيال أيضا بالمكيل ، فهكذا يجب أن يتصور الحال فى مقابلة الوحدة والكثرة .

(١) بل : + قدم (٣) منه : ساقطة من ب ، ص (٤) لكل : لما م (٦) مباين : ساقطة من جـ (٧) تباين : مباين جـ (٩) يباين : يتباين ص ، ط ، م || ذلك مباين : ساقطة من د || هذا : ذلك ص ، ط (١١) فستكون : فتكون جـ ، ص ، ط ، م || للوحدات : الواحدات ب ، ط ؛ الوحدات جـ (١٢) وتكاد : تكاد ص || لكيل : لكل ب || فستكون : فتكون جـ ، ص ، ط || لأن يكال : لا يكال ص (١٤) عد : وعد جـ ؛ عند د || فقال : وقال ط (١٥) له : ساقطة من ط .

وقد يشكل من حال الأعظم والأصغر أنهما كيف يتقابلان وكيف يقابلان المساواة . فإن المساوى يقابل كل واحد منهما ، فإنه لا يجوز أن يكون المساوى والأعظم إلا متخالفين ، وكذلك المساوى والأصغر ، أما الأعظم والأصغر فإنهما إن تقابلا فمن المضاف ، فكان هذا أعظم بالقياس إلى ما هو أصغر ، فليس المساوى مضايفا لأحدهما ، بل لما هو مساو له . ويظن أنه ليس يجب حيث كان أعظم وأصغر أن يكون بينهما مساوٍ موجودٌ . فإن هذا قد علمته فى موضع آخر .

فإذا كان الأمر على هذا ، فبالحرى أن يكون المساوى ليست مقابلته الأولى للأعظم والأصغر ، بل لغير المساوى ، وهو عدمه ، مما شأنه أن تكون فيه المساواة . وليس عدمه فى النقطة والوحدة واللون والعقل بأشياء لا تقدير لها ، بل فى أشياء لها تقدير وكمية .

فالمساوى إنما يقابل عدمه وهو اللا مساواة ، لكن اللا مساواة تلزم هذين أعنى الأعظم والأصغر . كالجنس لست أعنى أنه جنس ، بل أعنى أنه يلزم كل واحد منهما ، فإن واحدا منهما هو عظيم ، والعظيمية معنى وجودى يلزمه هذا العدم ، والآخر صغير ، والصغيرية من تلك الحيثية كذلك .

---

(٤) فمن : من ب ، جـ ، د ، هامش ص ، م || إلى : + كل د (٦) بينهما : منهما م
(٨) ليست مقابلته : ليس لمقابله د || الأولى : الأول م (٩) والأصغر ، وللأصغر م || مما : فيما د ، ص ، م (١٠) وليس : ليس ب ، د ، م || بأشياء : وأشياء ب ، جـ ، د ، ص ، ط
(١٣) أعنى الأعظم : أى الأعظم جـ ، ص ، م || بل أعنى : بل نعنى ب ، جـ ، د ، ط ، م
(١٤) واحدا منهما هو عظيم : كل واحد منهما عظيم م || عظيم : عظمى بخ || والعظيمية : والعظيم ب ، طا (١٥) والصغيرية : والصغير ب ، ط ، الصغيرية د .

[الفصل السابع]

(ز) فصل

فى أن الكيفيات أعراض

فنتكلم الآن فى الكيفيات . أما الكيفيات المحسوسة والجسمانية فلا يقع شك
٥ فى وجودها ، وقد تكلمنا أيضا فى وجودها فى مواضع أخر ، ونقضنا مشاغبات
من تمارى فى ذلك .

لكنه إنما يقع الشك فى أمرها ، أنها هل هى أعراض أو ليست بأعراض .
فإن من الناس من يرى أن تلك جواهر تخالط الأجسام وتسرى فيها ، فاللون
بذاته جوهر ، والحرارة كذلك ، وكل واحد من هذه الأخر ، فهى عنده بهذه
١٠ المنزلة . وليس يقنعه أن هذه الأشياء توجد تارة وتعدم تارة ، والشىء المشار
إليه قائم موجود . فإنهم يقولون : إنه ليس يعدم ذلك ، بل يأخذ يفارق قليلا
قليلا ، مثل الماء الذى يبتل به ثوب ، فإنه بعد ساعة لا يوجد هناك ماء ،
ويكون الثوب موجودا بحاله ، ولا يصير الماء بذلك عرضا ، بل الماء
جوهر له أن يفارق جوهرا آخر لاقاه فربما فارق مفارقة لا يحس فيها بالأجزاء
١٥ المفارقة منه ، لأنها فارقت وهى أصغر مما يدركه الحس مفارقة مفترقة ؛ ويقول
بعضهم : إنها قد تكمن . فبالحرى أن نبين أن ما يقولونه باطل ، فنقول :
لا يخلو إن كانت هذه جواهر إما أن تكون جواهر هى أجسام ، أو تكون

---

(٤) والجسمانية : الجسمانية د ، ص ، ط (٧) هل : بل جـ (١١) فإنه : بأنه جـ
(١٢) يبتل : يبل جـ ، ص ، م || ثوب : الثوب ص (١٣) ويكون : وأن يكون جـ (١٤) يفارق : + به ط || فربما : ساقطة من ص ، ط || فارق : فارقت ص ، ص ؛ يفارق م
(١٥) مما : ماب .

جواهر ليست بأجسام . فإن كانت هذه جواهر غير جسمانية فإما أن تكون
بحيث يمكن أن تؤلف منها أجسام ، وهذا محال ، إذ ما يتجزأ فى أبعاد جسمانية
فليس بالممكن أن يؤلف منـــه جسم ؛ وإما أن لا يمكن ، إنما يكون وجوده
بالمقارنة للأجسام والسريان فيها . فأول ذلك لأنه يكون لهذه الجواهر وضع ،
وكل جوهر ذى وضع فإنه منقسم ، وقد بين ذلك . وثانيا ، أنه لا يخلو إما أن ٥
يكون كل واحد من هذه الجواهر من شأنه أن يوجد مفارقا للجسم الذى يكون
فيه ، أو لا يكون ؛ فإن لم يكن يوجد مفارقا ، وكان وجوده فى الأجسام على
أنهـا موضوعات له ، إذ ليست فيه كالأجزاء ، ولا هى مفارقته ، والجسم
الموصوف بها مستكمل الجوهرية بنفسه ، فليست إلا أعراضا ، وإنما لها اسم
الجوهرية فقط . وإن كانت تفارق أجسامها فإما أن تكون مفارقة تنتقل بها ١٠
من جسم إلى جسم من غير أن يصح لها قوام مجرد ، أو تكون لها مفارقة قوام
مجرد . فإن كانت إذا لم توجد فى جسم وكانت فيه ، فإنما يكون ذلك بأن ينتقل
إلى الآخر ، فيجب من ذلك أن يكون كل جسم أسد بياضه فقد انتقل بياضه
إلى جسم يماسه ، أو بقى مجردا إلى أن يحصل فى جسم بعيد ، وهو غير مقارن
جسما فى مدة قطع المسافة ، وليس الأمر كذلك . وأما الكون فقد فرغنا منه ١٥
وبينا استحالته ، فإنه يجب من ذلك أن يكون كل جسم يسخن جسما فإنه ينقل
إليه من حرارة نفسه ، فيبرد هذا الذى يسخّن .

---

(٢) أجسام : جسم ص ، م (٣) منه : منها ب ، د ، ط (٥) وقد : قد ب ، جـ ، د ص ، م || ذلك : + فيكون ط (٧) يكن : ساقطة من جـ ، ط ، م (٨) له : + باقية د || إذ ليست : وليست جـ || كالأجزاء : كأجزاء جـ || مفارقته : مفارقة ب ، جـ ، ص ، م (٩) أعراضا : أعراض ص || وإنما : فإنما ط (١٠) تنتقل : فتنتقل د (١٢) وكانت فيه : ساقطة من م (١٤) مقارن : مفارق ص (١٥) الكون : الكون ط (١٦) فإنه يجب : ويجب جـ ، د ، ص ، ط ، م || ينقل : ينتقل جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٧) فيبرد : فبرد ط .

ثم هذا النوع من الانتقال لا تبطل عرضيته ، إذ كثير من الناس جوز
في الأعراض أنفسها هـذا الانتقال ، أعنى : الانتقال في أجزاء الموضوع ،
والانتقال من موضوع إلى موضوع ، وإنما كان لا يكون عرضا لو صح قوامه
لا في موضوع . أما القائم في الموضوع إذا نظر فيه أنه هل يصح له أن ينتقل
٥ إلى موضوع آخر من غير أن يجرد عنهما ، فهـذا الاعتبار ليس يصح إلا بعد
القوام في الموضوع . ثم هذا لا يصح ألبته ، لأنه لا يخلو إما أن يكون الذى
وجد في موضوع ما تتعلق ذاته الشخصية بذلك الموضـوع الشخصى ، أو لا
تتعلق ، فإن كان تتعلق ذاته الشخصية بذلك الموضوع الشخصى فمعلوم أنه
لا يجوز أن يبقى شخصه إلا في ذلك الموضوع الشخصى ، وإن كان إنما أوجده
١٠ في ذلك الموضوع سبب من الأسباب وليس ذلك السبب مقوّما له من حيث
هو ذلك الشخص ، فقد يمكن أن يزال عنه ذلك السبب وسائر الأسباب حتى
لا يحتاج في قوامه إلى ذلك الموضوع . وزوال ذلك السبب ليس يكون سبب
احتياجه إلى موضوع آخر ، لأن السبب في أن لا يحتاج شىء إلى موضوع آخر ،
هو عدم السبب في أن كان يحتاج ، وهو في ذاته ليس يحتاج . فزوال ذلك
١٥ السبب ليس هو نفس وجود السبب الآخر إلا أن يكون مستحيلا زوال ذلك
السبب إلا لوجود هذا السبب الآخر لاغير .

فإذا عرض هذا السبب زال ذلك السبب ، فيكون الشىء قد فارقته الحاجة
إلى الموضوع الأول واحتاج إلى الموضوع الآخر لأمرين : أما الأول ، فزوال

---

(٢) أنفسها : نفسها ب ، د ، ص ، م (٤) أما : وأما جـ ، ص ، ط (٥) يصح : + فيه ص ، م (٨) الشخصية : بشخصيته م (١٠) سبب : بسبب جـ (١١) هو ذلك الشخص : هو شخص جـ ، م ؛ ذلك وهو المشخص د || الشخص : شخص ب ؛ شخصى ط (١٢) وزوال . فحينئذ زوال جـ (١٦) لوجود : بوجود ص ، || لاغير : ساقطة من ص (١٧) فيكون : + ذلك د ، ص ، ط (١٨) فزوال : فبزوال جـ ، د ، ص ، ط .

السبب الأول ؛ وأما الثانى ، فوجود السبب الثانى . لكن جملة هذه الأسباب
تكون أمورا خارجة عن طباعه ليس يحتاج إليها فى تحقيق ذاته موجودا ذلك
اللون مثلا ، بل إنما يحتاج إليها فى أن تخصص بموضوع . فكونه لونا ، وكونه
هذا اللون بعينه إن كان يغنيه عن الموضوع ، فليس يحوجه إلى أن يجعله محتاجا
إلى الموضوع ، فإن الغنى بوجوده عن الموضوع لا يعرض له ما يحوجه إلى ٥
الموضوع إلا بانقلاب عينه . وإن كان لا يغنيه ، بل يعلقه بموضوع فيكون
ذلك الموضوع متعينا له ، لأنه يقتضى أمرا متعينا بعينه . فإن المتعين لا يقتضى
أى شىء اتفق مما لا نهاية له بالقوة مما ليس بعضه يخالف الآخر فى حكمه .
فإن قيل : فكيف يقتضى الواحد المعين ؟ فيقال : يقتضى الذى تعلق به صحة
وجوده أولاً فيتعينّ له بذلك . فهذا اللون من حيث هو هذا اللون إما غنى عن ١٠
الموضوع ، وإما مقتصر على موضوع واحد .

وأما انقلاب العين فقد تلزمنا من ذكره عهدة يجب أن نخرج منها . فإن
انقلاب العين يعنى به أن يعدم هذا ويوجد ذلك من غير أن يدخل من الأول
شىء فى الثانى ، فإنه إن كان هكذا فيكون الأول قد عدم والآخر قد حصل ،
ولا يكون الأول هو الذى انتقل إلى الثانى . بل إنما نعنى بالانقلاب أن الموصوف ١٥
بالأول صار موصوفا بالثانى ، وذلك أنه يبقى من الأول شىء فى الثانى ، فيكون

---

(١) فوجود : فبوجود جـ ، د ، ص ، ط || لكن : ساقطة من ط || الأسباب : الأشياء ط
(٢) تحقيق : تحقق جـ ، ص ، م (٣) فكونه : وكونه ب (٤) إلى : شىء ط ، م ،
(٥) بوجوده : لوجوده د || لا يعرض : يعرض ط (٧) يقتضى : مقتضى ب ، جـ ، د ،
ص ، ط || أمرا متعينا : أمر متعين ب ، جـ ، د ، ص ، ط ، م (٨) مما : فأما م
(٩) الواحد المعين : المعين الواحد ب (١٠) فيتعين : فيعين جـ ، ص ، م ؛ يقتصر طا || إما :
ما ط (١١) مقتصر : مقيم ط (١٢) من : عن جـ ، ط || ذكره : رحلاه د || عهدة : عدة ط
(١٣) العين : + ليس ص ، م || ذلك : ذاك م (١٥) بالانقلاب : بالانتقال م
(١٦) الثانى : الآخر ص ، م .

مركبا من مادة وشىء فيها . فإن كان هذا صفة اللونية مثلا فى مسألتنا فيكون فى اللونية شىء يبطل وشىء يبقى ، فيكون هذا الذى بطل هو الذى صار به الشىء لونا ، بل هو اللونية وهو الصورة المادية أو المرض وكلامنا فيها .

ونرجع فنقول : وأما إن كان يجوز له أن يفارق هذه الجواهر ويقوم مثلا بياضا أو شيئا آخر بذاته، فلا يخلوا إما أن يكون حينئذ إليه إشارة ويكون البياض الذى من شأنه أن يدرك إلا أن يعجز عن إدراكه للقلة الفاحشة ، ويكون على الجملة التى تعرف البياض عليها . فإن كان كذلك فيلزم أن يكون خلاء موجودا حتى يكون فيه مشار إليه وليس فى الأجسام ، ويلزم أن يكون له وضع ما وتقدير ما ، فيكون له فى ذاته مقدار يكون إلا القليل منه محسوساً ، فإنا لا نتخيل بياضا لا وضع له ولا مقدار ، فضلا عن أن نراه . وإذا كان له مقدار ووضع وزيادة هى هيئة البياضية كان جسما أبيض لا مجرد البياض ، فإنا نعنى بالبياض هذه الهيئة الزائدة على المقدار والحجم ، وإن كان لا يبقى على الجملة التى كان يعرف البياض عليها ، بل قد انتقل عن هذه الصورة وصار شيئا آخر روحانيا . فيكون البياض مثلا له موضوع يعرض له أن تكون فيه البياضية التى على النحو المعروف، ويعرض له أن يصير مرة أخرى بصورة أخرى روحانية فيكون أولا ما نعرفه بياضا قد فسد وزالت صورته .

وأما المفارق العقلى فقد أشرنا — فيما سلف — إلى أنه لا يجوز أن ينتقل مثل هذا الشىء مرة أخرى ذا وضع ومخالطا للأجسام .

(١) فيكون : فستكون ب ، د ، م (٢) هذا : ذلك جـ ، د ، ص ، ط ، م || بطل : يبطل جـ ، د ، ص ، م (٤) فنقول : ونقول د ، ط ، م (٧) عليها : + حتى يكون بعينه هو البياض الذى من شأنه أن يدرك جـ (٨) وضع ما : وضع جـ ، ط ؛ وضعها د || وتقدير : تقدير د (٩) لا نتخيل : لا نخيل ط (١٠) وإذا : وإن ب (١١) هى : هو ط ؛ ساقطة من ب ، جـ ، د (١٣) آخر : ساقطة من جـ ، د ، ص ، م (١٥) بصورة : صورة م (١٧) المفارق : مفارق جـ (١٨) ذا : إذا م .

وأما إن جعل جاعلٌ البياض شيئاً فى نفسه ذا مقدار ، فيكون له وجودان : وجود أنه بياض ، ووجود أنه مقدار . فإن كان مقداره بالمدد غير مقدار الجسم الذى هو فيه بالمدد ، فإذا كان فى الأجسام وساريا فيهافيكون قد دخل بُعْدٌ فى بُعْد ، وإن كانهو نفس الجسم منحازا فيكون الأمر قد عاد إلى أن الشئ الذى هو البياض جسم وله بياضيته . فتكون البياضية موجودة فى ذلك الجسم ٥ إلا أنها لا تفارق ، ولا يكون البياض مجموع ذلك الجسم والكيفية ، بل شئ فى ذلك الجسم . إذ حد البياض وماهيته ليس ماهية الطويل العريض العميق، بل تكون ماهية الطويل العريض العميق للحرارة أيضا على هذا الرأى ، فيكون البياض مقارناً لهذا الشئ ناعتاً له . وهذا معنى قولنا : الصفة فى الموصوف ، وتكون مع ذلك لا تفارقه وليست جزءا من ذلك الشئ الذى هو الطويل ١٠ العريض ، فيكون البياض والحرارة عرضا إلا أنه لازم .

فيبقى الكلام فى أن من طبيعته أن يفارق أيضا ، فقد تبين أن الكيفيات التى هى المحسوسة أعراض ، وهذا مبدأ للطبيعيات .

وأما الاستعدادات فأمرها أوضح ، وأما التى تتعلق بالنفس وذوات الأنفس فقد تبين فى الطبيعيات أنها أعراض تقوم فى أجسام ، وذلك حين تكلمنا ١٥ فى أحوال النفس .

---

(٢) أنه مقدار : أنه ذو مقدار م || بالمدد غير مقدار : بالعدد غير المقدار جـ ، د ؛ غيرا بالعدد لمقدار ط (٣) بالمدد : ساقطة من جـ ، ص ، ط ، م || فإذا كان : وكان د (٤) فى بعد : ساقطة من د (٥) ذلك : ساقطة من ب (٧) ليس : ليست جـ ، ط (٨) للحرارة : كالحرارة جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٠) وليست : وليس ص ، م (١٢) فقد : وقد ص (١٤) الاستعدادات : الاستعداديات ب ، د ، ط || أوضح : واضح ب .

[الفصل الثامن]

(ح) فصل

فى العلم وأنه عرض

وأما العلم فإن فيه شبهة ، وذلك لأن لقائل أن يقول : إن العلم هو المكتسب
٥ من صور الموجودات مجردة عن موادها ، وهى صور جواهر وأعراض .
فإن كانت صور الأعراض أعراضاً ، فصور الجواهر كيف تكون أعراضا ؟
فإن الجوهر لذاته جوهر فماهيته جوهر لا تكون فى موضوع ألبتة وماهيته
محفوظة سواء نسبت إلى إدراك العقل لها أو نسبت إلى الوجود الخارجى .

فنقول : إن ماهية الجوهر جوهر بمعنى أنه الموجود فى الأعيان لا فى موضوع ،
١٠ وهذه الصفة موجودة لماهية الجواهر المعقولة ، فإنها ماهية شأنها أن تكون
موجودة فى الأعيان لا فى موضوع ، أى أن هذه الماهية هى معقولة عن أمر
وجوده فى الأعيان أن يكون لا فى موضوع . وأما وجوده فى العقل بهذه الصفة
فليس ذلك فى حده من حيث هو جوهر ، أى ليس حد الجوهر أنه فى العقل
لا فى موضوع ، بل حده أنه سواء كان فى العقل أو لم يكن فإن وجوده
١٥ فى الأعيان ليس فى موضوع .

فإن قيل : فالعقل أيضا من الأعيان ، قيل : يراد بالعين التى إذا حصل
فيها الجوهر صدرت عنه أفاعيله وأحكامه . والحركة كذلك ماهيتها أنها كمال

---

(٤) لقائل : قائل ط (٧) فماهيته : وماهيته د || جوهر : + فماهيته ب ؛ + وماهيته د ؛ ساقطة من جـ ، م || وماهيته : ساقطة من د (٨) لها : ساقطة من جـ ، د ، ط || أو نسبت : + لها ط (٩) جوهر : ساقطة من ط (١٠) لماهية : لمهية ط || الجواهر : الجوهر د (١٢) أن : ساقطة من جـ (١٤) فإن : ساقطة من د ؛ + يكون م (١٦) بالعين : العين م (١٧) صدرت : صارت م .

ما بالقوة ، وليست فى العقل حركة بهذه الصفة حتى يكون فى العقل كمال ما بالقوة من جهة كذا حتى تصير ماهيتها محركة للعقل ، لأن معنى كون ماهيتها على هذه الصورة هو أنها ماهية تكون فى الأعيان كمالا لما بالقوة وإذا عقلت فإن هذه الماهية تكون أيضا بهذه الصفة ، فإنها فى العقل ماهية تكون فى الأعيان كمال ما بالقوة ، فليس يختلف كونها فى الأعيان وكونها فى العقل ، فإنه فى كليهما ٥ على حكم واحد فإنه فى كليهما ماهية توجد فى الأعيان كمالا لما بالقوة .

فلو كنا قلنا : إن الحركة ماهية تكون كمالا لما بالقوة فى الأين مثلا لكل شئ توجد فيه ، ثم وجدت فى النفس لا كذلك ، لكانت الحقيقة تختلف . وهذا كقول القائل : إن حجر المغناطيس حقيقته أنه حجر يجذب الحديد ، فإذا وجد مقارنا لجسمية كف الإنسان ولم يجذبه ، ووجد مقارنا لجسمية حديد ما لجذبه ، ١٠ لم يجب أن يقال : إنه مختلف بالحقيقة فى الكف وفى الحديد ، بل هو فى كل واحد منهما بصفة واحدة وهو : أنه حجر من شأنه أن يجذب الحديد ، فإنه إذا كان فى الكف أيضا كان بهذه الصورة ، وإذا كان عند الحديد أيضا كان بتلك الصفة . فكذلك حال ماهيات الأشياء فى العقل ، والحركة فى العقل أيضا بهذه الصفة ، وليس إذا كانت فى العقل فى موضوع بطل أن تكون ١٥ فى العقل ليست ماهية ما فى الأعيان ليست فى موضوع .

---

(٢) محركة : متحركة ط (٣) لما : ما جـ (٣ — ٥) وإذا عقلت . . بالقوة : ساقطة من ط (٥) على . . . كليهما : ساقطة من ص ، ط || فإنه : فإنها ص (٧) الحركة ماهية : الماهية حركة م || لما : ساقطة من ط (٩) حقيقته : حقيقة ساقطة من د || فإذا : وإذا ص ، ط (١٠) ووجد : ثم وجد د || لجسمية (الثانية) : لجسميته جـ ، ص ، م (١١) وفى الحديد : والحديد ص ، ط (١٢) وهو أنه : ذاته د (١٣) الصورة : الصفة جـ ، م || وإذا كان عند : وإذا عند م (١٤) تلك : بهذه جـ || فكذلك : وكذلك ب ، ص (١٥) موضوع : + فقد جـ ، ص ، ط ، م (١٦) ليست : ليس جـ .

فإن قيل ، قد قلتم : إن الجوهر هو ما ماهيته لاتكون فى موضوع أصلا ، وقد صيرتم ماهية المعلومات فى موضوع . فنقول ، قد قلنا : إنه لا يكون فى موضوع فى الأعيان أصلا . فإن قيل : قد جعلتم ماهية الجوهر أنها تارة تكون عرضا وتارة جوهرا ، وقد منعتم هذا . فنقول: إنا منعنا أيضا أن تكون ٥ ماهية شئ توجد فى الأعيان مرة عرضا ومرة جوهرا حتى تكون فى الأعيان تحتاج إلى موضوع ما وفيها لا تحتاج إلى موضوع ألبتة ، ولم نمنع أن يكون معقول تلك الماهيات يصير عرضا ، أى تكون موجودة فى النفس لا كجزء .

ولقائل أن يقول : فماهية العقل الفعال والجواهر المفارقة أيضا كذا يكون حالها ، حتى يكون المعقول منها عرضا ، لكن المعقول منها لا يخالفها لأنها ١٠ لذاتها معقولة . فنقول : ليس الأمر كذلك ، فإن معنى قولنا : إنها لذاتها معقولة هو أنها تعقل ذاتها ، وإن لم يعقلها غيرها ، وأنها أيضا مجردة عن المادة وعلائقها لذاتها لا بتجريد يحتاج أن يتولاه العقل . وأما إن قلنا : إن هذا المعقول منها يكون من كل وجه هى أو مثلها ، أو قلنا : إنه ليس يحتاج فى وجود المعقول منها إلا أن توجد ذاتها فى النفس ، فقد أحلنا . فإن ذاتها مفارقة، ١٥ ولا تصير نفسها صورة لنفس إنسان ، ولوصارت لكانت تلك النفس قد حصلت فيها صورة الكل وعلمت كل شئ بالفعل ، ولكانت تصير كذلك لنفس واحدة، وتبقى النفوس الأخرى ليس لها الشى الذى تعقله ، إذ قد استبد بها نفس ما .

---

(١) ما ماهيته : ماهيته جـ ؛ ماهية د ، ص ، ط (٢) وقد : فقد ب ، جـ (٣) قد : فقد جـ ، د ، ص ، م (٤) وتارة : + تكون ص ، ط (٦) لا تحتاج إلى موضوع : + ما م (١١) وأنها أيضا : وأيضا أنها جـ ، ص ، م (١٣) وجه : جهة ط ، م || فى : إلى جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٤) الا : إلى هامش ص ؛ طا (١٥ — ١٦) حصلت فيها : حصل منها ب ، د جـ ، م ؛ حصل فيها (١٦) ص وعلمت : وقد علمت جـ ، ص ؛ ط ، قد علمت د || ولكانت : ولكان جـ ؛ وكانت د (١٧) تعقله : تعقلها د || إذ : أو جـ ، د || استبد بها : استبدتها م .

والذى يقال : إن شيئا واحدا بالعدد يكون صورة لمواد كثيرة لا بأن يؤثر فيها ، بل بأن يكون هو بعينه منطبعا فى تلك المادة وفى أخرى وأخرى ، فهو محال يعلم بأدنى تأمل . وقد أشرنا إلى الحال فى ذلك عند كلامنا فى النفس ، وسنخرج من بعد إلى خوض فى إبانة ذلك .

فإذن تلك الأشياء إنما تحصل فى العقول البشرية معانى ماهياتها لا ذواتها ، ويكون حكمها حكم سائر المعقولات من الجواهر إلا فى شئ واحد وهو أن تلك تحتاج إلى تفسيرات حتى يتجرد منها معنى يعقل ، وهذا لا يحتاج إلى شىء غير أن يوجد المعنى كما هو فتنطبع به النفس . ٥

فهذا الذى قلناه إنما هو نقض حجة المحتج ، وليس فيه إثبات ما تذهب إليه، فنقول : إن هذه المعقولات سنبين من أمرها بعدُ ، أن ما كان من الصور الطبيعية والتعليميات فليس يجوز أن يقوم مفارقاً بذاته ، بل يجب أن يكون فى عقل أو نفس . وما كان من أشياء مفارقة ، فنفس وجود تلك المفارقات مباينة لنا ، ليس هو علمنا لها ، بل يجب أن نتأثر عنها فيكون ما يتأثر عنها هو علمنا بها ، وكذلك إن كانت صورا مفارقة وتعليميات مفارقة فإنما يكون علمنا بها ما يحصل لنا منها ، ولا تكون أنفسها توجد لنا منتقلة إلينا ، فقد بينا ١٠ ١٥

---

(٢) هو بعينه منطبعا : هى بعينها منطبعة جـ ، د ، ص ، ط ؛ بعينه منطبعا م (٣) يعلم : نعلمها ط (٥) فإذن : فإن د ؛ فإذن تكون ط || ماهياتها : ماهيتها جـ ، د ، ط ؛ مهاياتها طا (٦) حكم : كحكم جـ ، م (٧) يعقل : معقول ط (٨) به : بها ب ، جـ ، د ، ص ، م (٩) فهذا : وهذا جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٠) ما كان : كانت د (١١) والتعليميات : والتعلميات ب ، بخ ، ط ، طا || يقوم : يكون م (١٢) أو نفس : أو فى نفس د (١٣) لها : بها ص ، طا || نتأثر : نتأثر د || فيكون ما يتأثر عنها : ساقطة من جـ ، ص ، ط (١٤) إن : لو د ، ص ، م || وتعليميات : وتعليات ب ، بخ ، د ، ط ، طا || يكون : كان جـ ، ط (١٥) ولا تكون : ولم تكن جـ ، د ، ص ، ط ، م ؛ ولا تكون طا || أنفسها : أنفسنا جـ ، ط || منتقلة : منقلبة م .

بطلان هذا فى مواضع . بل الموجود منها إنما هى الآثار المحاكية لهـا لا محالة.
وهى عامة . وذلك يكون إما أن يحصل لنـا فى أبداننا أو فى نفوسنا . وقد بينا
استحالة حصول ذلك فى أبداننـا ، فيبقى أنها تحصل فى نفوســنا . ولأنها آثار
فى النفس ، لا ذوات تلك الأشياء ، ولا أمثال لتلك الأشياء قائمة لا فى مواد
٥ بدنية أو نفسانية ، فيكون ما لا موضوع له يتكثر نوعُه بلا سبب يتعلق به بوجه ؛
فهى أعراض فى النفس .

(١) المحاكية : الحاكية د ، م (٢) وذلك يكون إما : و إما ب ، د ، م ؛ و يكون إما ص ؛ وذلك
إما ط || لنا : ساقطة من د || فى (الثانية) : ساقطة من د ، م (٢ — ٣) أو فى نفوسنا . . .
أبداننا : ساقطة من ب || أو فى نفوسنا . . . نفوسنا : ساقطة من جـ .

[الفصل التاسع]

(ط) فصل

فى الكيفيات التى فى الكيات وإثباتها

هذا الفصل يليق بالطبيعيات ، وقد بقى جنس واحد من الكيفيات يحتاج إلى إثبات وجوده و إلى التنبيه على كونه كيفية ، وهذه هى الكيفيات التى فى الكيات . ٥

أما التى فى العـدد كالزوجية والفردية وغـير ذلك ، فقد علم وجود بعضها وأثبت وجود البـاقى فى صناعة الحساب . وأما أنها أعراض ، فلأنها متعلقة بالعدد ، وخواص له ، والعدد من الكم ، والكم عرض .

وأما التى تعرض للقادير فليس وجودها ببيّن ، فإن الدائرة والخط المنحنى والكرة والأسطوانة و المخروط ليس شىء منها ببين الوجود ، ولا يمكن للمهندس أن يبرهن على وجودها . لأن سائر الأشياء إنما تبين له بوضع وجود الدائرة ، ولأن ذلك المثلث يصح وجوده إن صحت الدائرة ، وكذلك المربع ، وكذلك سائر الأشكال . ١٠

---

(٣) فى الكيفيات : فى الكلام فى الكيفيات ب ، جـ ، د ، ص || الكيات : الكمية جـ ، ص ، م
(٤) هذا : وهذا ب ، جـ ، ص ، م || يليق : يجب أن يلحق م || يحتاج : محتاجة جـ ؛ محتاج ص ؛ محتاجا ط (٥) التنبيه : البينة ص || وهذه هى : وهى هذه جـ ، ص (٧) أما : وأما ط (٩) والكم عرض : ساقطة من ب ، د ، ط ، م (١٠) تعرض : ساقطة من جـ || للقادير : المقادير جـ ، ص ، ط || ببين : ساقطة من م (١١) للمهندس : المهندس جـ ، م
(١٢ — ١٣) ولأن ذلك : وذلك لأن جـ ، م (١٤) الأشكال : الأشياء ط .

وأما الكرة، فإنما يصح وجودها على طريقة المهندس إذا أدار دائرة فى دائرة على نحو ما علمت والاسطوانة إذا حركت دائرة حركة يلزم فيها مركزها خطاً مستقيما طرفه مركزها فى أول الوضع لزوماً على الاستقامة . والمخروط إذا حركت مثلثا قائم الزاوية على أحد ضلعى القائمة حافظاً بطرف ذلك الضلع مركز الدائرة ودائرا ٥ بالضلع الثانى على محيط الدائرة . ثم الدائرة مما ينكر وجودها من يرى تأليف الأجسام من أجزاء لا تتجزأ، فيجب أن يبين وجود الدائرة . وأما عرضيتها فتظهر لنا لتعلقها بالمقادير التى هى أعراض .

فنقول : أما على مذهب من يركب المقادير من أجزاء لا تتجزأ فقد يمكن أن يثبت عليه أيضا وجود الدائرة من أصوله، ثم ينقض بوجود الدائرة جزءه الذى ١٠ لا يتجزأ . وذلك لأنه إذا فرضت دائرة على النحو المحسوس، وكانت على ما يقولون غير دائرة فى الحقيقة، بل كان المحيط مضرسا . وكذلك إذا فرض فيها جزء على أنه المركز، وإن لم يكن ذلك الجزء مركزا بالحقيقة، فقد يكون عندهم مركزا فى الحس، ويجعل المفروض مركزا فى الحس طرف خط، مؤلف من أجزاء لا تتجزأ، مستقيم، فإن ذلك صحيح الوجود مع فرض مالا يتجزأ . فإن ١٥ طوبق بطرفه الآخر جزء من الذى عند المحيط، ثم أزيل وضعه، وأخذ الجزء الذى يلى الجزء الذى من المحيط الذى اختبرناه وطابقنا به الخط أولا فطوبق به رأس الخط المستقيم مطابقة مماسة أو موازاة إلى جهة المركز . فإن طابق المركز

---

(١) على طريقة المهندس : ساقطة من ط || طريقة : طريق م || المهندس : المهندسين جـ ، د ، م || أدار : أديرت جـ ؛ دارت د ؛ دار ص ، ط (٢) والاسطوانة : والاسطوانى ص ، م (٣) حركت : حرك ص ، م (٥) وجودها : وجوده جميع ب ، ج ، وجودها جميع د (٦) فتظهر : فظاهر ط (٨) فقد يمكن : فيمكن ب ؛ ويمكن ط (٩) بوجود : لوجود ص (١٦) الجزء الذى : الجزء ب ، جـ ، د ، ص ، م || الخط : ساقطة من ب (١٧) أو موازاة : وموازاة ب || طابق المركز : طابق ط .

فذلك الغرض ، وإن زاد أو نقص فيمكن أن يتم ذلك بالأجزاء حتى لايكون هناك جزء يزيد ، لأنه إن زاد أزيل ، و إن نقص تمم و إن نقص بإزالته وزاد بإلحاقه فهو منقسم لامحالة وقد فرض غير منقسم . فإذا جعل كذلك بجزء جزء تمت الدائرة .

ثم إن كان فى سطحها تضريس أيضا من أجزاء ، فإن كانت موضوعة فى فرج ادخلت تلك الأجزاء الفرج ليسد بها الخال من السطح كلها ، وإن كانت لاتدخل الفرج فالفرج أقل منها فى القدر فهى إذن منقسمة إذ الذى يملأ الفرج أقل حجماً منها ، وما هو كذلك ، فهو فى نفسه منقسم و إن لم يمكن فصله . و إن لم تكن موضوعة فى فرج أزيلت من وجه السطح من غير حاجة إليها .

فان قال قائل : إنه إذا طوبق بين الجزء المركزى وبين المحيطى مرة ، فليس يمكن التطبيق لابماسة ولابموازاة مع المركزى ، والذى يلى ذلك الجزء من المحيط . فإنا نقول له : أرأيت لو أعدمت هذه الأجزاء كلها و بقى الذى فى المركز والمحيط ؟ أهَل كان بينهما استقامة يمكن أن يطبق عليه هذا الخط ؟ فان لم يجوزوا ذلك فقد خرجوا عن البين بنفسه ، وأوقعوا أنفسهم فى شغل آخر وهو أنه يمكن أن تفرض مواضع مخصوصة فيها تتم هذه الاستقامة فى الخلاء الذى لهم ، حتى يكون بين جزئين فى الخلاء استقامة ، وبين جزئين آخرين لا يكون . وهذا شطط من يتكلفه ويجوز القول به ، فلا ضير ، فإنما يبيع عقله بثمن بخس . فإن البديهة أيضا تشهد أن بين كل جزئين تتفق محاذاة لا محالة يملأها من الملأ أقصر الملأ ، أو أقصر بعد

(١) فذلك : فذاك د ، م (٣) وقد فرض : وفرض ب ، جـ ، ص ، ط ، م || جزء : بجزء جـ
(٥) إن : ساقطة من ط ، م (٦) الخلل : الخلل ب || وإن : فإن ب (٧) فالفرج : فإن الفرج د || إذن : ساقطة ص جـ (٨) لم يمكن فصله و إن : ساقطة من جـ ، د ، ص ، م
(٩) من : عن ص (١١) والمحيط : الذى فى المحيط ط (١٣) أهل : بل جـ (١٣) فقد : ساقطة من ب (١٦) ممن : فمن جـ ، ص ، ط || يتكلفه : يكلفه د (١٧) أيضا : بالضرورة ب ، د ، ص (١٨) أقصر الملأ : أقصر من الملأ جـ ، ص ، ط ؛ ساقطة من د .

فى الملأ . و إن قالوا : إن ذلك يكون ، ولكن مادامت هذه الأجزاء موجودة فلا يكون بينهما هذه المحاذاة ، ولا يجوز أن يوازى طرفيها طرفا مستقيم، فهذا أيضا من ذلك .

فتكون كأن تلك الأجزاء إن وجدت تغير حكم المحاذاة عن حكمه او كانت ٥ معدومة، وجميع هذا مما لايشكل على البديهة بطلانه ولا الوهم — الذى هو القانون فى الأمور المحسوسة وما يتعلق بها ، كما علمت — يتصوره . على أن الأجزاء التى لاتجزأ لاتتألف منها بالحقيقة لادائرة ولاغير دائرة ، و إنما هذا على قانون القائلين به .

و إذا صحت دائرة صحت الأشكال الهندسية فيبطل الجزء و يعلم ذلك من أن ١٠ كل خط ينقسم بقسمين متساويين وأن قطراً لايشارك ضلعا وما أشبه ذلك، فإن الخط الفرد الأجزاء لاينقسم بقسمين متساويين ، وكل خط مؤلف من أجزاء لاتجزأ يشارك كل خط، وهذا خلاف مايبرهن عليه بعد وضع الدائرة،وكذلك أشياء أخرى غير هذا .

وأما إثبات الدائرة على أصل المذهب الحق فيجب أن نتكلم فيه ، وأما ١٥ الاستقامة ووجوب محاذاة بين طرفى خط إذا لزمه المتحرك لم يكن حايدا ، و إن فارقة كان حايدا عادلا ، فذلك أمر لايمكن دفعه .

---

(١) ولكن : لكن م (٢) بينهما : بينها ص || طرفيها : طرفها د || طرفا : طرف ط || مستقيم : مستقيماص (٣) أيضا : + أقصر د (٥) هذا : ذلك ب || محالا : فلا م (٦) يتصوره : تصوره ط || التى : الذى جـ ، ط (٧) لا تتألف : لاتألف ط (٨) به : بها ب ، د
(٩) و إذا : فإذا جـ || دائرة : الدائرة ص || فيبطل : فبطل ص ، طا ، م || و يعلم : يعلم ص ، م
(١٠) خط : + مستقيم ط || وأن : ساقطة من جـ ، ط ، م || ضلعا : ضلعها د
(١٠—١١) قطرا ... متساويين : ساقطة من جـ || فإن الخط : فالخط ص ، ط ، م
(١١) بقسمين متساويين : بنصفين ب ؛ بقسمين م (١٢) مايبرهن : مابرهن ص || وكذلك : وكذا د (١٥) ووجوب : ووجود جـ ، ص ، م (١٦) وإن : فإن جـ ، ط .

فنقول : قد بين فى الطبيعيات من وجه وجود الدائرة ، وذلك لأنه تبين لنا أن جسما بسيطا ، وتبين أن كل جسم بسيط فله شكل طبيعى، وتبين أن شكله الطبيعى هو الذى لايختلف ألبته فى أجزائه، ولا شىء من الأشكال الغير المستديرة كذلك. فقد صح وجود الكرة وقطعها بالمستقيم هو الدائرة فقد صح وجود الدائرة.

وأيضا يمكننا أن نصحح ذلك فنقول : من البين أنه إذا كان خط أو سطح ٥ على وضع ما فليس من المستحيل أن يفرض لسطح آخر أو خط آخر أن يكون وضعه بحيث يلاقيه من أحد طرفيه على زاوية. ومن البيّن أنه يمكننا أن ننقل هذا الجسم أو هذا الخط نقلاً كيف شئنا إلى أن يصير ملاقياً لذلك الآخر أو موضوعا فى موضعه، كأنه يحاذيه بجميع امتداده ملاقيا له أو موضوعا فى موضعه أو موزايا.

ويمكن لجسم واحد بعينه أن يوضع على وضع ثم يوضع على وضع آخر يقاطعه ١٠ والكلام فى الجسمين والجسم الواحد واحد . فإن كانت استقامة ولم تكن استدارة لم يمكن هذا ألبتة، لأنه إذا كانت الحركة إلى الانطباق على الاستقامة ذاهبة فى الطول ثم راجعة أى الرجوعات كانت ، أو ذاهبة فى السمك راجعة كيف كانت ، أو ذاهبة عرضا من الجهتين أو كيف فرضت ، فإنه إذا كان يحفظ النقطة التى تفرض على واسطة السطح أو الخط فى تحركها خطا مستقيما ، ١٥ فإنه لا يلقى ألبته ذلك الجسم ، بل يقاطعه كيف كان. وأنت يمكنك أن تفرض

---

(١) قد تبين : قد بين م || لأنه تبين : + لنا ط (٢) بسيطا : ساقطة من ب || وتبين... طبيعى : ساقطة من م || وتبين (الثانية) : وبين ص (٣) ألبته : أبدا طا || ولا شىء : ولاشكل شىء ط (٤) كذلك : فذلك م || الكرة : الكثرة م (٦) لسطح : بسطح ط ؛ سطح ص (٧) ومن : ثم من جـ ، د ، ص ، م (٨) لذلك : كذلك د (٩) فى (الأولى) : ساقطة من د || موضعه كأنه : وضعه كأنه ب ، د ، ص ، م (١٠) لجسم : بجسم ب || بعينه : نفسه م || ثم يوضع : + ثم يوضع جـ ، د ، ط ، م (١١) والجسم : وفى الجسم جـ ، ص ؛ فى الجسم د (١٢) لم : ولم م (١٥) أو الخط : والخط جـ ، ط || تحركها : تحريكها ب ، جـ ، ط .

كل واحد من هذه الأقسام بالفعل وتعتبره، بل يجب آخر الأمر أن تتفق حركته على صفة أذكرها . إما أن يكون أحد الطرفين فيها من الخط أو السطح أو الجسم لازماً موضعه ، والآخر ينتقل ، وذلك على الدور ، أو كلاهما ينتقلان ، ولكن على صفة أن يكون أحدهما أبطأ والآخر أسرع ، فيكون الطرفان أو المتحرك وحده على كل حال يفعل قوس دائرة . و إذا صح وجود قوس دائرة صح أن يضعف إلى التمام، وهذا على الأصول الصحيحة. وأما إن قال أحد بالتفكيك، فالطريقة الأولى تناقضه .

وأيضا لنفرض جسماً ثقيلا ونجعل أحد طرفيه أثقل من الآخر ، ونجعله قائما على سطح مسطح مماس له بطرفه الأخف حتى يقوم قائما عليه بحيلة ، وأنت تعلم أن قيامه إذا عدل ميله إلى الجهات مما يستمر ، وأنه إذا أميل إلى جهة وزال الداعم حتى سقط فتحدث دائرة لا محالة أو منحنٍ .

أما كيف تكون ، فلنفرض نقطة ن الرأس المماس للسطح ، وهي أيضا تلق نقطة من السطح ، فحينئذ لا يخلو إما أن تثبت النقطة في موضعها ، فتكون كل نقطة نفرضها ن رأس ذلك الجسم قد فعلت دائرة ؛ وإما أن يكون — مع حركة هذا الطرف إلى أسفل — يتحرك الطرف الآخر إلى فوق ، فيكون قد فعل كل واحد من الطرفين دائرة ، ومركزها النقطة المتحددة بين الجزء الصاعد والجزء الهابط ، و إما أن تتحرك النقطة منجرة على طول السطح ، فيفعل الطرف الآخر

(١) هذه : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م || وتعتبره : ومعتبرة م (٤) صفة : وضع جـ (٦) إلى : على ط || بالتفكيك : بالتفكك د ، ط ، م (٨) لنفرض : فلنفرض جـ ، ص ؛ نفرض ط (٩) بحيلة : ساقطة من ب ، ص ، م (١٠) وأنه : ثم جـ ؛ فإنه د || وزال : فزال ب ، د ، ص ، ط ، م (١٣) موضعها : موضوعها ط (١٤) الجسم : الجسم د || قد : فقد جـ ، د ، ط ، م || فعلت : فعل ب ، جـ ، د ، ط ، م (١٦) ومركزها : ومركزهما م .

قطعا أو خطا منحنيا ، ولأن الميل إلى المركز إنما هو على المحاذاة ، فمحال أن تجر النقطة على السطح . لأن تلك الحركة إما أن تكون بالقسر أو بالطبع ، وليست بالطبع وليست بالقسر ، لأن ذلك القسر لا يتصور إلا عن الأجزاء التي هي أثقل ، وتلك ليست تدفعها إلى تلك الجهة ، بل إن دفعتها على حفظ الاتصال دفعتها على خلاف حركتها ونقلتها ليمكن أن تنزل هي، كأن العالية منها إذ هي أثقل ٥ تطلب حركة أسرع ، والمتوسطة أبطأ . وهناك اتصال يمنع ميلا من أن ينعطف فيضطر العالى إلى أن يشيل السافل حتى يتحدر ، فيكون حينئذ الجسم منقسما إلى جزءين : جزء يميل إلى العلو قسرا ، وجزء يميل إلى السفل طبعا ، وبينهما حد هو مركز للحركتين ، وقد خرج منه خط مستقيم ما فيفعل الدائرة .

فبين أنه إن لزم عن انحدار الجسم زوال فهو إلى فوق ، وإن لم يزل عنه ١٠ فوجود الدائرة أصح . فإذا ثبتت الدائرة ثبت المنحنى ، لأنه إذا ثبتت الدائرة ثبتت المثلثات والقائم الزاوية أيضا ، وثبت جواز دور أحد ضلعى القائمة على الزاوية فصح مخروط، فإن فصل مخروط بسطح محارف صح قطع ، فصح منحن .

(١) أو خطا : وخطا م || الميل إلى : ساقطة من ط ، م || على : على سبيل ص ؛ سبيل ط (٢) بالقسر : بالقصر جـ ، د ، ط (٣) عن : على ص (٥) ونقلتها : فنقلتها ب || ليمكن : فيمكن د || كأن العالية : كالعالية د || إذ : أو د (٤ — ٦) الاتصال . . . أبطأ ساقطة من م (٦) من : ساقطة من ب ، جـ ، ص ، ط ، م (٧) يشيل : ينقل د || يتحدر : يتحدد ص (٨) جزءين : قسمين ط || وجزء : أو جزء جـ ، ط || السفل : أسفل ب ، د ، جـ ، ص (٨ — ٩) حد هو : هو حد ط (١٠) وإن : فإن د (١١) فإذا : وإذا ب ، جـ ، ص || ثبتت : ثبت جـ ، د ، ص ، ط || ثبتت الدائرة : ثبت د ، ص ، ط (١٢) ثبتت المثلثات : ثبت المثلثات د ، ص ، ط (١٣) فصح مخروط : فصح مخروط صنع جـ ؛ فصح المخروط ط ؛ ساقطة من ب ، م || بسطح محارف : بسطح محارق د ؛ بسهم مخارق ط || صح : حتى د || فصح : ساقطة من ط ، م .

[الفصل العاشر]

(ى) فصل

فى المضاف

واما القول فى المضاف ، وبيان أنه كيف يجب أن تحقق ماهية المضاف والإضافة وحدهما، فالذى قدمناه فى المنطق كاف لمن فهمه. وأما أنه إذافرض للإضافة وجود كان عرضاً ، فذلك أمر لاشك فيه، إذ كان أمراً لا يعقل بذاته، إنما يعقل دائما لشيء إلى شيء ، فإنه لا إضافة إلا وهى عارضة .

أول عروضها للجوهر مثل : الأب والابن ، أو للكم فمنه ما هو مختلف فى الطرفين، ومنه ما هو متفق بالمختلف مثل : الضعف والنصف، والمتفق مثل: المساوى والمساوى والموازى والموازى والمطابق والمطابق والمماس والمماس .

ومن المختلف ما اختلافه محدود ومحقق كالنصف والضعف ، ومنه ما هو غير محقق إلا أنه مبنى على محقق كالكثير الأضعاف والكل والجزء، ومنه ماليس بمحقق بوجه مثل الزائد والناقص والبعض والجملة . وكذلك إذا وقع مضاف فى مضاف كالأزيد والأنقص فان الأزيد إنما هو زائد بالقياس إلى زائد أيضا مقيس إلى ناقص .

---

(٥) قدمناه : قد بيناه ط || وأما أنه : عروضها د (٦) إذ : إذا د || بذاته : + بل كان ص (٧) وهى عارضة : وهو عارض ب ، جـ ، د ، ص ، ط ، م (٨) أول : ساقطة من د || للجوهر : لجوهر ب ، د ، ص ، م (١٠ — ١١) والماس والماس : والماس ب (١٣) الأضعاف : والأضعاف د (١٤) بمحقق : محقق ط ، م (١٥) زائد : أزيد ط ، م || زائد : أزيد م ؛ + هو ص .

ومن المضاف ما هو فى الكيف فمنه متفق كالمشابهة، ومنه مختلف كالمسريع والبطىء فى الحركة، والثقيل والخفيف فى الأوزان، والحاد والثقيل فى الأصوات وكذلك قد تقع فيها كلها إضافة فى إضافة ، وفى الإين كالأعلى والأسفل ، وفى المتى كالمتقدم والمتأخر، وعلى هذه الصفات، وتكاد تكون المضافات منحصرة فى أقسام المعادلة ، والتى بالزيادة والنقصان، والتى بالفعل والانفعال ومصدرها ٥ من القوة ، والتى بالمحاكاة .

فأما التى بالزيادة فإما من الكم كما تعلم ، وإما فى القوة مثل الغالب والقاهر والمانع وغير ذلك . والتى بالفعل والانفعال كالأب والابن والقاطع والمنقطع وما أشبه ذلك ، والتى بالمحاكاة فكالعلم والمعلوم والحس والمحسوس ، فإن بينهما محاكاة ، فإن العلم يحاكى هيئة المعلوم ، والحس يحاكى هيئة المحسوس ، على أن ١٠ هذا لا يضبط تقديره وتحديده .

لكن المضافات قد تحصر من جهة ، فقد يكون المضافان شيئين لا يحتاجان إلى شىء آخر من الأشياء التى لها استقرار فى المضاف حتى تعرض لأجله لهما إضافة ، مثل المتيامن والمتياسر ، فليس فى المتيامن كيفية أو أمر من الأمور مستقر صار به مضافا بالتيامن إلا نفس التيامن . وربما احتيج إلى أن يكون ١٥ فى كل واحد من الأمرين شىء حتى يصير به منقاسا إلى الآخر، مثل العاشق

---

(١) ما هو : ماب، جـ ، د ، ص ، م || كالمشابهة : كالمشابه هامش ص (٢) فى الحركة : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ط ، م (٣) فيها : منها د (٤) المتى : متى جـ ، ص ، م || كالمتقدم : كالمتقدمة ط || الصفات ، الصفة جـ ، د ، ط ، م || وتكاد : + فى أن د || منحصرة : ساقطة من جـ ، ط (٥) والنقصان : ساقطة من ب ، جـ ، ص ، ط ، م (٩) فكالعلم : كالعلم ب ، جـ (١٥) نفس التيامن : نفسه جـ || وربما : + كان فى كل واحد ط .

والمعشوق . فإن فى العاشق هيئة إدراكية هى مبدأ الإضافة، وفى المعشوق هيئة مدركة هى التى جعلته معشوقا لعاشقه .

وربما كان هذا الشىء فى إحدى الجهتين دون الأخرى مثل العالم والمعلوم . فإن العالم قد حصل فى ذاته كيفية هى العلم، صار بها مضافاً إلى الآخر . والمعلوم لم يحصل فى ذاته شىء آخر، إنما صار مضافا لأنه قد حصل فى ذلك الآخر شىء هو العلم .

والذى بقى لنا ههنا من أمر المضاف أن نعرف هل الإضافة معنًى واحدٌ بالعدد وبالموضوع، موجود بين شيئين وله اعتباران كما ظنه بعض الناس، بل أكثرهم؟ أو لكل واحد من المضافين خاصية فى إضافته ؟ فنقول : إن كل واحد من المضافين فإن له معنى فى نفسه بالقياس إلى الآخر، ليس هو المعنى الذى للآخر فى نفسه بالقياس إليه. وهذا بيّن فى الأمور المختلفة الإضافة كالأب فإن إضافته للأبوة — وهى وصف وجوده — فى الأب وحده ، ولكن إنما هو للأب بالقياس إلى شىء آخر فى الأب ، وليس كونه بالقياس إلى الآخر هو كونه فى الآخر، فإن الأبوة ليست فى الابن وإلا لكانت وصفا له يشتق له منه الاسم، بل الأبوة فى الأب . وكذلك أيضا حال الابن بالقياس إلى الأب فليس ههنا شىء واحد أبته هو فى كليهما، فليس ههنا إلا أبوة أو بنوة. وأما حالة موضوعة للأبوة والبنوة فلسنا نعرفها ولا لها اسم .

---

(١) فإن . . . المشوق : ساقطة من م (٢) لعاشقه : لهذا طا (٣) الأخرى : الآخر د (٤) بها : لها م || الآخر : شىء آخر م (٥) شىء : ساقطة من ط (٨) وله : فله ص ؛ له ط (٩) إضافته : إضافتيه ب (١٣) آخر : + فهو ب ، جـ ، د ، ص ، م || الآخر : آخر د ، ط ، م (١٤) الآخر : آخر ب (١٥) فليس : وليس جـ ؛ ص (١٦) هو : فهو م (١٧) فلسنا : فليس ط ، م .

فإن كان ذلك كون كل واحد منهما بحال بالقياس إلى الآخر، فهذا ككون كل واحد من القفنس والثلج أبيض، فإنه ليس يجب أن يكون شيئا واحدا، وليس كونه بالقياس إلى الآخر يجعله واحدا، لأن ما لكل واحد بالقياس إلى الآخر فهو لذلك الواحد لا للآخر، لكنه بالقياس إلى الآخر.

٥ فإذا فهمت هذا فيما مثلناه لك ، فاعرف الحال فى سائر المضافات التى لا اختلاف فيها. وإنما يقع أكثر الإشكال فى هذا الموضع، فإنه لما كان لأحد الأخوين حالة بالقياس إلى الآخر، وكان للآخر أيضا حالة بالقياس إلى الأول، وكانت الحالتان من نوع واحد حُسِبَتا شخصاً واحدا وليس كذلك. فإن للأول أخوة الثانى أى له وصف أنه أخو الثانى، ذلك الوصف له ولكن بالقياس إلى الثانى. وليس ذلك وصف الثانى بالعدد، بل بالنوع، كما لو كان الثانى أبيض ١٠ والأول أبيض، بل الثانى أيضا أنه أخو هذا الأول لأن له حاله فى ذاته مقولة بالقياس إلى الأول.

وكذلك المماسة فى المتماسين، فإن كل واحد منهما مماس لصاحبه بأن له مماسته التى لا تكون إلا بالقياس إلى الآخر إن كان الآخر مثله. فلا تظنن ألبتة أن عرضا واحدا بالعدد يكون فى محلين حتى يحتاج أن تعتذر من ذلك فى جعلك العرض اسما ١٥ مشككا كما فعله ضعفاء التمييز.

---

(١) واحد : ساقطة من جـ (٥) فإذا : فإن جـ، ص || لك : + فكذلك ب ؛ فلذلك د
(٧) الأخوين : الآخرين ط، م (٩) ذلك : وذلك ط (١٠) وصف : بوصف جـ، ص
(١١) مقولة : معقولة جـ، ص، طا (١٣) وكذلك : فكذلك د ؛ كذلك ط (١٣) مماسته : مماسة جـ، ط، م (١٤) إن : إذا ب، جـ، د، ص || الآخر : للآخر د، ص، ط، م
(١٥) واحدا بالعدد : ساقطة من ب || جعلك : جعل ط، م (١٦) مشككا : معتذر د || ضعفاء : للضعفاء ب، جـ، م ؛ ضعف د، ط ؛ ضعيفا طا || التمييز : التميز ص .

لكن الأشد اهتماماً من هذا، معرفتنا هل الإضافة فى نفسها موجودة فى الأعيان أو أمر إنما يتصور فى العقل، ويكون ككثير من الأحوال التى تلزم الأشياء إذا عقلت بعد أن تحصل فى العقل، فإن الأشياء إذا عقلت تحدث لها فى العقل أمور لم يكن لها من خارج، فتصير كلية وجزئية وذاتية وعرضية وتكون جنس وفصل ٥ وتكون محمول وموضوع وأشياء من هذا القبيل .

فقوم ذهبوا إلى أن حقيقة الإضافات إنما تحدث أيضا فى النفس إذا عقلت الأشياء . وقوم قالوا : بل الإضافة شىء موجود فى الأعيان ، واحتجوا وقالوا نحن نعلم أن هذا فى الوجود أب ذلك ، وأن ذلك فى الوجود ابن هذا ، عقل أو لم يعقل ، ونحن نعلم أن النبات يطلب الغذاء ، وأن الطلب مع إضافة ما ، ١٠ وليس للنبات عقل بوجه من الوجوه ولا إدراك ؛ ونحن نعلم أن السماء فى نفسها فوق الأرض ، والأرض تحتها، أدركت أو لم تدرك، وليست الإضافة إلا أمثال هذه الأشياء التى أومأنا اليها وهى وتكون للأشياء وإن لم تدرك .

وقالت الفرقة الثانية : إنه لو كانت الاضافة موجودة فى الأشياء لوجب من ذلك أن لا تنتهى الإضافات، فإنه كان يكون بين الأب والابن إضافة ، وكانت ١٥ تلك الاضافة موجودة لهما أو لأحدهما أو لكل واحد منهما . فمن حيث الأبوة للأب وهى عارضة له، والأب معروض لها، فهى مضافة ، وكذلك البنوة . فههنا إذن ملاقة للأبوة مع الأب والبنوة مع الابن خارجة عن الملاقة التى بين الأب والابن فيجب أن تكون للإضافة إضافة أخرى وأن تذهب إلى غير النهاية ، وأن تكون

---

(٢) يتصور : متصورا ط || العقل : الفعل د || ككثير : لكثير م (٤) وجزئيه : جزئيه جـ ، د ؛ ساقطة من ب ، ط ، م (٧) وقالوا : فقالوا د (٨) الوجود : الموجود م || أب : أبوم || ابن هذا : ابنه ب (١٠) نفسها : نفسه د (١١) وليست : وليس د || إلا أمثال : إلا فى أمثال د ؛ إلا جـ ؛ إلا مثال ط (١٢) التى : ساقطة من ط ، م (١٣) فى الأشياء : فللأشياء جـ (١٦) لها : له ب ، جـ ، د (١٧) للأبوة : الأبوة ص || والبنوة : والابنوه ط || مع الابن : + وليست الملاقة التى بين الأب والابن ب .

أيضا من الإضافات ما هى علاقة بين موجود ومعـدوم ؛ كما نحن متقـدمون
بالقياس إلى القرون التى تخلفنا وعالمون بالقيامة .

والذى تنحل به الشبهة من الطريقين جميعا أن نرجع إلى حد المضاف المطلق
فنقول : إن المضاف هو الذى ماهيته إنما تقال بالقيـاس إلى غيره ، فكل شىء
فى الأعيان يكون بحيث ماهيته إنما تقال بالقياس إلى غيره فذلك الشىء من المضاف. ٥
لكن فى الأعيان أشياء كثيرة بهذه الصفة ، فالمضاف فى الأعيان موجود ، فإن
كان للمضاف ماهية أخرى فينبغى أن يجرد ما له من المعنى المعقول بالقياس إلى غيره
وغيره ، إنما هو معقول بالقياس إلى غيره بسبب هذا المعنى ، وهذا المعنى ليس معقولا
بالقياس إلى غيره بسبب شىء غير نفسه ، بل هو مضاف لذاته على ما علمت .
فليس هناك ذات وشىء هو الإضافة ، بل هناك مضاف بذاته لا بإضافة أخرى ١٠
فتنتهى من هذا الطريق الإضافات .

وأما كون هـذا المعنى المضاف بذاته فى هذا الموضوع ، فهو من حيث إنه
فى هذا الموضوع ماهيته معقولة بالقياس إلى هذا الموضوع ، وله وجود آخر
مثـلا وهو : وجود الأبوة ، وذلك الوجود أيضا مضاف . ولكن ليس ذلك
هذا ، فليكن هذا عارضا من المضاف لزم المضاف ، وكل واحد منهما مضاف ١٥

---

(٢) بالقيامة : بالقيمة د ، م (٣) الطريقين : الطرفين د ، هامش ص ؛ الفريقين طا
(٤) إنما تقال : معقولة جـ ، د ، ص ، م ؛ مقولة هامش جـ ؛ تكون معقولة ط || شىء : +
يكون جـ ، ص ، ط (٥) تقال : تعقل : ص ، ط || فذلك : فلذلك د || الشىء : + المضاف م
(٧) غيره : + فذلك المعنى هو الحقيقة المعنى المعقول بالقياس إلى د ، ص ؛ + فذلك المعنى هو
بالحقيقة المعقول بالقياس إلى جـ ، ط ، م (٨) وغيره : غيره جـ ، د ، ص ، ط ؛ غيره وغيره م
(١٠) وشىء : + ما ص (١١) فتنتهى : ساقطه من ط (١٣) معقوله : مقولة م (١٤) وهو :
وهى جـ ، د ، م || ولكن : لكن جـ ، م (١٥) المضاف (الأولى) : + والمضاف جـ .

لذاته إلى ما هو مضاف إليه بلا إضافة أخرى . فالكون محمولاً مضاف لذاته ، والكون أبوة صارت مضافة لذاته . فإن نفس هـذا الكون مضاف بذاته ليس يحتاج إلى إضافة أخرى يصير بها مضافا ، بل هو لذاته ماهية معقولة بالقيـاس إلى الموضـوع ، أى هو بحيث إذا عقلت ماهيته كانت محتاجة إلى أن يحضر ٥ فى الذهن شىء آخر يعقل هذا بالقياس إليه .

بل إذا أخذ هذا مضافا فى الأعيان فهو موجود مع شىء آخر لذاته لا لمعيّة أخرى تتبعه ، بل نفسـه نفس المع أو المعيـة المخصصة بنوع تلك الإضافة . فاذا عقل احتيج إلى أن يعقل مع إحضار شىء آخر ، كما كانت ماهيـة الأبوة من حيث هى أبوة ، فذاتها مضافة بذاتها لا بإضافة أخرى رابطة ، وللعقل أن ١٠ يخترع أمرا بينها كأنه معية خارجة منهما لا يضطر إليه نفس التصور، بل اعتبار آخر من الاعتبارات اللاحقة التى يفعلها العقل. فإن العقل قد يقرن أشياء بأشياء لأنواع من الاعتبـارات لا للضرورة ، فأما فى نفسها فهى إضافة ، لا بإضافة لأنها ماهية لذاتها تعقل بالقياس إلى الغير .

وههنا إضافات كثيرة تلحق بعض الذوات لذاتها لا لإضافة أخرى عارضة، ١٥ بل مثل ما يجرى عليه الأمر من لحوق هذه الإضافة للإضافة الأبوية . وذلك

---

(١) مضاف لذاته : مضافا لذاته د (٢) صارت : ساقطة من م || فإن : فإذ ط || الكون مضاف : الكون مضافا ص (٤) ماهيته : ماهية ب ، جـ ، د ، ط (٥) شىء : ساقطة من د || بالقياس : القياس ط (٦ — ٧) لذاته لا لمعية أخرى : يعقل هذا بالقياس إليه طا (٨) فإذا : وإذا د ، ص ، ط ، م || إلى ساقطة من ب (٩) أبوة : + بنوع تلك الإضافة ط || بذاتها : لذاتها ص ، م (١٠) لا يضطر : لا يضطره ص ، م || التصور : المصور م (١١) الاعتبارات : الاعتبار ب ، جـ ، د (١٢) للضرورة : بالضرورة د (١٣) الغير : غير د (١٤) وههنا : فههنا جـ || بعض : بعضها ط (١٥) للإضافة : لإضافة ط || الأبوية : الأبوة هامش ص || وذلك : + محقق م .

مثل لحوق الإضافة لهيئة العلم فإنها لا تكون لاحقة بإضافة أخرى فى نفس
الأمور ، بل تلحقها لذاتها ، و إن كان العقل ربما اخترع هناك إضافة أخرى.

و إذ قد عرفت هذا فقد عرفت أن المضاف فى الوجود موجود بمعنى أن له
هذا الحد ، وهذا الحد لا يوجب أن يكون المضاف فى الوجود إلا عرضاً إذا
عقل كان بالصفة المذكورة ، ولا يوجب أن يكون أمراً قائم الذات واحدا ٥
واصلا بين الشيئين .

وأما القول بالقياس فإنما يحدث فى العقل ، فيكون ذلك هو بالإضافة العقلية
والإضافة الوجودية ما بيناه ، وهو كونه بحيث إذا عقل كان معقول الماهية
بالقياس، وأما كونه فى العقل فأن يكون عُقِلَ بالقياس إلى غيره، فله فى الوجود
حكم ، وله فى العقل حكم ، من حيث هو فى العقل لا من حيث الإضافة . ١٠
ويجوز فى العقل إضافات مخترعة إنما يفعلها العقل بسبب الخاصية التى للعقل منها .

فالمضاف إذن موجود فى الأعيان و بان أن وجوده لا يوجب أن يكون هناك
إضافة إلى إضافة بغير نهاية . وليس يلزم من هذا أن يكون كل ما يعقل مضافا
يكون له فى الوجود إضافة .

وأما المتقدم والمتأخر فى الزمان ، وأحدهما معدوم وما أشبه ذلك ، فإن ١٥
التقدم والتأخر متضايفان بين الوجود إذا عُقِلَ ، و بين المعقول الذى ليس
مأخوذا عن الوجود الخاص ؛ فاعلمه .

---

(٢) أخرى : ساقطة من ب ، م (٣) وإذ : فإذ جـ ، ص ، م || قد : ساقطة من د ، م || عرفت : علمت هامش جـ (٤) وهذا الحد : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ط (٦) الشيئين : شيئين جـ ، ص ، م (٩) فأن : بأن جـ (١١) للعقل : فى العقل د (١٣) إلى إضافة : ساقطة من ط || نهاية : النهاية جـ || ما يعقل : ما يفعل م (١٦) إذا : وإذا د (١٧) الخاص : الحاضر جـ ، ص ، م || فاعلمه : فاعلم د .

فإن الشيء في نفسه ليس بمتقدم إلا بشيء موجود معه ، وهـذا النوع من المتقـدم والمتأخر موجود للطرفين معاً في الذهن ، فإنه إذا أحضرت في الذهن صورة المتقدم وصورة المتأخر عقلت النفس هـذه المقايسة واقعة بين موجودين فيه ، إذ كانت هذه المقايسة بين موجودين في العقل . وأما قبل ذلك فلايكون الشيء في نفسه متقدما ، فكيف يتقدم على لا شيء موجود ؟ فما كان من ٥ المضافات على هـذه السبيل فإنما تضايفها في العقل وحده ، وليس في الوجود لها معنى قائم من حيث هـذا التقدم والتأخر ، بل هذا التقدم والتأخر بالحقيقة معنى من المعاني العقلية ومن المناسـبات التي يفرضها العقل والاعتبارات التي تحصل للأشياء إذا قايس بينها العقل وأشار إليها .

(١) فإن : إن د ، ط ، م || بشيء : لشيء م (٢) للطرفين : الطرفين جـ ، ص || أحضرت : أحضر ب ، د ، ط ، م (٣) موجودين : الموجودين جـ ، ص ، ط (٧) التقدم والتأخر : المتقدم والمتأخر ب ، د ، ص ، ط ، م (٨) معنى : ساقطة من ب ، د ، ط ، م || ومن المناسبات : والمناسبات ب ، د ، ط ، م || يفرضها العقل : يفرضها ص (٩) إليها : إليهما ط .

المقالة الرابعة[1]

وفيها ثلاثة فصول[2]

---

(١) المقالة الرابعة : ساقطة من د ؛ + من الجملة الأولى من الكتاب ثلاثة فصول م

(٢) وفيها ثلاثة فصول : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص ، م .

[الفصل الأول]

(١) فصل

فى المتقدم والمتأخر ، وفى الحدوث

لما تكلمنا على الأمور التى تقع من الوجود والوحدة موقع الأنواع ، فبالحرى
أن نتكلم فى الأشياء التى تقع منهما موقع الخواص والعوارض اللازمة ، ونبدأ ٥
أولا بالتى تكون للوجود ومنها بالتقدم والتأخر .

فنقول : إن التقدم والتأخر وإن كان مقولاً على وجوه كثيرة فإنها تكاد أن
تجتمع على سبيل التشكيك فى شىء ، وهو أن يكون للمتقدم ، من حيث هو متقدم ،
شىء ليس للمتأخر ، ويكون لا شىء للمتأخر إلا وهو موجود للمتقدم . والمشهور
عند الجمهور هو المتقدم فى المكان والزمان . وكان التقدم والقبل فى أشياء لها ١٠
ترتيب ، فما هو فى المكان فهو الذى أقرب من ابتداء محدود ، فيكون له أن يلى
ذلك المبدأ حيث ليس يلى ما هو بعده ، والذى بعده يلى ذلك المبدأ وقد وَلِيَه
هو . وفى الزمان كذلك أيضا بالنسبة إلى الآن الحاضر أو آن يفرض مبدأ
وإن كان مبدأ مختلفا فى الماضى والمستقبل كما تعلم .

ثم نقل اسم القبل والبعد من ذلك إلى كل ما هو أقرب من مبدأ محدود . ١٥
وقد يكون هذا التقدم المرتبى فى أمور بالطبع ، كما أن الجسم قبل الحيوان

---

(٣) المتقدم والمتأخر: المتأخر والمتقدم ص || وفى الحدوث : والحدوث م (٥) منهما : منها ص
(٧) وإن : إن ط (٨) شىء : + واحد جـ || وهو : هو جـ (١٠) والزمان : وفى
الزمان م || وكان : فكان ص || التقدم : المتقدم ب ، ص ، ط ، م (١١) فما : كما جـ ، د ،
ص ، ط ، م || المكان : + وما هو فى المكان جـ ؛ + فما كان فى نسبة المكان د || فهو : وهو جـ ||
الذى : + هو م (١٣) مبدأ : ساقطة من ص ، م (١٦) المرتبى : الرتبى جـ ، د ، ص ، ط .

بالقياس إلى الجوهر ووضع الجوهر مبدأ . ثم إن جعل المبدأ الشخص اختلف ، وكذلك الأقرب من المحرك الأول ، كالصبي يكون قبل الرجل . وقد يكون فى أمور لا من الطبع ، بل إما بصناعة كنغم الموسيقى ، فإنك إن أخذت من الحدة كان المتقدم غير الذى يكون إذا أخذت من الثقل ، وإما بحث واتفاق ٥ كيف كان .

ثم نقل إلى أشياء أخرى بجعل الفائق والفاضل والسابق أيضاً ولو فى غير الفضل متقدما ، بجعل نفس المعنى كالمبدأ المحدود . فما كان له منه ما ليس للآخر ، وأما الآخر فليس له إلا ما لذلك الأول فإنه جعل متقدّما . فإن السابق فى باب ما له ما ليس للثانى ، وما للثانى منه فهو للسابق وزيادة . ومن هذا القبيل ١٠ ما جعلوا المخدوم والرئيس قبل ، فإن الاختيار يقع للرئيس وليس للرؤوس ، وإنما يقع للرؤوس حين وقع للرئيس فيتحرك باختيار الرئيس .

ثم نقلوا ذلك إلى ما يكون هذا الاعتبار له بالقياس إلى الوجود ، بجعلوا الشئ الذى يكون له الوجود أولا وإن لم يكن للثانى والثانى لا يكون له إلا وقد كان للأول وجوداً متقدما على الآخر مثل : الواحد ، فإنه ليس من شرط الوجود ١٥ للواحد أن تكون الكثرة موجودة ، ومن شرط الوجود للكثرة أن يكون الواحد موجودا . وليس فى هذا أن الواحد يفيد الوجود للكثرة أولا يفيد ، بل إنه يحتاج إليه حتى يفاد للكثرة وجود بالتركيب منه .

ثم نقل بعد ذلك إلى حصول الوجود من جهة أخرى ، فإنه إذا كان شيئان وليس وجود أحدهما من الآخر ، بل وجوده له من نفسه أو من شئ ثالث ،

---

(١) الشخص : لشخص جـ ، ط ، م (٢) المحرك : المتحرك د ، ط (٨) الأول : ساقطة من د || فإنه : ساقطة من ب || فى : من ط (٩) للثانى وما الثانى : للتالى وما التالى د ، ط ، م ؛ للثانى وما للتالى جـ ، ص || ومن : من جـ ، ص (١٤) وجودا متقدما : وجود متقدم جـ || فإنه : وإنه م (١٦) إنه : إنما ط (١٧) إليه : إليها ط .

لكن وجود الثانى من هذا الأول ، فله من الأول وجوب الوجود الذى ليس
له لذاته من ذاته ، بل له من ذاته الإمكان على تجويز من أن يكون ذلك الأول
مهما وجد لزم وجوده أن يكون علة لوجوب وجود هذا الثانى ، فإن الأول
يكون متقدماً بالوجود لهذا الثانى . ولذلك لا يستنكر العقل البتة أن نقول :
لما حرك زيد يده تحرك المفتاح ، أو نقول : حرك زيد يده ثم تحرك المفتاح . ٥
ويستنكر أن نقول : لما تحرك المفتاح حرك زيد يده ، وإن كان يقول : لما تحرك
المفتاح علمنا أنه قد حرك زيد يده . فالعقل مع وجود الحركتين معا فى الزمان
يفرض لأحدهما تقدماً وللآخر تأخراً إذ كانت الحركة الأولى ليس سبب وجودها
الحركة الثانية ، والحركة الثانية سبب وجودها الحركة الأولى . ولا يبعد أن يكون
الشئ مهما وجد وجب ضرورةً أن يكون علة لشئ . وبالحقيقة فإن الشىء لا يجوز ١٠
أن يكون بحيث يصح أن يكون علةً للشىء إلا ويكون معه الشىء . فإن كان
من شرط كونه علة نفس ذاته ، فمادام ذاته موجوداً يكون علة وسببا لوجود
الثانى ؛ وإن لم يكن شرط كونه علة نفس ذاته ، فذاته بذاته ممكن أن يكون
عنه الشىء وممكن أن لا يكون وليس أحد الطرفين أولى من الآخر .

وكذلك المتكون هو كذلك ممكن أن يكون وممكن أن لا يكون . فلا من حيث هو ١٥
ممكن أن يكون هو بموجود ، ولا من حيث ذلك ممكن أن يكونه ، فذلك معط
للوجود . وذلك لأن كون الشىء عن الممكن أن يكونه ليس لذات أنه ممكن أن يكونه ،

---

(١) وجود : + الشىء جـ ، د ، ص ، ط (٤) ولذلك : ولهذا م (٥) تحرك المفتاح أو نقول . . . . يده : ساقطة من م (٧) الزمان : زمان د ، ط (٨) إذ : إذا د ، ص ؛ إذ لو ط || الحركة : حركة د || ليس : ليست جـ ، ص (١٠) لشئ : للشىء جـ ، د ، ص ، ط || وبالحقيقة : بالحقيقة ط ، م (١١) للشىء : + وبالحقيقة ب (١٢) من : ساقطة من ب ، م (١٣) فذاته بذاته : ساقطة من د || ممكن : يمكن د (١٤) الطرفين : + له جـ ؛ + به ص (١٥) وكذلك : فكذلك د ، ط ، م || المتكون : المكون ط ؛ لمكر د (١٦) بموجود : موجود ب || ممكن أن يكونه : أن يكونه ممكن ط (١٧) كون : يكون ط .

فنفس كونه ممكنا ليس كافيا فى أن يكون الشىء عنه . فإن كان نفس كونه ممكنا
أن يكونه ، وإن لم يكن كافيا ، فقد يكون معه الشىء موجوداً مرة ، ومرة
لا يكون ؛ ونسبته إلى الذى يكون والذى لا يكون ، فى الحالتين ، نسبة
واحدة . وليس فى الحالة التى تميز فيها أن يكون من أن لا يكون تميُّز أمرٍ بسببه
٥ يوجد المعلول مع إمكان كونه عن العلة تميزاً يخالف به حال لا وجود المعلول
عن العلة مع إمكان كونه عن العلة . فتكون نسبة كونه عن العلة إلى وجود
الشىء عنه ولا وجوده عنه واحدة ، وا نسبته إلى وجود الشىء عنه ونسبته
إلى لا وجوده عنه واحدة . فليس كونه علة أولى من لا كونه علة ، بل العقل
الصحيح يوجب أن يكون هناك حال يتميز بها وجوده عنه عن لا وجوده .
١٠ فإن كانت تلك الحال أيضا توجب هذا التميز ، فهذه الحال إذا حصلت للعلة
ووجدت تكون جملة الذات وما اقترن إليها هو العلة ، وقبل ذلك فإن الذات
كانت موضوع العلية . وكان الشىء الذى يصح أن يصير علة ولم يكن ذلك
الوجود وجود العلة ، بل وجوداً إذا انضاف إليه وجودٌ آخر كان مجموعهما
العلة ، وكان حينئذ يجب عنه المعلول سواء كان ذلك الشىء إرادة أو شهوة
١٥ أو غضبا أو طبعا حادثا أو غير ذلك ، أو أمرا خارجاً منتظرا لوجود العلة .
فإنه إذا صار بحيث يصلح أن يصدر عنه المعلول من غير نقصان شرط بَقِىَ وجب
وجود المعلول .

(٢) يكونه : يكون ط ؛ + وإلا كان عنه ما دام ذاته موجودا ويكون واجبا أن يكونه لا ممكنا جـ || معه : مع ط (٣) والذى لا يكون : ولا يكون ص ، م (٤) فيها : منها ب ، د ، م || تميز : تمييز ط (٥) إمكان كونه : إمكانه د || تميزا : تميزا ص (٥ — ٦) تميزا . . . . مع إمكان كونه عن العلة : ساقطة من م (٧ — ٨) ونسبته إلى : ساقطة من ب (٩) يتميز : تميز جـ ، م || بها وجوده : به وجوده ب ؛ بها وجودها ط (١١) ووجدت : وجدت م ؛ + هى جـ ، د ، ص ، ط (١٢) وكان : + من ط (١٣) وجودا : وجود جـ ، د ، ص ؛ وجود العلة وجود ط (١٥) منتظرا : فينتظر الوجود جـ ، د ، ط ، م (١٦) نقصان : نقص جـ .

فإذن وجود كل معلول واجب مع وجود علته ، ووجود علته واجب عنه وجود المعلول . وهما معاً فى الزمان أو الدهر أو غير ذلك ، ولكن ليسا معاً فى القياس إلى حصول الوجود . وذلك لأن وجود ذلك لم يحصل من وجود هذا ، فذلك له حصول وجود ليس من حصول وجود هذا ، ولهذا حصول وجود هو من حصول وجود ذلك ، فذلك أقدم بالقياس إلى حصول الوجود. ٥

ولقائل أن يقول : إنه إذا كان كل واحد منهما إذا وجد وجد الآخر ، وإذا ارتفع ارتفع الآخر ، فليس أحدهما علة والآخر معلولا ، إذ ليس أحدهما أولى أن يكون علة فى الوجود دون الآخر .

ونحن نجيب عن ذلك دون أن ننظر فيما يتضمنه مفهوم هذه القضية ، وذلك لأنه ليس إذا وجد كل واحد منهما فقد وجد الآخر بلا تفصيل واختلاف . ١٠ وذلك لأن معنى " إذا " لا يخلو إما أن يعنى به أن وجود كل واحد منهما إذا حصل يجب عنه فى الوجود نفسه أن يحصل الآخر ، أو أن وجود كل واحد منهما إذا حصل يجب عنه فى الوجود أن يكون قد حصل وجود الآخر ، أو أن وجود كل منهما إذا حصل فى العقل يجب عنه أن يحصل الآخر فى العقل ، أو أن وجود كل واحد منهما إذا حصل يجب عنه فى العقل أن يكون قد حصل ١٥ الآخر فى الوجود أو حصل فى العقل ، فإن لفظة " إذا " فى مثل هذه المواضع مشتركة مغلطة .

---

(١) واجب عنه : وجب عنه د (٢) وجود : موجود د (٣) الوجود : الموجود ط || ذلك : + الأول جـ (٣ — ٤) من وجود هذا : من هذا ب ، ط ، م (٥) فذلك : فذاك م (٧) وإذا : وإن جـ || ارتفع ارتفع : رفع ارتفع م (٩) ونحن نجيب عن ذلك : فنقول فى جوابه ب ؛ ونحن نبحث عن ذلك هامش ص (١١) معنى : المعنى د (١٢) حصل : + نفسه فى الوجود عنه جـ (١٢ — ١٣) نفسه . . . الوجود : ساقطة من ب (١٣) عنه فى الوجود : ساقطة من جـ (١٤) كل : + واحد جـ || عنه : + فى العقل د (١٥) أو أن : لو أن ص ، ط || يجب عنه فى العقل : فى العقل يجب عنه جـ ، د .

فنقول : إن الأول كاذب غير مسلم ، فإن أحدهما هو الذى إذا حصل يجب عنه حصول الآخر بعد إمكانه وهو العلة . وأما المعلول فليس حصوله يجب عنه حصول العلة ، بل العلة تكون قد حصلت حتى حصل المعلول .

وأما القسم الثانى فلا يصدق فى جانب العلة ، فإنه ليس إذا وجدت العلة ٥ وجب فى الوجود إن كان المعلول قد حصل من تلقاء نفسه أو بغير العلة ،وذلك لأنه إن كان قد حصل فلم يجب فى الوجود من حصول العلة إذا وجدت العلة وكانت تلك قد حصلت مستغنية الوجود ، إلا أن لا يعنى "بحصلت" مامضى . ولكن تغنى المقارنة ولا تصدق من جانب المعلول من وجهين : وذلك لأن العلة و إن كانت حاصلة الذات فليس ذلك واجب من حصول المعلول . والوجه ١٠ الثانى أن الشيء الذى قد حصل يستحيل أن يجب وجوده بحصول شيء يفرض حاصلاً إلا أن لا يعنى بلفظ " حصل " مفهومه .

وأما القسمان الآخران فالأول منهما صحيح ، فإنه يجوز أن يقال : إذا وجدت العلة فى العقل وجب عند العقل أن يحصل المعلول الذى تلك العلة علته بالذات فى العقل ، وأيضا إذا وجد المعلول فى العقل وجب أن يحصل أيضا وجود ١٥ العلة فى العقل .

وأما الثانى منهما وهو القسم الرابع فيصدق منه قولك : إنه إذا وجد المعلول شهد العقل بأن العلة قد حصل لها وجود لا محالة مفروغ عنه حتى يحصل

---

(٥) قد : ساقطة من م || بغير : لغير ص (٦) إذا : إذ ب ،م (٨) تغنى : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ط ، م || المقارنة : + فتصح جـ ، د ، ص ، ط || ولا تصدق : فلا تصدق ب ، ص ، ط ، م || من (الأول) : فى ط (١٢) يقال : نقول ب ، جـ ، د ، م || إذا : إذ ط (١٣) العلة . . . المعلول : ساقطة من د || الذى : التى ب || العلة : ساقطة من ب ، ط ، م (١٣ — ١٤) الذى . . . وجد : ساقطة من د (١٤) فى : ساقطة من ص ، ط ، م (١٧) مفروغ : مرفوع د || يحصل : حصل ص ، م .

المعلول ، وربما كانت فى العقل بعد المعلول لا فى الزمان فقط ، ولا يلزم أن يصدق القسم الآخر من هذين القسمين الداخلين فى الرابع لما قد عرفت .

وكذلك فى جانب الرفع ، فإنه إذا رفعنا العلة رفعنا المعلول بالحقيقة ، وإذا رفعنا المعلول لم نرفع العلة ، بل عرفنا أن العلة تكون قد ارتفعت فى ذاتها أولا حتى أمكن رفع المعلول . فإنا لما فرضنا المعلول مرفوعا فقد فرضنا ما لا بد من فرضه معه ٥ بالقوة ، وهو أنه كان ممكنا رفعه . وإذا كان ممكنا رفعه فإنما أمكن بأن رفع العلة أولاً ، فرفع العلة وإثباته سبب رفع المعلول وإثباته ، ورفع المعلول دليل رفع ذلك ، وإثباته دليل إثباته .

فنرجع إلى حيث فارقناه ، فنقول فى حل الشبهة : إنه ليست المعية هى التى أوجبت لأحدهما العلية ، حتى يكون ليس أحدهما أولى بالعلية من الآخر لأنهما فى المعية ١٠ سواء ، بل إنما اختلفا لأن أحدهما فرضناه أنه لم يجب وجوده بالآخر ، بل مع الآخر ، والثانى فرضناه أنه كما أن وجوده مع وجود الآخر فكذلك هو بالآخر .

فهكذا يجب أن تحقق هذه المسألة . ومما يشكل ههنا أمر القوة والفعل ، وأنه أيهما أقدم وأيهما أشد تأخرا ، فإن معرفة ذلك من المهمات فى أمر معرفة ١٥ التقدم والتأخر ، وعلى أن القوة والفعل نفسه من عوارض الوجود ولواحقه ، والأشياء التى يجب أن تعلم حيث تعلم أحوال الموجود المطلق .

---

(٣) الرفع : الرافع م || فإنه : فإنا جـ ، ط ، م || العلة رفعنا : ساقطة من ط (٤) العلة : علة جـ || ارتفعت : ارتفع جـ (٥) فإنا : فلأنا ط ، م (٦) وإذا : وإن ط ، م || بأن : ساقطة من جـ ، ص ، ط (٩) فنرجع : فرجع ص || فارقناه : فارقنا ب ؛ ما فارقناه ص ، ط || هى التى : التى جـ ؛ التى هى ، ط (١٠) المعية : + العلية د (١٢) أنه : فإنه د || أن : كان ط || مع وجود : مع وجوب م (١٤) فهكذا : فكذا د (١٥) أيهما : أيها ص (١٧) الموجود : الوجود ط .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى القوة والفعل والقدرة والعجز وإثبات المادة لكل متكون

إن لفظة القوة وما يرادفها قد وضعت أول شىء للمعنى الموجود فى الحيوان ،
٥ الذى يمكنه بها أن تصدر عنه أفعال شاقة من باب الحركات ليست بأكثرية
الوجود عن الناس فى كميتها وكيفيتها ، ويسمى ضدها الضعف ، وكأنها زيادة
وشدة من المعنى الذى هو القدرة ، وهو أن يكون الحيوان بحيث يصدر عنه
الفعل إذا شاء ، ولا يصدر عنه إذا لم يشأ ، التى ضدها العجز .

ثم نقلت عنه فجعلت للمعنى الذى لا ينفعل له وبسببه الشىء بسهولة ، وذلك
١٠ لأنه كان يعرض لمن يزاول الأفعال والتحريكات الشاقة أن ينفعل أيضا منها ،
وكان انفعاله والألم الذى يعرض له منه يصده عن إتمام فعله . فكان إن انفعل
انفعالا محسوسا قيل له : ضعف وليست له قوة ، وإن لم ينفعل قيل : إن له
قوة . فكان أن " لا ينفعل " دليلا على المعنى الذى سميناه أولاً قوة .

ثم جعلوه اسم هذا المعنى حتى صار كونه بحيث لا ينفعل إلا يسيراً يسمى
١٥ قوة ، وإن لم يفعل شيئا . ثم جعلوا الشىء الذى لا ينفعل البتة أولى بهذا

---

(٣) فى : + أحوال م (٤) إن : واعلم أن ط || القوة : + والفعل ط || قد : فقد جـ ، د ، ص || أول : + كل معنى د (٥) بها : به ب (٦) الناس : الحيوان د || ضدها : ضده ب ، جـ ، ط ، م ؛ ضد د || وكأنها : وكأنه م (٨) ولا يصدر عنه : ولا يصدر ط ، م || التى : الذى د ، ص ، م || العجز : عجز ب ، جـ ، د ، ص ، م (٩) وبسببه : بسببه ط (١١) فكان : فكأنه د || إن : ساقطة من ط ، م || انفعل : انفعل د (١٢) قيل له : قيل ب ، جـ ، م || وليست : وليس ب ، جـ ، د (١٣) لا ينفعل : لا يفعل ط ، م || دليلا : دليل ب (١٤) جعلوه : جعل د (١٥) قوة : + ثم جعلوه ط || شيئا : + وحدا ط ، م .

الاسم ، فسموا حالته من حيث هو كذلك قوة . ثم صيروا القدرة نفسها — وهى الحال التى للحيوان ، وبها يكون له أن يفعل ، وأن لا يفعل ، بحسب المشيئة ، وعدم المشيئة ، وزوال العوائق — قوة ، إذ هو مبدأ الفعل .

ثم أن الفلاسفة نقلوا اسم القوة ، فأطلقوا لفظ القوة على كل حال تكون فى شىء هو مبدأ تغير يكون منه فى آخر من حيث ذلك آخر ، وإن لم يكن هناك ٥ إرادة ، حتى سموا الحرارة قوة لأنها مبدأ التغير من آخر فى آخر بأنه آخر . حتى أن الطبيب إذا حرك نفسه أو عالج نفسه وكان مبدأ التغير منه فيه ، فليس ذلك فيه من حيث هو قابل للعلاج أو الحركة ، بل من حيث هو آخر ، بل كأنه شيئان : شىء له قوة أن يفعل ، وشىء له قوة أن ينفعل ، ويشبه أن يكون الأمران منه مفترقين فى جزءين . فيكون مثلا المحرك فى نفسه ، والمتحرك ١٠ فى بدنه ، وهو المحرك بصورته والمتحرك فى مادته . فهو من حيث يقبل العلاج غيرٌ لذاته من حيث يعالج .

ثم بعد ذلك لما وجدوا الشىء الذى له قوة بالمعنى المشهور — قدرة كانت أو شدة قوة — ليس من شرط تلك القوة أن يكون بها فاعلا بالفعل ، بل له من حيث القوة إمكان "أن يفعل" وإمكان أن "لا يفعل" نقلوا اسم القوة ١٥ إلى الإمكان . فسموا الشىء الذى وجوده فى حد الإمكان موجوداً بالقوة ، وسموا إمكان قبول الشىء وانفعاله قوة انفعالية ، ثم سموا تمام هذه القوة فعلا وإن لم يكن فعلا ، بل انفعالا ، مثل تحرك أو تشكل أو غير ذلك . فإنه لما

---

(١) نفسها : بنفسها جـ ، ط (٢) الحال : الحالة جـ ، د ، ط (٤) لفظ : لفظة م
(٥) ذلك آخر : ذلك الآخر جـ (٧) أن الطبيب : ساقطة من ب ، د ؛ أنه جـ ، م
(١٠) فيكون : فكان ب ؛ ساقطة من ط (١١) فى مادته : بمادته جـ ، ص ، ط (١٤) القوة : + هو د ، ص ، ط ، م (١٧) انفعالية : انفعاله ط || تمام : إتمام جـ ، ط ، م .

كان هناك المبدأ الذى يسمى قوة ، وكان الأصل الأول فى المسمى بهذا الاسم إنما هو على ما هو بالحقيقة فعل ، سموا هذا الذى قياسه إلى ما سموه الآن قوة، كقياس الفعل إلى المسمى قديما قوة باسم الفعل ، ويعنون بالفعل حصول الوجود . وإن كان ذلك الأمر انفعالاً ، أو شيئاً ليس هو فعلا ولا انفعالا ، ٥ فهذه هى القوة الانفعالية ، وربما قالوا قوة لجودة هذه وشدتها .

والمهندسون لما وجدوا بعض الخطوط من شأنه أن يكون ضلع مربع ، وبعضها ليس ممكنا له أن يكون ضلع ذلك المربع ، جعلوا ذلك المربع قوة ذلك الخط كأنه أمر ممكن فيه . وخصوصا إذ تخيّل بعضهم أن حدوث هذا المربع هو بحركة ذلك الضلع على مثل نفسه .

١٠ وإذ قد عرفت القوة ، فقد عرفت القَوِى ، وعرفت أن غير القوى إما الضعيف وإما العاجز وإما السهل الانفعال وإما الضرورى ، وإما أن لا يكون المقدار الخطى ضلعا لمقدار سطحى مفروض .

وقد يشكل من هذه الجملة أمر القوة التى بمعنى القدرة ، فإنها يظن أنها لا تكون موجودة إلا لما من شأنه أن يفعل ، ومن شأنه أن لا يفعل . فإن كان ١٥ لما من شأنه أن يفعل فقط فلا يرون أن له قدرة ، وهذا ليس بصادق . فإنه إن كان هذا الشىء الذى يفعل فقط يفعل من غير أن يشأ ويريد ، فذلك ليس له قدرة ولا قوة بهذا المعنى ؛ وإن كان يفعل بإرادة واختيار إلا أنه دائم الإرادة

---

(١) هناك : ساقطة من ط || الأول : ساقطة من ط (٦) ضلع مربع : ضلعا لمربع جـ، ص (٧) ذلك : ساقطة من د (٨) فيه : ـه م || إذ : إذا ب ؛ إن د ، ص || بعضهم : لبعضهم ب ، جـ ، ط ، م (٩) مثل : ضلع ط (١٠) غير : الغير جـ (١٤) لما : ساقطة من ب ، د (١٤ — ١٥) ومن شأنه ... يفعل : ساقطة من م (١٥) لما : + فقط د (١٦) له : ساقطة من م (١٧) واختيار : ساقطة من ب ، د ، م .

ولا يتغير ، وإرادته وجودا اتفاقيا أو يستحيل تغيرها استحالة ذاتية ، فإنه يفعل
بقدرة . وذلك لأن حد القدرة التي يؤثرون هؤلاء أن يحدوها به موجود ههنا،
وذلك لأن هذا يصح عنه أنه يفعل إذا شاء وأن لا يفعل إذا لم يشأ ، وكلا هذين
شرطيان ، أي أنه إذا شاء فعل ، وإذا لم يشأ لم يفعل . وإنما هما داخلان
في تحديد القدرة على ما هما شرطيان ، وليس من صدق الشرطي أن يكون هناك ٥
استثناء بوجه من الوجوه ، أو صدق حملي ، فإنه ليس إذا صدق قولنا : إذا
لم يشأ لم يفعل ، يلزم أن يصدق : لكنه لم يشأ وقتا ما ، وإذا كذب : أنه لم
يشأ البتة ، يوجب ذلك كذب قولنا : وإذا لم يشأ لم يفعل . فإن هذا يقتضي
أنه لو كان لا يشاء لما كان يفعل ، كما أنه إذا يشاء فيفعل . وإذا صح أنه إذا
شاء فعل ، صح أنه إذا فعل فقد شاء أي إذا فعل فعل من حيث هو قادر . ١٠
فيصح أنه إذا لم يشأ لم يفعل ، وإذا لم يفعل لم يشأ ، وليس في هذا أنه يلزم
أن لا يشأ وقتا ما . وهذا بين لمن عرف المنطق .

وهذه القُوَى التي هي مبادئ للحركات والأفعال ، بعضها قوى تقارن النطق
والتخيل ، وبعضها قوى لا تقارن ذلك . والتي تقارن النطق والتخيل تجانس
النطق والتخيل، فإنه يكاد أن يعلم بقوة واحدة الإنسان واللا إنسان ، ويكون ١٥
لقوة واحدة أن تتوهم أمر اللذة والألم ، وأن تتوهم بالجملة الشيء وضده .

---

(١) ولا يتغير : لايتغيرم || وإرادته : إرادته م (٢) به : ساقطة من ط (٤) شرطيان : شرطي ب || وإنما هما : وإنهما جـ ، د ، وإنما ص ، ط (٦) ليس : ساقطة من ب ، د ، ط (٧) وإذا : وأنه إذا جـ ، د ، ص ، أو إذا م (٧ — ٨) لم يشأ : لا يشأ جـ ، د ، ص ، م (٨) وإذا : أو إذا ط (٩) إذا يشاء : إذ يشاء م || وإذا : فإذا د ، ص ، ط ، م (١١) وليس : + يلزم ط || يلزم : يلزمهم د (١٢) لمن عرف المنطق : لما عرفت في المنطق ط (١٣) مبادئ : مبدأ د || للحركات : الحركات ط ، م . (١٤) والتخيل : أو التخيل د ، ص ، ط ، م || والتي : والذي د ، م || تقارن : لاتقارن ب || النطق : المنطق د (١٥) النطق : المنطق د || والتخيل : والمتخيل طا (١٦) أمر : إمرة جـ ، ط || بالجملة الشيء : بالشيء ط .

وكذلك هذه القوى أنفسها أو حادها تكون قوة على الشيء وعلى ضده ، لكنها بالحقيقة لا تكون قوة تامة أى مبدأ تغير من أمر آخر فى آخر بأنه آخر بالتمام و بالفعل إلا إذا اقترن بها الإرادة منبعثة عن اعتقاد وهى تابع لتخيل شهوانى أو غضبى ، أو عن رأى عقلى تابع لفكرة عقلية أو تصور صورة عقلية . فتكون إذا اقترن بها تلك الإرادة ولم تكن إرادة مميلة بعد ، بل إرادة جازمة ، وهى التى هى الإجماع الموجب لتحريك الأعضاء ، صارت لا محالة مبدأ للفعل بالوجوب ، إذ قد بينا أن العلة ما لم تصر علة بالوجوب حتى يجب عنها الشيء لم يوجد عنها المعلول ، وقبل هذه الحال فإنما تكون الإرادة ضعيفة لم يقع إجماع. فهذه القوى المقارنة للنطق — بانفرادها — لا يجب من حضور منفعلها ووقوعه منها بالنسبة التى إذا فعلت فيه فعلا ، فعلت بها أن يكون يفعل بها وهى بعد قوة .

و بالجملة لا يلزم من ملاقاتها للقوة المنفعلة أن تفعل ذلك ، وذلك لأنه لو كان يجب عنها وحدها أن تفعل لكان يجب من ذلك أن يصدر عنها الفعلان المتضادان والمتوسطات بينهما ، وهذا محال ؛ بل إذا صارت كما قلنا فإنها تفعل بالضرورة .

وأما القوى التى فى غير ذوات النطق والتخيل فإنها إذا لاقت القوة المنفعلة وجب هناك الفعل ، إذ ليس هناك إرادة واختيار تنتظر ، فإن انتظر هناك فيكون طبع ينتظر . فإذا كان يحتاج إلى طبع فذلك الطبع هو إما المبدأ للأمر ،

---

(١) هذه : هذا ط || أو حادها : أو خادمها جـ ، د ، ص (٢) أمر : ساقطة من م (٣) إلا إذا : إذا ط || الإرادة : إرادة ط (٥) مميلة : مخيلة جـ ، د ، ص || جازمة : حادثة هامش ص (٦) الإجماع : بالاجماع د || للفعل : بالفعل ط (١٠) إذا فعلت : إذا فعل هامش جـ || فعلا : ساقطة من ب ، جـ ، م (١١) قوة : بالقوة د (١٨) فإذا : فإذ م || المبدأ : مبدأ د || للأمر : للآخر ط .

وإما جزء من المبدأ . والمبدأ مجموع ما كان قبل وما حصل ويكون حينئذ نظيرا للإرادة المنتظرة . لكن الإرادة تفارق هذا من حيث تعلم ، والقوة الانفعالية أيضا التي يجب إذا لاقت الفاعل أن يحدث الانفعال فى هذه الأشياء هى القوة الانفعالية التامة ، فإن القوة الانفعالية قد تكون تامة وقد تكون ناقصة ، لأنها قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة . فإن فى المنى قوة أن يصير رجلا ، وفى الصبى ٥ أيضا قوة أن يصير رجلا ، لكن القوة التى فى المنى تحتاج إلى أن تلقاها أيضا قوة محركة قبل المحرك إلى الرجلية ، لأنها تحتاج أن تخرج إلى الفعل شيئا ما غير الرجل ، ثم بعد ذلك يتهيأ أن تخرج إلى الفعل رجلا ، وبالحقيقة فإن القوة الانفعالية الحقيقية هى هذه . وأما المنى فبالحقيقة ليست فيه بعد قوة انفعاليه ، فإنه يستحيل أن يكون المنى وهو منى ينفعل رجلا ، لكنه لما كان فى قوته أن ١٠ يصير شيئا من قبل غير المنى ثم ينتقل بعد ذلك إلى شىء آخر ، كان هو بالقوة أيضا ذلك الشىء ، بل المادة الأولى هى بالقوة كل شىء . فبعض ما يحصل فيها يعوقها عن بعض ، فيحتاج المعوق عنه إلى زواله ، وبعض ما فيه لا يعوق عن بعض آخر ولكنه يحتاج إلى قرينة أخرى حتى يتم الاستعداد ، وهذه القوة هى قوة بعيدة . ١٥

وأما القوة القريبة فهى التى لا تحتاج إلى أن تقارنها قوة فاعلية قبل القوة الفاعلية التى تنفعل عنها ، فإن الشجرة ليست بالقوة مفتاحا لأنها تحتاج إلى أن

---

(١) ويكون : يكون ط (١ — ٢) نظيرا الإرادة : نظير الإرادة جـ ، ص ، ط (٢) المنتظرة : المنتظر د || لكن : ولكن ص ، ط (٥) يصير : يكون م (٦) تحتاج : احتاج د ؛ + أيضا ط || إلى : ساقطة من جـ ، د (٧) المحرك : المحركة د (٩) ليست : ليس جـ || انفعاليه : الانفعاليه ط (١٤) ولكنه : ولكن ط || قرينة : مرتبة هامش جـ ، هامش ص || حتى : ثم د || القوة : القوى م (١٦) القوة : ساقطة من ب ؛

تلقاها أولا قوة فاعلية قبل القوة الفاعلية للفتاحية وهي القوة القالعة والناشرة والناحتة ، ثم بعد ذلك تتهيأ لأن تنفعل من ملاقاة القوه الفاعلية للفتاحية .

والقوى بعضها يحصل بالطباع و بعضها يحصل بالعادة و بعضها يحصل بالصناعة و بعضها يحصل بالاتفاق . والفرق بين الذى يحصل بالصناعة والذى يحصل بالعادة أن الذى يحصل بالصناعة هو الذى يقصد فيه استعمال مواد وآلات وحركات ٥ فتكتسب النفس بذلك ملكة كأنها صورة تلك الصناعة ، وأما الذى بالعادة فهو ما يحصل من أفاعيل ليست مقصورة فيها ذلك فقط ، بل إنما تصدر عن شهوة أو غضب أو رأى أو يتوجه فيها القصد إلى غير هذه الغاية . ثم قد تتبعها غاية هى العادة،ولم تقصد ، ولا تكون العادة نفس ثبوت تلك الأفاعيل فى النفس، ١٠ وربما لم يكن للعادة آلات ومواد معينة ، فإنه لاسواء أن يعتاد إنسان المشى وأن يعتاد التجارة من الجهة التى قلنا و بينهما تفاوت شديد . ومع ذلك فإنك إذا دققت النظر عاد حصول العادة والصناعة إلى جهة واحدة .

والقُوى التى تكون بالطبع منها ما يكون فى الأجسام الغير الحيوانية ومنها ما يكون فى الأجسام الحيوانية وقد قال بعض الأوائل ، وغاريقوا منهم : ١٥ إن القوة تكون مع الفعل ولا تتقدمه ، وقال بهذا أيضا قوم من الواردين بعده

---

(١) قبل : غير ص طا || قبل القوة الفاعلية : ساقطة من د || وهى : وهو ب || القالعة : العالقة د (٢) تتهيأ : تهيأ ط || تنفعل : تفعل ط || للفتاحية : + مفتاحا جـ ، د ، ص ، ط ، م (٥) هو الذى : + يحصل د || وآلات وحركات : والآلات والحركات د (٦) الذى : التى ب ، د ، ص ، ط ، م || فهو : فهى ب ، جـ ، ص ، ط ، م (٧) فقط : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص ، م (٨) فيها : فيه د || هذه : ساقطة من ط (٩) ولم : + يحصل د (١٠) للعادة : لها جـ || لاسواء : سواء م || إنسان : الإنسان ط ، م ؛ ساقطة من د (١١) فإنك : فأنت طا (١٢) دققت : وقفت د ، ص (١٤) الأوائل : ساقطة من ب || وغاريقوا : وغاريقوجـ ، د ، ط (١٥) بهذا : بها د || أيضا : ساقطة من جـ ، ط .

بحين كثير . فالقائل بهذا القول كأنه يقول : إن القاعد ليس يقوى على القيام أى لايمكن فى جبلته أن يقوم مالم يقم ، فكيف يقوم ؟ وأن الخشب ليس فى جبلته أن ينحت منه باب ، فكيف ينحت ؟ .

وهذا القائل لامحالة غير قوى على أن يرى وعلى أن يبصر فى اليوم الواحد مرارا ، فيكون بالحقيقة أعمى، بل كل ما ليس موجوداً ولا قوة على أن يوجد ٥ فإنه مستحيل الوجود . والشيء الذى هو ممكن أن يكون فهو ممكن أن لا يكون وإلا كان واجباً أن يكون ، والممكن أن يكون لايخلو إما أن يكون ممكنا أن يكون شيئا آخر، وأن لايكون ، وهذا هو الموضوع للشيء الذى من شأنه أن تحله صورته . وإما أن يكون كذلك باعتبار نفسه، كالبياض إذا كان يمكن أن يكون ويمكن أن لايكون فى نفسه، فهذا لايخلو إما أن يكون شيئا إذا وجد ١٠ كان قائما بنفسه ، حتى يكون إمكان وجوده هو أنه يمكن أن يكون قائما مجرداً أو يكون إذا كان موجودا وجد فى غيره .

فإن كان الممكن ، بمعنى أنه يمكن أن يكون شيئاً فى غيره، فإن إمكان وجوده أيضا فى ذلك الغير . فيجب أن يكون ذلك الغـــير موجودا مع إمكان وجوده وهو موضوعه . وإن كان إذا كان قائما بنفسه لافى غيره ولا من غيره بوجه ١٥ من الوجوه، ولا علاقة له مع مادة من المواد علاقة مايقوم فيها أو يحتاج فى أمر ما إليها ، فيكون إمكان وجوده سابقاً عليه غير متعلق بمادة دون مادة ولا جوهر دون جوهر . إذ ذلك الشيء لاعلاقة له مع شيء ، فيكون إمكان وجوده جوهراً لأنه شيء موجود بذاته . وبالجـــلة إن لم يكن إمكان وجوده حاصلا كان غير ممكن الوجود ممتنعا، وإذ هو حاصل موجود قائم بذاته — كما فرض — ٢٠

---

(٢) فكيف : + أن جـ (٦) والشيء : فالشيء د ، ص ، ط (٩) إذا : وإذا جـ ، ص || يمكن : ممكن م (١٦) أمر ما : أمرها ط (١٧) وجوده : + وكان جـ ؛ + إن كان ط .

فهو موجود جوهراً ، وإذ هو جوهر فله ماهية ليس لها من المضاف إذ كان الجوهر ليس بمضاف الذات ، بل يعرض له المضاف فيكون لهذا القائم بذاته وجود أكثر من إمكان وجوده الذى هو به مضاف . وكلاما فى نفس إمكان وجوده ، وعليه حكمنا أنه ليس فى موضوع ، والآن فقد صار أيضا
٥ فى موضوع ، هذا خلف .

فإذن لايجوز أن يكون لما يبقى قائماً بنفسه لافى موضوع ولا من موضوع بوجه من الوجوه وجود بعد مالم يكن ، بل يجب أن يكون له علاقة ما مع الموضوع حتى يكون . وأما إذا كان الشىء الذى يوجد قائما بنفسه لكنه يوجد من شىء غيره أو مع وجود شىء غيره، أما الأول فكالجسم من هيولى وصورة،
١٠ وأما الثانى فكالأنفس الناطقة مع تكون الأبدان ، فإن إمكان وجوده يكون متعلقا بذلك الشىء لاعلى أن ذلك الشىء بالقوة هو كون الجسم أبيض بالقوة ولا أن فيه قوة أن يوجد هو منطبعا فيه كون إمكان البياض فى الموضوع الذى ينطبع فيه البياض ، بل على أن يوجد معه أو عند حال له .

فالجسم الذى يحدث كنار حادثة إنما إمكان وجوده هو أن يحدث من المادة
١٥ والصورة ، فيكون لإمكان وجوده محل بوجه ما وهو مادته ، فيكون الشىء الذى يحدث منه أولاً وهو الصورة يحدث فى المادة ويحدث الجسم لاجتماعهما من المادة بوجه ومن الصورة بوجه . وأما النفس فإنها لاتحدث أيضا إلا بوجود موضوع بدنى . وحينئذ يكون إمكان وجوده فى ذلك قائما به لاختصاص تلك المادة به ، فإن النفس إنما يمكن وجودها بعد ما لم تكن،

---

(١) لها : بها م || إذ : إذا د ، طا (٩) هيولى : الهيولى د (١١) متعلقا : معلقا ب ، د ، م (١٢) هو : + فيه د (١٤) يحدث : يحدثه ط (١٥) مادته : المادة ط
(١٦) ويحدث : + فى د (١٨) بوجود : لوجود ط .

وهو إمكان حدوثها عند وجود أجسامٍ على نحوٍ من الامتزاج تصلح أن تكون آلة لها ويتميز بها استحقاق حدوثها من الأوائل من لا استحقاقه عنها . فإذا كان فيها إمكان هذا الامتزاج فهو إمكان لوجود النفس .

وكل جسم فإنه إذا صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر من جسم آخر فإنه يفعل بقوة ما فيه ، أما الذى بالإرادة والاختيار فلأن ذلك ظاهر . وأما ٥ الذى ليس بالإرادة والاختيار فلأن ذلك الفعل إما أن يصدر عن ذاته أو يصدر عن شيء مباين له جسمانى أو عن شيء مباين له غير جسمانى. فإن صدر عن ذاته وذاته تشارك الأجسام الأخرى فى الجسمية وتخالفها فى صدور ذلك الفعل عنها فإذن فى ذاته معنى زائد على الجسمية هو مبدأ صدور هذا الفعل عنه ، وهذا هو الذى يسمى قوة ؛ وإن كان ذلك عن جسم آخر فيكون هذا الفعل عن هذا ١٠ الجسم بقسر أو عرض، وقد فرض لا بقسر من جسم آخر ولا عرض . وإن كان عن شيء مفارقٍ فلا يخلو إما أن يكون اختصاص هذا الجسم بهذا التوسط عن ذلك المفارق هو بما هو جسم ، أو لقوة فيه، أو لقوة فى ذلك المفارق . فإن كان بما هو جسم ، فكل جسم يشاركه فيه ، لكن ليس يشاركه فيه . وإن كان لقوة فيه فتلك القوة مبدأ صدور ذلك الفعل عنه ، وأيضا إن كان قد يفيض ١٥ من المفارق وبمعاونته ، أو لكونه المبدأ الأول فيه .

---

(٥) فلأن ذلك : فذلك د ، ص ، م ؛ فإن ذلك ط (٦) فلأن : فإن ط ، م (٨) تشارك الأجسام : مشارك للأجسام جـ ، ص ، م (١٠) عن : من ب (١١) من : عن ط (١٢) شيء : + آخر ص || التوسط : + لقبول هذا التأثير ط (١٣) هو بما : وهو بما ط || أو لقوة فيه أو لقوة : أو بقوة فيه أو بقوة ص || لقوة : بقوة ص (١٥) فيه فتلك القوة : ساقطة من د || وأيضا : أيضا جـ ، د ، ط ، م || إن : وإن ط ، م || كان : + أيضا جـ (١٦) وبمعاونته : ومعاونته م .

وأما إن كان لقوة فى ذلك المفارق فإما أن تكون نفس تلك القوة توجب ذلك ، أو اختصاص إرادة. فإن كان نفس القوة توجب ذلك فلا يخلو أن يكون إيجاب ذلك عن هذا الجسم بعينه لأحد الأمور المذكورة ، ويرجع الكلام من رأس . وإما أن يكون على سبيل الإرادة ، فلا يخلو إما أن تكون تلك الإرادة ميزت هذا الجسم بخاصية يختص بها من سائر الأجسام ، أو جزافا ٥ وكيف اتفق . فإن كان جزافا كيف اتفق لم يستمر على هذا النظام الأبدى والأكثرى ، فإن الأمور الاتفاقية هى التى ليست دائمة ولا أكثرية ، لكن الأمور الطبيعية دائمة وأكثرية فليست باتفاقية .

فبقى أن يكون بخاصية يختص بها من سائر الأجسام ، وتكون تلك الخاصية مرادا منها صدور ذلك الفعل ، ثم لا يخلو إما أن يراد ذلك لأن تلك الخاصية ١٠ توجب ذلك الفعل ، أو تكون منه فى الأكثر ، أو لا توجب ولا تكون منه فى الأكثر . فإن كان يوجب فهو مبدأ ذلك . وإن كان فى الأكثر ، والذى فى الأكثر — كما علمت فى الطبيعيات — هو بعينه الذى يوجب لكن له عائق لأن اختصاصه بأن يكون الأمر أكثر يكون بميل من طبيعته إلى جهة ما يكون منه ، فإن لم يكن فيكون لعائق ، فيكون الأكثرى أيضا فى نفسه ١٥ موجباً إن لم يكن عائق ، ويكون الموجب هو الذى يسلم له الأمر بلا عائق وإن كانت تلك الخاصية لا توجبه ولا تكون منه فى الأكثر ، فكونه عنه وعن غيره واحد ، فاختصاصه به جزاف ، وقيل إنه ليس بجزاف .

---

(١) لقوة : بقوة جـ (٢) ذلك : + واختصاص م || فلا يخلو : + إما د (٣) عن : من م || ويرجع : فرجع جـ ، ص (٤) رأس : الرأس ص || الارادة : إرادة م (٦) وكيف : كيف جـ ، م (٧) دائمة ولا أكثرية : بدائمة ولا أكثرية م (١١) أو تكون منه : أو تكون عنه د ، ط (١٢) يوجب : + فيها د (١٤) يكون : + هو جـ ، ص (١٦) ويكون : فيكون جـ ، د ، ص ، ط ، م || يسلم : مسلم ط || بلا : ساقطة من د ، فلا م (١٨) إنه : ساقطة من ب ، جـ ، ص ، م .

وكذلك إن قيل: إن كونه صاحب تلك الخاصية أولى، فمعناه أن صدوره عنها أوفق . فهو إذن موجب له أو ميسّر اوجوبه ، والميسّر إما علة بالذات وإما بالعرض ، فإذا لم تكن علة أخرى بالذات غيره فليس هو بالعرض ، لأن الذى بالعرض هو على أحد النحوين المذكورين، فبقى أن تلك الخاصية بنفسها موجبة. فالخاصية الموجبة تسمى قوة ، وهذه القوة عنها تصدر الأفاعيل الجسمانية ٥ وإن كان بمعونة من مبدأ أبعد .

ولنؤكد بيان أن لكل حادث مبدأ مادياً ، فنقول بالجملة : إن كل حادث بعد ما لم يكن فله لا محالة مادة ، لأن كل كائن يحتاج إلى أن يكون — قبل كونه — ممكن الوجود فى نفسه ، فإنه إن كان ممتنع الوجود فى نفسه لم يكن ألبتة . وليس إمكان وجوده هو أن الفاعل قادر عليه ، بل الفاعل لا يقدر عليه ١٠ إذا لم يكن هو فى نفسه ممكنا . ألا ترى أنا نقول: إن المحال لا قدرة عليه، ولكن القدرة هى على ما يمكن أن يكون فلو كان إمكان كون الشىء هو نفس القدرة عليه، كان هذا القول كأنا نقول: إن القدرة إنما تكون على ما عليه القدرة ، وكأنا نقول : إن المحال ليس عليه قدرة لأنه ليس عليه قدرة ، وما كنا نعرف أن هذا الشىء مقدور عليه أو غير مقدور عليه بنظرنا فى نفس الشىء ، بل بنظرنا فى حال ١٥ قدرة القادر هل عليه قدرة أم لا . فإن أشكل علينا أنه مقدور عليه أو غير مقدور

---

(١) وكذلك : ولذلك م || كونه : كونها ط ؛ + من ب ، جـ ، د ، ط || الخاصية : + منه ب ، جـ ، ص ، ط ، م || صدوره : صدورها جـ ، د ، ص || عنها : منه جـ ؛ منها ب ، ص ، م (٢) موجب : يوجب جـ || له : ساقطة من ب || ميسر : ميسر جـ || إما علة : علة إما ص ، ط ، م (٣) فإذا : وإذا ب ؛ فإن إذا د ؛ وإن م || الذى : + هو جـ ، د ، ص ، ط ، م (٤) فبقى : فيبقى ط (٥) فالخاصية : والخاصية د ، ط || عنها : عنه د ؛ ساقطة من ط (٦) كان : كانت ص (٧) ولنؤكد : ولنذكر د ؛ ونؤكد ط || فنقول : ونقول ص ، م (٨) يحتاج : فيحتاج ب ، ص ، م (٩) فإنه إن : فإنه من ط (١٣) كأنا نقول : ساقطة من د || إنما : فإنما ط || ما عليه : ما هى عليه د ، م (١٦) هل : بل جـ || غير : غيره ص ، ط .

عليه لم يمكننا أن نعرف ذلك البتة ، لأنا إن عرفنا ذلك من جهة أن الشيء محال أو ممكن وكان معنى المحال هو أنه غير مقدور عليه ومعنى الممكن أنه مقدور عليه ، كنا عرفنا المجهول بالمجهول . فبين واضح أن معنى كون الشيء ممكناً فى نفسه هو غير معنى كونه مقدوراً عليه وإن كانا بالموضوع واحدا ، وكونه مقدورا عليه لازم لكونه ممكنا فى نفسه ، وكونه ممكنا فى نفسه هو باعتبار ذاته وكونه مقدورا عليه هو باعتبار إضافته إلى موجده .

وإذ قد تقرر هذا ، فإنا نقول : إن كل حادث فإنه قبل حدوثه إما أن يكون فى نفسه ممكناً أن يوجد أو محالا أن يوجد . والمحال أن يوجد لا يوجد . والممكن أن يوجد قد سبقه إمكان وجوده، وأنه ممكن الوجود، فلا يخلو إمكان وجوده من أن يكون معنى معدوماً أو معنى موجوداً ، ومحال أن يكون معنى معدوما وإلا فلم يسبقه إمكان وجوده، فهو إذن معنى موجود. وكل معنى موجود فإما قائم فى موضوع أو قائم لا فى موضوع ، وكل ما هو قائم لا فى موضوع فله وجود خاص لا يجب أن يكون به مضافا . وإمكان الوجود إنما هو بالإضافة إلى ما هو إمكان وجود له ، فليس إمكان الوجود جوهرا لا فى موضوع ، فهو إذن معنى فى موضوع وعارض لموضوع .

ونحن نسمى إمكان الوجود قوة الوجود ، ونسمى حامل قوة الوجود الذى فيه قوة وجود الشيء موضوعاً وهيولى ومادةً وغير ذلك بحسب اعتبارات مختلفة، فإذن كل حادث فقد تقدمته المادة . فنقول : إن هذه الفصول التى أوردناها

---

(٥) لازم لكونه : لأنه كونه ط || هو : ساقطة من ط (٦) هو : ساقطة من د (٧) وإذ : وإذا ب ، د ، ص ، ط ، م || قد : ساقطة من ج ، د ، ص ، م (٨) فى نفسه : ساقطة من م || أو محالا : أولا ط || والمحال : ساقطة من د || أن يوجد ولا يوجد : وأن لا يوجد د ؛ أن لا يوجد ط (٩) وأنه : أوأنه م (١٢) فله : فإنه ط (١٥) فى : ساقطة من ط .

توهم أن القوة — على الإطلاق — قبل الفعل ومتقدمة عليه لا فى الزمان وحده ، وهذا شىء قد مال إليه عامة من القدماء ، فبعضهم جعل للهيولى وجودا قبل الصورة ، وأن الفاعل ألبسها الصورة بعد ذلك إما ابتداءً من نفسه وإما لداعٍ دعاه إليه ، كما ظنه بعض الشارعين فيما لا يعنيه ولا له درجة الخوض فى مثله .

فقال : إن شيئاً كالنفس وقع له فلتةً أن اشتغل بتدبير الهيولى وتصويرها فلم يحسن التدبير ولا كل لحسن التصوير ، فتداركها البارى تعالى وأحسن تقويمها . ومنهم من قال : إن هذه الأشياء كانت فى الأزل تتحرك بطباعها حركات غير منتظمة ، فأعان البارى تعالى طبيعتها ونظمها . ومنهم من قال : إن القديم هو الظلمة أو الهاوية أو شىء لا يتناهى لم يزل ساكنا ، ثم حرك ، أو الخليط الذى يقول به أنكساغورس . وذلك لأنهم قالوا : إن القوة تكون قبل الفعل ، كما فى البذور والمنى وفى جميع ما يصنع ، فبالحرى أن نتأمل هذا ونتكلم فيه .

فنقول : أما الأمر فى الأشياء الجزئية الكائنة الفاسدة فهو على ما قالوا ، فإن القوة فيها قبل الفعل قبليةً فى الزمان ، وأما الأمور الكلية أو المؤبدة التى لا تفسد وإن كانت جزئية فإنها لا تتقدمها التى بالقوة ألبتة . ثم القوة متأخرة بعد هذه الشرائط من كل وجه ، وذلك لأن القوة إذ ليست تقوم بذاتها فلابد لها من أن تقوم بجوهر يحتاج أن يكون بالفعل ، فإنه إن لم يكن صار بالفعل فلا يكون مستعداً لقبول شىء ، فإن ما هو ليس مطلقا فليس ممكنا أن يقبل شيئا .

---

(٢) للهيولى : الهيولى ط (٥) فلتة : فلبته ص ؛ قلبه م (٦) كل : لحل جـ ، كل ط || لحسن : بحسن جـ ، ص ، م ؛ يحسن ط (٧) الأشياء : + كالنفس جـ || بطباعها : لطباعها ط (٨) تعالى : ساقطة من ب ، جـ ، د ، م || القديم : القدر ط (١١) نتأمل : + فى جـ (١٢) فنقول : ونقول د || أما : إن جـ ، د ، ط || الأشياء : أشياء ط (١٣) أو المؤبدة : والمؤبدة د (١٤) التى : إلى ط (١٦) صار : حيا ط (١٧) شىء : الشىء د ، ط .

ثم قد يكون الشىء بالفعل ولا يحتاج إلى أن يكون بالقوة شيئاً كالأبديات فإنها دائما بالفعل . فمن هذه الجهة حقيقة ما بالفعل قبل حقيقة القوة بالذات ، ومن وجه آخر أيضا فإن القوة تحتاج أن تخرج إلى الفعل بشىء موجود بالفعل وقت كون الشىء بالقوة ، ليس إنما يحدث ذلك الشىء حدوثا مع الفعل فإن ذلك أيضا يحتاج إلى مخرج آخر وينتهى إلى شىء موجود بالفعـــل لم يحدث . ٥ وفى أكثر الأمر فإنما يخرج القوة إلى الفعل شىء مجانس لذلك الفعل موجود قبل الفعل بالفعل كالحار يسخن والبارد يبرد . وأيضاً فكثيرا ما يوجد ما هو بالقوة من حيث هو حامل القوة عن الشىء الذى هو بالفعل، حتى يكون الفعل بالزمان قبل القوة لا مع القوة ، فإن المنى كان عن الإنسان والبذر عن الشجرة حتى كان عن ذلك إنسان وعن هذا شجرة . فليس أن يفرض الفعل فى هــذه الأشياء قبل ١٠ القوة أولى من أن تفرض القوة قبل الفعل .

وأيضا فإن الفعل فى التصور والتحديد قبل القوة، لأنك لا يمكنك أن تحد القوة إلا أنها للفعل وأما الفعل فإنك لا تحتاج فى تحديده وتصويره أنه للقوة . فإنك تحد المربع وتعقله من غير أن يخطر ببالك قوة قبوله ، ولا يمكنك أن تحد القوة على التربيع إلا أن تذكر المربع لفظا أو عقلا وتجعله جزء حده . ١٥

وأيضا فإن الفعل قبل القوة بالكمال والغاية، فإن القوة نقصان والفعل كمال ، والخير فى كل شىء إنما هو مع الكون بالفعل ؛ وحيث الشر فهنـاك ما بالقوة

(١) ولا يحتاج : فلا يحتاج ط (٣) فإن : إن جـ ، د ، ص ، ط ، م || بشىء : شىء د ؛ + يكون جـ ، د ، ص ، ط ، م || موجود : موجودا جـ ، د ، ص ، ط ، م || بالفعل : الفعل ط (٤) الشىء : ساقطة من د (٧) كالحار : كالنار ص || والبارد : وكالبارد د || ما : ساقطة من د || يوجد : يحدث هامش جـ || ما هو : + يكون د ، ص ، ط ، م (١٠) عن : من ط || إنسان : الانسان ص ، ط || هذا شجرة : هذه الشجرة ط || فليس : وليس ط || الفعل : الفصل ط (١٢) لأنك : بل د ، ط || لا يمكنك : لأنك د (١٤) قوة : ساقطة من م (١٥) وتجعله : وتجعل ط .

بوجه ما ، فإن الشيء إذا كان شراً فإما أن يكون لذاته شراً ومن كل وجه ، وهذا محال. فإنه إن كان موجوداً فمن حيث هو موجود ليس بشر، وإنما يكون شرا من حيث هو فيه عدم كمال مثل الجهل للجاهل ، أو لأنه يوجب فى غيره ذلك مثل الظلم للظالم . فالظلم إنما هو شر لأنه ينقص من الذى فيه الظلم طبيعة الخير، ومن الذى عليه الظلم السلامة أو الغنى ، أو غير ذلك . فيكون من حيث ٥ هو شر مشو با بعدم و بشيء بالقوة ، ولو أنه لم يكن معه ولا منــه ما بالقوة لكانت الكمالات التى تجب للأشياء حاضرة فما كان شرا بوجه من الوجوه .

فبيّن أن الذى بالفعل هو الخير من حيث هو كذلك ، والذى بالقوة هو الشر أو منه الشر . واعلم أن القوة على الشر خير من الفعــل ، والكون بالفعل خيراً خير من القوة على الخير ، ولا يكون الشرير شريرا بقوة الشر ، بل بملكة الشر. ١٠

ونرجع إلى ما كنا فيه ، فنقول : قد علمت حال تقدم القوة مطلقا ، وأما القوة الجزئية فيتقدم الفعل الذى هو قوة عليه ، وقد يتقدمها فعل مثــل فعلها حتى تكون القوة منه ، وقد لا يجب لكن يكون معها شيء آخر به تخرج القوة إلى الفعل وإلا لم يكن فعل ألبتة بموجود. إذ القوة وحدها لا تكفى فى أن تكون فعل ، بل تحتاج إلى مخرج للقوة إلى الفعل . ١٥

فقد علمت أن الفعل بالحقيقة أقدم من القوة ، وأنه هــو المتقدم بالشرف والتمام .

---

(٢) فن : فهو من ط (٣) حيث هو : حيث ب ، ص ، ط ، م || للجاهل : ساقطة من ب (٤) ذلك : وذلك جـ ، ص || للظالم : ساقطة من ب ، د || فالظلم : والظلم جـ ؛ فإن الظلم ص (٧) التى : ساقطة من د (١٠) خير : ساقطة من د (١١) إلى : إليه د (١٢) فيتقدم : فيقدم جـ ، د ، ص ، ط م || هو : هى جـ ، ص ، ط || وقد يتقدمها : و يتقدمها ص || يتقدمها : تقدمها جـ ، ط ، م (١٤) بموجود : بوجوده د ؛ وجود ط (١٥) للقوة : القوة ب ، جـ .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

في التام ، والناقص ، وما فوق التمام ، وفي الكل ، وفي الجميع .

التام أول ماعرف عرف فى الأشياء ذوات العدد ، إذا كان جميع ما ينبغى أن
٥ يكون حاصلا للشىء قد حصل بالعدد ، فلم يبق شىء من ذلك غير موجود . ثم
نقل ذلك إلى الأشياء ذوات الكم المتصل ، فقيل : تام فى القامة إذا كانت تلك
أيضا عند الجمهور معدودة لأنها إنما تعرف عند الجمهور من حيث تقدر ، وإذا
قدرت لم يكن بد من أن تعدّ . ثم نقلوا ذلك إلى الكيفيات والقوى ، فقالوا :
كذا تام القوة وتام البياض وتام الحسن وتام الخير ، كأن جميع ما يجب أن يكون
١٠ له من الخير قد حصل له ولم يبق شىء من خارج . ثم إذا كان من جلس الشىء
شىء ، وكان لايحتاج إليه فى ضرورة أو منفعة أو نحو ذلك ، أوه زائدا ورأوا
الشىء تاما دونه ، ثم إن كان ذلك الذى يحتاج إليه الشىء فى نفسه قد حصل
وحصل معه شىء آخر من جلسه ليس يحتاج إليه فى أصل ذات الشىء إلا أنه
وإن كان ليس يحتاج إليه فى ذلك الشىء فهو نافع فى بابه ، قيل بالجملة ذلك :
١٥ إنه فوق التمام ووراء الغاية . فهو هو التام والتمام . فكأنه اسم للنهاية ، وهو أولا
للعدد ، ثم لغيره على الترتيب .

---

(٥) للشى قد : لشىء وعد د (٦) تام : تمام د (٧) وإذا : وإنما م
(٨) الكيفيات والقوى : القوة والكيفيات د ؛ القوى والكيفيات م (١١) فى : من جـ
|| منفعة : + أو حقيقة د || زائدا : زيدا د (١٢) الذى : + قد وجد ما جـ ،
د ، ص ، ط ، م (١٤) بالجملة : بجملة م (١٥) التام : التمام م .

وكان الجمهور لا يقولون لذى العدد إنه تام أيضا إذا كان أقل من ثلاثة ، وكذلك كأنهم لا يقولون له كل وجميع . وكأن الثلاثة إنما صارت تامة لأن لها مبدأ وواسطة ونهاية ، وإنما كان كون الشيء له مبدأ وواسطة ونهاية تجعله تاما لأن أصل التمام كان فى العدد .

٥ ثم لم يكن هذا فى طبيعة عدد من الأعداد من حيث هو عدد أن يكون تاما على الإطلاق ، فإن كل عدد فمن جنس وحدانياته ما ليس موجودا فيه ، بل إنما يكون تاما فى العشرية والتسعية ، وأما من حيث هو عدد فليس يجوز أن يكون تاماً من حيث هو عدد، وأما من حيث له مبدأ ومنتهى وواسطة فهو تام، لأنه من حيث يكون له مبدأ ومنتهى يكون ناقصا من جهة ما ليس فيما بينهما شيء

١٠ من شأنه أن يكون بينهما وهو الواسطة . وقس عليه سائر الأقسام أى أن يكون واسطة وليس منتهى ، أو واسطة ومنتهى وقد فقد ما يجب أن يكون مبدأ . ثم من المحال أن يكون مبدآن فى الأعداد ليس أحدهما واسطة بوجه إلا لعددين ولا منتهيان ليس أحدهما واسطة بوجه إلا لعددين .

وأما الوسائط فقد يجوز أن تكثر إلا أنها تكون جملتها فى أنها واسطة كشيء

١٥ واحد ؛ ثم لا يكون للتكثر حد يوقف عليه . فإذن حصول المبدئية والنهاية

---

(٢) وكذلك : : فكذلك د ، ط ، م || لأن : لأنها ط (٣) تجعله : يجعله د ، ط (٤) التمام : التام جـ (٦) فمن : من د || وحدانياته : واحدانياته د ، م || موجودا : موجود د || فيه : + نعم د (٧) إنما : إنما أن جـ ؛ أن ط ؛ إما أن م || وأما : أو أما م (٨) يكون : ساقطة من ط ، م (٧ — ٨) من حيث ... وأما : ساقطة من م (٩) لأنه : ساقطة من م || فيما : فى ط || شيء : شأن ط (١٠) يكون : + فيها جـ || أى أن يكون : + له جـ (١١) مبدأ : مبتدئ م (١٢) الأعداد : العدد جـ || لعددين : للعددين د ؛ بعددين ط (١٣) ولا منتهيان ... لعددين : ساقطة من د || واسطة : بواسطة جـ ، د ، ص ، ط ، م || لعددين : بعددين ط (١٤) تكون : ساقطة من ص || أنها : + تكون جـ ، ط (١٥) للتكثر : { للتكثر / للكثرة } جـ ؛ للتكثير ص || فإذن : فإن د .

والتوسط هو أتم ما يمكن أن يقع فى ترتيب مثله ، ولا يكون ذلك إلا للعدد ولا يكون منحصراً إلا فى الثلاثية .

وإذا أشرنا إلى هذا المبلغ فلنعرض عنه ، فليس من عادتنا أن نتكلم فى مثل هذه الأشياء التى تبنى على تخمينات إقناعية وليست من طرق القياسات العلمية .

٥ بل نقول : إن الحكماء أيضا قد نقلوا التام إلى حقيقة الوجود ، فقالوا من وجه : إن التام هو الذى ليس شىء من شأنه أن يكمل به وجوده بما ليس له بل كل ما هو كذلك فهو حاصل له وقالوا من وجه آخر : إن التام هو الذى بهذه الصفة مع شرط أن وجوده بنفسه على أكمل مايكون له هو وحده حاصل له وليس منه إلا ماله ، وليس ينسب إليه من جنس الوجود شىء فضل

١٠ على ذلك الشىء نسبة أولية لا بسبب غيره .

وفوق التمام ما له الوجود الذى ينبغى له ، ويفضل عنه الوجود لسائر الأشياء كأن له وجوده الذى ينبغى له ، وله الوجود الزائد الذى ليس ينبغى له ، ولكن يفضل عنه للأشياء وذلك من ذاته .

ثم جعلوا هذا مرتبة المبدأ الأول الذى هو فوق التمام ، ومن وجوده

١٥ فى ذاته لا بسبب غيره يفيض الوجود فاضلا عن وجوده على الأشياء كلها .

---

(٢) الثلاثية : الثلاثة ط (٣) من : فى ب || نتكلم : تنظرد ، م (٤) تبنى : تبنى د ، ص ، ط || تخمينات : تخمينات ب ، هامش ص || طرق : طريق ب (٥) قد : فقد د || التام : التمام ط (٦) شىء : ساقطة من م || وجوده : وجود م || بما : ما جـ ؛ ساقطة من ب ، ص ، م (٧) التام : التمام د (٨) هو وحده : هو ب ، م ؛ وحده هو د (١٠) الشىء : ساقطة من ب ؛ شىء جـ ، د || نسبة : نسبته ب ، د ، ط ؛ بسببه م || أولية : أوله ب ، د ، م (١١) التمام : التام جـ (١١ — ١٢) له ويفضل ... ينبغى : ساقطة من م (١٤) هذا : هذه جـ ، ط (١٥) الوجود : الموجود د || على : من ط .

وجعلوا مرتبة التمام لعقل من العقول المفارقة الذى هو فى أول وجوده بالفعل لا يخالطه ما بالقوة ، ولا ينتظر وجودا آخر يوجد عنه ، فإن كل شىء آخر ، فذلك أيضا من الوجود الفائض من الأول .

وجعلوا دون التمام شيئين : المكتفى والناقص . والمكتفى هو الذى أعطى مابه يحصل كمال نفسه فى ذاته ، والناقص المطلق هو الذى يحتاج إلى آخر يمده الكمال بعد الكمال. مثال المكتفى: النفس النطقية التى للكل ، أعنى السموات ، فإنها بذاتها تفعل الأفعال التى لها وتوجد الكمالات التى يجب أن يكون لها شىء بعد شىء لا تجتمع كلها دفعة واحدة ، ولا تبقى أيضا دائما إلا ما كان من كمالاتها التى فى جوهرها وصورتها ، فهو لا يفارق ما بالقوة وإن كان فيه مبدأ يخرج قوته إلى الفعل ، كما تعلم هذا بعد . وأما الناقص فهو مثل هذه الأشياء التى فى الكون والفساد .

ولفظ التمام ولفظ الكل ولفظ الجميع تكاد أن تكون متقاربة الدلالة . لكن التمام ليس من شرطه أن يحيط بكثرة بالقوة أو بالفعل . وأما الكل فيجب أن يكون لكثرة بالقوة أو بالفعل ، بل الوحدة فى كثير من الأشياء هو الوجود الذى ينبغى له. وأما التمام فى الأشياء ذوات المقادير والأعداد فيشبه أن يكون هو بعينه الكل فى الموضوع . فالشىء "تام" من حيث إنه لم يبق شىء خارجاً عنه وهو "كل" لأن ما يحتاج إليه حاصل فيه فهو بالقياس إلى الكثرة الموجودة المحصورة فيه "كل" وبالقياس إلى ما لم يبق خارجا عنه "تام" .

(١) التمام : التام م || لعقل : للعقل ب ، حـ ، ص ، ط ، م || الذى : التى ص ، ط
(٢) لا يخالطه : لا مخالطة م || ولا ينتظر : ولا ينتظر د || كل : كان ب ، جـ ، د ، م
(٧) لها : بها جـ (٨) واحدة : واحدا ط (٩) فهو لا : فلا ط || يخرج : لخرج د
(١٢) ولفظ : فلفظ د (١٢ — ١٣) ولفظ الكل ... التمام : ساقطة من م (١٤) لكثرة : الكثرة د ؛ للكثرة ص (١٥) له : ساقطة من ط (١٨) يبق : + شىء د ، م .

ثم قد اختلف فى لفظى الكل والجميع على اعتباريهما، فتارةً يقولون: إن الكل يقال للمتصل والمنفصل، والجميع لا يقال إلا للمنفصل، وتارةً يقولون: إن الجميع يقال خاصة لما ليس لوضعه اختلاف والكل لما لوضعه اختلاف، ويقال: "كل" "وجميع" معاً لما يكون له الحالان جميعا .

٥ وأنت تعلم أن هذه الألفاظ يجب أن تستعمل على ما يقع عليه الاصطلاح والأحرى من وجه أن يقال: "كل" لما كان فيه انفصال حتى يكون له جزء فإن الكل يقال بالقياس إلى الجزء، والجميع أيضا يجب أن يكون كذلك. فإن الجميع من الجمع ، والجمع إنما يكون لآحاد بالفعل أو وحدات بالفعل، لكن الاستعمال قد أطلقه على ما كان أيضا جزؤه وواحده بالقوة. فكأن الكل يعتبر ١٠ فيه أن يكون فى الأصل بإزاء الجزء، والجميع بإزاء الواحد، كأن الكل يعتبر فيه أن يكون له ما بعده، وإن لم يلتفت إلى وحدته، وكأن الجميع يعتبر فيه أن يكون فيه آحاد وإن لم يلتفت إلى عده .

وكأن هذا القول كله من الفضل، فإن الاصطلاح أجراهما بعد ذلك مجرى واحداً حتى صار أيضا يقال الكل والجميع فى غير ذوات الكية، إذ كان لها ١٥ أن تتكثر بالعرض كالبياض كله والسواد كله، أو كان لها أن تشتد وتضعف كالحرارة كلها والقوة كلها. ويقال للمركب من أشياء تختلف كالحيوان "كل" إذ هو من نفس وبدن .

---

(١) والجميع : والجمع د (١ — ٢) أن ... يقولون : ساقطة من م (٣) لوضعه : لموضعه د || اختلاف : ساقطة من ص ، ط ، م || والكل لما : والكل ما د (٧) كذلك : كل ط (٨) الجميع والجمع : الجميع والجميع د || لآحاد : من آحاد د (٩) جزؤه : جزء ط || وواحده : واحده د ، ووحداته هامش ص || فكأن : وكان د (٩ — ١٠) يعتبر فيه أن يكون : ساقطة من جـ ، ط ، ص ، م (١١) كأن : فكأن من جـ (١٢) لم : ساقطة من د (١٣) وكأن : ساقطة من جـ || كله : كل د || أجراهما : أجراها د (١٤) حتى : وحتى ب ، ص ، ط || غير : غيره د || إذ : إذا د || لها : لهما ص ، ط (١٥) كله والسواد كله : كلية والسواد كلية د || لها : لهما ط ، م (١٧) من : ساقطة من جـ ، م .

وأما الجزء فإنه تارة يقال لما يَعُدّ وتارة لما يكون شيئا من الشيء وله غيره معه وإن كان لا يَعُدُّه ، وربما خُصّ هذا باسم البعض .

ومن الجزء ماينقسم إليه الشيء لا فى الكم ، بل فى الوجود ، مثل النفس والبدن للحيوان ، والهيولى والصورة للمركب ، وبالجملة ما يتركب منه المركب لمختلف المبادئ . ٥

(١) يقال : ساقطة من ب (٢) لا يعده : لا يعدد || خص : خصص ط (٣) ما : وما د
(٥) المبادئ : البادى د ؛ + لا فى الكم ص ، ط .



المقالة الخامسة

وفيها تسعة فصول

---

(١) الخامسة : + من جملة الرابعة من الكتاب م ص ؛ ساقطة من ســ ، د ، ص ، ط .

(٢) تسعة فصول : وفيها ثمانية فصول



[الفصل الأول]

(١) فصل

فى الأمور العامة وكيفية وجودها

وبالحرى أن نتكلم الآن فى الكلى والجزئى، فإنه مناسب أيضا لما فرغنا منه، وهو من الأعراض الخاصة بالوجود، فنقول : إن الكلى قد يقال على وجوه ثلاثة : ٥

فيقال كلى للمعنى من جهة أنه مقول بالفعل على كثيرين ، مثل الإنسان . ويقال كلى للمعنى إذا كان جائزا أن يحمل على كثيرين وإن لم يشترط أنهم موجودون بالفعل ، مثل معنى البيت المسبع ، فإنه كلى من حيث أن من طبيعته أن يقال على كثيرين، ولكن ليس يجب أن يكون أولئك الكثيرين لا محالة موجودين بل ولا الواحد منهم . ١٠

ويقال كلى للمعنى الذى لا مانع من تصوره أن يقال على كثيرين؛ إنما يمنع منه إن منع سبب ويدل عليه دليل ، مثل الشمس والأرض ، فإنها من حيث تعقل شمسا وأرضا لا يمنع الذهن عن أن يجوز أن معناه يوجد فى كثير ، إلا أن يأتيه دليل أو حجة يعرف به أن هـذا ممتنع . ويكون ذلك ممتنعا بسبب من خارج لا لنفس تصوره . ١٥

---

(٣) وكيفية : وكيف ب ، د ، م (٦) كثيرين كثيرب ، جـ ، د ، ط ، م (٧) كثيرين : كثيرب ، د (٨) المسبع : المبسع جـ || فإنه : + كان جـ || أن (الأولى) : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص ، م || من : هى د ؛ ساقطة من ص || طبيعته : طبيعة د (٩) كثيرين : كثيرب ، جـ ، ط ، م (١١) كثيرين : الكثيرين ط (١٢) فإنها : فإنهما جـ ، د ، ص ، ط (١٣) يجوز أن : يجوز د || يأتيه : يأتيك ط (١٤) به : ساقطة من ط || ممتنع : الممتنع د .

وقد يمكن أن يجمع هـذا كله فى أن هـذا الكلى هو الذى لا يمنع نفس تصوره عن أن يقال على كثيرين . ويجب أن يكون الكلى المستعمل فى المنطق وما أشبهه هو هذا .

وأما الجزئى المفرد فهو الذى نفس تصوره يمنـع أن يقال معناه على كثيرين

٥ كذات زيد هذا المشار إليه ، فإنه مستحيل أن تتوهم إلا له وحده .

فالكلى من حيث هو كلى شئ ، ومن حيث هو شئ تلحقه الكلية شئ . فالكلى من حيث هو كلى هو ما يدل عليه أحد هذه الحدود، فإذا كان ذلك إنسانا أو فرسا فهناك معنى آخر غير معنى الكلية وهو الفرسية. فإن حد الفرسية ليس حد الكلية، ولا الكلية داخلة فى حد الفرسية، فإن الفرسية لها حد لا يفتقر إلى حد الكلية

١٠ لكن تعرض له الكلية. فإنه فى نفسه ليس شئ من الأشياء ألبتة إلا الفرسية، فإنه فى نفسه لا واحد ولا كثير ولا موجود فى الأعيان ولا فى النفس ولا فى شىء من ذلك بالقوة ولا بالفعل على أن يكون داخلا فى الفرسية، بل من حيث هو فرسية فقط. بل الواحدية صفة تقترن إلى الفرسية، فتكون الفرسية مع تلك الصفة واحدة.

كذلك للفرسية مع تلك الصفة صفات أخرى كثيرة داخلة عليها ، فالفرسية

١٥ — بشرط أنها تطابق بحدها أشياء كثيرة — تكون عامة ، ولأنها مأخوذة بخواص وأعراض مشار إليها تكون خاصة . فالفرسية فى نفسها فرسية فقط .

---

(١) يجمع : يجمل د (٣) وما أشبهه : وما أشبه جـ ، د ، ط (٤) كثيرين : كثير ب جـ ، د ، م (٥) زيد : + هو د || مستحيل : يستحيل ط (٦) كلى : كل ط ، م (٨) آخر : ساقطة من ط (٩) لا يفتقر : لا يقتصر ط (٩) حد (الثالثة) : ساقطة من ب ، جـ ، ص ، ط ، م (١٠) له : لها د (١١) موجود : + لا د || ولا فى شىء : ولا شىء ب ، جـ ، د ، ص || من : فى د (١٢) بالقوة : القوة ط || يكون : + ذلك د ، ص ، م || من حيث هو فرسية : هى من حيث هى فرسية جـ ، د ؛ هى من حيث فرسية ص ، ط ، م (١٣) تقترن : تقترب ط || فتكون الفرسية مع : فتكون مع ط (١٤) كذلك للفرسية : ولذلك الفرسية د (١٥) بحدها : حدها جـ ، ص ، م .

فإن سئلنا عن الفرسية لطرفى النقيض ، مثلا : هل الفرسية ألف أم ليس بألف ؟ لم يكن الجواب إلا السلب لأى شىء كان . ليس على أن السلب بعد "من حيث" ، بل على أنه قبل "من حيث" . أى ليس يجب أن يقال : إن الفرسية من حيث هى فرسية ليست بألف، بل ليست من حيث هى فرسية بألف ولا شئ من الأشياء . ٥

فإن كان طرفا المسألة عن موجبتين لا يخلو منهما شئ ، لم يلزم أن نجيب عنهما ألبتة . وبهذا يفترق حكم الموجبة والسالبة والموجبتين اللتين فى قوة النقيضين . وذلك لأن الموجب منهما الذى هو لازم للسالب معناه أنه إذا لم يكن الشئ موصوفاً بذلك الموجب الآخر كان موصوفاً بهذا الموجب، وليس إذا كان موصوفاً به كان ماهيته هو ، فإنه ليس إذا كان الإنسان واحدا أو أبيض كانت هوية ١٠ الإنسانية هى هوية الوحدة أو البياض ، أو كانت هوية الإنسانية هى هوية الواحد أو الأبيض .

فاذا جعلنا الموضوع فى المسألة هوية الإنسانية من حيث هى إنسانية كشئ واحد، وسئل عن طرفى النقيض ، فقيل: أواحد هو أم كثير؟لم يلزم أن يجاب

(١) سئلنا : سألنا د || بطر؟ف : لعارف ط || مثلا : ساقطة من د ، م || ألف : ألفا ط || أم : أو ب ، جـ ، ط (٢) بألف : ألفا ط ، ساقطة من ب ، د || يكن : ساقطة من د || لأى : أى ب ، د ، م (٣) من حيث بل : ساقطة من ط (٤) فرسية (الأولى) : + هى م (٦) موجبتين : موجبين ط (٧) وبهذا .... النقيضين : ساقطة من م || يفترق : يفرق د ، ص ، ط || الموجبة والسالبة : الموجب والسالب ب ، جـ ، د ، ص (٨) لأن : أن ب ، د ، م || أنه ساقطة من ط (٩) الآخر : ساقطة من ط || بهذا الموجب : + الآخر ط (١٠) كان كان : كان ص ، ط || ماهيته : ماهية جـ ، ط || كانت : كان ب ، جـ ، ط (١١) الإنسانية (الأولى) : الانسان ص ، ط ، م || هى : ساقطة من ط || "الوحدة .... هوية" : ساقطة من ط || كانت : كان ب ، جـ ، م || هوية الإنسانية : هوية الإنسان جـ ، م (١١ — ١٢) هى هوية الواحد : هو هوية الواحد ب ، جـ ، م (١٣) الإنسانية : الإنسان ط .

لأنها من حيث هى هوية الإنسانية شىء غير كل واحد منهما، ولا يوجد فى حد ذلك الشىء إلا الإنسانية فقط .

وأما أنه هل يوصف بأنه واحد أو كثير على أنه وصف يلحقه من خارج ، فلا محالة أنه يوصف بذلك ، ولكن لايكون هو ذلك الموصوف من حيث هو إنسانية فقط ، فلا يكون من حيث هو إنسانية هو كثيرا بل إنما يكون كأن ٥ ذلك شىء يلحقه من خارج .

فإذا كان نظرنا إليه من حيث هو إنسانية فقط ، فلا يجب أن نشوبه بنظر إلى شىء من خارج يجعل النظار نظرين : نظر إليه بما هو هو، ونظر إلى لواحقه. ومن حيث النظر الواحد الأول لايكون إلا الإنسانية فقط، فلهذا إن قال قائل: ١٠ إن الانسانية التى فى زيد من حيث هى إنسانية هل هى غير التى فى عمرو؟ فيلزم أن يقول : لا . وليس يلزم من تسليمه هذا أن يقول : فإذن تلك وهى واحدة بالعدد، لأن هذا كان سلباً مطلقاً، وعنينا بهذا السلب أن تلك الإنسانية من حيث هى إنسانية هى إنسانية فقط ، وكونها غير التى فى عمرو شىء من خارج. فإنه إن لم يكن ذلك خارجا عن الإنسانية لزم أن تكون الإنسانية من حيث هى إنسانية ١٥ ألفا مثلا أو ليست بألف ، وقد أبطلنا ذلك ، وإنما أخذنا الإنسانية من حيث هى إنسانية فقط .

(١) هى : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص || الإنسانية : الإنسان ص ، ط || شىء : + هى د || حد : ساقطة من د (٣) من خارج : ساقطة من م (٤) من حيث هو : من حيث هى م (٥) فقط : ساقطة من ب ، جـ ، م || فقط .... إنسانية : ساقطة من د (٦) شىء : الشىء م (٧) كان : ساقطة من ط (٨) هو هو : هو ص ، م || ونظر : ونظرا ص ، م (٩) إلا الإنسانية : إلا إنسانية ط ؛ الإنسانية م (١١) من : ساقطة من م || تلك وهى : ساقطة من م || وهى : وحده ص (١٣) هى : ساقطة من جـ || إن : وإن جـ (١٤) لزم أن تكون الإنسانية : ساقطة من د || إنسانية : + كان د (١٥) أو ليست : وليس ب ، جـ ، د ، ط || أخذنا : أخذت ب || الإنسانية : إنسانية ب ، د ، ط ، م (١٣ — ١٥) فإنه إن ... ذلك ساقطة من م (١٦) فقط : ساقطة من د ، م .

على أنه إذا قيل : الإنسانية التى فى زيد من حيث هى إنسانيـة يكون قد جعلها اعتبارا من حيث هى إنسانية، ساقطاً عنها أنها فى زيد وأنها التى فى زيد، وإلا فتكون قد أخذنا الإنسانية على أنها فى زيد، فإنا قد جردناها وتكلمنا على أنا نلتفت إليها وهى إنسانية . ثم لا يخلو إما أن نرجع الكناية التى فى أنها إلى الإنسانية التى فى زيد، فيكون هذا محالا من القول، فإنه لاتجتمع أن تكون ٥ إنسانية فى زيد وهى باعتبار أنها إنسانية فقط . وإن رجعت إلى الإنسانية فقط فذكْرُ زيدٍ لغوا إلا أن تعنى أن الإنسانية التى عرض لها من خارج أن كانت فى زيد وقد أسقطنا عنها أنها فى زيد، فهل هى هكذا ؟ وهذا أيضا فيـه اعتبار غير الإنسانية .

فإن سألنا سائل وقال : ألستم تجيبون وتقولون : إنها ليســت كذا وكذا ، ١٠ وكونها ليست كذا وكذا غير كونها إنسانية بما هى إنسانية . فنقول : إنا لانجيب بأنها من ، حيث هى إنسانية ، ليست كذا ، بل نجيب أنها ليست من حيث إنسانية كذا ، وقد علم الفرق بينهما فى المنطق .

وههنا شىء آخر وهو أن الموضوع فى مثل هـذه المسائل يكاد يرجع إلى الإهمال إذا لم تعلق بحصر ولا يكون عنها جواب ، اللهم إلا أن تجعـل تلك ١٥

---

(١) على . . . إنسانية : ساقطة من م (٢) جعلها : جعلنا طا ؛ + لها خ || اعتبارا : اعتبار جـ ، ص || زيد : عمرو طا (٣) فتكون : تكون م || أخذنا : أخذ م || فإنا قد : فإذا جـ ، د ، ص ، ط ؛ ساقطة من م || جردناها : جردنا ص ، ط (٤) أنا : أنها د ، م || نلتفت : لا نلتفت د ، ط || إنسانية : + فقط فلا يخلو ما جردنا جردنا وقد تكلمنا على أن لانلتفت إليها وهى إنسانية جـ ؛ + فقط ص (٥) لاتجتمع : لايجمع م || لاتجتمع أن تكون : لايكون أن تجتمع د (٦) وهى : فهى م || فقط : وإلا جـ || وإن : فإن جـ ، ط (٧) فقط : ساقطة من م || تعنى أن : يعنى م || أن كانت : إن كان د . (١٠) ألستم : ساقطة من ط || وتقولون : فتقولون جـ ، ص ، م (١١) إنا : ساقطة من د (١٢) بأنها ؛ أنها ب ، ص ، ط || ليست : ليس ب ، جـ ، ص ، ط (١٢ — ١٣) بل . . . كذا : ساقطة من ب (١٣) علم : علمتم ب ؛ عرف ط (١٥) تجعل : نرجع ط .

الإنسانية كأنها مشار إليها أو لا كثرة فيها . فحينئذ لا يكون قولنا : "من حيث هى إنسانية" جزءا من الموضوع ، لأنه لا يصلح أن يقال: إن الإنسانية التى هى من حيث هى إنسانية إلا وقد عادت مهملة . فإن قيل: تلك الإنسانية التى هى من حيث هى إنسانية ، يكون قد وقع إليها الإشارة فزادت على الإنسانية .

ثم إن ساهلنا فى ذلك فيكون الطرفان من المسألة مسلوبين عنها، ولم يجب أن يكون واحدا أو كثيرا هو هو أو غير إلا على معنى أنه لابد له أن يكون هو هو أو غير . فحينئذ نقول : لابد لها من أن تصير غيراً بالأعراض التى معها، إذ لا توجد ألبتة إلا مع الأعراض . وحينئذ لا تكون مأخوذة من حيث هى إنسانية فقط ، فإذ ليست إنسانية عمرو فهى غير إنسانية بالأعراض ، فيكون لهذه الأعراض تأثير فى شخص زيد بأنه مجموع الإنسان أو الإنسانية وأعراض لازمة كأنها أجزاء منه ، وتأثير فى الإنسان أو الإنسانية بأنها منسوبة إليه .

ونعود من رأس ونجمع هذا ونخبر عنه بعبارة أخرى كالمذكر لما سلف من قولنا، فنقول: إن ههنا شيئا محسوسا هو الحيوان أو الإنسان مع مادة وعوارض، وهذا هو الإنسان الطبيعى . وههنا شىء هو الحيوان أو الإنسان منظورا إلى ذاته بما هو هو ، غير مأخوذ معه ما خالطه ، وغير مشترط فيه شرط أنه عام أو خاص

---

(١) كأنها : كلها ط || مشار : شيئان م || أو : إذ جـ ، ص ، ط ، م (٣) فإن : وإن ط ، م || قيل : + إن ص ، ط (٤) إليها : عليها ص ، ط ؛ إليهام (٦) ثم إن : وإن م || ساهلنا : تساهلنام (٧) أو غير : وغيرم || أنه : أنها ص ، ط (٩) الأعراض : أعراض جـ ، ص ، م (١٠) إنسانيته : إنسانية ص ، ط ، م (١١) الإنسان : ساقطة من د ؛ الإنسانية ص ، ط || وأعراض : أعراض ط (١٢) وتأثير : وتأثيره جـ || أو الإنسانية : الإنسانية ص ، ط || إليه : إليها د ، ص (١١ — ١٢) وأعراض .... أو الإنسانية : ساقطة من م (١٤) ههنا : ساقطة من ط (١٥) وههنا : وهى ط || أو الإنسان : والإنسان د ، م (١٦) مشترط : مشروط د || شرط : ساقطة من ط .

أو واحد أو كثير بالفعل ولا باعتبار القوة أيضا من حيث هو بالقوة. إذ الحيوان بما هو حيوان، والإنسان بما هو إنسان أى باعتبار حده ومعناه، غير ملتفت إلى أمور أخرى تقارنه، ليس إلا حيوانا أو إنسانا .

وأما الحيوان العام، والحيوان الشخصى، والحيوان من جهة اعتبار أنه بالقوة، عام أو خاص، والحيوان باعتبار أنه موجود فى الأعيان، أو معقول فى النفس، ٥ هو حيوان وشىء وليس هو حيوانا منظورا إليه وحده. ومعلوم أنه إذا كان حيوان وشىء كان فيهما الحيوان كالجزء منهما . وكذلك فى جانب الإنسان .

ويكون اعتبار الحيوان بذاته جائزاً وإن كان مع غيره، لأن ذاته مع غيره ذاته. فذاته له بذاته ؛ وكونه مع غيره أمر عارض له أو لازم مالطبيعته كالحيوانية والإنسانية. فهذا الاعتبار متقدم فى الوجود على الحيوان الذى هو شخصى بعوارضه ١٠ أو كلى وجودى، أو عقلى، تقدم البسيط على المركب، والجزء على الكل. وبهذا الوجود لا هو جنس ولا نوع ولا شخص ولا واحد ولا كثير، بل هو بهذا الوجود حيوان فقط وإنسان فقط .

لكنه يلزمه لا محالة أن يكون واحدا أو كثيرا، إذ لا يخلو عنهما شئ موجود، على أن ذلك لازم له من خارج . وهذا الحيوان بهذا الشرط وإن كان موجودا ١٥

---

(١) واحد أو كثير : أحد كثير ط || باعتبار : اعتبار م (٢) ملتفت : + إليه م (٦) وشىء وليس : وليس شىء م || وليس : ليس جـ ، د ، ص ، ط || حيوانا : حيوان ط ، م || منظورا : منظور ص ، ط ، م (٨) لأن ذاته مع غيره : ساقطة من د (٩) له بذاته : ساقطة من د || مالطبيعته : فالطبيعة جـ ، د ، ص ، ط ، م || كالحيوانية : الحيوانية ص ، م . (١٠) والإنسانية : أو الإنسانية ص || فهذا : بذا جـ ، د ، ص ، ط || متقدم : متقدمة ط || شخصى : شخص د . (١٢) ولا نوع : ولا هو نوع ط || الوجود : + هو ب ، جـ ، د ، ص ، م . (١٥) الشرط : + موجود جـ .

فى كل شخص فليس هو بهذا الشرط حيوانا ما، وإن كان يلزمه أن يصير حيوانا ما لأنه فى حقيقته وماهيته بهذا الاعتبار حيوان ما .

وليس يمنع كون الحيوان الموجود فى الشخص حيوانا ما أن يكون الحيوان بما هو حيوان لا باعتبار أنه حيوان بحال ما موجودا فيه، لأنه إذا كان هذا الشخص حيوانا ما ، فحيوان ما موجود ، فالحيوان الذى هو جزء من حيوان ما موجود ، ٥ كالبياض فإنه وإن كان غير مفارق للمادة فهو ببياضيته موجود فى المادة على أنه شئ آخر معتبر بذاته وذو حقيقة بذاته ، وإن كان عرض لتلك الحقيقة أن تقارن فى الوجود أمرا آخر .

ولقائل أن يقول : إن الحيوان بما هو حيوان غير موجود فى الأشخاص، لأن الموجود فى الأشخاص هو حيوان ما لا الحيوان بما هو حيوان . ثم الحيوان بما ١٠ هو حيوان موجود، فهو إذن مفارق للأشخاص. ولو كان الحيوان بما هو حيوان موجودا لهذا الشخص ، لم يخل إما أن يكون خاصا له أو غير خاص ، فإذا كان خاصا له لم يكن الحيوان بما هو حيوان هو الموجود فيه أو هو ، بل حيوان ما ؛ وإن كان غير خاص كان شيء واحد بعينه بالعدد موجودا فى الكثرة، وهذا محال .

١٥ وهذا الشك وإن كان ركيكا سخيفا فقد أوردناه بسبب أنه قد وقعت منه الشبهة فى زماننا هذا لطائفة ممن تتشحط فى التفلسف . فنقول : إن هذا الشك قد وقع

(١) أن يصير حيوانا ما : أن يصير حيوانا ط ، م (٢) بهذا : هذا ص ، ط || بهذا : هذا ص ، ط || ما : ساقطة من د (٦) ببياضيته : ببياضه ط || موجود : موجودا د || أنه : أنها جـ ، د ، م (٧) وذو حقيقة بذاته : ساقطة من د (١٢) خاص : + له جـ ، د ، ص ، م || فإذا : وإذا جـ ، ط (١٣) أو هو : أو هو له جـ ، ص ؛ ساقطة من م || بل : + هو جـ ، ص ، ط (١٤) شىء واحد : الشىء واحدا د || بعينه بالعدد : بالعدد بعينه ب || الكثرة : الكثير ط (١٥) قد : ساقطة من د ، ط || وقعت : وقع ب ، جـ ، ط (١٦) زماننا : وقتنا ب ، جـ || هذا : ساقطة من جـ ، د ، م || لطائفة : لبعض ب ، د ، ص || قد : ساقطة من ب .

فيه الغلط من وجوه عدة. أحدها الظن بأن الموجود من الحيوان إذا كان حيوانا ما فإن طبيعة الحيوانية معتبرة بذاتها لا بشرط آخر لا تكون موجودة فيه. و بيان غلط هذا الظن قد تقدم. والثانى ، الظن بأن الحيوان بما هو حيوان يجب أن يكون خاصاً أو غير خاص بمعنى العدول، وليس كذلك، بل الحيوان إذا نظر إليه بما هو حيوان ومن جهة حيوانيته لم يكن خاصا ولا غير خاص الذى هو العام، بل كلاهما ٥ يسلبان عنه. لأنه من جهة حيوانيته حيوان فقط ، ومعنى الحيوان فى أنه حيوان غير معنى الخاص والعام، وليسا داخلين أيضا فى ماهيته. و إذا كان كذلك لم يكن الحيوان بما هو حيوان خاصا ولا عاما فى حيوانيته ، بل هو حيوان لا غيره من الأمور والأحوال ، لكنه يلزمه أن يكون خاصا أو عاما .

فقوله لم يخل إما أن يكون خاصاً أو يكون عاماً: إن عنى بقوله إنه لا يخلو عنهما ١٠ فى حيوانيته فهو خال عنهما فى حيوانيته ، و إن عنى أنه لا يخلو عنهما فى الوجود أى لا يخلو عن لزوم أحدهما فهو صادق . فإن الحيوان يلزمه ضرورة أن يكون خاصا أو عاما وأيهما عرض له لم يبطل عنه الحيوانية التى هى باعتبار ما ليس بخاص ولا عام ، بل يصير خاصا أو عاما بعدها بما يعرض لها من الأحوال .

وههنا شىء يجب أن تفهمه وهو أنه حق أن يقال: إن الحيوان بما هو حيوان ١٥ لا يجب أن يقال عليه خصوص أو عموم، وليس بحق أن يقال : الحيوان بما هو حيوان يوجب أن يقال عليه خصوص أو عموم، وذلك أنه لو كانت الحيوانية توجب

---

(٣) قد : فقد ب || والثانى : + فى ب ، د || بأن : + الموجود من ط
(٥) العام : عام م (٩) أو عاما : وعاما ب ، م (١٠) أو يكون عاما : أو عاما د ||
إنه : إن جـ ، ص ، ط (١١) وإن : + بقوله د (١٣) هى : هو د || باعتبار ما :
باعتبارها ط (١٥) وههنا : وهى ص ، ط .

أن لا يقال عليها خصوص أو عموم لم يكن حيوان خاص أو حيوان عام . ولهذا المعنى يجب أن يكون فرق قائم بين أن نقول : إن الحيوان بما هو حيوان مجرد بلا شرط شيء آخر، و بين أن نقول : إن الحيوان بما هو حيوان مجرد بشرط لا شيء آخر. ولو كان يجوز أن يكون الحيوان بما هو حيوان مجردا بشرط أن لا يكون شيء ٥ آخر وجود فى الأعيان، لكان يجوز أن يكون للمثل الأفلاطونية وجود فى الأعيان؛ بل الحيوان بشرط لا شيء آخر وجوده فى الذهن فقط . وأما الحيوان مجردا لا بشرط شيء آخر فله وجود فى الأعيان ، فإنه فى نفسه وفى حقيقته بلا شرط شيء آخر، و إن كان مع ألف شرط يقارنه من خارج . فالحيوان بمجرد الحيوانية موجود فى الأعيان ، وليس يوجب ذلك عليه أن يكون مفارقا بل هو الذى ١٠ هو فى نفسه خال عن الشرائط اللاحقة موجودٌ فى الأعيان . وقد اكتنفه من خارج شرائط وأحوال ، فهو فى حد وحدته التى بها هو واحد من تلك الجملة حيوان مجرد بلا شرط شيء آخر ، و إن كانت تلك الوحدة زائدة على حيوانيته ولكنها غير اللواحق الأخرى . ولو كان ههنا حيوان مفارق كما يظنون ، لم يكن هو الحيوان الذى نتطلبه ونتكلم عليه ، لأنا نطلب حيوانا مقولا على كثيرين ١٥ بأن يكون كل واحد من الكثيرين هو هو. وأما المباين الذى ليس محمولا على هؤلاء إذ ليس شيء منها هو هو ، فلا حاجة بنا إليه فيما نحن بسبيله . فالحيوان مأخوذا بعوارضه هو الشيء الطبيعى ، والمأخوذ بذاته هو الطبيعة التى يقال إن

(١) أو حيوان : حيوان د ، م (٣) شيء : ساقطة من ص ، ط (٦) وأما الحيوان : والحيوان م (٧) وجود : وجوده د || نفسه وفى : ساقطة من ب ، م || حقيقته : نفسه د (٨) ألف شرط : + شيء آخر ط (٩ — ١٠) بل هو الذى هو : هو الذى فى ط ؛ بل هو الذى فى م (١٠) موجود : موجوده د (١٣) حيوان : + مجرد جـ (١٤) هو : هذا جـ ، م ؛ هذا هو ص || نتطلبه : نطلبه جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٦) بسبيله : فى سبيله ط (١٧) هو (الأول) : هى د .

وجودها أقدم من الوجود الطبيعى بقدم البسيط على المركب ، وهو الذى يخص وجوده بأنه الوجود الإلهى لأن سبب وجوده بما هو حيوان عناية الله تعالى . وأما كونه مع مادة وعوارض وهـذا الشخص و إن كان بعناية الله تعالى فهو بسبب الطبيعة الجزئية ، فكما أن للحيوان فى الوجود أنحاء فوق واحد ، كذلك له فى العقل . فإن فى العقل صورة الحيوان المجرد على النحو الذى ذكرناه من ٥ التجريد ، وهو بهذا الوجه يسمى صورة عقلية ؛ وفى العقل أيضا صورة الحيوان من جهة ما يطابق فى العقل بحـد واحد بعينه أعيانا كثيرة ، فتكون الصورة الواحدة مضافة عند العقل إلى كثرة ، وهو بهذا الاعتبار كلى ، وهو معنى واحد فى العقل لا تختلف نسبته إلى أى واحد أخذته من الحيوانات ، أى أى واحد منها أحضرت صورته فى الخيال بحال ، ثم انتزع العقل مجرد معناه عن العوارض ١٠ حصل فى العقل هذه الصورة بعينها ، وكانت هـذه الصورة هى ما يحصل عن تجريد الحيوانية عن أى خيال شخصى مأخوذ عن موجود من خارج أو جار مجرى الموجود من خارج و إن لم يوجد هو بعينه من خارج ، بل اخترعه الخيال .

وهـذه الصورة و إن كانت بالقياس إلى الأشخاص كلية ، فهى بالقياس إلى النفس الجزئية التى انطبعت فيها شخصية ، وهى واحدة من الصور التى ١٥ فى العقل . ولأن الأنفس الشخصية كثيرة بالعدد ، فيجوز إذن أن تكون هذه الصورة الكلية كثيرة بالعدد من الجهة التى هى بها شخصية ، ويكون لها معقول

---

(١) الوجود : وجود جـ ، ص ، ط (٣) بعناية : لعناية جـ || تعالى : ساقطة من ب ، جـ (٤) بسبب : ينسب إلى د ، ط (٤) واحد : واحدة د : ص ، ط ، م (٥) فى (الأولى) : ساقطة من جـ ، ط || فإن فى العقل : فإن العقل يعقل د (٧) فتكون : فكون م || الصورة : للصورة ط (٩) أى أى : أى إلى م (١٠) منها : منهما ص ، ط (١٠) أحضرت : حضرت د (١١) حصل : وحصل جـ ، ط ، م (١٣) يوجد : يؤخذ جـ ، ص || اخترعه : أخرجه م (١٤) كانت : كان ط || فهى : فهو د (١٦ — ١٧) فيجوز . . . . بالعدد : ساقطة من ب (١٧) هى : ساقطة من ط .

كلى آخر هو بالقياس إليها مثلها بالقياس إلى خارج ، ويتميز فى النفس عن هذه الصورة التى هى كلية بالقياس إلى خارج بأن تكون مقولة عليها وعلى غيرها . وسنعيد الكلام فى هذا عن قريب بعبارة أخرى .

فالأمور العامة من جهة موجودة من خارج ، ومن جهة ليست . وأما شىء واحد بعينه بالعدد محمول على كثير ، يكون هو محمولاً على هذا الشخص بأن ٥ ذلك الشخص هو ، وعلى شخص آخر كذلك ، فامتناعه بيّن ، وسيزداد بيانا . بل الأمور العامة ، من جهة ما هى عامة بالفعل ، موجودة فى العقل فقط .

(٢) الصورة : ساقطة من ص ، ط ، م (٤) موجودة من : مأخوذة فى هامش ص || وأما : أما ب ، د ، ص ، ط ، م (٦) وسيزداد : ويزداد ب (٧) موجودة : موجود د ، ص .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى كيفية كون الكلية للطبائع الكلية وإتمام القول فى ذلك ، وفى الفرق بين الكل والجزء ، والكلى والجزئى

فقد تحققت إذن أن الكلى من الموجودات ماهو ، وهو هذه الطبيعة عارضا ٥ لهـا أحد المعانى التى سميناها كلية . وذلك المعنى ليس له وجود مفرد فى الأعيان البتة ، فإنه ليس الكلى بمـا هو كلى موجودا مفردا بنفســه ، إنمـا يتشكك من أمره أنه هل له وجود على أنه عارض لشىء من الأشياء ، حتى يكون فى الأعيان مثلا شىء هو إنسان وهو ذاته بعينه موجودا لزيد وعمرو وخالد .

فنقول : أما طبيعة الإنسان من حيث هو إنسان فيلحقها أن تكون موجودة ١٠ وإن لم يكن أنها موجودة هو أنها إنسان ولا داخلا فيه ، وقد تلحقها مع الوجود هـذه الكلية ولا وجود لهذه الكلية إلا فى النفس . وأما الكلية من خارج فعلى اعتبار آخر شرحناه فى الفنون السابقة . بل هذه الطبائع ما كان منهـا غير محتاج إلى مادة فى أن يبقى ، ولا فى أن يبتدئ لها وجود فيكون من المستحيل أن يتكثر ، بل إنمـا يكون النوع منه قائمـا واحدا بالعدد . لأن مثل هذه الطبيعة ليست ١٥ تتكثر بالفصول ولا بالمواد ولا بالأعراض . أما بالفصول فلنوعيته ، وأما

---

(٣) كون : لحوق م || وإتمام : وفى إتمام ص (٥) فقد : وقد ب ، ط || إذن : وإذن د ؛ ساقطة من د ، ص || من : فى د ، ط ، م (٦) كلية : كليا ط ، م (٧) الكلى : كلى د (٨) أنه (الثانية) : ساقطة من ط || لشىء : بشىء د (٩) بعينه : بعينها جـ ، د ، ص ، ط || موجودا : موجود ص (١٠) طبيعة : الطبيعة جـ (١٣) الفنون : الفصول د ، طا || السابقة : السالفة ب ، جـ ، م (١٥) إنما : + هو ط .

بالمواد فلتجرده ، وأما بالأعراض فلأن الأعراض إما أن تكون لازمة للطبيعة فلا تختلف فيها الكثرة بحسب النوع و إما أن تكون عارضة غير لازمة للطبيعة فيكون عروضها بسبب يتعلق بالمادة ، فيكون حق مثل هذا إذا كان نوعا موجودا ، أن يكون واحدا بالحد . وما كان منها محتاجا إلى المادة فإنما
٥ يوجد مع أن توجد المادة مهيأة فيكون وجوده مستلحقا به أعراضا وأحوالا خارجة يتشخص بها ، وليس يجوز أن تكون طبيعة واحدة مادية وغير مادية ، وقد عرفت هذا فى خلال ما علمت . وأما إن كانت هذه الطبيعة جنسية فستبين أن طبيعة الجنس محال أن تقوم إلا فى الأنواع ثم يقوم قوام الأنواع. فهذه حال وجود الكليات .

١٠ وليس يمكن أن يكون معنى هو بعينه موجودا فى كثيرين، فإن الإنسانية التى فى عمرو إن كانت بذاتها لا بمعنى الحد موجودة فى زيد ، كان ما يعرض لهذه الإنسانية فى زيد لا محالة يعرض لها وهى فى عمرو ، إلا ما كان من العوارض ماهيته معقولة بالقياس إلى زيد . وأما ما كان يستقر فى ذات الإنسان ليس استقراره فيه محوجا إلى أن يصير مضافاً مثل أن يبيض أو يسود أو يعلم، فإنه إذا علم لم يكن به مضافاً إلا إلى
١٥ المعلوم . ويلزم من هذا أن تكون ذات واحدة قد اجتمع فيها الأضداد وخصوصاً إن كان حال الجنس عند الأنواع حال النوع عند الأشخاص، فتكون ذات واحدة هى موصوفة بأنها ناطقة وغير ناطقة ، وليس يمكن أن يعقل من له جبلة سليمة أن إنسانية واحدة اكتنفتها أعراض عمرو و إياها بعينها اكتنفت

---

(٢) بحسب : تحت ص ، م (٤) موجودا : ساقطة من جـ ، د ، ص ، م ؛ + بوجود جـ ، د ، ص ، ط ، م (٥) به : ساقطة من د (٦) بها : به جـ (١٠) معنى : + واحد ط (١٣) وأما ما : ساقطة من ط (١٤) أو يسود : ويسود د ، م (١٨) أن إنسانية : أن الإنسانية جـ ؛ الإنسانية د || واحدة : + واحدا د || اكتنفتها : اكتنفها جـ ، د ، ص ، ط || وإياها : إياها ط || اكتنفت : اكتنف جـ ، د ، ص ، ط ، م .

أعراض زيد . فإن نظرت إلى الإنسانيـــة بلا شرط آخر فلا تنظرن إلى هذه
الإضافات ، فهى على ما علمناك .

فقد بان أنه ليس يمكن أن تكون الطبيعـة توجد فى الأعيان وتكون بالفعل
كلية ، أى هى وحدها مشتركة للجميع . وإنما تعرض الكلية لطبيعـــة ما إذا
وقعت فى التصور الذهنى ، وأما كيفيـــة وقوع ذلك فيجب أن تتأمل ماقلناه ٥
فى كتاب النفس . فالمعقول فى النفس من الإنسان هو الذى هو كلى ، وكليته
لا لأجل أنه فى النفس ، بل لأجل أنه مقيس إلى أعيان كثيرة موجودة
أو متوهمة حكمها عنده حكم واحد . وأما من حيث أن هذه الصورة هيئة فى نفس
جزئية فهى أحد أشخاص العلوم أو التصورات ، وكما أن الشىء باعتبارات مختلفة
يكون جنساً ونوعاً ، فكذلك بحسب اعتبارات مختلفة يكون كلياً وجزئياً . فمن ١٠
حيث أن هـــذه الصورة صورة ما فى نفس ما من صور النفس فهى جزئية ،
ومن حيث أنها يشترك فيها كثيرون على أحد الوجوه الثلاثة التى بينا فيما مضى
فهى كلية ، ولا تناقض بين هذين الأمرين . لأنه ليس بممتنع اجتماع أن
تكون الذات الواحدة تعرض لها شركة بالإضافة إلى كثيرين . فإن الشركة فى الكثرة
لا تمكن إلا بالإضافـــة فقط ، وإذا كانت الإضافة لذوات كثيرة لم تكن شركة ، ١٥
فيجب أن تكون إضافات كثيرة لذات واحدة بالعدد . والذات الواحدة بالعدد

---

(٢) الإضافات فهى : ساقطة من ص || فهى : هى م ؛ ساقطة من ب ؛ بوجه د ، ط
(٣) أن تكون : ساقطة من م (٤) لطبيعة : الطبيعة د (٥) وأما : فأما ص ، ط ، م
(٦) من : عن جـ ، ط || الإنسان : الإنسانية ص (٨) حكمها : وحكمها ط || عنده : عند د
|| أن : ساقطة من ب ، جـ ، د ، م || هيئة : ماهية جـ ، د (٩) باعتبارات : باعتبار م
(١٠) اعتبارات : الاعتبارات د || كليا : كلية د (١١) نفس ما من صور : ساقطة من د ،
ص ، ط ، م (١٢) يشترك : مشترك ط || كثيرون : كثير ب || بينا : + فيها ط || مضى :
سلف ب ، جـ . (١٣) بممتنع : يمتنع جـ ، ص ، م (١٥) إلا : + لما لا ينقسم ط
|| بالإضافة : بإضافة ص || وإذا : وإن د .

من حيث هى كذلك فهى شخصية لا محالة ، والنفس نفسها تتصور أيضا كليا آخر يجمع هذه الصورة، وأخرى فى تلك النفس أو فى نفس غيرها ، فإنها كلها من حيث هى فى النفس تحد بحد واحد .

وكذلك قد توجد اشتراكات أخرى ، فيكون الكلى الآخر يُمَايِز هذه الصورة
٥ بحكم له خاص وهو نسبته إلى أمور فى النفس، وهذه إنما كانت نسبتها الجاعلة إياها كلية هى إلى أمور من خارج على وجه أن أى تلك الخارجات سبقت الى الذهن لجاز أن يقع عنها هذه الصورة بعينها. وإذا سبق واحد فتأثرت النفس منه بهذه الصفة لم يكن لما خلاه تأثير جديد إلا بحكم هذا الجواز المعتبر ، فإن هذا الأثر هو مثل صورة السابق قد جرد عن العوارض وهذا هو المطابقة. ولو كان بدل
١٠ أحد هذه المؤثرات أو المؤثر بها شىء غير تلك الأمور المعروفة وغير مجانس لها لكان الأثر غير هذا الأثر ، فلا يكون مطابقة .

وأما الكلى الذى فى النفس بالقياس إلى هذه الصور التى فى النفس ، فهذا الاعتبار له بحسب القياس إلى أى صورة سبقت من هذه الصور التى فى النفس إلى النفس . ثم هذه أيضا تكون صورة شخصية من حيث هى على ماقلناه ، ولأن
١٥ فى قوة النفس أن تعقل ، وتعقل أنها عقلت ، وتعقل أنها عقلت أنها عقلت ، وأن تركب إضافات فى إضافات، وتجعل للشىء الواحد أحوالا مختلفة من المناسبات إلى غير النهاية بالقوة. فيجب أن لا تكون لهذه الصور العقلية المترتب بعضها على بعض وقوف ، ويلزم أن تذهب إلى غير النهاية ، لكن تكون بالقوة لا بالفعل.

---

(٢) يجمع : بجميع جـ ، ط (٧) عنها : + فيه جـ ، د ، ص ، ط || وإذا : فإذا ط
(١٠) أو المؤثر : والمؤثر ب || تلك : ذلك ص || المعروفة : المفروضة جـ ، ص (١٢) التى : ساقطة من م (١٢ — ١٣) فهذا الاعتبار : فهذه الاعتبارات د (١٣) الصور : الصورة د
(١٥) وتعقل أنها عقلت أنها عقلت : ساقطة من ـ ؛ وأنها عقلت ص ؛ وتعقل أنها عقلت جـ ، ط
(١٧) المترتب : المرتبة د ، ص ؛ المرتبة ط ، م .

لأنه ليس يلزم النفس إذا عقلت شيئا أن تكون بالفعل تعقل معه الأمور التى تلزمه لزوما قريبا ، وأن تخطرها بالبال فضلا عما يمعن فى البعد . فإن ههنا مناسبات فى الجذور الصم وفى إضافات الأعداد كلها قريبة المنال من النفس، وليس يلزم أن تكون النفس فى حال واحدة تعقل تلك كلها أو أن تكون مشتغلة على الدوام بذلك ، بل فى قوتها القريبة أن تعقل ذلك مثل إخطار المضلعات ٥ التى لانهاية لها بالبال ، ومزاوجة عدد بأعداد لانهاية لها بالبال ، بل بوقوع مناسبة عدد مع مثله مرارا لانهاية لها بالتضعيف. فإن هذا أشبه شىء بما نحن فى ذكره . فأما أنه هل يجوز أن تقوم المعانى العامة للكثرة مجردة عن الكثرة وعن التصورات العقلية ، فأمر سنتكلم فيه من بعد. فإذا قلنا : إن الطبيعة الكلية موجودة فى الأعيان فلسنا نعنى، من حيث هى كلية بهذه، الجهة من الكلية، بل ١٠ نعنى أن الطبيعة التى تعرض لها الكلية موجودة فى الأعيان . فهى من حيث هى طبيعة شىء ، ومن حيث هى محتملة لأن تعقل عنها صورة كلية شىء ، وأيضا من حيث عقلت بالفعل كذلك شىء ، ومن حيث هى صادق عليها أنها لو قارنت بعينها لا هذه المادة والأعراض، بل تلك المادة والأعراض ، لكان ذلك الشخص الآخر شىء . وهذه الطبيعة موجودة فى الأعيان بالاعتبار الأول، ١٥ وليست فيه كلية موجودة بالاعتبار الثانى والثالث والرابع أيضا فى الأعيان .

---

(١) معه : معها ب، جـ ، د ، ط ، م (٢) تلزمه : تلزمها ب ، جـ، د ، طا || عما : مما ط || ههنا : ساقطة من ط (٣) المنال : المتناول ب ، جـ ، ص ، م ؛ التناول ط (٤) حال : حالة ب ، جـ ، ص ، ط || أو أن تكون : أو تكون جـ ، ط (٥) المضلعات : المضافات د (٨) فأما : وأما ط (١٠) الجهة : الصفة م (١٤) قارنت : + عليها م || هذه : بهذه م (١٥) بالاعتبار : باعتبار د ، ط (١٦) وليست : وليس جـ || فيه : قبله به د || موجودة : + وموجودة د || بالاعتبار : و بالاعتبار ص ، ط || الثالث : ساقطة من جـ ، د ، ص ، ط ، م .

فإن جعل هذا الاعتبار بمعنى الكلية كانت هذه الطبيعة مع الكلية فى الأعيان ، وأما الكلية التى نحن فى ذكرها فليست إلا فى النفس .

وإذ قد عرفنا هذه الأشياء فقد ، سهل لنا الفرق بين الكل والجزء وبين الكلى والجزئى ، وذلك أن الكل من حيث هو كل يكون موجودا فى الأشياء ، وأما الكلى من حيث هو كلى فليس موجودا إلا فى التصور . وأيضا الكل يُعَدّ بأجزائه ويكون كل جزء داخلا فى قوامه ، وأما الكلى فإنه لايعد بأجزائه ، ولا أيضا الجزئيات داخلة فى قوامه . وأيضا فإن طبيعة الكل لاتقوم الأجزاء التى فيه ، بل تتقوم منها ، وأما طبيعة الكلى فإنها تقوم الأجزاء التى فيه . وكذلك فإن طبيعة الكل لاتصير جزءا من أجزائه ألبتة ، وأما طبيعة الكلى فإنها جزء من طبيعة الجزئيات لأنها إما الأنواع فتتقوم من طبائع الكليين أعنى الجنس والفصل ، وإما الأشخاص فتتقوم من طبيعــة الكليات كلها ومن طبيعة الأعراض التى تكتنفها مع المادة . وأيضا فإن الكل لا يكون كلا لكل جزء وحده ولو انفرد ، والكلى يكون كليا محمولا على كل جزئى . وأيضا فإن أجزاء كل كل متناهية ، وليس أجزاء كل كلى متناهية . وأيضا الكل يحتاج ، إلى أن تحضره أجزاؤه معا ، والكلى لايحتاج إلى أن تحضره أجزاؤه معا . وقد يمكنك أن تجد فروقا أيضا غير هذه فتعلم أن الكل غير الكلى .

(١) الطبيعة : + الكلية ص (٢) فليست : ليست م (٣) وإذ : فإذ جـ ، د ، هـ
(٦) بأجزائه : بأجزاء د ، ص ، ط (٨) طبيعة الكلى : طبيعته ط || الأجزاء : الجزئيات جـ
|| التى : + هى جـ || وكذلك : وأيضا ب ، جـ ؛ ولذلك ط (٩) ألبتة : ساقطة من ط
(١١) فتتقوم : فتقوم د (١٢) ولو : لو ب ، د ، ص ، ط ، م (١٣) كليا : ساقطة من م || على : فى ب ، د ، م | جزئى : جزء جـ ، ط ، م ؛ + شىء جـ (١٤ — ١٥) أجزاؤه معا والكلى : أجزاء معا والكلى د ، ط (١٥) والكلى ... معا : ساقطة من د || معا وقد : وقد ط
(١٦) الكلى : الكل جـ .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

فى الفصل بين الجنس والمادة

والذى يلزمنا الآن هو أن نعرف طبيعة الجنس والنوع . فأما أن الجنس على كم شىء يدل فقد كان يدل فى زمان اليونانيين على معانٍ كثيرة، وقد ذهب استعمالها فى زماننا . فالجنس فى صناعتنا لا يدل إلا على المعنى المنطقى المعلوم، وعلى الموضوع ، وربما استعملنا لفظ الجنس مكان النوع فقلنا : ليس كذا من جنس كذا أى من نوعه أو من جملة ما يشاركه فى حدّه . والنوع أيضاً ليس يدل عندنا الآن فى زماننا وعادتنا فى الكتب العلميـة إلا على النوع المنطقى ، وعلى صور الأشياء .

وغرضنا الآن فيما يستعمله المنطقيون من ذلك فنقول : إن المعنى الذى يدل عليه بلفظة الجنس ليس يكون جنساً إلا على نحوٍ من التصور ، إذا تغير عنه ولو بأدنى اعتبار لم يكن جنسا ، وكذلك كل واحد من الكليات المشهورة . ولنجعل بياننا فى الجنس وفى مثال يكثر إشكاله على المتوسطين فى النظر فنقول : إن الجسم قد يقال له إنه جنس الإنسان وقد يقال له إنه مادة الإنسان ، فإن كان مادة الإنسان كان لا محالة جزء من وجوده واستحال أن يحمل ذلك الجزء

(٥) كان يدل : كان ط || كثيره : ساقطة من ص ، م (٦) فالجنس : والجنس ص
(٧) مكان النوع : ساقطة من م || فقلنا : قلنا ط (٨) ليس : ساقطة من ط (١٢) بلفظة : بلفظ جـ ، د (١٣) المشهورة : المشهورات جـ ، ط (١٤) الجنس : الجسم ط || وفى : فى د
(١٥) له (الأولى) : ساقطة من د ، ط ، م || وقد يقال له : ويقال له ب ؛ وقد جـ ، ص ، ط .

على الكل . فلننظر كيف يكون الفرق بين الجسم وقد اعتبر مادةً ، و بينه وقد
اعتبر جنساً ، فهنالك يصير لنا سبيل إلى معرفة ما نريد بيانه . فاذا أخذنا
الجسم جوهراً ذا طول وعرض وعمق من جهة ما له هذا، و بشرط أنه ليس
داخلا فيه معنى غير هذا ، و بحيث لو انضم إليه معنى غير هذا ، مثل حس
٥ أو تغذ أو غير ذلك ، كان معنى خارجا عن الجسمية ، محمولاً فى الجسمية ،
مضافاً إليها . فالجسم مادة و إن أخذنا الجسم جوهرا ذا طول وعرض وعمق
بشرط ألا يتعرض بشرط آخر ألبتة ولا يوجب أن تكون جسميته لجوهرية
متصورة بهذه الأقطار فقط ، بل جوهرية كيف كانت ولو مع ألف معنى
مقوم لخاصية تلك الجوهرية وصوره ، ولكن معها أو فيها الأقطار . فللجملة
١٠ أقطار ثلاثة على ما هى للجسم ، و بالجملة أى مجتمعات تكون بعد أن تكون جملتها
جوهرا ذا أقطار ثلاثة، وتكون تلك المجتمعات — إن كانت هناك مجتمعات —
داخلة فى هوية ذلك الجوهر ، لا أن تكون تلك الجوهرية تمت بالأقطار
ثم لحقت تلك المعانى خارجة عن الشىء الذى قد تم ، كان هذا المأخوذ
هو الجسم الذى هو الجنس .

١٥ فالجسم بالمعنى الأول إذ هو جزء من الجوهر المركب من الجسم والصورة
التى بعد الجسمية التى بمعنى المادة فليس بمحمول ، لأن تلك الجملة ليست بمجرد
جوهر ذى طول وعرض وعمق فقط . وأما هذا الثانى فإنه محمول على كل مجتمع
من مادة، وصورة واحدة كانت أو ألفا، وفيها الأقطار الثلاثة ، فهو إذن محمول

---

(١) و بينه : و بين الجسم جـ (٢) فهنالك : فهناك جـ ، ص ، ط || أخذنا : أخذ ط ، م (٣) و بشرط : و يشترط جـ ، د ، ط ، م (٥) محمولا : ومحمولا ط || الجسمية : الجسم ط (٦) و إن : و إذا د ؛ فإن م (٧) لجوهرية : لجوهريته جـ ، ط (٩) لخاصية : لخاصيته جـ ؛ بخاصيته د ، ط ، م || فللجملة : فبالجملة ط (١٠) ماهى : ماهية ط (١١) إن : و إن ط (١٦) التى بعد : التى هى بعد د (١٧) هذا : على د || فإنه محمول : فمحمول ط (١٧ — ١٨) على . . . محمول : ساقطة من د .

على المجتمع من الجسمية التى كالمادة ومن النفس ، لأن جملة ذلك جوهر وإن اجتمع من معانٍ كثيرة . فإن تلك الجملة موجودة لا فى موضوع ، وتلك الجملة جسم لأنها جوهر ، وهو جوهر له طول وعرض وعمق .

وكذلك فإن الحيوان إذا أُخذ حيوانا بشرط أن لا يكون فى حيوانيته إلا جسمية وتغذٍ وحسٌّ ، وأن يكون ما بعد ذلك خارجا عنه ، فربما كان ٥
لا يبعد أن يكون مادة للإنسان أو موضوعا وصورته النفس الناطقة . وإن أُخذ بشرط أن يكون جسما بالمعنى الذى يكون به الجسم جنسا،وفى معانى ذلك الجسم على سبيل تجويز الحس لا غير ذلك من الصور ،ولو كان النطق أوفصل يقابل النطق غير متعرض لرفع شىء منها أو وضعه ، بل مجوزا وجود أى ذلك كان فى هويته ، ولكن هناك معها بالضرورة قوة تغذية وحس وحركة ضرورة ١٠
ولا ضرورة فى أن لا يكون غيرها أو يكون ، كان حيوانا بمعنى الجنس . وكذلك فافهم الحال فى الحساس والناطق ، فإن أخذ الحساس جسما أو شيئا له حس بشرط أن لا يكون زيادة أخرى لم يكن فصلا وإن كان جزءا من الإنسان . وكذلك فإن الحيوان غير محمول عليه وإن أخذ جسما أو شيئا مجوزا له وفيه ومعه، أى الصور والشرائط كانت بعد أن يكون فيها حس ، كان فصلا وكان الحيوان ١٥
محمولا عليه .

فإذن أى معنى أخذته مما يشكل الحال فى جنسيته أو ماديته من هذه فوجدته قد يجوز انضمام الفصول إليه أيها كان على أنها فيه ومنه ، كان جنسا . وإن

(٢) من : عن د (٣) جسم : جسمية ط (٤) فإن : ساقطة من د (٦) أو موضوعا : وموضوعا م (٨) لا غير : وغيره ، ص ، ط ، م || كان : + وجود ط (٩) لرفع : برفع ط (١٠) بالضرورة : الضرورة ط (١٢) له حس : لحس ط (١٤) ومعه : ومن معه ط (١٥) الصور : الصورة ط || وكان : لكان د .

أخذته من جهة بعض الفصول وتممت به المعنى وختمته حتى لو دخل شيء آخر لم يكن من تلك الجملة ، بل مضافا من خارج ، لم يكن جنسا ، بل مادة. وإن أوجبت لها تمام المعنى حتى دخل فيه ما يمكن أن يدخل ، صار نوعا . وإن كنت في الإشارة إلى ذلك المعنى لا تتعرض لذلك ، كان جنسا . فإذن ٥ باشتراط أن لا تكون زيادة تكون مادة ، وباشتراط أن تكون زيادة يكون نوعا . وبأن لا تتعرض لذلك ، بل يجوز أن يكون كل واحد من الزيادات على أنها داخلة في جملة معناه ، يكون جنسا. وهذا إنما يشكل فيما ذاته مركبة ، وأما فيما ذاته بسيطة فعسى أن العقل يفرض فيه هذه الاعتبارات في نفسه على النحو الذي ذكرنا قبل هذا الفصل .

١٠ وأما في الوجود فلا يكون منه شيء متميز هو جنس وشيء هو مادة، فنقول : إنما يوجد للإنسان الجسمية قبل الحيوانية في بعض وجوه التصور إذا أخذت الجسمية بمعنى المادة لا بمعنى الجنس ، وكذلك إنما يوجد له الجسم قبل الحيوانية إذا كان الجسم بمعنى لا يحمل عليه لا بمعنى يحمل عليه . وأما الجسمية التي تفرض مع جواز أن توضع متضمنة لكل معنى مقرونا بها وجوبُ أن يتضمن ١٥ الأقطار الثلاثة، فإنها لم توجد للشيء الذي هو نوع من الحيوان إلا وقد تضمن الحيوانية . فيكون معنى الحيوانية جزءاً ما من وجود ذلك الجسم بالفعل بعد إن كان مجوزا في نفسها تضمنها إياه، فيكون معنى الحيوانية جزءاً ما من وجود ذلك

---

(١) أخذته : أخذتها جـ ، د ، ص ، م (٢) الجملة : الجهة ص (٦) وبأن لا تتعرض : فبأن لا يعرض د || لذلك : بذلك د (٧) مركبة : مركب ب ، جـ ، د (٨) فيما : في د ؛ ما م || بسيطة : بسيط ب ، جـ ، د ، م (١٠) شيء : ساقطة من د || متميز : بتميز جـ ؛ مميز م || وشيء هو مادة : ساقطة من م (١١) أخذت : أخذ ط (١٣) لا بمعنى يحمل عليه : ساقطة من د ، م (١٤) بها : به د ، م ؛ به مع جـ ، ص ، ط (١٥) فإنها : فإن د ؛ فإنه جـ ، ص ، ط (١٧) فيكون معنى الحيوانية : ساقطة من ب ، د .

الجسم بعكس حال الجسم إذا حصل . كما أن الجسم الذى هو بمعنى المادة جزء
من وجود الحيوان ثم الجسم المطلق الذى ليس بمعنى المادة إنما وجوده واجتماعه
من وجود أنواعه ، وما توضع تحته فهى أسباب لوجوده ، وليس هو سببا
لوجودها . ولو كان للجسمية التى بمعنى الجنس وجود محصل قبل وجود النوعية ،
وإن كانت قبليته قبلية لا بالزمان بل بالذات ، لكان سببا لوجود النوعية ، مثل ٥
الجسم الذى بمعنى المادة ، وإن كانت قبليته لا بالزمان بل وجود تلك الجسمية
فى هذا النوع هو وجود ذلك النوع لا غير .

وفى العقل أيضاً فإن الحكم فيه كذلك . فإن العقل لا يمكنه أن يضع فى شىء
من الأشياء للجسمية التى لطبيعة الجنس وجوداً يحصل هو أولا وينضم إليه شئ
آخر حتى يحدث الحيوان النوعى فى العقل . فإنه لو فعل ذلك لكان ذلك المعنى ١٠
الذى للجنس فى العقل غير محمول على طبيعة النوع ، بل كان جزءا منه فى العقل
أيضاً . بل إنما يحدث للشىء الذى هو النوع طبيعة الجنسية فى الوجود وفى العقل
معاً إذا حدث النوع بتمامه . ولا يكون الفصل خارجا عن معنى ذلك الجنس
ومضافاً إليه ، بل متضمناً فيه وجزء منه من الجهة التى أومأنا إليها . وليس هذا
حكم الجنس وحده من حيث هو كلى ، بل حكم كل كلى من حيث هو كلى . ١٥

---

(١) المادة : + فإنه جـ ، د ، ص ، ط ، م (٣) فهى : فهو د || أسباب : إثبات
ط (٤) التى : الذى ط (٥) وإن : إن ب || وإن .... بالذات ساقطة من جـ ، م ||
قبليته قبلية : قبله ب ؛ قبلته ص ؛ قبليته جـ ، ط (٦) المادة : + ولكان
قبلها ص ، ط ؛ + الجنسية م || وإن .... بالزمان : ساقطة من د || قبليته : قبلية
ص || الجسمية : الجنسية د ، ص (٩) يحصل : يحصله ط || هو أولا : أولا هو م ||
وينضم : ينضم د (١٠) النوعى : النوع ب ، . (١٢) بل إنما : إنما د (١٣) حدث :
أخذت جـ (١٤) متضمنا : مضمنا ب ؛ منضما ص || التى : الذى ط || وليس : وليست جـ
(١٥) وحده : وبعده ط || من حيث هو كلى : ساقطة من د ، ص ، م || هو كلى : هو كل م .

فبيّن من هذا أن الجسم إذا أخذ على الجهة التي يكون جنسا يكون كالمجهول بعد ، لايدرى أنه على أي صورة، وكم صورة يشتمل ، وتطلب النفس تحصيل ذلك ، لأنه لم يتقرر بعد بالفعل شيء هو جسم محصل . وكذلك إذا أخذنا اللون وأخطرناه ببال النفس، فإن النفس لا تقنع بتحصيل شيء متقرر لا بالفعل، بل تطلب في معنى اللون زيادة حتى يتقرر بالفعل لون . ٥

وأما طبيعة النوع فليس يطلب فيها تحصيل معناها ، بل تحصيل الإشارة . وأما طبيعة الجنس فإنها وإن كانت النفس إذا طلبت فيها تحصيل الإشارة كانت قد فعلت الواجب وما يجب أن يقنع معه . فإن النفس قد تطلب أيضا مع ذلك تحصيل معناه قبل هذا الطلب ، حتى إنما يبقى له أن يستعد لهذا الطلب أكثر ويكون إلى النفس أن يفرضه أي مشار إليه شاء . فلايمكن النفس أن تجعله بحيث يجوز أن يكون أي مشار إليه شاء إلا بعد أن تضيف إليه معاني أخرى بعد اللونية قبل الإشارة. فإنه ليس يمكنه أن يجعل اللون وهو لون بعد بلا زيادة شيء مشار إليه أنه لون في هذه المادة ، ذلك الشيء ليس إلا لونا فقط . وقد يخصص بأمور عرضية عرضت من خارج يجوز أن يتوهم هو بعينه باقيا مع زوال واحد واحد منها ، كما يكون في مخصصات طبيعة النوعية . وكذلك في المقدار أو الكيفية أو غيرها ، وكذلك في الجسم الذي نحن بسبيله ليس يمكن أن يجعله ١٠ ١٥

---

(١) فبين : فيلين جـ ، د (٢) يشتمل : يشمل ط ؛ يشمل د || تحصيل : تحصل ط (٣) وكذلك : ولذلك م (٤) اللون : الكون م || فإن النفس : ساقطة من ب || لا بالفعل ؛ ولا بالفعل ط (٦ — ٧) النوع . . . طبيعة : ساقطة من ب (٨) وما يجب ؛ ووجب د (١٠) ويكون : فيكون جـ ؛ أو يكون ط (١١) تضيف ؛ يضاف ص || أخرى : أخرجه ، د ، ص ، ط ، م (١٠ — ١٢) فلا . . . الإشارة : ساقطة من م (١٣) ذلك : وذلك ص (١٤) عرضت : ساقطة من د ، ص ، ط ، م زوال : زواله ط (١٥) طبيعة ؛ الطبيعة ط ؛ طبيعته م (١٦) ليس : + أن د .

الذهن مشاراً إليه مقتصرا على أنه جوهر يتضمن أى شىء اتفق بعد أن تكون
الجملة طويلة عريضة عميقة على جملته لم يتحدد الأشياء التى يتضمنها أو لا يتضمنها
فيصير نوعاً .

فإن قال قائل : فيمكننا أن نجمع مثل هذا الجمع أى الأشياء شيئاً ، فنقول :
إن كلامنا فى نحو من الاجتماع مخصوص ، يكون اجتماع الأشياء فيه على نحو ٥
الاجتماع فى طبيعة الجنس من حيث هو جنس ، وذلك النحو هو أن تكون
المجتمعات فصولاً تنضم إليه ، إلا أنه ليس كلامنا ههنا فى الدلالة على طبيعة
الجنس أنه كيف تحوى الفصول وغير الفصول ، وأى الأشياء يجتمع فيه على
نحو الفصول ، بل كلامنا فيها على النحو المؤدى إلى الفرق بين الجنس والمادة .
وليس إذا أردنا أن نفرق بين شيئين يلزمنا أن نتعدى التفريق إلى بيانات ١٠
أحوال أخرى ، وإنما غرضنا أن نعرف أن طبيعة الجنس الذى هو الجسم هو
أنه جوهر يجوز فيه اجتماع أشياء من شأنها أن تجتمع فيه . فتكون الجملة طويلة
عريضة عميقة ، وتكون وإن كانت لا تكون إلا أشياء معلومة الشروط مجهولة
بعد . وإلى هذا الحد ما نتكلم فى هذا الفصل .

---

(١) مقتصرا : مقصرا ط ، م (٤) مثل : ساقطة من م (٥) مخصوص : + فيما جـ ،
د ، ص ، ط || اجتماع الأشياء فيه : ساقطة من م (١٣) إلا أشياء : الأشياء د (١٤) هذا :
ساقطة من ب .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

فى كيفية دخول المعانى الخارجة عن الجنس على طبيعة الجنس

فلنتكلم الآن فى الأشياء التى يجوز اجتماعها فى الجنس ، ويكون التوقف فى إثبات طبيعته وماهيته محصلة بالفعل إنما يقع لأجلها . فنقول : إن هذا المطلب ينقسم إلى قسمين : أحدهما ، أنه أى الأشياء هى الأشياء التى يجب أن يحصرها الجنس فى نفسه وتجتمع ، فتكون تلك الأشياء جاعلة إياه نوعا . والثانى ، أنه أى الأشياء يكون واقعا فى حصره مما ليس كذلك .

وذلك أن الجسم إذا انحصر فيه البياض على النحو المذكور لم يجعله نوعاً ، والحيوان إذا قسم إلى ذكر وأنثى لم يتنوع بذلك ، وهو مع ذلك يتنوع بأشياء أخرى . ثم الحيوان يجوز أن يقع على شخص فيه أعراض كثيرة تكون تلك الجملة حيوانا مشارا إليه .

فنقول أولا : ليس يلزمنا أن نتكلف إثبات خاصية فصل كل جنس عند كل نوع ولا أيضا فصول أنواع جنس واحد ، فإن ذلك ليس فى مقدورنا ، بل الذى فى مقدورنا هو معرفة القانون فى ذلك ، وأنه كيف ينبغى أن يكون الأمر فى نفسه . وأما إذا نظرنا فى معنى من المعانى المعقولة الواقعة فى تخصيص الجنس أنه هل هذا المعنى للجنس على شرط ذلك القانون أو ليس ، فربما جهلناه فى كثير من الأشياء ، وربما علمناه فى بعضها ، فنقول : إن المعنى العام إذا

(٣) على : فى ط (٥) طبيعته وماهيته : طبيعة وماهية جـ (٨) والثانى : الثانى جـ ، ط
(٩) فيه : فى ط || النحو : النوع د ، م (١٣) كل جنس : جنس ب (١٦) فى معنى : إلى معنى جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٨) المعنى : معنى د .

انضافت إليه طبيعة فيجب أول شيء أن يكون انضيافها إليه على سبيل القسمة
حتى ترده إلى النوعية ، وأن تكون القسمة مستحيلة أن تنقلب وذلك المشار
إليه باق الجوهر ، حتى يصير مثلا المتحرك منهما غير متحرك وهو واحد بالشخص ،
وغير المتحرك متحركا وهو واحد بالشخص ، وغير المتحرك والمتحرك قسما
التقسيم الذاتى ؛ بل يجب أن تكون القسمة لازمة فيكون المعنى الخاص لا يفارق ٥
قسطه الخاص من الجنس و بعد ذلك فيجب أن يكون الموجب من القسمين
أو كلاهما ليسا عارضين له بسبب شيء قبلهما وتتضمن طبيعة الجنس أن يكون
له ذلك المعنى أولاً . فإنه إن كان ثانياً جاز أن لا يكون ذلك المعنى فصلا البتة ،
بل كان أمرا لازما للأمر الذى هو الفصل مثل أن يكون قاسم قد غير حكمه
فلم يقسم الجوهر إلى جسم وإلى غير جسم ، بل يقسم إلى قابل الحركة وإلى ١٠
غير قابل للحركة . فإن القابل للحركة لا يلحق الجوهر أول اللحوق ، بل بعد أن يصير
مكانيا جسمانيا . فقابل الحركة يلزم الجسم ، و يلزم الجسم أشياء كثيرة كل واحد
منها يذكر الجسم ، لكنها ليست فصولاً بل أموراً لزمت الفصول . لأن الجوهر
يتوسط الجسمية ما تعرض له تلك المعانى ، وانقسامه إلى أن يكون ذا جسمية
أو غير ذى جسمية فهو لما هو جوهر لا لتوسط شيء آخر . ١٥

وقد يجوز أن يكون بعض مالا يعرض أولا فصلا ، ولكن لا يكون فصلا
قريبا لذلك الجنس ، بل فصلا بعد فصل ، مثل أن يقال : إن الجسم منه ناطق

---

(١) طبيعة : طبيعته م (٢) مستحيلة : مستحيلا ط ، م (٣) متحرك : المتحرك جـ (٤) متحركا : متحرك جـ
(٥) فيكون : فذلك جـ (٧) بسبب : لسبب ط || قبلهما : له قبلها د || وتتضمن : وأن
يتضمن د (٨) له ذلك : ساقطة من د (٩) مثل : مثيل ص ، ط ، م || غير :
واع يغ || حكمه : ساقطة من ب ، جـ ، ص (١٠) يقسم : قسم جـ ، د ، ط ، م || الحركة :
الحزم ط (١١) للحركة : الحركة جـ ، د ، ص (١٢) جسمانيا : جسماب ، د ، م (١٣) لزمت :
ألزمت ط (١٤) ما تعرض : عما تعرض د ، ط ، م . (١٥) لما هو : إلى د

ومنه غير ناطق ، لأن الجسم بما هو جسم فقط ليس مستعدا لأن يكون ناطقا
وغير ناطق ؛ بل يحتاج إلى أن يكون أولا ذا نفس حتى يكون ناطقا . وإذا
وجد الجنس فصلا فيجب أن تكون تلك الفصول التي بعده فصولا تعرف
تخصيص ذلك الفصل ، فإن ذا النطق وعديم النطق تعرف حال فصل كونه
٥ ذا نفس ، فإنه ذو نطق وعديم النطق من جهة ما هو ذو نفس ، لا من جهة
أنه أبيض أو أسود أو شيء آخر البتة بالفعل . وكذلك كون الجسم ذا نفس
أو غير ذي نفس ليس له هذا بسبب شيء ألبتة من الأجناس المتوسطة ، فإذا
عرض لطبيعة الجنس أيضا عوارض ينفصل بها لم يخل إما أن يكون الاستعداد
للانفصال بها إنما هو لطبيعة الجنس ، أو لطبيعة أعم منها ، كما كان قبل
١٠ لطبيعة أخص منها . فإن كان لطبيعة أعم منها ، مثل أن الحيوان منه أبيض وأسود ،
والإنسان منه ذكر وأنثى ، فليس ذلك من فصوله بل الحيوان إنما صار أبيض
وأسود لأجل أنه جسم طبيعي ، وقد صار ذلك الجسم الطبيعي قائما بالفعل
ثم وضع بهذه العوارض ، وهو يقبلها ، وإن لم يكن حيوانا ، والإنسان إنما
صار مستعدا للذكر والأنثى لأجل أنه حيوان ، فهذا لا يكون فصلا لجنس .

١٥ وأيضا قد تكون أشياء خاصة بالجنس تقسمه كالذكر والأنثى بالحيوان ، ولا تكون
فصولا بوجه من الوجوه ، وذلك لأنها إنما كانت تكون فصولا لو كانت
عارضة للحيوان من جهة صورته حتى انقسمت بها صورته انقساما أوليا ، ولم تكن

---

(١) مستعدا : مستحقا جـ ، ص (٢) وغير : أو غير ص || يحتاج : محتاج جـ (٣) الجنس : للجنس جـ || تلك : ساقطة من د || تعرف : + فصول ط (٤) تخصيص : تخصص د ، طا || ذلك : تلك جـ ، م || الفصل : الفصول جـ ، د ، طا ، م (٤ — ٥) تعرف ... وعديم نطق : ساقطة من م || وعديم النطق : وعديم نطق ط ، م (٦) بالفعل : بالفصل ط (٨) بها : فيها جـ ، ط ، م (١٠) وأسود : أو أسود ط ، والأسود م (١٢) وأسود : أو أسود ط (١٥) قد : فقد د || بالجنس : بالجسم م ؛ + تقسمه جـ ، د ، ص ، ط (١٦) فصولا : فصلا د ، ط .

لازمة لشيء يقومه فصل أولا ، فأما إذا لم تكن كذلك بل إنما عرضت للحيوان لأن مادته التي يكون منها عرض لها عارض فصارت بحال من الأحوال لاتمنع حصول صورة الجنس وماهيته ولا طرفا القسمة في المادة ، ولا أيضا تمنع أن يقع للجنس افتراق آخر من حيث صورته بالفصول ، فليس طرفا القسمة من الفصول ، بل من العوارض اللازمة فيه أعني مثل الذكورة والأنوثة . فإن ٥ المني الذي كان صالحا لصورة الحيوان وكان متعينا لفصل خاص من الحيوان الكلي عرض له انفعال حار فصار ذكرا ، وكان يجوز أن يعرض له بعينه انفعال مبرد في المزاج فيكون أنثى ، وذلك الانفعال وحده لايمنعه من حيث نفسه أن يقبل أي فصل يعرض للحيوان من جهة صورته ، أي من جهة كونه ذا نفس دراكا متحركا بالإرادة ، فكان يجوز أن يقبل النطق وغير النطق ١٠ فلم يكن ذلك مؤثرا في تنويعه . وحتى لو توهمناه لا أنثى ولا ذكرا ولم نلتفت إلى ذلك ألبتة لقام نوعا بما ينوعه ، فلا ذلك يمنع عن التنوع دون الالتفات إليه ولا يفيد التنوع بالالتفات اليه . وليس كذلك إذا توهمناه لا ناطقا ولا أعجم أو توهمنا اللون لا أبيض ولا أسود بوجه .

وليس يكفي إذا أردنا أن نفرق بين الفصول والخواص القاسمة أن نقول : ١٥ إن الذي عرض من جهة المادة فليس بفصل . فإن كونه غاذيا أو غير غاذ إنما يعرض من جهة المادة لكن يجب أن تراعى الشرائط الأخرى التي وصفناها .

---

(١) لازمة : لازم ب (٣) وماهيته : + في المادة ط || ولا طرفا القسمة : ساقطة من ص || القسمة : لقسمته ط || ولا طرفا القسمة في المادة : ساقطة من م (٤) افتراق : اقتران جـ ، د (٥) العوارض : الأعراض جـ || الذكورة : الذكور ط (٦) الحيوان : + أولا ط ، م || لفصل : بفصل جـ ؛ لفصول م (٧) وكان : أو كان ط (٨) مبرد : بارد ص (١١) ذلك : ذاك م || توهمناه : توهمنا ط (١٠) عن : من د ، ص ، ط ، م || التنوع : النوع ط ، م (١٣) بالالتفات : الالتفات ط (١٦) فليس : ساقطة من ط || أو غير غاذ : وغير غاذ ب ، م (١٧) الأخرى : الأخر جـ .

ولهذا لا نجد شيئا من جملة ما هو مغتذ من أنواع الجسم يدخل فى جملة ما هو
غير مغتذ ، ونجد الإنسان وهو نوع لا محالة من الحيوان يدخل فى جملة الذكر
والأنثى جميعا ، وكذلك الفرس وغيره ، والذكر والأنثى قد تدخل أيضا
فى الإنسان وفى الفرس. على أن هذا المعنى وهو ملازم ما به تقع القسمة للقسوم
٥ — وإن كان من شرائط الفصل — فقد يكون فى غير الفصل . فربما لزم
ما ليس بفصل نوعا واحدا لا يتعداه ؛ وذلك إذا كان من لوازم الفصل .

ونرجع فنقول : وأنت تعلم أن المادة إذا كانت تتحرك إلى قبول حقيقة
صورة ليحدث نوع، فقد يعرض لها عوارض من الأمزجة وغيرها تختلف بها
حالها فى أفعال تصدر عنها لا من حيث تقبل صورة الجنس أو صورة الفصل ،
١٠ إذ ليس كل ما تقبله من الأحوال وما يعرض لها إنما يكون من جملة ما هو
داخل فى الغاية التى إليها تتحرك فى التكون . فقد علمت مصادمات الأمور
الطبيعية ، ومعارضة بعضها لبعض ، والانفعالات التى تقع بينها، فربما كانت
الانفعالات المعترضة صارفة عن الغاية المقصودة ، وربما كانت موقعة
لاختلافات لا فى نفس الغاية المقصودة ، بل فى أمور تناسب الغاية مناسبة ما ،
١٥ وربما كانت فى أمور خارجة عنها جدا . فما يعرض للمادة من هذه الجهة
وتبقى معه المادة مستمرة إلى الصورة فذلك خارج عن معنى الغاية ، والذكورة
والأنوثة إنما تؤثر فى كيفية حال الآلات التى بها يكون التناسل ، والتناسل

---

(١) الجسم : + نوع جـ (٢) غير : ساقطة من جـ ، ص ، ط (٣) والذكر والأنثى : ساقطة من د || قد : وقد د (٤) ملازم : ملازمة ص ، م || ما به : فإنه م || للقسوم : للقوم جـ ، م (٧) فنقول : ونقول م || وأنت : فأنت د ، م (١١) التكون : التكوين د ؛ السكون ط || فقد : وقد جـ (١٢) والانفعالات : وانفعالات د || بينها : بينهما جـ ، ص ، ط ؛ + فى الطبيعى هامش ص (١٣) صارفة : صادقة ب ، جـ ، ط (١٣ — ١٤) وربما ... المقصودة : ساقطة من م (١٤) مناسبة ما : مناسب جـ ، ط (١٦) والذكورة : والذكورية جـ ، د ، ص ، ط ، م (١٧) والأنوثة : والأنوثية د ؛ والأنثوية ص ، ط ، م || كيفية : كيفيته م .

لا محالة أمر عارض بعد الحياة وبعد تنوع الحياة شيئا محصلا بعينه . فيكون ذلك وأمثالها من جملة الأحوال اللاحقة بعد تنوع النوع نوعا ، وإن كانت مناسبة للغاية . فما كان من الانفعالات واللوازم بهذه الصفة فليعلم أنها ليست من الفصول للأجناس .

٥ قد عرّفنا طبيعة الكلى وأنه كيف يوجد وأن الجنس منها كيف يفارق المادة تعريفاً من وجه يمكن أن يتفرع منه وجوه سنوردها بعد ، وعرفنا أى الأشياء يتضمنها الجنس مما يتنوع بها . وبق بحثان متصلان بما نحن بسبيله . أحدهما ، أى الأشياء يتضمنها الجنس مما ليس بمنوع إياه . والثانى ، أن هذا التأحيد كيف يكون وكيف يكون عن الجنس وعن الفصل ، وهما شيئان ، شئ واحد متحصل بالفعل . ١٠

فأما البحث الأول فنقول فيه : إن تلك الأشياء إذ لا تكون فصولا فهى لا محالة عوارض . والعوارض إما لازمة وإما غير لازمة . واللازمة إما لازمة لأجناس الجنس — إن كانت له أجناس — وإما لفصول أجناسه وإما للجنس نفسه من فصله ، وإما لفصول تحته ، وإما للمادة شيء منها . وأما ما كان منها من فوق فإن اللازمات للأجناس الفوقانية والفصول التى لها ١٥ الفصل المقوم الذى للجنس نفسه واللازمات لمواد هذه ولأعراضها — إذ قد يلزم الأعراض أعراض — بجميع ذلك يكون لازما للجنس ولما تحته .

---

(١) عارض : عارضة جـ (٢) جملة : جبلة جـ ، ط . (٣) فليعلم : فيعلم جـ (٤) للأجناس م (٥) قد : وقد ص (٧) وبق : وقد بق جـ ، د ، ص ، ط ، م ‖ بسبيله : فى سبيله ب ، جـ ، د ، ص ، م (١٠) متحصل : محصل جـ ؛ يحصل د (١١) فصولا : أصولا ط (١٢) واللازمة : واللازم جـ (١٣) لأجناس : الأجناس جـ ‖ لفصول : الفصول م (١٥) منها : منهما ط .

وأما التي تلزم الفصول التي تحت الجنس فلا يلزم الجنس شيء منها ، إذ يلزم من ذلك أن يلزمه النقيضان ، بل قد يجوز أن يقع فيه كلاهما .

وأما البحث الثاني فلنفرض مشارا إليه وهو مجموع محصل من فصول الأجسام وأعراض كثيرة . فإذا قلنا له جسم ، فلسنا نعني بذلك مجرد مجموع الصورة الجسمية

٥ مع المادة التي هذه الأشياء كلها عارضة لها خارجة ، بل نعني شيئا لا في موضوع له طول وعرض وعمق سواء كان هذا الحمل عليه أوليا أو غير أولى . فتكون هذه الجملة من حيث هي جملة معينة يقع عليها حمل الجسم بهذا المعنى ، ولا يحمل عليها الجسم بالمعنى الآخر الذي هو مادته . فإذا قيل له جسم ، لم يكن ذلك الجسم إلا هو نفسه ، لا الجزء منه ولا شيء خارج عنه .

١٠ ولكن لقائل أن يقول : قد جعلتم طبيعة الجنس ليست غير طبيعة الشخص ، وقد أجمع الحكماء على أن للشخص أعراضاً وخواص خارجة عن طبيعة الجنس . فنقول : معنى قولهم أن للشخص أعراضا وخواص خارجة عن طبيعة الجنس هو : أن طبيعة الجنس المقولة على الشخص لا تحتاج في أن تكون لها طبيعة الجنس من حيث تتم إلى تلك الأعراض بالفعل ، لا أن طبيعة الجنس لا تقال

١٥ على الجملة . فإنه لو كان لا يقال على الجملة لم يكن محمولا على الشخص ، بل كان يكون جزءا من الشخص . لكنه لو لم تكن هذه الأعراض والخواص لكان يكون أيضا هذه الطبيعة التي قلناها موجودة بهــذا المعنى المذكور ،

---

(١) التي : الذي جـ || الفصول : الفصل د (٢) من : ساقطة من ص || أن يلزمه : يلزمه ص || النقيضان : النقصان ط ، م (٣) وأما البحث الثاني : ساقطة من م || الأجسام : الأجناس م (٤) مجموع : ساقطة من ب (٦) هذا : ذلك د (٧) معينة : + قد جـ ، د ، ص (٨) مادته : بمادته م (١١) أجمع الحكماء على : صح د ، م (١٢) قولهم : قولنا د || مقولة . . . الجنس : ساقطة من م (١٦) من الشخص : منه د .

وهو أنها طبيعة جوهر كيف كانت جوهريته يتقوم بكذا وكذا مما يجب له في أنه جسم .

فهذه الأعراض والخواص خارجة عن أن يحتاج إليها الجسم من الأجناس مثلا في أن يكون جسما على ما قيل ، إلا أن يكون مخصّصاً . وليس في ذلك إذا كانت هذه ، فليس يقال عليها الجسم ، ففرق بين أن يقال : إن طبيعة لا يحتاج في معناها إلى شيء ، و بين أن يقال : لا يحمل عليه . فقد يحمل على ما لا يحتاج إلى معناه . وأما إذا حمل فقد تخصص به بالفعل ، بعد أن كان يجوز أن يتخصص بغيره . وكذلك حاله مع الفصول . ولولا هذا الوجه من الاعتبار في حمل الجنس لكان طبيعة الجنس جزءا لا محمولا .

---

(١) أنها : أنه ب ، جـ ، ض ، م || جوهريته : جوهرية ط || يتقوم : + تقوما جـ
(٣) عن أن : حتى ط (٤) وليس : فليس ط (٦) عليه فقد يحمل : ساقطة من د ||
فقد : وقد جـ (٧) بالفعل : الفعل م .

[الفصل الخامس]

(ه) فصل

فى النوع

وأما النوع فإنه الطبيعة المتحصلة فى الوجود وفى العقل جميعا ، وذلك لأن
٥ الجنس إذا تحصل ماهيته بأمور تحصله يكون العقل إنما ينبغى له بعد ذلك
أن يحصلها بالإشارة فقط ، ولا يطلب شيئا فى تحصيلها إلا الإشارة فقط بعد
إن تحصلت الطبيعة نوع الأنواع . و يكون حينئذ تعرض له لوازم من
الخواص والأعراض تتعين بها الطبيعة المشار إليها ، وتكون تلك الخواص
والأعراض إما إضافات فقط من غير أن تكون معنى فى الذات ألبتة ، وهى
١٠ ما يعرض لشخصيات الأمور البسيطة والأعراض ، لأن تشخصها بكونها
محمولة على موصوفاتها ، وتشخصها بالموضوع يكون بالعرض كالصور الطبيعية
مثل صورة النار ؛ و إما أن تكون أحوالا زائدة على المضافات ، لكن بعضها
بحيث لو توهم مرفوعا عن هذا المشار إليه لوجب أن لا يكون هذا المشار إليه
الذى هو مغاير لآخرين موجودا ، بل يكون قد فسد نحو مغايرته اللازمة ؛

---

(٥) ماهيته : ماهية جـ ، ص ، ط || تحصله : تحصله جـ ، د ، ص ، ط || له : ساقطة من ص ، م (٧) نوع : + من جـ || له : لها جـ ، ص ، م (٨) المشار : مشارا ب ، د ، ص ، ط ، م || وتكون : تكون جـ ، ص ، م (١٠) والأعراض : وللأعراض جـ ، د ، م || بكونها : لكونها د (١١) على موصوفاتها : أى فى موضوعاتها جـ ، د ، ص ، ط ، م || بالموضوع : بالوضع ب ، جـ (١٢) أن تكون : + أيضا جـ ، ط || أحوالا : + أيضا د ، ص ، م (١٤) يكون قد : قد يكون جـ || مغايرته : المغايرة جـ ، هامش ص .

وبعضها بحيث لو توهم مرفوعاً لم يجب به لا بطلان ماهيته بعد وجودها ولا فساد ذاته بعد تخصصها ، ولكن بطلت مغايرته ومخالفته لآخرين إلى مغايرة أخرى من غير فساد .

لكنا ربما أشكل علينا ذلك فلم يتحصل ، وليس كلامنا فيما نعلمه نحن ، بل فيما الأمر فى نفسه عليه .

(٤) لكنا : لكنها جـ ؛ لكن ط ؛ ولكنا م || ذلك : ساقطة من ط || نحن : + فى ذلك ب

[الفصل السادس]

(و) فصل

فى تعريف الفصل وتحقيقه

والفصل أيضا يجب أن نتكلم فيه ونعرف حاله . فنقول : إن الفصل
٥ بالحقيقة ليس هو مثل النطق والحسّ . فإن ذلك غير محمول على شىء إلا على
ما ليس فصلا له ، بل نوعا مثل اللمس للحس على ما علمت فى موضع آخر ،
أو شخصا مثل حمل النطق على نطق زيد وعمرو . فإن أشخاص الناس لا يحمل
عليها النطق ولا الحس فلا يقال لشىء منها أنه نطق أو حس ، لكن يشتق له
من أسمائها اسم . فإن كانت هذه فصولا فهى فصول من جهة أخرى ،
١٠ وليست من الجهة التى هى أقسام المقول على كثيرين بالتواطؤ . فالأولى أن
تكون هذه مبادىء الفصول لا الفصول ، فإنها إنما تحمل بالتواطؤ على غير
أشخاص النوع التى يقال إنها فصولها . وذلك لأن النطق يحمل على نطق زيد
ونطق عمرو بالتواطؤ ، والحس يحمل على البصر والسمع بالتواطؤ .

فالفصل الذى هو كالنطق والحس ليس هو بحيث يقال على شىء من الجنس ،
١٥ فليس الحس ولا النطق حيوانا ألبتة . وأما الفصل الذى هو الناطق والحساس
فالجنس بالقوة هو ، وإذا صار هو بالفعل صار نوعا . وأما كيف ذلك فقد

---

(٣) تعريف : ساقطة من م (٤) يجب : نجب ب ، جـ ، د ، ط ، م (٥) والحس : والجنس ب ، جـ ، د ، ط (٦) على : وعلى د ، م || موضع آخر : مواضع أخر د
(٨) لشىء : شىء جـ ؛ الشىء ص ؛ بشىء د ، م || لكن : ولكن ب ، د ، ص ، ط ، م (٩) أسمائها : أسماء د (١٠) الجهة : جهة ط || فالأولى : الأولى جـ
(١٠ — ١١) فالأولى . . . . بالتواطؤ : ساقطة من م (١٢) يحمل : + إنما ص
(١٥) الناطق : كالناطق جـ ، د ، ص .

تكلمنا فيه و بينا أنه كيف يكون الجنس هو الفصل وهو النوع فى الوجود بالفعل وكيف تفترق هذه بعضها من بعض ، وأن النوع بالحقيقة شىء هو الجنس إذا صار موصوفاً بالفعل ، وأن ذلك التميز والتفريق هو عند العقل ، فإذا احتيل وفصل وتميز فى الوجود فى المركبات صار الجنس مادةً والفصل صورة ، ولم يكن الجنس ولا الفصل مقولا على النوع .

ثم من الشكوك التى تعرض على هذا الكلام ، بل على وجود طبيعة الفصل ما أقوله : إنه من البين أن كل نوع منفصل عن شركائه فى الجنس بفصل . ثم ذلك الفصل معنى أيضا من المعانى ، فإما أن يكون أعم المحمولات ، و إما أن يكون معنًى واقعاً تحت أعم المحمولات . ومحال أن يقال : إن كل فصل هو أعم المحمولات . فإن الناطق وأشياء كثيرة مما يجرى مجراه ليس مقولة ولا فى حكم مقولة ، فيبقى أن يكون واقعا تحت أعم المحمولات وكل ما هو واقع تحت معنى أعم منه فهو منفصل عما يشاركه فيه بفصل يختص به ، فيكون إذن لكل فصل فصل ، و يذهب هذا إلى غير النهاية .

والذى يجب أن يعلم حتى ينحل به هذا الشك أن من الحمل ما يكون المحمول فيه مقوما لماهية الموضوع ، ومنه ما يكون أمرا لازما له غير مقوم لماهيته كالوجود . وأنه ليس يجب أن يكون كل معنى يكون أخص و يقع تحت معنى أعم ، إنما ينفصل عن شركائه فيه بفصل فى العقل ، هو معنى يغاير ذاته وماهيته

(٢) تفترق : تفرق د (٣) بالفعل : بالفعل جـ ، ص ، ط || هو : + له ط (٤) فإذا : و إذا جـ، د || احتيل : أحس م || فى المركبات : وفى المركبات د (٩ — ١٠) ومحال . . . المحمولات : ساقطة من ص ، ط (١٠) ليس : ليست ط (١١) فيبقى : فبقى ص || تحت : تحته ط (١٢) منفصل : ساقطة من د ، || فيه : ساقطة من ب (١٥) مقوما لماهية : مقوم الماهية م || لماهية : لماهيته ط || لماهيته : لماهية ط (١٦) وأنه : فإنه د ، ص (١٧) يغاير : مغاير جـ .

وإنما يجب ذلك إذا كان ما يحمل عليه مقوما لماهيته فيكون كالجزء فى العقل والذهن لماهيته ، فما يشاركه عند العقل والذهن والتحديد فى ذلك المعنى شاركه فى شىء هو جزء ماهيته ، فإذا خالفه يجب أن يخالفه فى شىء لا يتشاركان فيه ، ويكون ذلك جزءا آخر عند العقل والذهن والتحديد من ماهيته . فتكون مخالفته ٥ الأولية له بشىء من جملة ماهيته ، ليس بجميع ما يدخل فى ماهيته ، أعنى عند الذهن والتحديد .

والجزء غير الكل فتكون مخالفته له بشىء غيره وهو الفصل . وأما إذا كانت المشاركة فى أمر لازم وكان لا يشاركه فى أجزاء حد الماهية أصلا وكانت الماهية بنفسها منفصلة لا بجزء منها ، مثل انفصال اللون عن العدد ، فإنهما وإن اشتركا ١٠ فى الوجود ، فالوجود — كما اتضح فى سائر ما تعلمت من الفلسفة — لازم غير داخل فى الماهية . فلا يحتاج اللون فى انفصاله من العدد عند التحديد والذهن إلى شىء آخر غير ماهيته وطبيعته . ولو شاركه العدد فى معنى داخل فى ماهيته لكان يحتاج إلى أن ينفصل عنه بمعنى آخر غير جملة ماهيته . لكن جملة ماهية اللون غير مشاركة ألبتة لماهية العدد ، وإنما تشاركها بشىء خارج عن الماهية. ١٥ فلا يحتاج إذن اللون إلى فصل يخالف به العدد .

ونقول أيضا إن الجنس يحمل على النوع على أنه جزء من ماهيته ، ويحمل على الفصل على أنه لازم له لا على أنه جزء من ماهيته ، مثاله الحيوان يحمل على

---

(٢) شاركه : يشاركه د ، ط (٣) فإذا : وإذا ج || يجب : فيجب د ، ط || يخالفه : يخالف د (٥) ما يدخل : ما يدل ط (٨) وكانت : كانت ب ، ج ، د ، ص (١٢) إلى شىء : لا شىء ط (١٣) إلى : ساقطة من ب ، د ، ص ، م || غير : ساقطة من د ، ط ؛ عن م || ماهيته : ماهية اللون ط (١٣ — ١٤) لكن .... اللون : ساقطة من م (١٤) بشىء : لشىء ج .

الإنسان على أنه جزء من ماهيته ، ويحمل على الناطق على أنه لازم له لا على أنه
جزء من ماهيته . فإنما يعنى بالناطق شيء له نطق وشيء له نفس ناطقة من غير
أن يتضمن نفس قولنا الناطق بيانا لذلك الشيء أنه جوهر أو غير جوهر . إلا
أنه يلزم أن لا يكون هذا الشيء إلا جوهراً وإلا جسمًا وإلا حساساً ، فتكون
هذه الأمور مقولة عليه قول اللازم على الملزوم لأنها غير داخلة فى مفهوم الناطق ٥
أى الشيء ذى النطق .

فنقول الآن : أما الفصل فإنه لا يشارك الجنس الذى يحمل عليه فى الماهية
فيكون إذن انفصاله عنه بذاته . ويشارك النوع على أنه جزء منه فيكون انفصاله
عنه لطبيعة الجنس التى هى فى ماهية النوع وليست فى ماهية الفصل. وأما حاله
مع سائر الأشياء ، فإن الفصل إن شاركها فى الماهية وجب أن ينفصل عنها ١٠
بفصل ، وإن لم يشاركها فى الماهية لم يجب أن ينفصل عنها بفصل . وليس
يجب أن يكون كل فصل يشارك شيئا فى ماهية ، فليس يجب لا محالة إذا وقع
الفصل تحت ما هو أعم منه أن يكون وقوعه تحته هو وقوعه تحت الجنس ، بل
قد يمكن أن يقع تحت ما هو أعم منه ويكون الأعم داخلا فى ماهيته . ويمكن
أن لا يقع تحت ما هو أعم منه إلا وقوع المعنى تحت اللازم له دون الداخل ١٥
فى ماهيته ، مثل الناطق مثلا ، فإنه يقع تحت المدرك على أن المدرك جنس
له ، والمدرك يقع تحت الجوهر على أنه – أعنى الجوهر – لازم له لا جنس
على الوجه الذى أومأنا إليه ، ويقع أيضا تحت المضاف – لا على أن الإضافة
جوهره أو داخلة فى ماهيته – بل على أنها لازمة له .

(١ – ٢) لا على . . . ماهيته : ساقطة من م (٢) فإنما : فإنا جـ ؛ فإنه إنما د ، ص ، ط (٩) عنه : منه ص || لطبيعة : بطبيعة ص ، م || ماهية : ماهيته جـ ، ط (١٠ – ١١) وجب . . . الماهية : ساقطة من ب (١١) وإن لم . . . بفصل : ساقطة من م || عنها : عنه ب ، هامش ص ؛ منها م (١٩) أو داخلة : أو داخل جـ .

فالفصل ليس يحتاج فى انفصاله عن النوع إلى فصل آخر ، وليس يحتاج فى انفصاله عن الأشياء المشاركة له فى الوجود وسائر اللوازم إلى معنى غير نفس ماهيته ، وليس يجب أن يقع لا محالة تحت ما هو أعم منه وقوع النوع تحت الجنس، بل قد يقع وقوع الملزوم الأخص تحت اللازم الذى لايدخل فى الماهية.

٥ وأما إذا أخذت الفصل كالنطق مثلا ، فإنما يجب أمثاله فى فصول الأشياء المركبة . فإن عنيت بالنطق كونه ذا نفس ناطقة كان من المعانى المؤلفة من نسبة وجوهر ، على ما علمت من حكمه فى مواضع أخرى . وإن عنيت نفس النفس الناطقة كانت جوهرا وكانت جزء جوهر مركب تخالفه بالفصل الواقع بين البسيط والمركب فى الجواهر ، على نحو ما تحققت كثيرا .

١٠ ولنرجع الآن إلى المقدمات التى فى الشك ، فنقول : أما المقدمة القائلة إن الفصل لأنه معنى من المعانى فإما أن يكون أعم المحمولات، وإما أن يكون معنى واقعا تحت أعم المحمولات ، فسلّمة . وأما الأخرى وهى القائلة إن كل ما هو أعم المحمولات فهو مقولة كذب ، وإنما المقولة أعم المحمولات الجنسية المقومة للماهية لا التى هى أعم المحمولات ، وليس تقوم ماهية كل ما تحتها ، بل تلزم الأشياء . والقائلة الأخرى إن كل ما هو واقع تحت معنى أعم منه فهو منفصل عما يشاركه فيه بفصل يختص به ، كاذبة . لأن المشاركات إذا كانت مشاركة فى اللازم دون المعنى الداخل فى الماهية، لم يكن الانفصال عنها بفصل بل بمجرد الماهية .

---

(١) وليس يحتاج : وليس محتاجا جـ (٢) اللوازم : اللازم ط (٤) الذى : ساقطة من د || لا يدخل : لا يدخله ط (٨) الناطقة : ساقطة من ب ، د ، م || كانت : كان د ، م (٩) كثيرا : ساقطة من ب، د، م (١٠) ولنرجع : فلنرجع د || المقدمات : المتقدمات د || الشك : الشكل ط (١٤) تقوم : مقوم جـ ؛ يقوم ص ، ط || ماهية : ماهيته جـ، ص، ط || ما : + هو جـ (١٥) منه : ساقطة من ب (١٧) المعنى : معنى جـ .

فتمين بعد هــذا أنه لايجب أن يكون لكل فصل فصل. و يجب أن يعلم أن الذى يقال من أن فصول الجوهر جوهر، وفصول الكيف كيف ، معنى ذلك ، أن فصول الجوهر يلزم أن تكون جوهرا، وفصول الكيف يلزم أن تكون كيفا، لا أن فصول الجوهر يوجد فى مفهوم ماهياتها حد الجوهر على أنها جواهر فى أنفسها، وفصول الكيف يوجد فى ماهيتها حد الكيفية على أنها كيفية . إلا أن ٥ نعنى بفصول الجوهر مثلاً لا الفصل المقول على الجوهر بالتواطؤ، بل الفصل المقول عليه بالاشتقاق، أعنى لا الناطق بل النطق، فيكون حينئذ ما علمت و يكون فصلا بالاشتقاق لا بالتواطؤ، والفصل الحقيق الذى يقال بالتواطؤ. وليس يجب إذا كان الفصل الذى بالتواطؤ موجودا، أن يكون أيضا الفصل الذى بالاشتقاق موجودا، إنما يكون هكذا لا فى كل ماهو نوع ، بل فيما هو نوع جوهرى دون ١٠ الأنواع العرضية ، وليس أيضا فى كل نوع جوهرى، بل فيما كان مركبا ولم يكن جوهرا بسيطا .

فالفصل الذى يقال بالتواطؤ معناه شىء بصفة كذا مطلقا ، ثم بعد ذلك على سبيل النظر والتأمل يعلم أنه يجب أن يكون هذا الشىء الذى بصفة كذا جوهرا أو كيفا . مثاله، أن الناطق هو شىء له نطق. فليس فى كونه شيئا له نطق هو أنه ١٥ جوهر أو عرض، إلا أنه يعرف من خارج أنه لايمكن أن يكون هذا الشىء إلا جوهرا أو جسما .

---

(١) فتمين : و بين جـ (٢) الكيف : كيف ص (٤) لا أن : ساقطة من م || أنها جواهر : أنه جوهر م (٥) أنفسها : نفسها جـ ، ص ، م ؛ نصها د ، ط (٦) بفصول : + الكيفية م (٧ — ٨) أعنى . . . بالاشتقاق : ساقطة من م (٨) الحقيق : ساقطة من ط (٩) أيضا : ساقطة من جـ ، د ، م (١٠) بل : ساقطة من ط (١٣) فالفصل : والفصل ص (١٤) والتأمل : أو التأمل جـ ، م (١٥) مثاله : أمثاله ط || نطق : النطق ص || كونه : كونها د .

الفصل السابع

(ز) فصل

فى تعريف مناسبة الحد والمحدود

ولقائل أن يقول: إن الحد كما وقع عليه الاتفاق من أهل الصناعة مؤلف من
٥ جنس وفصل، وكل واحد منهما مفارق للآخر، ومجموعهما هو جزء الحد، وليس
الحد إلا ماهية المحدود ، فتكون نسبة المعانى المدلول عليها بالجنس والفصل
إلى طبيعة النوع كنسبتها فى الحد الى المحدود. وكما أن الجنس والفصل جزءا الحد ،
فكذلك معناهما جزءا المحدود. و إذا كان كذلك لم يصح حمل طبيعة الجنس على
طبيعة النوع لأنه جزء منه. فنقول: إنا إذا حددنا فقلنا: الإنسان — مثلا — حيوان
١٠ ناطق، فليس مرادنا بذلك أن الإنسان هو مجموع الحيوان والناطق ، بل مرادنا
بذلك أنه الحيوان الذى ذلك الحيوان ناطق ، بل الذى هو بعينه الناطق . كأن
الحيوان فى نفسه أمر لا يتحصل وجوده على النحو الذى قلناقبل. فاذا كان ذلك
الحيوان ناطقا حتى يكون هذا الذى نقول له : إنه ذو نفس دراكة مجملا الذى
هو غير محصل ، أى أنه ذو نفس هو قد صار محصلا من حاله أن نفسه حساسة
١٥ ناطقة ، فيكون هذا تحصيلا لكونه ذا نفس دراكة . فليس يكون الجسم ذو
النفس الدراكة شيئا ، وكونه ذا نفس ناطقة شيئا ينضم إليه خارجا عنه ، بل

(٤) ولقائل : لقائل ب، جـ، ص، م (٥) وفصل : ومن فصل جـ (٧) كنسبتها : فنسبتها ط (٧) جزءا الحد : جزء الحد م || معناهما : معناهما جـ ، ص ، م || جزءا المحدود : جزء المحدود ط ، م (١٠ — ١١) والناطق .... الناطق : ناطق به م (١٢) قلنا : قلناه جـ || فإذا وإذا د (١٤) أى أنه : أنه أى د ؛ أنه حى أى ط ؛ أى م (١٦) ناطقة : ناطق جـ .

يكون هذا الذى هو حيوان هو الجسم ذو النفس الدراكة . ثم كون نفسه دراكة أمر مبهم ، ولا يكون بالفعل فى الوجود مبهما ألبتة كما علمت ، بل يكون فيه محصلا ، وإنما يكون هذا الإبهام فى الذهن ، إذ يكون مشكلا عليه حقيقة النفس الدراكة حتى يفصل ، فيقال دراكة بالحس والتخيل والنطق .

٥ وإذا أخذ الحس فى حد الحيوان فليس هو بالحقيقة الفصل ، بل هو دليل على الفصل . فإن فصل الحيوان أنه ذو نفس دراكة متحركة بالإرادة وليس هوية نفس الحيوان أن يحس ، ولا هويته أن يتخيل ، ولا هويته أن يتحرك بالإرادة ، بل هو مبدأ لجميع ذلك ، وهذه كلها قواه ، ليس أن ينسب إلى بعضها أولى من أن ينسب إلى الآخر ، لكنه ليس له فى نفسه اسم ، وهذه توابعه ، فنضطر ١٠ إلى أن نخترع له اسما بالنسبة إليها . ولهذا نجمع الحس والتحرك معاً فى حده ، ونجعل الحس كأنه معنى يجمع الحس الظاهر والباطن ، أو يقتصر على الحس فيكون دالا على جميع ذلك لا بالتضمن بل بالالتزام .

وقد سلف لك بيان هذا وما أشبهه ، فليس الحس بالحقيقة فصل الحيوان ، بل أحد شعب فصله وأحد لوازمه . وإنما فصله وجود النفس التى هى مبدأ ١٥ هذا كله له ، وكذلك الناطق للإنسان . لكن عدم الأسماء وقلة شعورنا بالفصول يضطرنا — إما هذا وإما ذاك — إلى الانحراف عن حقيقة الفصل إلى لازمه . فربما اشتققنا اسمه من لازمه ، فعنينا بالحساس الذى له المبدأ الذى ينبعث منه

---

(٣) وإنما : فإنما ط (٥) وإذا : إذا ط (٧) أن يتخيل ولا هويته : ساقطة من م
(٩) لكنه : + شىء ط (١١) يجمع : لجميع ط || الظاهر : + والحس ط || والباطن : الباطن ط || أو يقتصر : أو يقتصر ص (١٤) أحد : واحد د || وأحد : واحد من د (١٥) شعورنا : + فى الأسماء د (١٧) بالحساس : بالحاس ب || منه : عنه ب ، د ، ص .

الحس وغيره ، وربما كان الفصل نفسه مجهولا عندنا ، ولم نشعر إلا بلازمه .
وليس كلامنا فى هذه الأمور على حسب ما نعقل نحن ونصنع نحن ونتصرف فيها
نحن ، بل من جهة كيفية وجودها فى أنفسها . ثم لو كان ليس للحيوان نفس إلا
الحساسة كان كونه جسما ذا حس ليس جنسا بمعنى مجرد الطبيعة الجسمية والحسية
٥ بشرط أن يكون هو فقط ، بل على النحو الذى قلنا . فاتحاد الفصل بالجنس ليس
إلا على أنه شىء كان يتضمن الجنس بالقوة لا يلزم الجنس بالقوة ، واتحاد المادة
بالصورة أو الجزء بالجزء الآخر فى المركب فإنما هو اتحاد شىء بشىء خارج عنه
لازم أو عارض .

فتكون الأشياء التى يكون فيها اتحاد على أصناف . أحدها ، أن يكون كاتحاد
١٠ المادة والصورة فتكون المادة شيئا لا وجود له بانفراد ذاته بوجه ، وإنما
يصح بالفعل بالصورة على أن يكون الصورة أمراً خارجاً عنه ، ليس أحدهما
الآخر ، ويكون المجموع ليس ولا واحد منهما . والثانى ، اتحاد أشياء يكون
كل واحد منها فى نفسه مستغنيا عن الآخر فى القوام ، إلا أنها تتحد فيحصل
منها شىء واحد إما بالتركيب وإما بالاستحالة والامتزاج . ومنها ، اتحاد
١٥ أشياء بعضها لا يقوم بالفعل إلا بما انضم إليه ، وبعضها يقوم بالفعل ، فيقوم
الذى لا يقوم بالفعل بالذى يقوم بالفعل ويجتمع من ذلك جملة متحدة ، مثل
اتحاد الجسم والبياض . وهذه الأقسام كلها لا تكون المتحدات منها بعضها

---

(١) الفصل : + فى د ، ط ، م (٣) إلا : ساقطة من د (٤) الحساسة : الحاسة د ، م ؛ الحساس ط || الجسمية والحسية : الحسية ط (٥) فاتحاد : واتحاد ص ، ط (٦) يتضمن : يضمن ب ، م ؛ مضمن ص ، ط || لا يلزم : لا ملتزم جـ ، ص ، ط ، م (٧) أو الجزء بالجزء : والجزء بجزء جـ ؛ والجزء د ؛ والجزء بالجزء م (٩) يكون : ساقطة من ص ، ط ، م (١٠) لا وجود : لا يجود ط (١٢) أشياء : شيئا م (١٣) منها : منهما ب ، د ، ط ، م (١٤) واحد : آخر ط .

بعضا ، ولا جملتها أجزاؤها ، ولا يحمل ألبتة شيء منها على الآخر حمل التواطؤ.
ومنها اتحاد شيء بشيء ، قوة هذا الشيء منهما أن يكون ذلك الشيء ، لا أن
ينضم إليه . فإن الذهن قد يعقل معنى يجوز أن يكون ذلك المعنى نفسه أشياء
كثيرة كل واحد منها ذلك المعنى فى الوجود،فيضم إليه معنى آخر تعين وجوده
بأن يكون ذلك المعنى متضمنا فيه ، وإنما يكون آخر من حيث التعين والإبهام ٥
لا فى الوجود. مثل المقدار فإنه معنى يجوز أن يكون هو الخط والسطح والعمق،
لا على أن يقارنه شيء فيكون مجموعهما الخط والسطح والعمق، بل على أن يكون
نفس الخط ذلك أو نفس السطح ذلك . وذلك لأن معنى المقـــدار هو شيء
يحتمل مثلا المساواة ، غير مشروط فيه أن يكون هذا المعنى فقط . فإن مثل
هذا لا يكون جنساً كما علمت ، بل بلا شرط غير ذلك ، حتى يجوز أن يكون ١٠
هذا الشيء القابل للمساواة هو فى نفسه أى شيء كان ، بعد أن يكون وجوده
لذاته هو الوجود ، أى يكون محمولا عليه لذاته أنه كذا ، سواء كان فى بُعْد
أو بُعْدَيْن أو ثلاثة .

فهذا المعنى فى الوجود لا يكون إلا أحد هذه ، لكن الذهن يخلق له من
حيث يعقل وجوداً مفرداً . ثم أن الذهن إذا أضاف إليـــه الزيادة لم يضف ١٥
الزيادة على أنها معنى من خارج لاحق بالشيء القابل للمساواة حتى يكون ذلك
قابلًا للمساواة فى حد نفسه وهذا شيء آخر مضاف إليه خارجا عن ذلك ، بل
يكون ذلك تحصيلًا لقبوله للمساواة أنه فى بعـد واحد فقط أو فى أكثر منه .

---

(٢) ومنها : ومنه جـ ، ط (٤) منها : منهما جـ ، ط || فيضم : فينضم ص ، ط || تعين : وتعين جـ (٥) متضمنا : مضمنا جـ ، د ، ص ، ط || التعين : التعيين جـ (٦) الخط : والخط جـ ، ط (٨) هو : هى ط (٩) غير : أو غير ط || مشروط : مشروطة جـ (١١) شيء : معنى ما ط (١٢) هو : هذا جـ، ص، م (١٣) أو : + فى ط (١٨) ذلك : ساقطة من م || للمساواة : المساواة ط .

فيكون القابل للمساواة فى بُعْد واحد فى هذا الشىء هو نفس القابل للمساواة، حتى يجوز لك أن تقول : إن هذا القابل للمساواة هو هذا الذى هو ذو بُعْد واحد وبالعكس ، ولا يكون هذا فى الأشياء التى مضت. وههنا وإن كانت كثرة ما لا شك فيها فهى كثرة ليست من الجهة التى تكون من الأجزاء بل كثرة تكون ٥ من جهة أمر غير محصل وأمر محصل . فإن الأمر المحصل فى نفسه يجوز أن يعتبر من حيث هو غير محصل عند الذهن فتكون هناك غيرية ، لكن إذا صار محصلا لم يكن ذلك شيئا آخر إلا بالاعتبار المذكور الذى ذلك للعقل وحده . فإن التحصيل ليس يغيره بل يحققه .

فهكذا يجب أن يعقل التوحيد الذى من الجنس والفصل . وإنه وإن كان ١٠ مختلفا وكان بعض الأنواع فيها تركيب فى طبائعها وتنبعث فصولها من صورها وأجناسها من المواد التى لصورها ، وإن لم يكن لا أجناسها ولا فصولها موادها وصورها من حيث هى مواد وصور ، وبعضها ليس فيها تركيب فى طبائعها بل إن كان فيها تركيب فهو على النحو الذى قلنا ، فإنما يكون أحد الشيئين منهما فى كل نوع غير الآخر، لأنه قد أخذ مرة لا بحاله من التحصيل، ١٥ بل على أنه بالقوة محصل، وأخذ مرة وهو محصل بالفعل . وهذه القوة له ليس بحسب الوجود، بل بحسب الذهن . فإنه ليس له فى الوجود حصول طبيعة جنسية هى بعد بالقوة محصلة نوعاً ، وسواء كان النوع له تركيب فى الطبائع أو لم يكن.

---

(٢) لك : ذلك جـ ، د ، ط || هذا : + الشىء جـ ، ص (٤) تكون من : ومن ط (٥) وأمر محصل : + عند الذهن ط || فى : وفى د (٩) من : ساقطة من جـ ، ص ؛ + بين جـ ، ص ، ط || وإنه : فإنه جـ ، د (١٠) طبائعها : طباعها ص (١١) لا أجناسها : إلا أجناسها م (١٣) طبائعها : طباعها جـ || فى .... تركيب : ساقطة من د || فإنما : وإنما ص ، ط (١٤) مرة : ساقطة من م (١٥) أنه : + هو ص || له : ساقطة من د (١٦) الوجود : الموجود د (١٧) هى : ساقطة من م || تركيب : التركيب ص ؛ يركب جـ ، ط (١٧) الطبائع : للطباع ب ، م .

والجنس والفصل فى الحد أيضا من حيث كل واحد منهما هو جزء للحد من حيث هو حد، فإنه لا يحمل على الحد ولا الحد يحمل عليه. فإنه لا يقال للحد أنه جنس ولا فصل ولا بالعكس، فلا يقال لحد الحيوان إنه جسم ولا أنه ذو حس ولا بالعكس. وأما من حيث الأجناس والفصول طبائع تبعث طبيعة على ما علمت فإنها تحمل على المحدود، بل نقول: إن الحد يفيد بالحقيقة معنى طبيعة واحدة . مثلا ٥ إنك إذا قلت: الحيوان الناطق، يحصل من ذلك معنى شىء واحد هو بعينه الحيوان الذى ذلك الحيوان هو بعينه الناطق. فإذا نظرت إلى ذلك الشىء الواحد لم يكن كثرة فى الذهن ، لكنك إذا نظرت إلى الحد فوجدته مؤلفاً من عدة هذه المعانى واعتبرتها من جهة ما كل واحد منها على الاعتبار المذكور معنى فى نفسه غير الآخر، وجدت هناك كثرة فى الذهن. فإن عنيت بالحد المعنى القائم فى النفس ١٠ بالاعتبار الأول ، وهو الشىء الواحد الذى هو الحيوان الذى ذلك الحيوان هو الناطق ، كان الحد بعينه هو المحدود المعقول . وإن عنيت بالحد المعنى القائم فى النفس بالاعتبار الثانى المفصل ، لم يكن الحد بعينه معناه معنى المحدود ، بل كان شيئا مؤدياً إليه كاسبا له . ثم الاعتبار الذى يوجب كون الحد بعينه هو المحدود لا يجعل الناطق والحيوان جزئين من الحد ، بل محمولين عليه بأنه هو ١٥ لا أنهما شيئان من حقيقة متغايران ومغايران للمجتمع . لكن نعنى به فى مثالنا الشىء الذى هو بعينه الحيوان الذى ذلك الحيوان حيوانيته مستكملة متحصلة بالنطق . والاعتبار الذى يوجب كون الحد غير المحدود يمنع أن يكون الجنس

---

(١) والجنس: فالجنس د (٣) جنس: + فقط جـ ، ص || لحد: فى حد ط
(٤) تبعث: تنبعث د، ص، م ؛ لبعث ط || طبيعة: طبيعته جـ ، د (٥) مثلا: مثل ط
(٨) فوجدته: ووجدته جـ (١٢) المحدود: المعدود ط (١٤) كان: + الثانى ط || الاعتبار: + الثانى ط (١٦) ومغايران: أ ـ مغايران ص ، ط || للمجتمع: المجتمع ص، ط
(١٧) حيوانيته: حيوانية ط ؛ ساقطة من د (١٨) يمنع: + من جـ ، ط || أن يكون: كون م .

والفصل محمولين على الحد ، بل جزئين منه . فلذلك ليس الحد بجنس ولا الجنس
بحد ولا الفصل واحدا منهما ولا جملة معنى الحيوان مؤلفا مع الناطق هو معنى
الحيوان غير مؤلف ولا معنى الناطق غير مؤلف . ولا يفهم من معنى مجموع
حيوان وناطق ما يفهم من أحدهما ، ولا يحمل أحدهما عليه ، فليس مجموع
حيوان وناطق هو حيوان وناطق لأن المجموع من شيئين غيرهما ، بل ثالث .
لأن كل واحد منهما جزء منه ، والجزء لا يكون هو الكل ، ولا الكل يكون
هو الجزء .

(١) ليس : فليس ص (٢) الحيوان : حيوانات ؛ حيوان م || مع الناطق : مع النطق د
(٣) الحيوان غير مؤلف : الحيوان غير المؤلف جـ ، ط || مؤلف . . . غير : ساقطة من ب
|| الناطق غير مؤلف : الناطق غير المؤلف جـ (٤) ما يفهم : ما يفهمه جـ (٥) شيئين : أمرين
ص ، ط ؛ + هو جـ ، ص ، ط || غيرهما : غيرها ب ، د .

[الفصل الثامن]

(ح) فصل

فى الحد

والذى ينبغى لنا أن نعرفه الآن أن الأشياء كيف تحدد ، وكيف نسبة الحد إليها ، وما الفرق بين الماهية للشىء و بين الصورة . فنقول : كما أن الموجود والواحد من الأشياء العامة للقولات ولكن على سبيل تقديم وتأخير ، فكذلك ٥ أيضا كون الأشياء ذوات ماهية وحد، فليس ذلك فى الأشياء كلها على مرتبة واحدة.

فأما الجوهر فإنه مما يتناوله حده تناولا أوليا و بالحقيقة ، وأما الأشياء الأخرى فلما كانت ماهيتها متعلقة بالجوهر أو بالصورة الجوهرية على نحو ما حددناه ، أما الصورة الطبيعية فقد عرفت حالها ، والمقادير والأشكال ١٠ قد عرفتها أيضا ، فيكون تلك الأشياء الأخرى أيضا من وجه لا تتحدد إلا بالجوهر فيعرض من ذلك أن تكون . أما الأعراض فإن فى حدودها زيادة على ذواتها ، لأن ذواتها و إن كانت أشياء لا يدخل الجوهر فيها على أنه جزء لها بوجه من الوجوه ، وذلك لأن ما جزؤه جوهر فهو جوهر ، فإن حدودها يدخل الجوهر فيها على أنه جزء إذ كانت تتحدد بالجوهر لا محالة . وأما المركبات فإنها ١٥ يعرض فيها تكرار شىء واحد بعينه مرتين ، فإنه إذ فيها جوهر فلا بد من إدخاله

---

(٣) الحد : + وأجزائه جـ ، ص (٤) لنا : ساقطة من د || نسبة : بنسب د (٦) فكذلك : وكذلك جـ (٨) فأما : فإن م (٩) نحو : ساقطة من ط (١٠) ما حددناه : ما حددنا م (١١) قد : فقد جـ ، ص ، ط ، م (١٢) بالجوهر : بالجواهر ط || أن تكون : ساقطة من ب (١٣) لأن : ساقطة من ب || ذواتها : ساقطة من ب (١٤) فإن : بأن ط (١٥) أنه : إنها ب || وأما : فأما د (١٦) يعرض فيها : ساقطة من ط .

فى الحد ، وإذ فيها عرض يتحدد بالجوهر فلا بد من دخوله فى حد العرض مرة
أخرى لتكون جملة الحد مؤلفة من حد الجوهر وحد العرض لا محالة وعائد إلى
اثنينية وكثرة . ويتبين إذا حلل حد ذلك العرض ورد إلى مضمناته ، فيكون
حد هذا المركب قد وجد فيه الجوهر مرتين، وهو فى ذات المركب مرة واحدة،
٥ فيكون فى هذا الحد زيادة على معنى المحدود فى نفسه . والحدود الحقيقية
لا يجب أن تكون فيها زيادات . ومثال هذا أنك إذا حددت الأنف الأفطس
فيجب أن تأخذ فيه الأنف لا محالة ، وتأخذ فيه الأفطس فتكون أخذت فيه
حد الأفطس ، لكن الأفطس هو أنف عميق ، ولا يجوز أن تأخذ عميقا
وحده ، فإنه لو كان العميق وحده هو الأفطس لكانت الساق المعمقة أيضا
١٠ فطساء ، بل يجب لا محالة أن تأخذ الأنف فى حد الأفطس . فإذا حددت
الأنف الأفطس تكون قد أخذت فيه الأنف مرتين، فلا يخلو إما أن لا تكون
أمثال هذه حدودا وإنما تكون الحدود للبسائط فقط ، أو تكون هذه حدودا
على جهة أخرى . وليس ينبغى أن نقتصر من الحد على أن يكون شرح الاسم،
فنجعل أمثال هذه لذلك حدودا حقيقية ، لأن الحد هو ما يدل على الماهية ،
١٥ وقد عرفته . ولو كان كل قول يمكن أن يفرض بإزائه اسمٌ حدا لكان
جميع كتب الجاحظ حدودا .

فإذا كان الأمر على هذا ، فبيّن أن هذه المركبات حدودها حدود على جهة
أخرى . وكل بسيط فإن ماهيته ذاته لأنه ليس هناك شىء قابل لماهيته ،

---

(١) الحد : المحدود م (٢) لتكون : فتكون جـ ، د || مؤلفة : مؤلفا ب (٣) ويتبين : يتبين د
(٧) فتكون : وتكون ب ، د ؛ فتكون قد ص ، ط (٨) لكن الأفطس : ساقطة من د
(٩) المعمقة : المعقمة م (١٠) فطساء : فطسة ط (١١) إما : ساقطة من ص ، ط || لا تكون :
تكون ط (١٢) للبسائط : البسائط ط (١٤) لذاك : لذلك جـ ، د ، ص ، ط
|| حقيقية : حقيقة ط (١٧) هذه : هذا د ؛ ساقطة من جـ (١٨) شىء : + هو جـ .

ولوكان هناك شيء قابلا لماهيته، لم يكن ذلك الشيء ماهيته ماهية المقبول الذى
حصل له، لأن ذلك المقبول كان يكون صورته، وصورته ليس هو الذى يقابله
حده، ولا المركبات بالصورة وحدها هى ما هى، فإن الحد للمركبات ليس
هو من الصورة وحدها، بل حد الشيء يدل على جميع ما يتقوم به ذاته،
فيكون هو أيضا يتضمن المادة بوجه. وبهذا يعرف الفرق بين الماهية ٥
فى المركبات والصورة والصورة دائما جزء من الماهية فى المركبات، وكل بسيط
فإن صورته أيضا ذاته لأنه لاتركيب فيه، وأما المركبات فلا صورتها ذاتها
ولا ماهيتها ذاتها، أما الصورة فظاهر أنها جزء منها، وأما الماهية فهى مابها
هى ماهى، وإنما هى ماهى بكون الصورة مقارنة للمادة، وهو أزيد من معنى
الصورة. والمركب ليس هذا المعنى أيضا، بل هو مجموع الصورة والمادة، ١٠
فإن هذا هو ماهو المركب، والماهيه هذا التركيب. فالصورة أحد مايضاف
إليه التركيب، والماهيه هى نفس هذا التركيب الجامع للصورة والمادة،
والوحدة الحادثة منهما لهذا الواحد.

فالجنس بما هو جنس ماهية. وللنوع بما هو نوع ماهية، وللفرد الجزئى
أيضا بما هو مفرد جزئى ماهية مما يتقوم به من الأعراض اللازمة. فكأن ١٥
الماهية إذا قيلت على التى فى الجنس والنوع وعلى التى للفرد الشخصى كان
باشتراك الاسم. وليست هذه الماهية مفارقة لما هو بها ماهو، وإلا لم تكن
ماهية. لكنه لا حد للفرد بوجه من الوجوه، وإن كان للمركب حد ما. وذلك

(١) المقبول: ساقطة من م (٢) له: + أيضا د، ص، ط، م (٥) أيضا: +
قد جـ، د، ص، ط، م || وبهذا: وهذا ط (٧) لأنه: لأن جـ، ط (٨) أنها:
أنه د || ما بها: ما به جـ، د، ص، ط، م (١١) ما يضاف: ما ينضاف د (١٢) إليه: +
هذا جـ، د، ص، ط، م (١٥) فكأن: فكانت جـ؛ وكأن ط (١٦) قيلت على:
+ نحوجه؛ النفس د || الشخصى: الشخص جـ (١٧) وليست: ليس ط || لما: بما د
|| بها: به جـ (١٨) بوجه: إلى توجه د (١٧ — ١٨) وإلا ... حد ما: ساقطة من م.

لأن الحد مؤلف من أسماء ناعتة لا محالة ليس فيها إشارة إلى شيء معين ، ولو كانت إشارة لكانت تسمية فقط ، أو دلالة أخرى بحركة و إشارة وما أشبه ذلك ، وليس فيها تعريف المجهول بالنعت .

وإذ كان كل اسم يحصر فى حد المفرد يدل على نعت ، والنعت يحتمل الوقوع على عدة ، والتأليف لا يخرجها من هذا الاحتمال ، فإنه إذا كان آ معنى كليا وأضيف ٥
إليه ب — وهو معنى كلى — جاز أن يكون فيه تخصيص ما . ولكن إذا كان تخصيص كلى بكلى يبقى بعده الشيء الذى هو آ و ب كليا يجوز أن يقع فيه شركة. ومثال ذلك : "هذا سقراط" ، إن حددته فقلت : إنه الفيلسوف ، ففيه شركة ؛ وإن قلت : الفيلسوف الدين ، ففيه أيضا شركة ؛ فإن قلت : الفيلسوف الدين المقتول ظلما ، ففيه أيضا شركة ؛ فإن قلت : ابن فلان ، كان فيه احتمال شركة ١٠
أيضا ، وكان فلان شخصا تعريفه كتعريفه ، فإن عرف ذلك الشخص بالإشارة أو باللقب عاد الأمر إلى الإشارة واللقب ، و بطل أن يكون بالتحديد . وإن زيد فقيل : هو الذى قتل فى مدينة كذا يوم كذا ، فهذا الوصف أيضا مع تشخصه بالحيلة كلى يجوز أن يقال على كثيرين إلا أن يسند إلى شخص . فإن كان المسند إليه شخصا من جملة أشخاص نوع من الأنواع لم يكن السبيل إليه إلا بالمشاهدة ١٥
ولم يجد العقل عليه وقوفا إلا بالحس ، فإن كان المسند إليه من الأشخاص — التى

---

(١) ناعتة : ناعتيه ص ، ط (٢) تسمية : تسمية جـ ، ط || وإشارة : أو إشارة جـ || وليس : فليس د ، ص ، ط (٣) بالنعت : ساقط من د (٦) إذا : ساقطة من جـ || كان : ساقطة من جـ (٩) الدين ، ففيه أيضا شركة ؛ فإن قلت : الفيلسوف : ساقطة من جـ || فإن قلت : الفيلسوف : وإن قلت : الفيلسوف ط (١٠) كان فيه : ففيه ب ، جـ (١١) شخصا : مشخصا م || فإن عرف : وإن عرفت د ؛ وإن عرفت م (١٢) واللقب : ساقطة من ب || وبطل : فبطل جـ ، د (١٣) تشخصه : تشخيصه م (١٤) بالحيلة : بالحيثية د ؛ بالجملة م || يسند : يستند جـ ، ص ، ط || المسند : المستند جـ ، ط (١٦) المسند : المستند جـ ، د ، ط .

كل شخص منها مستوف لحقيقة النوع – فلا شخص نظيرا له ، وكان قد عقل العقل ذلك النوع بشخصه . فإذا جعل الرسم مسندا إليه كان للعقل وقوف عليه ولم يخف العقل تغير الحال لجواز فساد ذلك الشيء ، إذ مثل هذا الشيء لا يفسد . ولكن المرسوم لا يوثق بوجوده ودوام قول الرسم عليه ، وربما عرف العقل مدة بقائه ، فلم يكن هذا أيضا حداً حقيقيا . فبين أنه لا حد حقيقي للفرد ، إنما يعرف بلقب أو إشارة أو نسبة إلى معروف بلقب أو إشارة .

وكل حد فإنه تصور عقلي صادق أن يحمل على المحدود، والجزئي فاسد إذا فسد لم يكن محدودا بحده. فيكون حمل الحد عليه مدة ما صادقاً وفي غيرها كاذبا، فيكون حمل الحد عليه بالظن دائما ، أو يكون هناك غير التحديد بالعقل زيادة إشارة ومشاهدة، فيصير بتلك الإشارة محدوداً بحده ، وإذا لم يكن ذلك يكون مظنونا به أن له حده . وأما المحدود بالحقيقة فيكون حدّه له يقينا . فمن شاء أن يحد الفاسدات فقد تعرض لإبقائها ، وركب شططا .

---

(٢) وقوف : ساقطة من د (٣) يخف : يشكل طا ؛ + على د || الحال : + فلم يكن هذا أيضا حد لحقيقة لا د || لجواز : بجواز ط ، م || هذا الشيء : ذلك للشيء ط (٤) ولكن : لكن ط (٥) حقيق : حقيقيا جـ ، ص ، م (٦) أو نسبة : أو نسبته ص ؛ ونسبة م || معروف : معروفة جـ || بلقب أو إشارة : بلقب وإشارة د (٧) حد : نسبة طا || فاسد : + لما م (٨) وفي غيرها : وغيرها ط (١٠) فيصير : ليصير م || بحده : بحد جـ || يكون : ساقطة من جـ ؛ فيكون د (١٢) ويركب شططا : ساقطة من د ، ط .

[الفصل التاسع]

(ط) فصل

فى مناسبة الحد وأجزائه

ونقول : إنه كثيرا مايكون فى الحدود أجزاء هى أجزاء المحدود . وليس إذا
قلنا : إن الجنس والفصل لا يتقومان جزئين للنوع فى الوجود ، نكون كأنا
قلنا : إنه لايكون للنوع أجزاء . فإن النوع قد يكون له أجزاء ، وذلك إذا كان
من أحد صنفى الأشياء ، أما فى الأعراض فمن الكيات ، وأما فى الجواهر فمن
المركبات . وظاهر الحال يومىء إلى أن أجزاء الحد أقدم من المحدود، لكنه قد
يتفق أن يكون فى بعض المواضع بالخلاف . فإنا إذا أردنا أن نحد قطعة
الدائرة حددناها بالدائرة ، وإذا أردنا أن نحد أصبع الإنسان حددناها بالإنسان،
وإذا أردنا أن نحد الحادة وهى جزء من القائمة حددناها بالقائمة ، ولانحد البتة
القائمة بالحادة ولا الدائرة بقطعتها ولا الإنسان بالأصبع .

فيجب أن نعرف العلة فى هذا . فنقول : إن هذه ليس شىء منها أجزاء
النوع من جهة ماهيته وصورته ؛ ثم إنه ليس من شرط الدائرة أن تكون فيها
قطعة بالفعل تتألف عنها صورة الدائرة ، كما من شرطها أن يكون لها محيط ؛
ولا من شرط الإنسان — من حيث هو إنسان — أن يكون له أصبع بالفعل ،
ولا من شرط القائمة أن تكون هناك حادة هى جزء منها . فهذه كلها ليست
أجزاء للشىء من حيث ماهيته بل من حيث مادته وموضوعه . فإنما يعرض

(٤) ونقول : فنقول ب ، د || هى أجزاء : ساقطة من ص ، ط (٦) وذلك : ساقطة من م
(٨) الحد : المحدود م (٩) قطعة : + من ب (١١) أن نحد : + زاوية ب
(١٤) النوع : الموضوع د ، ط (١٥) بالفعل : + حتى م (١٦) ولا من شرط :
ولا شرط ط (١٨) فإنما : وإنما د ، ص .

للقائمة أن تكون فيها حادة ، وللدائرة أن تكون فيها قطعة لانفصال يعرض لمادتها ، ليس ذلك مما يتعلق به استكمال مادتها بصورتها ولا استكمال صورتها في نفسها. واعلم أن السطح مادة عقلية لصورة الدائرة وبسببه يقع لها الانقسام ، ولو كان يتعلق بها استكمال مادتها لكان من اللازمات التي لا يخلو الشيء عنها ، لامن المقومات كما مضى لك شرحه . وليس ما نحن فيه كذلك ، بل يخلو الشيء منها . ٥

وما يجرى مجرى الأصبع أيضاً فإنه ليس يحتاج الإنسان في أن يكون حيوانا ناطقا إلى أصبع ، بل هذا من الأجزاء التي لمادته ليحسن بها حال مادته . فما كان من الأجزاء إنما هو بسبب المادة ، وليس تحتاج إليه الصورة ، فليست هي من أجزاء الحد البتة . لكنها إذا كانت أجزاء المادة ولم تكن أجزاء للمادة ١٠ مطلقا ، بل إنما تكون أجزاء لتلك المادة لأجل تلك الصورة ، وجب أن تؤخذ في حدها تلك الصورة . وذلك النوع فيكون أيضا مع المادة مثلما أن الأصبع ليس جزءا مناسبا للجسم مطلقا ، بل للجسم الذي صار حيوانا أو إنسانا . وكذلك الحادة والقطعة ليس جزءا للسطح مطلقا ، بل للسطح الذي صار قائمة أو دائرة . فلذلك تؤخذ صورة هذه الكلات في حدود هذه الأجزاء. ثم تفترق هذه الأمثلة ١٥ الثلاثة . فإن الإصبع في الإنسان جزء بالفعل ، فإذا حد أو رسم الإنسان

---

(٢) بصورتها : لصورتها م || ولا استكمال صورتها : ساقطة من د (٥) لا من : فضلا عن ط || المقومات : المقولات د (٨) لمادته : لمادتها د (٩) إليه : إليها ب ، د ، ط || فليست هي : فليس هو ب ، جـ ، د ، م ؛ فليس ص ، ط (١٠) المادة : للمادة بخ ، جـ || للمادة : المادة جـ (١١) لتلك : تلك جـ (١٣) ليس جزءا : ليست جزءا د ، ط ، م (١٣) أو إنسانا : وإنسانا د ، ط ، م (١٤) والقطعة : والقطع د || بل للسطح : ساقطة من ب || للسطح : لسطح ص ، ط ، م || الذي : ساقطة من ب ، ص ، ط ، م || صار : ساقطة من م (١٥) الكلات : الكليات ص ، ط ؛ للكلات بخ ؛ الكليات م || تفترق : تفرق د ؛ تقترن م || الأمثلة : ساقطة من ص .

من حيث هو شخص كامل إنسانى وجب أن يوجد الأصبع حينئذ فى رسمه لأنه يكون له ذلك جزءا ذاتيا فى أن يكون شخصا كامل الأعراض ولا يكون مقوِماً لطبيعة نوعه . إذ قلنا مرارا : إن ما يتقوم و يتم به الشخص فى شخصه هو غير ما تتقوم به طبيعة النوع . فهذا القسم من الجملة التى الجزء فيها جزء بالفعل ، وأما ذانك الآخران فليس الجزء فيهما جزءا بالفعل . ٥

و يشبه أن تكون الدائرة إذا قسمت بالفعل إلى قطع بطلت الوحدة لسطحها و بطل عنها أنها دائرة ، إذ لا يكون المحيط خطا واحدا بالفعل بل كثيرا ، اللهم إلا أن تكون الأقسام بالوهم و بالفرض لا بالفعل و بالقطع . وكذلك حكم القائمة . ثم الدائرة والقائمة يختلفان فى شىء وهو أن قطعة الدائرة لا تكون إلا من دائرة بالفعل . والحادة ليس من شرطها فى الوجود أن تكون ١٠ جزء زاوية أخرى ، ولا أنها هى حادة بالقياس إلى المنفرجة والقائمة ، بل هى فى نفسها حادة بسبب وضع أحد ضلعيها عند الآخر . لكنها من جهة أن ذلك الوضع من حيث هو وضع وقعت فيه الإضافة ، لأن الميل والقرب بين الخطوط بعضها إلى بعض أو البُعْد فيما بينها مما تتعلق به إضافة ما عرض أن يتعلق البيان بمادة بالإضافة ، و إن لم يدل على هذه الإضافة بالفعل لصعوبتها ١٥ فقد دل عليها بالقوة فى إدخال إضافة بالفعل . ثم لما كانت الزاوية السطحية إنما تحدث عن قيام خط على خط ، وكان الميل الذى يحدث هو ميل عن

---

(٢) له : ساقطة من د (٣) ما يتقوم : ما يتقوم ط || شخصه : شخصيته ب ، جـ (٧) وبطل : أو بطل د || عنها : ساقطة من ط (٨) اللهم : ساقطة من م || الأقسام : الانقسام د ، ص ، ط || و بالفرض : بالفرض د || وبالقطع : بالقطع ب ، جـ ، ط ، م ؛ كالقطع ص (٩) يختلفان : تختلفان جـ || وهو : هو ط (١٠) ليس : وليس م (١١) زاوية : زاويته د ، ط (١٢) أحد : ساقطة من م (١٤) بينها : بينهما م (١٥) أن يتعلق : أى تعلق م || لم : + يكن جـ (١٧) وكان : فكان جـ .

اعتدال ما وعن جهة ما ، لأنا لو أخذنا قرب أحد الخطين من الآخر مطلقاً
وأخذنا ميله إليه مطلقا من غير تعيين الميـــل عنه لم يكن إلا ميل مطلق يوجد
ذلك للحادة وللقائمة وللمنفرجة . فإن خطوطها أيضا فيها ميل لبعضها إلى بعض،
فإنك إذا اعتبرت اتصال خطين على الاستقامة لوجدت المنفرجة وفيها ميل
لأحد خطيها إلى الآخر . لكن هذا الميل هو ميل مطلق يقتضيه انفراج خطى ٥
كل زاوية ، فيجب ضرورةً أن يكون هذا الميل محدوداً عن شئ . ولما كان
ذلك الشئ يجب أن يكون بُعْداً خطيا ، ولم يمكن أن تتوهم خطوط يميل عنها
هـــذا إلا الخط المتصل على الاستقامة بالخط الثانى ، والذى يفعل زاوية
منفرجة أو الذى يفعل زاوية قائمة أو الذى يفعـــل زاوية حادة . فأما الخط
الغير المتصل بهذا الخط فإنه لا يحدد به شئ ، وكان اعتبار الميل من الخط ١٠
المستقيم مطلقا غير صحيح فى هذا الباب ، وإلا فالمنفرجة والقائمة أيضا حادة .
وكذلك اعتبار الميـــل عن الخط الفاعل للمنفرجة ، لأن الميـــل عن الانفراج
قد يحفظ الانفراج ، إذ تكون منفرجة أصغر من منفرجة . وكذلك حكم الحادة
هذه مع أن الحادة لا يمكن أن تعرّف بالحادة فيكون تعريف مجهول بمجهول . فبقى
ضرورةً أن يكون تعريفها بالقائمة، التى ليس يبقى قوامها مع الميل عنها محفوظاً . ١٥
فكأنه يقول : إن الحادة هى التى عن خطين قام أحدهما على الآخر، ومال أقرب
من خط قائمة لو قامت حتى هى أصغر من القائمة لو كانت . وليس نعنى بها أنها
بالفعل موجودة مقيسة بقائمة تزيد عليها فحينئذ يكون الحد كاذباً ، ولكن بقائمة

(٢) الميل : لميل ط || يكن : ساقطة من م (٣) خطوطها : خطوطهما ط (٤) لوجدت : وجدت د ، ص ، ط ، م (٧) ولم : فلم ط || خطوط : خطوطه جـ (٨) والذى : أو الذى م (٩) أو الذى يفعل زاوية حادة : والذى يفعل زاوية حادة ط || فأما : وأما جـ ، ص (١٠) وكان : فكان م (١٢) وكذلك : ولذلك م (١٣) قد يحفظ الانفراج : ساقطة من د (١٦) التى : + هى م || ومال : وصار د ، ص ، ط (١٧) بها : ساقطة من م (١٨) بقائمة : لقائمة جـ ؛ بقائمته ط .

بهذه الصفة. والقائمة بهذه الصفة من حيث هى بالقوة الموجودة بالفعل قوة هى قائمة بالقوة، فإن القوة من حيث هى قوة وجودٌ بالفعل. وربما كانت القوة أيضا موجودة بالقوة وهى القوة البعيدة من الفعل، ثم تصير بالفعل قوة قريبة. فإن القوة القريبة على تكوّن الإنسان فى الغذاء تكون بالقوة، ثم إذا صار ميّتاً
٥ صارت تلك القوة القريبة موجودة بالفعل، وإنما يكون فعلها غير موجود .

فإذن الحادة تحد بقائمة لا بالفعل مطلقا، بل بالقوة. فلا تحد بنظير لها ولا أيضا بما ليس له حصول. فإن المحدود به قائم بالقوة، وذلك له من حيث هو كذلك حصول بالفعل، وبالحرى إن عرفت الحادة والمنفرجة بالقائمة فإن القائمة تحقق من المساواة والمماثلة والوحدانية، وتانك تحققان من الخروج عن المساواة.
١٠ وأما القائمة فتتحقق بذاتها. ولقد كان يمكن أن يقال: إن الحادة أصغر زاويتين مختلفتين تحدثان من قيام خط على خط، والمنفرجة أعظمهما، وكان حينئذ إذا حقق فقد أشير إلى القائمة، لأن الأكبر هو الذى يكون مِثْلاً وزيادة، والأصغر هو الذى ينقص عن المِثْل. فبالمثل تحقق معرفة الصغر والكبر، وبالواحد المتشابه تحقق المتكثر الغير المتشابه المختلف .

١٥ فهكذا يجب أن يتصور الحال فى أجزاء المحدودات، ثم يجب أن يتذكر ما قلناه قبل أيضا فى حال أجزاء المادة وعلاقتها .

---

(١) والقائمة بهذه الصفة: ساقطة من جـ، ص، ط (٣) البعيدة: القريبة م (٥) صارت: صار ط || موجود: موجودة جـ (٦) تحد: لا تحد ط || لا بالفعل: بالفعل ط || فلا تحد: ولا تحد ص || بنظير لها: بنظيرتها جـ، د، ص، ما؛ + بالقوة جـ، هامش ص (٨) حصول: فحصول ص، ط (١١) أعظمهما: أعظمها جـ، د، ص، ط || وكان: فكان جـ، ص (١٣) فبالمثل: وبالمثل ط || الصغر: الصغير ط || والكبر وبالواحد: والكبير بالواحد ط || المتشابه: الغير المتكثر غ (١٥) أن يتذكر: أن تكون تذكره || ما قلناه: ما قلناه د .

تم طبع هذا الكتاب فى يوم الاثنين ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٧٩ هـ
(الموافق ٢٠ يونيه سنة ١٩٦٠ م)

محمد القاتح عمر
عضو مجلس الإدارة المنتدب

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٦١٢٤ س ١٩٥٨ – ٤٠٠٠



IBN SĪNĀ

AL-SHIFĀ'

Al-Ilāhiyyāt (1)

(LA MÉTAPHYSIQUE)

TEXTE ÉTABLI ET ÉDITÉ

PAR

G. C. ANAWATI et SA'ID ZAYED

REVU ET PRÉCÉDÉ D'UNE INTRODUCTION

PAR

Le Dr. IBRAHIM MADKOUR

RÉPUBLIQUE ARABE UNIE
MINISTÈRE DE LA CULTURE ET DE L'ORIENTATION
RÉGION DU SUD
DÉPARTEMENT CULTUREL

A l'occasion du Millénaire d'Avicenne

LE CAIRE
Organisation Générale
des Imprimeries Gouvernementales
1960

ابن سينا

الشفاء

الإلهيات (٢)

راجعه وقدم له

الدكتور ابراهيم مدكور

تحقيق الأساتذة

محمد يوسف موسى   سليمان دنيا   سعيد زايد

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإقليم الجنوبى
الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - ايران ١٤٠٤ ق

المقالة السادسة

وفيها خمسة فصول

---

(١) السادسة + من الجملة الرابعة من الكتاب ب ، جـ ، ص ، ط ، م (٢) وفيها : ساقطة من
ج ، م || خمسة : ساقطة من ب || وفيها خمسة فصول : ساقطة من د



[الفصل الأول]

(١) فصل

فى أقسام العلل وأحوالها

قد تكلمنا فى أمر الجواهر والأعراض ، وفى اعتبار التقدم والتأخر فيها ، وفى معرفة مطابقة الحدود للمحدودات الكلية والجزئية . فبالحرى أن نتكلم الآن فى العلة والمعلول ، ٥
فإنهما أيضا من اللواحق التى تلحق الموجود بما هو موجود .

والعلل كما سمعت، صورة وعنصر وفاعل وغاية. فنقول: إنا نعنى بالعلة الصورية ، العلة التى هى جزء من قوام الشىء ، يكون الشىء بها هو ما هو بالفعل ؛ و بالعنصرية العلة التى هى جزء من قوام الشىء ، يكون بها الشىء هو ما هو بالقوة ، وتستقر فيها قوة وجوده ؛
و بالفاعل ، العلة التى تفيد وجودا مباينا لذاتها ، أى لا تكون ذاتها بالقصد الأول محلا ١٠
لما يستفيد منها وجود شىء يتصور بها ، حتى يكون فى ذاتها قوة وجوده إلا بالعرض ، ومع ذلك فيجب ألا يكون ذلك الوجود من أجله من جهة ما هو فاعل ، بل إن كان ولا بد فباعتبار آخر ، وذلك لأن الفلاسفة الإلهيين ليسوا يعنون بالفاعل مبدأ التحريك فقط ، كما يعنية الطبيعيون، بل مبدأ الوجود ومفيده، مثل البارى للعالم ؛ وأما العلة الفاعلية
الطبيعية فلا تفيد وجودا غير التحريك بأحد أنحاء التحريكات ؛ فيكون مفيد ١٥
الوجود فى الطبيعيات مبدأ حركة ؛ ونعنى بالغاية ، العلة التى لأجلها يحصل وجود شىء مباين لها .

---

(١) فصل : الفصل الأول ط ؛ ساقطة من د (٤) الجواهر : الجوهر ب || اعتبار : ساقطة من ص || فيها : ساقطة من ـ (٥) فى العلة : فى العلية ـ ، ص ، ط (٧) سمعت : سمعته ب ، ص ، ط ، م || فنقول : والعلل ـ ، د ، ص ، م || إنا : إنما ـ ، د (٨) يكون الشىء بها : يكون به الشىء د ، م : يكون بها الشىء ب ، ـ ، ص ، ط || و بالعنصرية : و بالعنصر ب ، ـ ، ص ، ط ، م (٩) هى جزء من قوام الشىء : ساقطة م || بها : به د (١٠) لذاتها : لذاته ـ || أى لا تكون ذاتها : ليس يكون ذاته ـ (١١) بها : به ب ، ج || حتى : وحتى ب ، د ، م || ذاتها : ذاته ب ، ـ ، د ، ط ، م (١٢) من جهة : من جهته ب ، د ، ط (١٦) العلة : ساقطة من د .

وقد يظهر أنه لا علة خارجة عن هذه ، فنقول . إن السبب للشيء لا يخلو إما أن يكون داخلا فى قوامه وجزءا من وجوده، أو لا يكون . فإن كان داخلا فى قوامه وجزءا من وجوده فإما أن يكون الجزء الذى ليس يجب من وجوده وحده له أن يكون بالفعل ، بل أن يكون بالقوة فقط ، ويسمى هيولى ؛ أو يكون الجزء الذى وجوده هو صيرورته ٥ بالفعل ، وهو الصورة . وأما إن لم يكن جزءا من وجوده فإما أن يكون ما هو لأجله ، أو لا يكون . فإن كان ما هو لأجله ، فهو الغاية ؛ وإن لم يكن ما هو لأجله ، فلا يخلو إما أن يكون وجوده منه بألا يكون هو فيه إلا بالعرض ، وهو فاعله ، أو يكون وجوده منه بأن يكون هو فيه ، وهو أيضا عنصره أو موضوعه .

فتكون المبادئ إذن كلها من جهة خمسة ، ومن جهة أربعة . لأنك إن أخذت ١٠ العنصر الذى هو قابل ، وليس جزءا من الشيء ، غير العنصر الذى هو جزء ، كانت خمسة. وإن أخذت كليهما شيئا واحدا ، لاشتراكهما فى معنى القوة والاستعداد ، كانت أربعة. ويجب ألا تأخذ العنصر بمعنى القابل الذى هو جزء ، مبدأ للصورة بل للمركب . إنما القابل يكون مبدأ بالعرض ، لأنه إنما يتقوم أولا بالصورة بالفعل ، وذاته باعتبار ذاته فقط تكون بالقوة ، والشيء الذى هو بالقوة من جهة ما هو بالقوة ، لا يكون مبدأ ألبتة. ١٥ ولكنه إنما يكون مبدأ بالعرض ، فإن العرض يحتاج إلى أن يكون قد حصل الموضوع له بالفعل، ثم صار سببا لقوامه، سواء كان العرض لازما فتكون الأولية بالذات ، أو زائلا فتكون الأولية بالذات وبالزمان . فهذه هى أنواع العلل . وإذا كان الموضوع علة لعرض يقيمه ، فليس ذلك على النوع الذى يكون فيه الموضوع علة للمركب ، بل هو نوع آخر .

---

(١) هذه : هذا ح ، د || السبب : + المطلق د (٢ — ٣) أو لا يكون . . . . وجوده : ساقطة من د (٥ — ٦) فإما أن يكون . . . فلا يخلو : فإما أن يكون ما لأجله وهو الغاية ، أو لا يكون ما هو لأجله فلا يخلو م (٧ — ٨) بألا يكون . . . وهو أيضا : أن يكون فيه ، وهو أيضا ط (٩) إن : إذا ب ، ح ، ط ، م (١٣) بالعرض : للعرض م (١٤) والشيء الذى هو بالقوة : ساقطة من ط || هو : ساقطة من د (١٥) بالعرض : للعرض ب ، د ، ص ، ط ، م (١٦ — ١٧) أو زائلا . . . بالذات : ساقطة من ط (١٧) الموضوع : الموضوع ط (١٨) يقيمه : لقيمته د .

وإذا كانت الصورة علة للمادة تقيمها ، فليست على الجهة التي تكون الصورة علة للمركب ، وإن كانا يتفقان من جهة أن كل واحد منهما علة لشيء لا تباينه ذاته . فإنهما وإن اتفقا في ذلك ، فإن أحد الوجهين ليس تفيد العلة للآخر وجوده ، بل إنما يفيد الوجود شيء آخر ولكن فيه ؛ والثاني يكون العلة فيه هو المبدأ القريب لإفادة المعلول وجوده بالفعل ، ولكن ليس وحده ، وإنما يكون مع شريك وسبب يوجد هذه العلة ، ٥
أعني الصورة ، فتقيم الآخر به ، فتكون واسطة مع شريك في إفادة ذلك وجوده بالفعل وتكون الصورة للمادة كأنها مبدأ فاعل لو كان وجودها بالفعل يكون عنه وحده ، ويشبه أن تكون الصورة جزءا للعلة الفاعلية ، مثل أحد محركي السفينة على ما سيتضح بعد . وإنما الصورة ، علة صورية للمركب منها ومن المادة ، فالصورة إنما هي صورة للمادة ولكن ليست علة صورية للمادة . ١٠

والفاعل يفيد شيئا آخر وجودا ليس للآخر عن ذاته ، ويكون صدور ذلك الوجود عن هذا الذي هو فاعل، من حيث لا تكون ذات هذا الفاعل قابلة لصورة ذلك الوجود، ولا مقارنة له مقارنة داخلة فيه ، بل يكون كل واحد من الذاتين خارجا عن الآخر ، ولا يكون في أحدهما قوة أن يقبل الآخر . وليس يبعد أن يكون الفاعل يوجد المفعول حيث هو ، وملاقيا لذاته ؛ فإن الطبيعة التي في الخشب هي مبدأٌ فاعل للحركة ، وإنما ١٥
تحدث الحركة في المادة التي الطبيعة فيها وحيث ذاته ، ولكن ليس مقارنتهما على سبيل أن أحدهما جزء من وجود الآخر أو مادة له ، بل الذاتان متباينتان في الحقائق ، ولهما محل مشترك ، فمن الفاعل ما يتفق وقتا أن لا يكون فاعلا ، ولا مفعوله مفعولا ، بل يكون مفعوله معدوما ، ثم يعرض للفاعل الأسباب التي يصير بها فاعلا بالفعل .

---

(١) كانت : كان د . (١ — ٢) كانت الصورة . . . المركب : جاءت هذه العبارة في هامش ص
(٢) ذاته : ساقطة من ب . (٣) فإن : + في ب ، ح ، ص ، ط || للآخر : الآخر ب ، ح ، د ، ط ، م . || يفيد : يفيده ح ، د ، ص ، ط ، م (٤) هو : ساقطة من م .
(٥) بالفعل : + فيه ط . || شريك : الشريك ط || وسبب : ولسبب ط (٧) وتكون : فتكون ب ، ح ، ص ، ط ، م || ويشبه : أو يشبه ب ، ح ، ط ، م (٨) جزءا للعلة : جزء علة ص .
|| على : وعلى ب ، ح ، ص ، ط ، م (١١) والفاعل : وفاعل ح (١٢) قابلة : قابلا ح ، د ، م (١٣) ولا مقارنة : ولا مقارنا ح ، د ، م : (١٦) مقارنتهما : مقارنتها ط
(١٧) أحدهما : أحدها ح ، د ، ص ، ط . || متباينتان : تباينان د ، ط .

وقد تكلمنا فى هذا فيما سلف، فحينئذ يصير فاعلا، فيكون عنه وجود الشىء بعد ما لم يكن، فيكون لذلك الشىء وجود، ولذلك الشىء أنه لم يكن، وليس له من الفاعل أنه لم يكن، ولا أنه كان بعد ما لم يكن، إنما له من الفاعل وجوده. وإذن فإن كان له من ذاته اللاوجود، لزم أن صار وجوده بعد ما لم يكن، فصار كائنا بعد ما لم يكن.

٥ فالذى له بالذات من الفاعل الوجود، وأن الوجود الذى له، إنما هو لأن الشىء الآخر على جملة يجب عنها أن يكون لغيره وجود عن وجوده الذى له بالذات. وأما أنه لم يكن موجودا فليس عن علة فعلته، فإن كونه غير موجود قد ينسب إلى علة ما، وهو عدم علته، فأما كون وجوده بعد العدم فأمر لم يصر لعلة، فإنه لا يمكن ألبتة أن يكون وجوده إلا بعد عدم. وما لا يمكن فلا علة له، نعم وجوده يمكن أن يكون، وأن لايكون، ١٠ فلوجوده علة، وعدمه قد يكون وقد لايكون، فيجوز أن يكون لعدمه علة، وأما كون وجوده بعد ما لم يكن فلا علة له.

فإن قال قائل: كذلك وجوده بعد عدمه، يجوز أن يكون، ويجوز أن لا يكون، فنقول: إن عنيت وجوده من حيث هو وجوده، فلا مدخل للعدم فيه؛ فإن نفس وجوده يكون غير ضرورى، أى ممكن، وليس هو غير ضرورى من حيث هو بعد عدم، ١٥ ولكن الغير الضرورى، وجوده هذا الذى اتفق الآن، وقد كان معدوما. وأما من حيث أخذ وجوده وجودا بعد عدم، فليلحظ كونه بعد عدم، لا كونه موجودا فقط، الذى كان بعد عدم، واتفق بعد عدم، وذلك لاسبب له، فلا سبب لكون وجوده بعد العدم،

(١) وقد تكلمنا فى هذا: وقد تكلمنا فيه ب: على ما تكلمنا فيه د، ط، م
(٣) فإن: ساقطة من ب، ح، ص، ط، م (٤) اللاوجود: أن لا وجود د (٦) يكون: + لا ح
(٨) فأما: + أن ح || لم يصر: لا يصير ح، ص، ط (٩) وما لا: وما لم ح، ص
|| علة: + فيجوز أن لا يكون لعدم علة ج؛ ساقطة من ص (١١) فلا: فاعلا م
|| له: ساقط من ح (١٢) كذلك: كل ص، ط (١٣) هو: ساقطة من ب، ح || وجوده:
+ وحده ط (١٤) أى ممكن: ساقط من ح، د، ص، ط، م || وليس هو: وليس د، م
|| ضرورى: + فيه ح، د (١٥) لكن: ولكل ب || الضرورى: كضرورى ط
|| وقد: ساقطة من ب، ح، ص، ط، م (١٦) أخذ: يأخذ ب، ح، د، ص، م
|| فليلحظ: فيلحظ ح، ص: فلنحفظ د، م || عدم: ساقطة من ح، د، ص، م (١٧) وذلك: فذلك
ص، م، ه || فلا سبب: فذلك لا سبب م || لكون: لكونه ح.

وإن كان سببا لوجود، الذى كان بعد عدم من حيث وجوده . فحق أن وجوده جائز أن يكون وأن لا يكون بعد العدم الحاصل ، وليس بحق أن يكون وجوده بعد العدم من حيث هو وجود بعد العدم جائز أن يكون وجودا بعد العدم وأن لا يكون بعد العدم ، اللهم إلا أن لا يكون وجودا أصلا فيكون الاعتبار للوجود .

وربما ظن ظان أن الفاعل والعلة إنما يحتاج إليه ليكون للشيء وجود بعد ما لم يكن ، ٥ وإذا وجد الشيء ، فلو فقدت العلة ، لوجد الشيء مستغنيا بنفسه ، فظن من ظن أن الشيء إنما يحتاج إلى العلة فى حدوثه ، فإذا حدث ووجد فقد استغنى عن العلة ، فتكون عنده العلل علل الحدوث فقط وهى متقدمة لا معا ، وهو ظن باطل لأن الوجود بعد الحدوث لا يخلو إما أن يكون وجودا واجبا أو وجودا غير واجب ؛ فإن كان وجودا واجبا ، فإما أن يكون وجوبه لتلك الماهية لذات تلك الماهية حتى تقتضى تلك الماهية ١٠ وجوب الوجود فيستحيل حينئذ أن تكون حادثة ، وإما أن يجب لها بشرط ، وذلك الشرط إما الحدوث ، وإما صفة من صفات تلك الماهية ، وإما شيء مباين ، ولا يجوز أن يكون وجوب وجوده بالحدوث ؛ فإن الحدوث نفسه ليس وجوده واجبا بذاته ، فكيف يجب به وجود غيره . والحدوث قد بطل فكيف يكون عند عدمه علة لوجوب غيره ، إلا أن يقال إن العلة ليست هى الحدوث، بل كون الشيء قد حصل له الحدوث، ١٥ فيكون هذا من الصفات التى للشيء الحادث فيدخل فى الجملة الثانية من القسمين .

فنقول : إن هذه الصفات لا تخلو إما أن تكون للماهية بما هى ماهية ، لا بما هى قد وجدت ، فيجب أن يكون ما قد يلزمها يلزم الماهية، فتكون الماهية يلزمها وجوب الوجود ؛ أو تكون هذه الصفات حادثة مع الوجود ، فيكون الكلام فى وجوب وجودها

---

(٢) يكون : ساقطة من ب (٣) وجود : + إلى د || بعد العدم : ساقطة من ب ، ح ، ص ، ط ، م (٦) وإذا : فإذا ب ، ح ، د ، ص ، م || من ظن : ساقطة ب ، ص ، ط ، م || ظن : خلق ح (٨) وهو : فهو ح ، د || باطل : + لما علمت ب ، ح ، د ، ص ، ط || لأن : ولأن د (١٠) وجوبه : وجوده د || الماهية : الماهية ح (١٣) فإن : لأن ح (١٤) علة : ساقطة من ب. (١٥) يقال إن العلة : يقال العلة ط || ليست : ليس ب || كون : يكون د . (١٧) هى : ساقطة من ح ، د ، ص ، م . (١٨) قد : ساقطة من ب ، ص ، ط ، م .

كالكلام فى الأول ، فإما أن يكون هناك صفات بلا نهاية كلها بهذه الصفة ، فتكون كلها ممكنة الوجود ، غير واجبة بذاتها ، و إما أن تنتهى إلى صفة تجب بشىء خارج . والقسم الأول يجعل الصفات كلها ممكنة الوجود فى أنفسها ، وقد بان أن الممكن الوجود فى نفسه ، موجود بغيره ، فتكون جميع الصفات تجب بغير خارج عنها . والقسم الثانى ٥ يوجب أن الوجود الحادث إنما يبقى وجودا بسبب من خارج وهو العلة .

على أنك قد علمت أن الحدوث ليس معناه إلا وجودا بعد ما لم يكن، فهناك وجود، وهناك كون بعد ما لم يكن ، وليس للعلة المحدثة تأثير وغناء فى أنه لم يكن ، بل إنما تأثيرها وغناؤها فى أن منه الوجود . ثم عرض أن كان ذلك ، فى ذلك الوقت ، بعد ما لم يكن ، والعارض الذى عرض بالاتفاق لا دخول له فى تقوم الشىء ، فلا دخول للعدم ١٠ المتقدم فى أن يكون للوجود الحادث علة ، بل ذلك النوع من الوجود بما هو لذلك النوع من الماهيات مستحق لأن يكون له علة و إن استمر و بقى. ولهذا لا يمكنك أن تقول: إن شيئا جعل وجود الشىء بحيث يكون بعد أن لم يكن، فهذا غير مقدور عليه، بل بعض ما هو موجود واجب ضرورة أن لا يكون بعد عدم، و بعضه واجب ضرورة أن يكون بعد عدم .

١٥ فأما الوجود ، من حيث هو وجود هذه الماهية ، فيجوز أن يكون عن علة ؛ وأما صفة هذا الوجود ، وهى أنه بعد ما لم يكن ، فلا يجوز أن تكون عن علة ؛ فالشىء من حيث وجوده حادث ، أى من حيث أن الوجود الذى له موصوف بأنه بعد العدم

---

٢) بشىء : لشىء ب (٤) موجود : وجوده ب ، ص ، ط ، || بغيره : لغيره ح
(٥) الوجود : الموجود ط || من : ساقطة من ح ، د ، م (٦) فهناك وجود : ساقطة من م
(٧) كون : كونه ب ، ح ، ص ، م || وغناء : وغنى ب ، ح ، د ، ص ، ط (٨) تأثيرها : تأثيره ب ، ح ، د ، م || وغناؤها : وغناه ب ، ح ؛ وغناءه د ؛ وغناؤه م || أن كان : ساقطة من د
١٠) لذلك : بذلك ح ، ط ، ه (١١) أن : ساقط من د (١٣) وبعضه : وبعضها ح || أن يكون : أن يكون ضرورة د || أن : ساقطة من ط (١٥) هو : + هو ح ، د || أن يكون : ساقطة من ص (١٧) حيث (الأولى) : + هو ص .

لا علة له بالحقيقة ، بل العلة له من حيث للماهية وجود ، فالأمر بعكس ما يظنون بل العلة للوجود فقط ، فإن اتفق أن سبقه عدم كان حادثا ، و إن لم يتفق كان غير حادث .

والفاعل، الذى تسميه العامة فاعلا، فليس هو بالحقيقة علة من حيث يجعلونه فاعلا، فإنهم يجعلونه فاعلا من حيث يجب أن يعتبر فيه أنه لم يكن فاعلا ، فلا يكون فاعلا من حيث هو علة ، بل من حيث هو علة وأمر لازم معه، فإنه يكون فاعلا من حيث اعتبار ٥ ماله فيه أثر مقرونا باعتبار ما ليس له فيه أثر، كأنه إذا اعتبرت العلة من حيث ما يستفاد منها مقارنا لما لا يستفاد منها سمى فاعلا . فلذلك كل شىء يسمونه فاعلا يكون من شرطه أن يكون بالضرورة قد كان مرة غير فاعل ، ثم أراد أو قسر، أو عرض حال من الأحوال لم يكن ، فلما قارنه ذلك المقارن كان ذاته مع ذلك المقارن علة بالفعل ، وقد كان خلا عن ذلك ، فيكون فاعلا عندهم من حيث هو علة بالفعل بعد كونه علة بالقوة ، لا من ١٠ حيث هو علة بالفعل فقط .

فيكون كل ما يسمونه فاعلا يلزم أن يكون أيضا ما يسمونه منفعلا ، فإنهم لا يخلونه عن مقارنة ما يقارنه من حال حادثة لأجلها ما صدر عنه وجوده بعد ما لم يكن . فإذا ظهر أن وجود الماهية يتعلق بالغير من حيث هو وجود لتلك الماهية لا من حيث هو بعد ما لم يكن ، فذلك الوجود من هذه الجهة معلول ما دام موجودا . كذلك كان معلولا ١٥ متعلقا بالغير ، فقد بان أن المعلول يحتاج إلى مفيده الوجود لنفس الوجود بالذات ، لكن الحدوث وما سوى ذلك أمور تعرض له ، وأن المعلول يحتاج إلى مفيده الوجود دائما سرمدا ما دام موجودا .

---

(١) حيث : + أن د || الماهية : الماهية م : لماهيته ب ، ح ، ط || بعكس ما : بالعكس مما ط : بعكس مما ص (٣) والفاعل : وفاعل ب ، ح ، ه : فالفاعل د (٤) فإنهم : فلأنهم ح || يجعلونه : يجعلون ح || فلا يكون فاعلا : ساقط من ب ، ح ، ص (٥) أمر : ساقط من د (٦) له : ساقطة من ص || اعتبرت : اعتبر ب ، ح ، د ، ص ، م || يستفاد : استفاد ح (٧) فلذلك : فكذلك د (٨) أو عرض حال : أو عارض أو حال ب (١٣) وجوده : وجود ب ، ح ، د ، ط ، م || فإذا : فإن د ، م : فإذ ب ، ح : فإذن ص (١٥) ما دام : وما دام ب .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى حل ما يتشكك به على ما يذهب إليه أهل الحق من أن كل علة هى مع معلولها ، وتحقيق الكلام فى العلة الفاعلية

٥ والذى يظن من أن الابن يبقى بعد الأب ، والبناء يبقى بعد البنّاء ، والسخونة تبقى بعد النار ، فالسبب فيه تخليط واقع من جهة جهل العلة بالحقيقة ، فإن البنّاء والأب والنار ليست عللا بالحقيقة لقوام هذه المعلولات ، فإن البانى العامل له المذكور ، ليس علة لقوام البِنَاء المذكور ، ولا أيضا لوجوده .

أما البنّاء فحركته علة لحركة ما ، ثم سكونه وتركه الحركة أو عدم حركته ونقله بعد ١٠ ذلك النقل علة لانتهاء تلك الحركة ، وذلك النقل بعينه وانتهاء تلك الحركة علة لاجتماع ما ، وذلك الاجتماع علة لتشكل ما ، وكل واحد مما هو علة فهو ومعلوله معا .

وأما الأب فهو علة لحركة المنى ، وحركة المنى إذا انتهت على الجهة المذكورة علة لحصول المنى فى القرار ، ثم حصوله فى القرار علة لأمر ؛ وأما تصويره حيوانا وبقاؤه حيوانا فله علة أخرى ؛ فإذا كان كذلك كان كل علة مع معلولها .

١٥ وكذلك النار علة لتسخين عنصر الماء ، والتسخين علة لإبطال استعداد الماء بالفعل لقبول صورة المائية أو حفظها ، وذلك أن شيئا آخر علة لإحداث الاستعداد التام فى مثل هـذه الحال لقبول ضدها وهى الصورة النارية ، وعلة الصورة النارية هى العلل التى تكسو العناصر صورها وهى مفارقة .

---

(٢) فصل : الفصل الثانى ط ؛ ساقط من د (٣) فى حل ما يتشكك به : فى حد ما يتشكك ط || إليه : به ـ || من : فى م (٤) هى : فهى ب ، ـ ، د ، ص ، ط (٥) البنّاء : البانى ب ، د ، م (٦) جهة : حيث د (٧) هذه المعلولات فإن : ساقطة من م (٧ — ٨) ليس علة لقوام البناء المذكور : ساقطة من م (٩) أما : وأما ـ || ونقله : ونقلته ب ، ـ ، د ، ص ، م (١٠) ذلك : تلك ب ، ه || النقل : النقلة د ، ص ، ط ، م || علة لانتهاء ... وانتهاء تلك الحركة : ساقطة من م || تلك (الأولى) : ساقطة من ط (١٢) وحركة المنى : ساقطة من ب ، د (١٣) لأمر : الأمور د (١٣ — ١٤) وبقاؤه حيوانا : ساقطة من ـ (١٥) الماء : النار م (١٦) أو حفظها : وحفظها ط || أن شيئا : أو شىء ب ، ـ ، ص ، م : إذ شىء (١٧) الصورة النارية : صورة النارية ب ، ـ ، د ، ص ، م (١٧) الصورة : صورة ـ ، ط .

فتكون العلل الحقيقية موجودة مع المعلول ؛ وأما المتقدمات فهى علل ، إما بالعرض وإما معينات . فلهذا يجب أن يعتقد أن علة شكل البناء هو الاجتماع ، وعلة ذلك طبائع المجتمعات وثباتها على ما أُلِّفَتْ ، وعلةُ ذلك السببُ المفارق الفاعل للطبائع . وعلة الولد اجتماع صورته مع مادته بالسبب المفيد للصور . وعلة النار السبب المفيد للصور وزوال الاستعداد التام لضد تلك الصور معا . فنجد إذن أن العلل مع المعلولات . ٥

وإذا قضينا فيما يتصل به كلامنا بأن العلل متناهية ، فإنما نشير إلى هذه العلل ولا نمنع أن تكون عللا مُعينةً ومُعِدَّةً بلا نهاية ، بعضها قبل بعض ، بل ذلك واجب ضرورة ، لأن كل حادث فقد وجب بعد ما لم يجب لوجوب علته حينئذ كما بينا ، وعلته ما كان أيضا وجب . فوجب فى الأمور الجزئية ، أن تكون الأمور المتقدمة التى بها تجب فى العلل الموجودة بالفعل ، أن تصير عللا لها بالفعل أمورا بلا نهاية ، ١٠ ولذلك لا يقف فيها سؤال لِمَ البتة .

ولكن الإشكال ههنا فى شئ ، وهو أن هذه التى بلا نهاية لا يخلو إما أن يوجد كل واحد منها آنا فتتوالى آنات متشافعة ليس بينها زمان وهذا محال ؛ وإما أن يبقى زمانا فيجب أن يكون إيجابها فى كل ذلك الزمان لا فى طرف منه ، ويكون المعنى الموجب لإيجابها أيضا معها فى ذلك الزمان ، ويكون الكلام فى إيجاب إيجابها ١٥ كالكلام فيه ، وتحصل علل بلا نهاية معا .

وهذا هو الذى نحن فى منعه فنقول : إنه لولا الحركة لوجب هذا الإشكال ، إلا أن الحركة تبقى الشئ الواحد لا على حالة واحدة فلا يكون ما يتجدد من حالة بعد حالة فى آن بعد آن يشافعه ويماسه ، بل كذلك على الاتصال ، فتكون ذات العلة غير موجبة

---

(٤) للصور (الثانية) : للصورة د (٥) الصور : الصورة ب ، د ، ﺣ ، ط ، م || إذن : ساقطة من ﺣ || أن : ساقطة من ب ، د ، ص ، م (٦) وإذا : فإذا د || قضينا : فصلنا ﺣ || بأن : فأن م (٩) فوجب : + فيجب م (١١) ولذلك : وكذلك ب || سؤال : سؤالها ﺣ (١٣) منها : ساقطة من م (١٤) المعنى : معنى د (١٤ — ١٥) لا فى طرف منه . . . الزمان ساقط من م (١٥) لإيجابها : إيجابها ب ، د (١٧) نحن : ساقطة من م (١٨) حالة : حال د ، م || فلا : ولا ب ، جـ ، د ، م (١٩) فتكون : + كون ﺣ ، د ، ص ، ط .

لوجود المعلول بل لكونها على نسبة ما ، وتلك النسبة تكون علتها الحركة أو شريكة علتها أو التى بها العلة علة بالفعل الحركة ، فتكون حينئذ العلة لا ثابتة الوجود على حالة واحدة ولا باطلة الوجود حادثة فى آن واحد ، فباضطرار إذن تكون العلة الحافظة أو المشاركة لنظام هـذه العلل التى بسـببها تحل الإشكالات هو الحركة ، وسنوضح ذلك فى موضعه إيضاحا أشفى من هذا . فقد بان ووضح أن العلل الذاتية للشئ التى بها وجود ذات الشئ ٥ بالفعل يجب أن تكون معه لا متقدمة فى الوجود تقدما يكون زواله مع حدوث المعلول، وأن هذا إنما يجوز فى حال غير ذاتية أو غير قريبة ، والعلل غير الذاتية أو الغير القريبة لا يمنع ذهابها إلى غير النهاية بل يوجبه .

وإذ قد تقرر هذا ، فإذا كان شئ من الأشياء لذاته سببا لوجود شئ آخر دائما كان سببا له دائما ما دامت ذاته موجودة . فإن كان دائم الوجود كان معلوله دائم ١٠ الوجود، فيكون مثل هذا من العلل أولى بالعلية لأنه يمنع مطلق العدم للشئ فهو الذى يعطى الوجود التام للشئ . فهذا هو المعنى الذى يسمى إبداعا عنـد الحكماء وهو تأييس الشئ بعد ليس مطلق ، فإن للمعلول فى نفسه أن يكون "ليس" ويكون له عن علته أن يكون "أيس" . والذى يكون للشئ فى نفسه أقدم عند الذهن بالذات لا فى الزمان ، من الذى يكون عن غيره ، فيكون كل معلول "أيسا" بعد "ليس" بعدية بالذات . ١٥

فإن أطلق اسم المحدَث على كل ما له "أيس" بعد "ليس" وإن لم تكن بعَدية بالزمان كان كل معلول محدثا ، وإن لم يطلق ، بل كان شرط المحدث أن يوجد زمان ووقت كان قبله

---

(١) لوجود : الوجود ﺟ ، ط ، ﻫ || لكونها : تكون د (٢) أو التى : والتى ط || التى : + هى ط || العلة (الثانية) : ساقطة من ب ، د ، د ، ص ، ط || لا ثابتة : لا باقية ب ، ﺟ ، ص || حالة : حال د ، م (٣) إذن : + أن ، ب ، ﺟ ، ص ، م (٤) ذلك : هذا ﺟ ، د ، ص ، ط ، م (٥) ووضح : وصح ﺟ ، د ، م (٦) لا متقدمة : لا تتقدمه ب ، ﺟ ، د ، ص ، م || تقدما : مقدما ب ، ﺟ (٧) غير ذاتية : غير الذاتية ب ، ﺟ || غير قريبة : غير القريبة ب ، ﺟ || غير الذاتية : الغير الذاتية ب ، د ، ص ، ط ، م (٩) قد : ساقطة من ب (١٢) تأييس : تليس ب (١٣) للمعلول : المعلول ب ، د ، ﻫ (١٤) من : عن ﺟ ، د ، ص ، م (١٥) ليس : + ليس ط (١٦) المحدث : الحدث ب ، ﺟ ، م ؛ ﻫ ، وث ، ط || بالزمان : فى الزمان ب ، ﺟ ، د ، ص ، م .

فبطل لمجيئه بعده ، فتكون بَعديته بَعدية لا تكون مع القبلية موجودة ، بل تكون ممايزة لها في الوجود ، لأنها زمانية . فلا يكون كل معلول محدثا ، بل المعلول الذى سبق وجوده زمان سبق وجوده لا محالة حركة وتغير كما علمت ، ونحن لا نناقش فى الأسماء .

ثم المحدث بالمعنى الذى لا يستوجب الزمان لايخلو إما أن يكون وجوده بعد "ليس" مطلق ، أو يكون وجوده بعد "ليس" غير مطلق بل بعد عدم مقابل خاص فى مادة ٥ موجودة على ما عرفته . فإن كان وجوده بعد "ليس" مطلق كان صدوره عن العلة ، ذلك الصدور إبداعا ، ويكون أفضل أنحاء إعطاء الوجود ، لأن العدم يكون قد منع ألبتة، وسُلِّط عليه الوجود، ولو مُكن العدم تمكينا فسبق الوجود كان تكوينه ممتنعا إلا عن مادة ، وكان سلطان الإيجاد ، أعنى وجود الشئ من الشئ ضعيفا قصيرا مستأنفا .

١٠ ومن الناس من لا يجعل كل ما هـذا صفته مبدَعا ، بل يقول ، إذا توهمنا شيئا وجد عن علة أولى بتوسط علة ومعطى فاعلية ، وإن لم يكن عن مادة ، ولا كان لعدمه سلطان ، ولكن كان وجوده عن العلة الأولى الحقيقية بعـــد وجود آخر انساق إليه ، فليس تأييسه عن "ليس" مطلقا ، بل عن "أيس" وإن لم يكن ماديا . ومن الناس من يجعل الإبداع لكل وجود صورى كيف كان ، وأما المـادى ، وإن لم تكن المـادة ١٥ سبقت فيخص نسبته إلى العلة باسم التكوين .

ونحن لا نناقش فى هذه الأسماء ألبتة بعد أن تحصل المعـانى متميزة ، فنجد بعضها له وجود عن علة دَوْماً بلا مادة، وبعضها بمـادة، وبعضها بواسطة، وبعضها بغير واسطة ، ويحسن أن يسمى كل ما لم يوجد عن مادة سابقة غيرمتكون بل مبدعا ،وأن نجعل أفضل ما يسمى مبدعا ما لم يكن بواسطة عن علته الأولى مادية كانت أو فاعلية أو غير ذلك .

---

(١) لمجيئه : بمجيئه ط || فتكون : إذ يكون ب ، ح ، ص ، ط : وإذ يكون م || بعدية : ساقطة من ص ، ط ، م || لها : ساقطة من ط (٢) سبق : يسبق ط (٣) سبق : يسبق د ، ط (٨) فسبق : يسبق ح ، د ، ص ، ط ، م (١٠) هذا : هذه ب ، ح ، ص ، ط ، م (١١) بتوسط : بتوسطه د (١٢) الحقيقية : + الحقيقة د (١٣) ماديا : مادته ب (١٤) وأما المادى : وأما مادى ط || وإن : فإن د (١٦) متميزة : ساقطة من م (١٧) وجود : الوجود د || دوما : دواما د || وبعضها بمادة : ساقطة من د (١٨) نجعل : نجعله د (١٩) ما لم : لم ح ، ص ، ط || بواسطة : بواسطته ب .

ونرجع إلى ما كنا فيه فنقول : أما الفاعل الذى يعرض له أن يكون فاعلا فلا بد له من مادة يفعل فيها ، لأن كل حادث ، كما علمت ، يحتاج إلى مادة فربما فعل دفعة ، وربما فعل بالتحريك فيكون مبدأ الحركة ؛ وإذا قال الطبيعيون للفاعل ، مبدأ الحركة ، عنوا به الحركات الأربع ، وتساهلوا فى هذا الموضع فجعلوا الكون والفساد حركة. وقد يكون الفاعل بذاته فاعلا ، وقد يكون بقوة ؛ فالذى بذاته ، فمثل الحرارة لو كانت موجودة مجردة تفعل ، فكان يصدر عنها ما يصدر لأنها حرارة فقط ؛ وأما الفاعل بقوة ، فمثل النار بحرارتها وقد عددنا فى موضع آخر أصناف القوى .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

فى مناسبة ما بين العلل الفاعلية ومعلولاتها

نقول إنه ليس الفاعل كل ما أفاد وجودا أفاده مثل نفسه ، فربما أفاد وجودا مثل نفسه وربما أفاد وجودا ، لامثل نفسه ، كالنار تسود ، أو كالحرارة تسخن ؛ والفاعل الذى يفعل وجودا مثل نفسه ، فإن المشهور أنه أولى وأقوى فى الطبيعة التى يفيدها من غيره ، وليس هذا المشهور ببيّن ولا بحق من كل وجه ، إلا أن يكون ما يفيده هو نفس الوجود والحقيقة ، فحينئذ يكون المفيد أولى بما يفيده من المستفيد .

ولْنَمُدَّ من رأس فنقول : إن العلل لاتخلو إما أن تكون عللا للمعلولات فى نحو وجود أنفسها ، وإما أن تكون عللا للمعلولات فى وجودٍ آخر ، مثالُ الأول: تسخين النار ؛ ومثال الثانى : تسخين الحركة ، وحدوث التخلخل من الحرارة ، وأشياء كثيرة مشابهة لذلك .

---

(١) أما : وأما ب ، ـه ، د ، ص || فلا بد له : فلا بد ج ، ص ، م (٢) فعل : كان فعله ب (٥) فالذى : والذى ب ، ط ، م (٦) فكان : وكان ـه ، ط : كان ب (٧) فى موضع آخر : فى مواضع أخر ـه ، ص (٩) فصل : الفصل الثالث ط ؛ ساقطة من د (١٠) مناسبة : المناسبة م (١١) إنه : ساقطة من ـه ، ص (١٢) لا مثل : كله ب || أو كالحرارة : أو كالحركة ط ، م ؛ وكالحركة ب ، ـه (١٤) بحق : حق م (١٧) النار : ساقطة من ب .

ولنتكلم على العلل والمعلولات التي تناسب الوجه الأول. ولنورد الأقسام التي قد يظن في الظاهر أنها أقسامه، فنقول: قد يظن في الوجه الأول أنه قد يكون المعلول في كثير منه أنقص وجودا من العلة في ذلك المعنى، إن كان ذلك المعنى يقبل الأشد والأنقص مثل الماء إذا تسخن عن النار، وقد يكون في ظاهر النظر مثله أيضا، قَبِل ذلك أو لم يقبل، مثل النار فإنها يعتقد فيها، في الظاهر، أنها تُحيل غيرها مثل نفسها نارا في الظاهر فيكون ٥ مساويا لها في صورة النارية، لأن تلك الصورة لا تقبل الأزيد والأقل، ومساويا له في العرض اللازم من السخونة المحسوسة إذ كان صدور ذلك الفعل عن الصورة المساوية لصورته وعنه أيضا، والمادة مساوية في التهيؤ.

وأما كون المعلول أزيد في المعنى الذي هو من العلة، فهو الذي يرى أنه لا يمكن البتة ولا يوجد في الأشياء المظنونة عللا ومعلولات، لأن تلك الزيادة لا يجوز أن يكون ١٠ حدوثها بذاتها، ولا يجوز أن يكون حدوثها لزيادة استعداد المادة، حتى يكون قد أوجب ذلك خروج الشيء إلى الفعل بذاته، فإن الاستعداد ليس سببا للإيجاد، فإن جُعل سببُها العلةُ والأثرُ الذي وجد عن العلة معا، فتلك الزيادة تكون معلولة أمرين لا معلولة أمر واحد، وهما مجموعين يكونان أكثر وأزيد من المعلول الذي هو الزيادة.

فإن سلمنا هذه الظنون إلى أن نستبين حالها، ساغ لنا أن نقول: إنه إذا كان المعنى ١٥ في المعلول والعلة متساويا في الشدة والضعف فإنه يكون للعلة، بما هي علة، التقدم الذاتي لامحالة في ذلك المعنى. والتقدم الذاتي، الذي له في ذلك المعنى معنى من حال ذلك

---

(٢) (الأولى) قد: ساقطة من ب || الوجه: وجه د (٣) إن كان ذلك المعنى: ساقطة من ط || مثل: + ذلك ط (٤) وقد يكون: فإنه قد يكون ص، ط: وأنه قد يكون: ب، د (٥) في (الأولى): من ط || أنها: أنه ح (٦) مساويا: مساوية ب، ص || في صورة: في الصورة ح، ص، ط || والأقل: ولا الأقل ح: والأنقص ط (٧) إذ: إذا د (٨) لصورته: لصورتها ب (٩) هو: ساقطة من ب، ح، ص، ط، م (١١) الزيادة: بزيادة ح، د، ط || استعداد: واستعداد د (١٢) أوجب: أوجبت د || الشيء: شيء د، م (١٣) معلولة: معلول ب، ح، د، ص، م (١٤) الذي هو: التي هي ب (١٥) فإن: وإن ط || سلمنا: أسلمنا، د، م || هذه: فهذه ب || نستبين: نستبرا ب، ح، ص، ط، م || حالها: أحالتها د (١٦) والضعف: والنقص ب .

المعنى ، غير موجود للثانى ، فيكون ذلك المعنى مساويا للاول إذا أخذ بحسب وجوده وأحواله التى له من جهة وجوده أقدم منه للآخر . فيزول إذن مطلق المساواة ، لأن المساواة تبق فى الحد ، وهما من جهة ما لهما ذلك الحد متساويان ، وليس أحدهما علة ولا معلولا. فأما من جهة ما أحدهما علة والآخر معلول فواضح أن اعتبار وجود ذلك الحد لأحدهما

٥ أولى ، إذ كان له أولا لامن الثانى ولم يكن الثانى إلا منه . فظاهر من هذا أن هذا المعنى إذا كان نفس الوجود لم يمكن ان يتساويا فيه ألبتة إذ كان إنما يمكن أن يساويه باعتبار الحد ويفضل عليه باعتبار استحقاق الوجود . والآن فإن استحقاق الوجود هو من جنس استحقاق الحد بعينه ، إذ قد أخذ هذا المعنى نفس الوجود ، فَبَيِّن أنه لا يمكن أن يساويه إذا كان المعنى نفس الوجود فمفيد وجود الشىء من حيث هو وجود أولى

١٠ بالوجود من الشىء .

ولكن ههنا تفصيل آخر بنوع من التحقيق يجب أن لا نغفله ، وهو أن العلل والمعلومات تنقسم فى أول النظر عند التفكر إلى قسمين :

قسم تكون طباع المعلول فيه ونوعيته وماهيته الذاتية توجب أن يكون معلولا

١٥ فى وجوده لطبيعة أو لطبائع ، فتكون العلل مخالفة لنوعيته ، لا محالة ، إذ كانت عللا له فى نوعه لا فى شخصه . وإذا كان كذلك لم يكن النوعان واحدا ، إذ المطلوب علة ذلك النوع ، بل تكون المعلولات تجب عن نوع غير نوعها ، والعلل يجب عنها نوع غير نوعها ، تكون عللا للشئ المعلول ذاتية بالقياس إلى نوع المعلول مطلقا .

---

(١) المعنى : ساقطة من ب ، د ، م || مساويا للأول : للأول ب ، حـ ، م : الأول د ، ط || أخذ : أخذت د (٢) من جهة : فى جهة ط || منه للآخر : من الآخر ط || المساواة : المساوى م (٤) وجود : + وجود م ؛ وجوده ب (٥) إذ : إذا د || ولم يكن الثانى : ولم يكن للثانى حـ ، د ، ص ، م || من هذا : منه ، م ، ه (٦) لم يمكن : لم يكن د || إذ : إذا د (٥ — ٦) أولا ، لامن الثانى . . . ألبتة إذ كان : ساقطة من ط (٧) الوجود : الثانى ب || استحقاق : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص ، م (٨) فبين : فبين ب (٨ ، ٩) فبين أنه لا يمكن . . . الوجود : ساقطة من م (٩) فمفيد : فيفيد م (١٠) بالوجود : فى الوجود د ، م (١١) لكن : ساقطة من ب || بنوع : ونوع ب ، حـ ، ص ، ط || بنوع من : من ونوع م || يجب : ويجب د (١٢) عند التفكر : ساقطة من حـ || التفكر : الفكر ب ، د ، ص ، م (١٥) إذ : إذا د ، حـ (١٨) تكون : وتكون ب ، د ، ص ، م .

وقسم منه يكون المعلول ليس معلول العلة، والعلة علة المعلول فى نوعه بل فى شخصه . ولنأخذ هذا على ظاهر ما يقتضيه الفكر من التقسيم ، وظاهر ما يوجد له من الأمثلة وعلى سبيل التوسع ، إلى أن نبين حقيقة الحال الواجبة فيه من نظرنا فى السبب المعطى لصورة كلِّ ذى صورة من الأجسام . فمثال الأول كون النفس علة للحركة الاختيارية ، ومثال الثانى كون هذه النار علة لتلك النار . والفرق بين الأمرين معلوم ، فإن هذه النار ليست علة ٥ لتلك النار على أنها علةُ نوعيةِ النار بل على أنها علة نارما ، فإذا اعتبر من جهة النوعية كانت هذه العلة للنوعية بالعرض ، وكذلك الأب للابن لا من جهة ما هو أب وذلك ابن ، ما من جهة وجود الإنسانية . وهذا القسم يتوهم على وجهين :

أحدهما أن تكون العلة والمعلول مشتركين فى استعداد المادة كالنار والنار .

والآخر أن لا يكونا فيه مشتركين كضوء الشمس الذى فى جوهره الفاعل للضوء ههنا ١٠ أو فى القمر، وإذ ليس استعداد المادتين فيهما متساويا ولا المادتان من نوع واحد ، فبالحرى أن لا يتساوى الشخصان فى ذلك ، أعنى هذا الضوء الذى فى الشمس وهذا الضوء الحادث عنه ، فيكاد لذلك أن لا يكون الضوءان من نوع واحد عند من يشترط فى تساوى نوعيـــة الكيفيات أن لا يكون أحدهما أنقص والآخر أزيد ، على ما علمت فى موضعه من صفته، ويكونان نوعا واحدا عند من يرى المخالفة بالنقص والاشتداد مخالفة ١٥ بالعوارض والتشخصات .

وأما القسم الأول وهو أن يكون الأمران مشتركين فى استعداد المادة ، فهو أيضا على قسمين ؛ لأن ذلك الاستعداد إما أن يكون استعدادا فى المنفعل تاما ، أو يكون استعدادا ناقصا . والاستعداد التام أن لا يكون فى طباع الشىء معاوق ومضاد لما هو

---

(١) منه : ساقطة من م (٣) نبين : يتبين حـ ، ص ، ط || لصورة : الصورة ب ، د
(٤) فمثال : مثال د (٧) العلة للنوعية : النوعية للعلة د (٨) يتوهم : متوهم ب (٩) المادة كالنار : ما كالنار د ، م (١٠) فى جوهره : فى جوهر م (١١) فى : + آخر ط || وإذ : إذ ب ، حـ ، د ، ص ، ط
(١٢) فبالحرى : + من ذلك حـ ، ص (١٣) الضوءان : ضوءان حـ (١٥) ويكونان : ويكون م
|| بالنقص : التنقص ب ، حـ ، ص ، ط ، م (١٨) استعدادا ... ... يكون : ساقطة من ب .

بالقوة فيه ، كاستعداد الماء المسخن للتبرد لأن فيه نفسه قوة طبيعية — كما علمناه في الطبيعيات — تعاوق القوة الخارجة في التبريد أولا تعاوقه ؛ وأما الاستعداد الناقص فهو كاستعداد الماء للتسخن، لأن فيه قوة تعاوق التسخن الذى يحدث فيه من خارج، وتوجد مع التسخن باقية فيه ولا تبطل . والقسم الأول على أقسام ثلاثة :

٥ فإنه إما أن يكون في المستعد قوة معاونة ، تبقى وتعين كما في الماء إذا برد عن سخونة .

وإما أن يكون في المستعد قوة مضادة للأمر ، إلا أنها تبطل مع وجود الأمر كما في الشعر إذا شاب عن سواد .

وإما أن لا يكون في المستعد ولا واحد من الأمرين لاضد ولا معين ، ولكن عدم الأمر والاستعداد له فقط ، مثل حال التفه في قبول الطعم ، وعديم الرائحة في قبول ١٠ الرائحة . فإن سئلنا عن استعداد الماء لأن يصير نارا أنه من أى الأقسام الخمسة هو ، لم يشكل علينا أنه من قسم المشاركة في استعداد تام للمادة ولكن به في المادة ضده .

ولقائل أن يقول: إنكم قد تركتم اعتبار قسم واحد ، وهو أن لا يكون هناك مشاركة في المادة أصلا إذ لا يكون لها مادة ؛ فالجواب عن هذا أن هناك لا يمكن أن يكون اتفاق في النوع البتة ، فإنه قد استبان أن الأشياء المتفقة في النوع البريئة عن المادة ١٥ أصلا يكون وجودها عينا واحدا ، ولا يجوز أن يقال معنى الواحد منها على كثيرين .

فإذ قد دللنا على هذه الأقسام التي حاصلها خمسة ؛ فإنا نورد الحكم في قسم قسم منها فنقول :

أما القسم من هذا الباب الذى لا مشاركة فيه في استعداد المادة لا القريبة ولا البعيدة ، فليس يجب فيه أن يكون مايحدثه الفاعل من الآثار القابلة للزيادة والنقصان

---

(١) علمناه : علمناك ج، د، ص، م: علمنا كما، ط (٢) تعاوق : تعاون ب ، ص ، ط : معاون ج || تعاوقه : تعاون ط (٢ — ٣) تعاوق القوة الخارجة . . . فيه قوة: ساقطة من م (٣) التسخن : التسخن ج || يحدث فيه : يحدث فيها ج (٧) شاب : شابه ج (٨) لاضد : لاصدق م : لا بضد د (٩) والاستعداد : في الاستعداد د || التفه [من الطعام الذى ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة] (اللسان) || وعديم : وعدم د (١٠) الأقسام : + وله د (١١) استعداد : الاستعداد د || به : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م (١٤) المتفقة : متفقة ط (١٨) استعداد : الاستعداد د .

مساويا لنفسه ، لأنه يمكن أن يكون بما افترقا فيه من جوهر المادة افترقا فى الاستعداد لقبول الأمر فلم يقبلاه بالسوية ، وليس أيضا يجب أن لا يتساويا فيه ، بل قد يجوز أن يكون الحال فى ذلك مثل الحال فى اتباع سطح فلك الأثير لسطح فلك القمر فى الحركة التى بالعرض ، وذلك حيث يمكن أن لا يكون فى هذا مانع من قبول التأثير مساويا لما يؤثره الفاعل وهو فى مثل هذا الموضع إحداث مثل نفسه . ٥

وأما القسم من هذا الباب الذى هناك استعداد تام كيف كان ، فالأمر ظاهر فى أن المنفعل قد يجوز أن يتشبه بالفاعل تشبها تاما ، وذلك مثل النار تحيل الماء نارا والملح يحيل العسل ملحا ، وما أشبه ذلك . وقد يجوز أن يزيد فيه المنفعل على الفاعل فى الظاهر غير المتحقق ، مثل الماء الذى يجمده الهواء ولا يكون برد ذلك الهواء برد ذلك الجمد ، إلا أنك إذا تحققت لم يكن الفاعل وحده هو البرد الذى فى الهواء ، بل والقوة ١٠ المبردة الصورية التى فى جوهر الماء — الذى دللنا عليه فى الطبيعيات — إذا عاونها ولم يعاوقها برد الهواء .

وأما القسم من هذا الباب الذى يكون استعداد المنفعل فيه ناقصا ، فليس يمكن ألبتة أن يتشبه فيه المنفعل بالفاعل التام القوة ويساويه ، فإنه لا يمكن أن يكون الشىء الحاصل من قوة فى الشىء لا مضاد لها والحاصل من قوة أخرى ، وهناك مضاد ممانع ، متساويين ١٥ ألبتة ، أو يبطل الممانع . ولهذا لا يمكن أن يكون شىء غير النار يتسخن من النار وتكون سخونته مثل سخونة تلك النار ، أو شىء غير الماء يبرد عن الماء وتكون برودته أكثر من برودة ذلك

---

(١) بما : ساقطة من د (٢) أن لا يتساويا : أن يتساويا م || فيه : ساقطة من ب || قد : ساقطة من ب (٣) سطح فلك الأثير : سطح الأثير : ب ، ح ، ص ، ط ، م || التى : الذى ح (٥) وهو : وهى د || فى : ساقطة من د || مثل : ساقطة من ب ، ح ، ص ، م (٧) تشبها : شبها ح : تشبيها ط (٩) غير المتحقق : الغير المحقق ب ، ح ، ص ، ط : غير المحقق م (٩) برد ذلك الهواء : برد الهواء ح ، د ، ص ، ط ، م (١٠) والقوة : فى القوة ح ، د (١٣) يمكن : يمكنه ط (١٤) ألبتة : + بين د (١٤) فإنه : ساقطة من د (١٥) من : فى ح ، ط ، د ، ص ، م || فى : ساقطة من ح ، د ، ص ، ط ، م || الشىء : بشيء ط || والحاصل : والحاصلة د ، م || من (الثانية) : فى ح ، د ، ص ، ط ، م (١٦) أو يبطل : إذ يبطل د || النار (الأولى) : النارية ح ، ص ، ط (١٧) يبرد : برد د || برودته أكثر من برودة : ساقطة من د .

الماء ، لأن استعداد النار للتسخن والماء للتبرد حال غير مضاد فى جوهره ، والقوة الفاعلة داخلة فى جوهره غير غريبة منه ، فأما ما ينفعل منهما ففيه مانع عنه مضاد . والفاعل الأول للانفعال خارج عن جوهره و يفعل فيه بمماسته و بتوسط أمر ، كالسخونة المحسوسة فى النار المسخنة ، والبرودة المحسوسة فى الماء المبرد ، فليس يمكن أن يساويه.

٥ فإن قال قائل : إن النار قد تذيب الجواهر فتجعلها أسخن منها ، لأنا ندخل أيدينا فى النار ونمرها فيها بعجلة فلا تحترق احتراقها فى المسبوكات لو فعل بها ذلك بعينه ، فيعلم من ذلك يقينا أن المسبوكات أسخن من النار ومع ذلك فإنما سخنت من النار . فإنا نجيب ونقول : إن ذلك ليس بسبب أن المسبوكات أسخن ، ولكن لمعان ثلاثة ، منها ما هو أقرب إلى الظهور : أحدها فى المسبوك . والآخر فى النار ، والثالث فى اللامس ، وكلها ١٠ متعاونة متقاربة . أما الذى فى المسبوك ، فلأنه غليظ فيه تشبث ما ولزوجة و بطء انفصال ، فإذا لمس ذهب مع اللامس ولم يمكن أن يفارق إلا فى زمان ذى قدر فى نفسه بالقياس إلى زمان مفارقة اللامس النار ، وإن كان الحس لا يضبط ذلك الاختلاف ، لكن العقل والذهن يوجبه . ومن شأن الفاعل الطبيعى أن يفعل فى المنفعل فى مدة أطول فعلا آكد وأحكم ، وأن يفعل الضعيف فى مدة أطول ما لا يفعله القوى فى مدة قصيرة. ١٥ وأما الذى فى النار ، فلأن النار المحسوسة إنما هى أجزاء من النار الحقيقية مع أجزاء من الأرض متصعدة متحركة ، واجتماعها على سبيل التجاور لا على سبيل الاتصال ، بل هى فى أنفسها متفرقة ، ويتخللها الهواء تخللا على سبيل التجدد ، فيكسر ما بداخله فيها من صرافة حره ، لأنه أبرد منها ، ولأنه ليس ينفعل فى تلك العجلة انفعالا يصير به نارا محضا ،

---

(١) للتسخن : المتسخن د ، ب || للتبرد : المتبرد د (١ — ٢) والقوة ... ... جوهره : ساقطة من د
(٣) بمماسته : بمماسة ، د ، ص ، م (٤) المبرد : المبردة ب (٥) الجواهر : الجوهر حـ
(٦) فلا تحترق : تحرق ط || المسبوكات : + والفعل ط || لو فعل : أو فعل ب : فلو فعل د : ساقطة من ط || فيعلم : فعلم حـ (٧) فإنما : إنما حـ : فإذا د (٨) ونقول : فنقول ص ، ط || المسبوكات : المسبوك ب ، د ، ص ، ط ، م || ما هو : ساقطة من ب ، حـ ، م (٩) أحدها : أحدهما ب
(١٠) متقاربة : ومتقاربة حـ (١١) ذهب : ذهبت د || ولم يمكن : ولم يكن د
(١٢) النار : للنار ب ، ص ، ط ، م (١٣) مدة : ساقطة من د (١٤) آكد : وآكد ب || فى مدة : + أطول م (١٦) واجتماعها : واجتماعها م (١٧) فيها : منها حـ ، د ، ص ، ط ، م
(١٨) منها : منه م || ينفعل : + منه م || فى : من ص .

ومع ذلك فإنها سريعة الحركة فى نفسها لا يكاد يبقى جزء منها مماسا لجزء من اليد زمانا
يؤثر فيه تأثيرا محسوسا بل يتجدد ، فما لم تجتمع تأثيرات غير محسوسة كثيرة لا يؤدى
إلى قدر محسوس وذلك فى مدة لها قدر . وأما المسبوك ، فإن جوهره مجتمع متحد ثابت
قائم بالاتصال ؛ وإذا كان كذلك كان ما يلاقى سطح اليد من المسبوك سطحا واحدا
مطابقا بالكلية ، وما يلاقيه من النار المحسوسة سطوح صغار مخالطة لما هو بالقياس إليها ٥
برد ، فيختلف بذلك التأثير ، إلا أن يبقى مدة تتوالى فيها المماسات فيكثر ويفعل كل
سطح فيما يماسه فعلا ، ثم يتسلط الفعل على ما هو عليه الأمر فى الاستحالات الطبيعية .
وأما النار المحقونة فى مثل الكيران للحدادين فإنها أعظم تأثيرا فيما يماسه من المسبوكات
وغيرها، وأسرع مدة لاجتماعها وصرافتها . وأما الحال التى فى اليد ، فلأن اليد قادرة على
قطع الهواء والناروالأجسام اللطيفة بأسرع حركة، وليست قادرة على قطع المسبوك الكثيف ١٠
بأسرع حركة ، لأن المقاومة للدفع والخرق فى اللطيف قليل ، وفى الكثيف كثير ، ويكاد
أن يكون هذا يسمى كثيفا وذلك لطيفا بسبب اختلافهما فى هذا المعنى ، فلو كان المسبوك
ليس الزج وأكثر تشبثا لما يلامسه ، وليس أيضا أشد اجتماعا واتحادا ، ثم كان قطعة
فى مدة أطول لمقاومته ، وكان ثابتا لازما غير هارب عن المماسة ، لكفاه ذلك فى جواز
أن يؤثر تأثيرا أشد من تأثير اللطيف بحسب نسب الأزمنة إذ كان ذا أثر فى مثل زمان ١٥
ملاقاة اللطيف أثرا ما ، فإذا ضوعف الزمان أمكن أن يساويه فى بعض الأضعاف ،
وإذا زيد فى الأضعاف أمكن أن يزيد عليه، وربما لم يكن زمانه المضاعف مع عظم نسبته
محسوس القدر لما تعرفه . ومن حق هذا الموضع أن يبسط بسطا أكثر مما بسطناه، لكنه

---

(١) فإنها : فإنه : د ، م || لجزء : بجزء ــ ، ص ، ط (٢) فما : فيما ط || لم : ساقطة من د
(٤) وإذا : فإذا ب ، د ، ص ، ط ، م || ما يلاقى : + فى ب (٥) بالكلية : بكليته ــ : لكليته ب ، د ، ص ، م (٦) برد : مبرد ــ ، ص ، ط || ويفعل : أو يفعل ب ، ــ ، ص ، ط ، م (٧) يماسه : يتماسه د || هو : ساقطة من ب || الطبيعية : + فيرد ط
(٩) على : ساقطة من ــ ، د م (١٠) والأجسام : فى الأجسام د : وفى الأجسام ب ، م || بأسرع : أسرع ط (١٠ ــ ١١) وليست ... ... حركة : ساقطة من د (١٢) أن يكون : يكون د ، م || هذا : ساقطة من د || بسبب اختلافهما : بسببه اختلاف د (١٥) نسب : نسبة د || إذ كان : إذا كان د : إذ كانا ــ ، ص ، ط || ذا أثر : إذا أثر ب ، ص ، م : ساقطة من د
(١٦) الأضعاف : ساقطة من د (١٧) لم يكن : لم يمكن ص || المضاعف : المضاف د || عظم : ساقطة من د
(١٨) لكنه : ولكنه ب ، د .

أولى بالصناعة الطبيعية وإنما يجب أن نذكر ههنا قدر ما تحل به الشبهة ويظهر وجهها ، ثم إن شاء مستقص أن يستقصى ذلك استقصاه من الأقوال المستقصاة فى علم الطبيعة وخصوصا ما عسى يجده من جهتنا . فقد ظهر من جملة هذه التفصيلات الموضع الذى نظن فيه أنه يجوز أن يتساوى الفاعل والمنفعل فيه، والموضع الذى يظن فيه أنه يجوز أن ٥ يزيد عليه، والموضع الذى لايجوز إلا أن يقصر عنه. وظهر فى خلال ذلك أنه وإن كان كذلك فوجود المعنى من جهة نفس الوجود لا يتساوى فيه الفاعل والمنفعل إذا لم يكن فاعلا للمعنى بما هو وجود المعنى بالعرض كما بيناه .

ثم الفاعل والمبدأ الذى ليس منفعله مشاركا له فى النوع ولا فى المادة ، وإنما يشاركه بوجه ما فى معنى الوجود ، وليس يمكن أن يعتبر فيه حال المعنى الذى له الوجود لأنهما ١٠ ليسا يشتركان فيه ، فبقى فيه حال اعتبار الوجود نفسه ، وقد كان فى سائر ذلك ما كان من المتساوية والزائدة على المبدأ الفاعل إذا رجع إلى حال اعتبار الوجود كان المبدأ الفاعل غير مساو له لأن وجوده بنفسه ، ووجود المنفعل من حيث ذلك الانفعال مستفاد منه .

ثم الوجود بما هو وجود لا يختلف فى الشدة والضعف ، ولا يقبل الأقل والأنقص وإنما يختلف فى عدة أحكام وهى : التقدم ، والتأخر ، والاستغناء والحاجة ، والوجوب ١٥ والإمكان . أما فى التقدم والتأخر ، فإن الوجود ، كما علمت ، للعلة أولا ، وللمعلول ثانيا. وأما الاستغناء والحاجة ، فقد علمت أن العلة لا تفتقر فى الوجود إلى المعلول، بل يكون موجودا بذاته أو بعلة أخرى ، وهذا المعنى قريب من الأول وإن خالفه فى الاعتبار .

---

(١) وإنما : فإنما ـ || تحل : تحلل م || الشبهة : شبهة ـ، الشبه د (٢) علم : العلم د (٣) جهتنا : جهتها ـ، ص (٤) نظن فيه أنه : نظن أنه ب ، ـ ، د ، ط ، م || أن يتساوى الفاعل . . . أنه يجوز : ساقطة من ب ، د || يظن فيه أنه : يظن أنه ـ ، م (٥) لا يجوز إلا أن يقصر عنه : لا يقصر يجوز أن يقصر عنه م || وظهر : ظهر ـ (٦) فوجود المعنى : فوجود المعنى د (٨) ولا فى المادة : لا فى المادة د (٩) وليس : ليس ب ، ـ ، ص ، ط ، م (١٠) فبقى : فيبقى ـ ، ص ، ط || ذلك : تلك ـ (١١) المتساوية : المساوية ط || الفاعل : الفاعل ط بالفاعل د (١٤) عدة : ثلاثة ـ، د، ص، ط، م (١٥) أما فى التقدم : فإن اعتبرت التقدم د ، ص ، ط ، فإن اعتبرت فى التقدم ـ || فإن : كان ـ، د ، ص، ط (١٦) وأما الاستغناء : فأما الاستغناء د ، ط (١٤ — ١٦) والوجوب والإمكان . . . وأما الاستغناء والحاجة : ساقط من م .

وأما الوجوب والإمكان، فإنا نعلم أنه إن كانت علة هي علة لكل ما هو معلول فهي واجبة الوجود بالقياس إلى الكل من كل المعلولات وعلى الإطلاق ، وإن كان علة لمعلول ما فهي واجبة الوجود بالقياس إلى ذلك المعلول، وذلك المعلول كيف كان فهو ممكن الوجود في نفسه.

وتلخيص هذا : هو أن المعلول هو في ذاته بحيث لا يجب له وجود ، وإلا لوجب من دون علته إذا فرض واجبا لذاته وبحيث لا يمتنع له وجود ؛ وإلا لما وجد بالعلة فذاته ٥ بذاته بلا شرط كون علة له أو لا كون علة له ممكنة الوجود، وإنما يجب لا محالة بالعلة.

ثم العلة كما قد تبين لا يجوز أن يجب بها، بل يكون إما واجبا بذاته وإما واجبا من شيء غيره ، فإذا حصل له الوجوب به فحينئذ يصح أن يكون عنه وجوب غيره، فيكون المعلول باعتبار ذاته ممكنا وأما العلة فباعتبار ذاتها إما واجبا وإما ممكنا، فإن كان واجبا فوجوده أحق من وجود الممكن وإن كان ممكنا وليس يجب بالمعلول ، والمعلول يجب به وبعد ١٠ وجوبه، فتكون العلة إذا صار ذاتها واجبة لم يكن بالقياس إلى المعلول ، والمعلول لا يصير ذاته واجبة إلا بالقياس إليها ، فيكون إلى ذات العلة نظر قد وجب به لا يتناول ذات المعلول بل يكون به هو واجبا ، والمعلول غير ملحوظ بعد ، وذات المعلول لا تكون إلا ممكنة ، ولا يجب إلا أن تلحظ مقيسة بالعلة ، فيكون للعلة اختصاص بوجوب ، ولا يكون للمعلول إلا الإمكان فقط عند ذلك الاختصاص، ويكون إذا كان للمعلول وجوب ١٥ كان للعلة أولا وإلا لكانت العلة بعد ممكنة لم يجب وجودها ووجب وجود المعلول ، فيكون وجب لا عن ذات العلة وهذا محال، فيكون للعلة وجوب باعتبار ذاته ومن حيث

---

(١) فإنا نعلم : فإنك تعلم د ، ص ، ط || كانت : كان د || هي علة : ساقطة من م || واجبة : واجب ـه
(٢) من كل : مع ـه ، ص ، ط || وإن كان : فإن كانت ، ـه ، د ، ص ، ط ؛ وإن كانت م
(٣) واجبة : واجب ـه (٤) هو في ذاته : في ذاته ط (٥) من دون : مع دون ـه ، ص ، ط || إذا : إذ ب ، ـه ، ط ، م (٦) ممكنة : ممكن ب ، ـه ، د ، ص ، م (٧) بها : به ص || إما : ساقطة من ـه ، ص ، ط (٨) فإذا : فإن ط || فحينئذ يصح : حينئذ فصح م (٩) ذاتها : ذاته ب ، ـه ، د ، ط ، م (١١) فتكون : وتكون ب (١٢) واجبة : واجبا ب ، ـه ، د ، م || إليها : إليه ب ، ـه ، د ، ص ، م || نظر : ظان ـه ، ط || وجب : وجبت ص : توجب ط (١٣) به : ساقطة ب ، ـه ، ص ، م (١٤) ممكنة : ممكنا ب ، ج ، د ، م (١٥) ولا يكون : فلا يكون ب || إلا الإمكان . . . المعلول : ساقطة من ب (١٦) لكانت : كانت د ، م .

لم تضف إلى المعلول ، والمعلول بعد ثابت على مقتضى إمكانه إذ كانت العلة لا تجب عنه بل بذاته أو بإضافة إلى غيره لا إليه، ومن حيث العلة غير مضافة إلى المعلول بعد. فالمعلول ليس يجب وجوده ، بل إنما يجب وجوده من حيث العلة مضافة إليه ، فتصير العلة، لهذه المعانى الثلاثة ، أولى بالوجود من المعلول ، فالعلة أحق من المعلول ، ولأن الوجود المطلق إذا جعل وجود شىء صار حقيقيا. فبين أن المبدأ المعطى لحقيقة المشارك فيها أولى بالحقية، ٥
فإذا صح أن ههنا مبدأ أولا هو المعطى لغيره الحقيقة ، صح أنه الحق بذاته ، وصح أن العلم به هو العلم بالحق مطلقا، و إذا حصل العلم به كان العلم الحق مطلقا بالنحو الذى يقال للعلم حق ، وهو الذى بالقياس إلى المعلوم .

الفصل الرابع

(د) فصـــل ١٠

فى العلل الأخرى العنصرية والصورية والغائية

فهذا ما نقوله فى المبدأ الفاعل ، ولنشرح الآن القول فى المبادئ الأخر . فأما العنصر فهو الذى فيه قوة وجود الشىء ، فنقول : إن الشىء تكون له هذه الحالة مع شىء آخر على وجوه :

١٥ فتارة يكون كاللوح إلى الكتابة ، وهو أنه مستعد لقبول شىء يعرض له من غير تغير فيه ولا زوال أمر كان له عنه .

---

(١) إذ : إذا ـ || لا تجب عنه : تجب لا عنه ب ، ـ ، د ، ط ، م (٢) المعلول : معلول ـ || فالمعلول : والمعلول ـ ، م (٥) حقيقيا : حقيا ب ، ـ : حقيقته ص ، ط || المعطى : المعطى ـ || لحقيقة : لاحقية ب ، ـ ، ص || بالحقية : بالحقيقة ـ، د ، ص ، ط ، م (٦) الحقيقة : الحقية ب ، ـ ، ص || الحقية : طا (٧) بالحق : + حقيقة د || وإذا : فإذا ب ، ـ ، ص ، ط || الحق : بالحق ب ، د ، ط (٨) بالقياس إلى المعلوم : بقياس المعلوم : ب ، ـ ، د ، م ؛ بقياس المعلول ص
(١٠) فصل : الفصل الرابع ط ؛ ساقطة من د (١١) الأخرى : الأخر ـ ، ط (١٢) المبدأ : مبدأ د || ولنشرح : فلنشرح ـ ، د ، ص ، ط ، م || المبادئ : مبادئ د (١٢) الشىء : شىء ـ ، د ، ص ، ط ، م
(١٣) آخر : ساقطة من ب (١٤) كاللوح : كاللوح د || تغير : تغير ص .

وتارة يكون كما للشمعة إلى الصنم ، وللصبي إلى الرجل ، وهو أنه مستعد لقبول شيء يعرض له من غير أن يتغير من أحواله شيء ، إلا حركة في « أين » أو « كم » أو غير ذلك .

وتارة يكون كما للخشبة إلى السرير ، فإنه يُنقصه بالنحت شيئا من جوهره .

وتارة يكون مثل ما للأسود إلى الأبيض ، فإنه يستحيل ويفقد كيفيته من غير فساد جوهره . ٥

وتارة يكون كما للماء إلى الهواء ، فإنه إنما يكون الهواء عنه بأن يفسد .

وتارة يكون كما للمني إلى الحيوان ، فإنه يحتاج أن ينسلخ عن صور له انسلاخات حتى يستعد لقبول صورة الحيوان . وكذلك الحصرم للخمر .

وتارة يكون كما للمادة الأولى إلى الصورة ، فإنها مستعدة لقبولها متقومة بها بالفعل . ١٠

وتارة يكون مثل الهليلَجة إلى المعجون ، فإنه ليس عنه وحده يكون المعجون ، بل عنه وعن غيره فيكون قبل ذلك جزءا من أجزائه بالقوة .

وتارة يكون كما للخشب والحجارة إلى البيت ، فإنه كالأول ، إلا أن الأول إنما يكون عنه المعجون بضرب من الاستحالة ، وهذا ليس فيه إلا التركيب . ومن هذا الجنس أيضا الآحاد للعدد ، وقد يجعل قوم المقدمات كذلك للنتيجة ، وذلك غلط . بل المقدمات كذلك لشكل القياس ، وأما النتيجة فليست صورة في المقدمات ، بل شيئا يلزم عنها ، كأن المقدمات تفعلها في النفس . ١٥

---

(١) وللصبي : والصبي ـه ، د ، ص ، م (٢) يتغير : يغير ب ، د || من : ساقطة من م (٤) كما : مثل ما ب (٥) ويفقد : ساقطة من ب ، د ، ط || كيفيته : كيفية له ب ، د ، م ؛ كيفيته له ـه ، ط (٧) كما : ساقطة من د || كما للماء : كالماء ب || إلى : ساقطة من ب (٨) صور : صورة ـه ، ص ، ط || له : ساقطة من د (٩) لقبول صورة : لصورة ب ، ـه ، د ، ص ، م || وكذلك : كذلك د || للخمر : للخمور د (١١) الهليلجة : أهليلج وقد تحذف الهمزة عقار من الأدوية (تاج العروس) || عنه : منه ب ، ـه ، د ، ص ، م || المعجون : المعجونة د (١٥) المقدمات : المتقدمات د (١٦) وأما : وأن د || فليست : فليس ب .

فعلى هـذه الأنحاء نجد الأشياء الحاملة للقوة ، فإنها إما أن تكون حاملة للقوة بوحدانيتها أو بشركة غيرها .

فإن كانت بوحدانيتها فإما الا يحتاج فيا يكون منها الا إلى الخروج بالفعل لذلك فقط ، وهذا هو الذى بالحرى أن يسمى موضوعا بالقياس إلى ما هو فيه ، ويجب أن يكون لمثل هذا بنفسه بالفعل قوام ، فإنه إن لم يكن له قوام لم يجز أن يكون متهيئا لقبول الحاصل فيه ، بل يجب أن يكون قائما بالفعل ؛ فإن كان إنما يصير قائما بما يحله فقد كان فيه شئ يحله قبل ما حله ثانيا به يقوم ، وإما أن يكون الثانى ليس مما يقومه بل مضافا إليه أو يكون وروده يبطل ما كان يقيمه قبله فيكون قد استحال ، وقد فرضناه لم يستحل . فهذا قسم. وأما إن كان يحتاج إلى زيادة شئ ، فإما أن يكون إلى حركة فقط ، إما مكانية وإما حركة كيفية أو حركة كية أو وضعية أو جوهرية ، وإما إلى فوات أمر آخر من جوهره من كم أو كيف أو غير ذلك .

وأما الذى يكون بمشاركة غيره فيكون لا محالة فيه اجتماع وتركيب ، فإما أن يكون تركيب من اجتماع فقط ، وإما أن يكون مع ذلك استحالة فى الكيف . وكل ما فيه تغير فإما أن ينتهى إلى الغاية بتغير واحد ، أو بتغيرات كثيرة . وقد جرت العادة بأن يسمى الذى يكون الكون منه بالتركيب وهو فى الشئ اسطقسا ، وهو الذى يحل إليه أخيرا ، فإن كان جسمانيا فهو أصغر ما ينتهى إليه القاسم فى القسمة إلى المختلفات الصور الموجودة فيه وقد حد بأنه الذى منه ومن غيره تركب الشئ وهو فيه بالذات ولا ينقسم بالصورة .

---

(٢) الا يحتاج : أن يكون يحتاج د (٤) لمثل : بمثل ـه (٥) متهيئا : مهيأ ب ، ـه ، د ، ص ، م || لقبول : لحصول ب ، ـه ، م : + وحصول ص (٧) شئ : + يقربه د || يقوم : يتقوم د ، ص ، ط || وإما : فإما د ، ص ، ط ، م (٨) أو يكون : ويكون د || وقد فرضناه : وفرضناه ب ، د ، م (٩) إن كان : كان ـه ، ص ، ط || إما : ساقطة ب ، ـه ، ص ، ط ، م (١٠) أمر : ساقطة من م || آخر من : آخر عرض ب ، ص : آخر عن ـه ، ط (١٠ — ١١) آخر من جوهره : آخر عرض بمرة م (١١) أو كيف : ساقط من ب ، د ، م || ذلك : + عرض مرة من كم أو غير ذلك د (١٣) تغير : تغير د (١٥) منه : + يتغير ط || أخيرا : أجزاء د (١٦) أصغر : أصغرها د || الصورة : الصورة ـه ، د ، ص ، ط ، م (١٧) تركب : ركب د : تركيب ـه ، ص ، ط .

ومن رأى أن الأشياء إنما تتكون من الأجناس والفصول جعلها الاسطقسات الأولى ، وخصوصا الواحد والهوية فقد جعلوها أولى المبادئ بالمبدئية ،لأنها أشدها كلية وجنسية . ولو أنصفوا لعلموا أن القوام بالذات إنما هو للأشخاص،فما يليها أولى بأن يكون جواهر وقائمات بأنفسها ، وأنها أولى بالوجود أيضا .

ولنعد إلى أمر العنصر فنقول : قد جرت العادة فى مواضع بأن يقال : إن الشىء كان ٥ عن العنصر فى مواضع ، ولم يجر فى مواضع ، فإنه يقال : إنه كان من الخشب باب ، ولا يقال : كان من الإنسان كاتب. وأن ينسب الكائن إلى الموضوع فى مواضع ، وأن لا ينسب فى مواضع ، فيقال ، تارة ، إن هذا باب خشبى ، ولا يقال : إن هذا كاتب إنسانى. فأما الأول ، فإذا وجدوا الموضوع لم يتحرك إليه ألبتة ولم يتغير فى قبول الشىء ، فإنهم حينئذ لا يقولون إنه كان عنه، بل إنما يقولون دائما إنه كان عن العدم، كما يقولون ١٠ عن غير الكاتب . وإذا تغير وخصوصا فيما لا يجدون للعدم منه اسما ، فيقولون : كان عن غير الموضوع . وأما بالنسبة إلى الموضوع فإنما يستعمل فى الأكثر إذا كان الموضوع قد يصلح غيره للصورة . وأما الصورة فلا ينسب إليها ، ولا يقال كان منها ، إنما يشتق منها الاسم ، والموضوع قد يكون مشتركا للكل وقد يكون مشتركا لعدة أمور ، مثل العصير للخل والخمر والطلا والرُّبِّ وغير ذلك . ١٥

وكل عنصر فإنه من حيث هو عنصر ، إنما له القبول فقط ، وأما حصول الصورة فله من غيره ، وما كان من العناصر أو القوابل مبــدأ الحركة إلى الأثر موجود فى نفسه

---

(١) تتكون : تكون ط (٢) أشدها : أشد ، د ، ط (٣) ولو : فلو ــ ، د ، ص (٤) بالوجود : بالوحدة ب ، ــ ، ص ، ط ، م (٥) أمر العنصر : الأمر العنصرى د || فى مواضع : ساقطة من ب || بأن : أن ب ، د ، م (٦) عن العنصر فى مواضع : عن العنصر د ، م || ولم يجر فى مواضع : ولم يجر ــ ، ص (٧) ولا يقال كان : ولا يقال م (٧) الموضوع فى مواضع : الموضوع م (٨) تارة : ناقصة من ط (٩) وجدوا الموضوع : وجد كالموضوع ب || إليه : ساقطة من ب ، ــ ، د ، م (١٠) حينئذ : ساقطة من ب ، م (١١) العدم : العلوم ب || منه : فيه ب ، ــ ، ص ، ط (١٢) غير : ساقطة من م || بالنسبة : النسبة ب ، د ، ص ، ط ، م (١٣) للصورة : + لغيره وللصورة د (١٤) والموضوع قد : والموضوع وقد د || العصير : العصر د (١٥) والرب : والربوب ط (الرُّبّ ما يطبخ من التمر ــ تاج العروس) (١٧) أو : "و" ــ ، ص ، ط .

ظن أنه متحرك إليه بنفسه ، وليس كذلك . فقد تبين لنا فى مواضع أخرى أنه لا يجوز
أن يكون شىء واحد فاعلا وقابلا لشىء واحد من غير أن يتجزأ ذاته ، لكن العنصر
إذا كان مبدأ حركته فيه بذاته كان متحركا عن الطبيعة، وكان ما يكون منه طبيعيا ، وإذا
كان مبدأ الحركة فيه من خارج ولم يكن له أن يتحرك إلى ذلك الكمال من نفسه كان
ما يكون منه صناعياً أو جارياً مجراه ، فهذا جمل ما نقوله فى العنصر . ٥

وأما الصورة فنقول : قد يقال صورة لكل معنى بالفعل يصلح أن يفعل حتى تكون
الجواهر المفارقة صورا بهذا المعنى .

ويقال صورة لكل هيئة وفعل يكون فى قابل وحدانى أو بالتركيب حتى تكون
الحركات والأعراض صوراً . ويقال صورة لما تتقوم به المادة بالفعل فلا تكون
١٠ حينئذ الجواهر العقلية والأعراض صوراً. ويقال صورة لما تكمل به المادة وإن لم تكن
متقومة بها بالفعل ، مثل الصورة وما يتحرك بها إليها بالطبع ، ويقال صورة خاصة
لما يحدث فى المواد بالصناعة من الأشكال وغيرها . ويقال صورة لنوع الشىء ولجنسه
ولفصله ولجميع ذلك . وتكون كلية الكلى صورة للأجزاء أيضا ، والصورة قد تكون
ناقصة كالحركة وقد تكون تامة كالتربيع والتدوير .

١٥ وقد علمت أن الشىء الواحد يكون صورة وغاية ومبدأ فاعلياً من وجوه مختلفة .
وفى الصناعة أيضا ، فإن الصناعة هى صورة المصنوع فى النفس ، فإن البناء فى نفسه
صورة الحركة إلى صورة البيت ، وذلك هو المبدأ الذى يصدر عنه حصول الصورة
فى مادة البيت ، وكذلك الصحة هى صورة البرء ، ومعرفة الملاج هى صورة الإبراء .
والفاعل الناقص يحتاج إلى حركة وآلات حتى يصدر ما فى نفسه محصلا فى المادة ،

---

(١) كذلك : ذلك د || فقد : قد ب ، ح ، د ، م || تبين : يتبين م || لنا : لك ح (٣ — ٤) حركته فيه بذاته ... مبدأ الحركة : ساقطة من م (٤) فيه : ساقطة من د || ولم يكن : وأن لم يكن ص || من نفسه : بنفسه د ، ص ، ط ، م (٨) ويقال : وقد يقال ب ، ح ، ص ، ط || أو بالتركيب : وبالتركيب د (٩) تتقوم : تكمل مقومة د (١١) الصورة : الصحة ب ، ح ، ص ، ط ، م || بها : ساقطة من ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٢) ويقال : أو يقال ب || الشىء : شىء ب (١٣) للأجزاء : فى الأجزاء ح ، د ، ص ، ط ، م (١٤) كالحركة : كحركة د (١٦) فإن الصناعة : ساقطة من ب (١٨) هى : هو : د ، م (١٩) والفاعل : فالفاعل ح || وآلات : والآلات ح ، ص .

والكامل فإن الصورة التي في ذاته يتبعها وجود الصورة في مادتها ويشبه أن تكون الأمور الطبيعية صورها عند العلل المتقدمة للطبيعة بنوع، وعند الطبيعة على طريق التسخير بنوع، وأنت تعلم هذا بعد .

وأما الغاية فهى ما لأجله يكون الشيء ، وقد علمته فيما سلف ، وقد تكون الغاية في بعض الأشياء في نفس الفاعل فقط كالفرح بالغلبة، وقد تكون الغاية في بعض الأشياء ٥ في شيء غير الفاعل ، وذلك تارة في الموضوع مثل غايات الحركات التي تصدر عن روية أو طبيعة ، وتارة في شيء ثالث كمن يفعل شيئا ليرضى به فلان ، فيكون رضاء فلان غاية خارجة عن الفاعل والقابل، وإن كان الفرح بذلك الرضى أيضا غاية أخرى. ومن الغايات التشبه بشيء آخر، والمتشبه به من حيث هو متشوق إليه غاية ، والتشبه نفسه أيضا غاية.

[الفصل الخامس]

(ه) فصل

في إثبات الغاية وحل شكوك قيلت في إبطالها، والفرق بين الغاية وبين الضروري وتعريف الوجه الذي تتقدم به الغاية على سائر العلل والوجه الذي تتأخر به

فنقول : إنه قد بان ، مما سلف لنا من القول ، أن كل معلول فله مبدأ ، وكل حادث فله مادة وله صورة ، ولم يتبين بعد أن كل تحريك فله غاية ما ، فإن ههنا ما هو ١٥ عبث، وههنا ما هو اتفاق، وأيضاً ههنا مثل حركة الفلك ، فإن لا غاية لها في ظاهر الأمر،

---

(١) وجود : وجوه ـ ، ص ، ط (٥) الأشياء : + أنقص ط || في نفس الفاعل ... الأشياء ساقطة من م (٧) أو طبيعة : والطبيعة م || فيكون : فلان ص : يكون ب ، د (٩) والمتشبه : والتشبه ط || هو : + إليه د || إليه : + هو ب ، ـ ، د ، ص (٨ — ٩) ومن الغايات ... إليه غاية : ساقطة من م (١١) فصل : الفصل الخامس ط ؛ ساقطة من د (١٤) مما : فيما ب ، ـ ، د ، ص ، م (١٥) فإن : وإن ط (١٦) لها : ساقطة من ـ .

والكون والفساد لا غاية لها فى ظاهر الظن. ثم لقائل أن يقول: قد يجوز أن يكون لكل غاية غاية، كما يكون لكل ابتداء ابتداء، فلا يكون بالحقيقة غاية وتمام، لأن الغاية بالحقيقة ما يسكن لديه، وقد نجد أشياء هى غايات ولها غايات أخرى إلى غير النهاية، فإن ههنا أشياء يظن أنها غايات ولا تتناهى، كنتائج تترادف عن القياسات ولا تتناهى. ثم لقائل ٥ أن يقول: لِنترك أن الغاية موجودة لكل فعل، فلم جعلت علة متقدمة وهى بالحقيقة معلولة العلل كلها؟ ومما يليق أن نتكلم فيه بعد حل هذه الشبهة أنه هل الغاية والخير شىء واحد أم يختلف؟ وأيضاً ما الفرق بين الجود والخيرية؟ فنقول:

أما الشك الأول المنسوب إلى الاتفاق والعبث فنحله ونقول: أما حال الاتفاق وأنه غاية ما فقد فرغ منه فى الطبيعيات. وأما بيان أمر العبث فيجب أن نعرف أن كل ١٠ حركة إرادية فلها مبدأ قريب، ومبدأ بعيد، ومبدأ أبعد. فالمبدأ القريب هو القوة المحركة التى فى عضلة العضو، والمبدأ الذى يليه هو الإجماع من القوة الشوقية، والأبعد من ذلك هو التخيل أو التفكر. فإذا ارتسم فى التخيل أو فى الفكر النطق صورة ما، فتحركت القوة الشوقية إلى الإجماع، خدمتها القوة المحركة التى فى الأعضاء، فربما كانت الصورة المرتسمة فى التخيل أو الفكر هى نفس الغاية التى تنتهى إليها الحركة، وربما كانت ١٥ شيئا غير ذلك، إلا أنه لا يتوصل إليه إلا بالحركة إلى ما تنتهى إليه الحركة، أو تدوم عليه الحركة.

مثال الأول: أن الإنسان ربما ضجر عن المقام فى موضع ما، وتخيل فى نفسه صورة موضع آخر، فاشتاق إلى المقام فيه، فتحرك نحوه، فانتهت حركته إليه، فكان متشوقه نفس ما انتهى إليه تحريك القوى المحركة للعضلة.

---

(١) يجوز أن: + به ب (٢) كما يكون لكل: كالكل ب، ح، ص، ط، م (٥) علة: علته ح، ص، ط (٦) معلولة: معلول د || ومما: وما م || الشبهة: الشبه ح، د، ص، ط (٧) يختلف: تختلف ب، ح، ص، ط، م || فنقول: + الآن ح، د، ص، ط، م (٨) ونقول: + الآن ح (١٠) بعيد: + ومبدأ أبعد ح، ص، ط (١٢) أو التفكر: والتفكر د: والفكر ب || الفكر: ساقطة من ط || النطق: المنطق د (١٣) فتحركت: فحركت ب، ح، د، ص، م (١٤) أو: أو فى ب، ح، د، ص، م || الفكر: التفكر د (١٧) وتخيل: ويخيل د (١٨) فاشتاق: واشتاق د: اشتاق م || فانتهت: وانتهت ب، د، ص، ط، م.

ومثال الثانى : أن الإنسان قد يتخيل فى نفسه صورة لقائه لصديق له ، فيشتاقه ، فيتحرك الى المكان الذى يقدر مصادفته فيه ، فتنتهى حركته إلى ذلك المكان ، ولا تكون نفس ما انتهت اليه حركته نفس المتشوق الأول الذى نزع إليه بل معنى آخر ، لكن المتشوق يتبعه ، ويحصل بعده ، وهو لقاء الصديق .

فقد عرفت هذين القسمين ، وتبين لك من ذلك بأدنى تأمل أن الغاية التى تنتهى إليها ٥ الحركة فى كل حال من حيث هى غاية حركة ، هى غاية أولى حقيقية للقوة الفاعلة المحركة التى فى الأعضاء ، وليس للقوة المحركة التى فى الأعضاء غاية غيرها ، لكنه ربما كان للقوة التى قبلها غاية غيرها ، فليس يجب دائما أن يكون ذلك الأمر غاية أولى للقوة الشوقية : تخيلية كانت أو فكرية ، ولا أيضا دائما يجب أن لا يكون ، بل ربما كان ، وربما لم يكن ، كما قد تبين لك فى المثالين . ١٠

أما الأول منهما فكانت الغاية فيهما واحدة ، وأما الثانى فكانت مختلفة .

والقوة المحركة التى فى الأعضاء مبدأ حركة لا محالة ، والقوة الشوقية أيضا مبدأ أول لتلك الحركة ، فإنه لا يمكن أن تكون حركة نفسانية لا عن شوق ألبتة ، لأن الشيء الذى لا تنبعث إليه القوة ثم تنبعث إليه انبعاثاً نفسانياً يكون بتشوق نفسانى لا محالة قد حدث بعد ما لم يكن . فإذن كل حركة نفسانية مبدؤها الأقرب قوة محركة فى عضل الأعضاء ، ١٥ ومبدؤها الذى يليه شوق ، والشوق — كما علم فى علم كتاب النفس — تابع لتخيل أو فكر لا محالة ، فيكون المبدأ الأبعد تخيلا أو فكراً .

فإذن ههنا مبادئ للحركات النفسانية .

منها واجبة بأعيانها ضرورة .

---

(٣) المتشوق (الأول) : المشوق د || نزع : ينزع ب ، ـه ، د (٤) ويحصل : أو يحصل ب ، ـه ، م : أن يحصل ص || وهو : هو د (٦) حركة : وحركة د || الفاعلة : الفاعلية ب ، ـه ، د ، م || المحركة : لمحركة م (٧) كان : كانت ب ، ـه ، د ، ، ص ، م (١١) فيهما : فيها ط (١٤) بتشوق : بشوق د : لشوق ب ، م : بشوق ـه ، ص (١٥) فإذن : فإن ـه || نفسانية : + فيكون ـه ، ص ، م (١٦) علم ، علمت ـه || كتاب : ساقطة من م (١٨) للحركات : للحركة ب ، ـه ، د ، ص ، م .

ومنها غير واجبة بأعيانها ضرورة ،

والواجبة ضرورة : هي القوى المحركة في الأعضاء ، والقوة الشوقية .

وغير الواجبة : هي التخيل والفكر ، فإنه ليس يجب لا محالة أن يكون تخيل ولا فكر أو فكر ولا تخيل ولكل مبدأ حركة غاية لا محالة والمبدأ الذي لا بد منه في الحركة الإرادية له غاية لا بد منها ، والمبدأ الذي منه بد قد توجد الحركة خالية عن غايته ؛ فإن اتفق أن يتطابق المبدأ الأقرب — وهو القوة المحركة — والمبدءان اللذان بعده — أعني الشوقية مع التخيل أو الشوقية مع الفكرية — كانت نهاية الحركة هي الغاية للمبادئ كلها ، وكان ذلك غير عبث لا محالة .

وإن اتفق أن يختلف ؛ أعني أن لا يكون ما هو الغاية الذاتية للقوة المحركة غاية ذاتية للقوة الشوقية ، وجب ضرورة أن يكون للقوة الشوقية غاية أخرى بعد الغاية التي في القوة المحركة التي للعضو ؛ وذلك لأنا قد أوضحنا أن الحركة الإرادية لا تكون بلا شوق وكل ما هو شوق فهو شوق لشيء ، وإذا لم يكن لمنتهى الحركة كان لشيء آخر غيره لا محالة ، وإذا كان ذلك الشيء يراد لأجله الحركة فيجب أن يكون بعد انتهاء الحركة .

وكل نهاية تنتهي إليها الحركة أو تحصل بعد نهاية الحركة ، ويكون الشوق التخيلي والفكري قد تطابقا عليها ، فبين أنها غاية إرادية ، وليست بعبث البتة ، وكل نهاية تنتهي إليها الحركة وتكون هي بعينها الغاية المتشوقة المتخيلة ولا تكون المتشوقة بحسب الفكرة ، فهي التي تسمى العبث .

وكل غاية ليست هي نهاية الحركة ومبدؤها تشوق تخيلي غير فكري ، فلا يخلو : إما أن يكون التخيل وحده هو المبدأ لحركة الشوق .

(٢) هي : هو ب (٣) والفكر : والتفكر ‍ح (٤) ولكل : فلكل ‍ح ، ط (٥) والمبدأ : فالمبدأ ب : + الأول د ، ط (٦) يتطابق : ساقطة من د (٧) الفكرية : الفكرة ب ، م (٩) أن لا يكون : أن ما لا يكون م (١٢) فهو شوق : فشوق د || لشيء : بشيء ط || وإذا : إذا د (١٣) انتهاء الحركة : + نهاية د (١٤) وكل : فكل ص || إليها : إليه ص || الحركة : + وكون انتهاء الحركة ب (١٥) قد تطابقا : والتطابق د || عليها : عليه ‍ح ، م || وليست : وليس د (١٦) إليها : إليه د || المتخيلة : التخيلية ب ، د ، ص ، ط ، م || المتشوقة (الثانية) : التشوقة ب ، د ، م (١٨) يخلو : يختلف ‍ح ، ص ، ط (١٩) المبدأ : مبدأ ص || الشوق : المتشوق د .

أو التخيل مع طبيعة أو مزاج مثل التنفس أو حركة المريض .

أو التخيل مع خلق وملكة نفسانية داعية إلى ذلك الفعل بلا روية .

فإن كان التخيل وحده هو المبدأ للشوق سمى ذلك الفعل جزافا ، ولم يسم عبثا .

وإن كان تخيل مع طبيعة مثل التنفس ، سمى ذلك الفعل قصداً ضرورياً أو طبيعياً .

وإن كان تخيل مع خلق وملكة نفسانية سمى ذلك الفعل عادة ، لأن الخلق إنما يتقرر باستعمال الأفعال ، فما يكون بعد الخلق يكون عادة لا محالة . ٥

وإذا كانت الغاية التى للقوة المحركة وهى نهاية الحركة موجودة ولم توجد الغاية الأخرى التى بعدها وبنحو التشوق وهى غاية الشوق فيسمى ذلك الفعل باطلا ، كمن حصل فى المكان الذى قدّر فيه مصادفةَ الصديق ولم يصادفه هناك ، فسُمّى فعله باطلا بالقياس إلى القوة المتشوقة دون القوة المحركة وبالقياس إلى الغاية الأولى دون الغاية الثانية . ١٠

وإذا تقررت هذه المقدمات فنقول : قول من يقول إن العبث فعل من غير غاية ألبتة هو قول كاذب .

وقول القائل أيضا إن العبث فعل من غير غاية ألبتة هى خير أو مظنونٌ خيرا ، هو قول كاذب .

أما الأول فإن الفعل إنما يكون بلا غاية إذا لم يكن له غاية بالقياس إلى ما هو مبدأ حركته ، لا بالقياس إلى ما ليس مبدأ حركته ، وإلى أى شىء اتفق . وما مثل به فى الشك من اللعب باللحية ، فمبدأ حركته القريبة هو القوة التى فى العضلة ، والذى قبله ١٥

---

(٢) وملكة : أو ملكة حـ ، د ، ص ، م (٤) وإن : فإن ب ، ط || تخيل : التخيل د
(٤ ــ ٥) قصدا ضروريا . . . . ذلك الفعل : ساقطة من م (٦) الأفعال فا : الانفعال فإنما م
(٧) التى : ساقطة من ط (٨) وبنحو : وبنحوها ب ، د ، ص ، ط ، م || التشوق : بالتشوق ب ، م || الشوق : التشوق ب ، د ، ط ، م || فسمى : فيسمى حـ (١١) وإذا : فإذا حـ ، ط : فإذ ب || قول من يقول : قول القائل حـ ، د ، ص : القائل م || هو : فهو ب (١٣) أيضا : ساقطة من ب || هى : هو ط || هو : وهو ص (١٢ ــ ١٣) قول كاذب . . . ألبتة هى : ساقطة من م
(١٧) من : فى ط (١٧) حركته : الحركة د || القريبة : القريب ص .

تشوق تخيل بلا فكر ، وليس مبدؤه فكراً ألبتة ، فليس فيه غاية فكرية ، وقد حصلت فيه الغاية التي للتشوق التخيلي وللقوة المحركة ، فبيّنٌ أن هذا الفعل بحسب مبدئه المحرك ، منته إلى غاية ، وأنه إنما لا يتحرك إلى غاية بحسب ما ليس مبدأه المحرك .

ولا يجب أن يظن أن هذا يصدر لا عن شوق تخيلي ، فإن كل فعل نفسانى كان بعد ما لم يكن ، فهناك شوق ما لا محالة ، وطلب نفسانى ، وذلك مع تخيل ما ، إلا أن ذلك التخيل ربما كان غير ثابت بل سريع البطلان ، أو كان ثابتا ولكن لم يشعر به ، فليس كل من تخيل شيئا يشعر مع ذلك ويحكم أنه قد تخيل ، وذلك لأن التخيل غير الشعور بأنه قد تخيل. وهذا ظاهر،ولو كان كل تخيل يتبعه شعور بالتخيل لذهب الأمر إلى غير النهاية .

وأما الثانى فلأن لانبعاث هذا الشوق علة ما لا محالة : إما عادة ، وإما ضجر عن هيئة وإرادة انتقال إلى هيئة أخرى، وإما حرص من القوى المحركة والحسة على أن يتجدد لها فعل تحريك وإحساس .

والعادة لذيذة ، والانتقال عن المملول لذيذ ، والحرص على الفعل الجديد لذيذ ، أعنى بحسب القوة الحيوانية والتخيلية . واللذة هى الخير الحسى ، والتخيلي ، والحيوانى ، بالحقيقة وهى المظنونة خيراً ، بحسب الخير الإنسانى فإذا كان المبدأ تخيلا حيوانياً فيكون خيره لامحالة خيراً تخيلياً حيوانياً فليس إذن هذا الفعل خالياً عن خير بحسبه ، وإن لم يكن خيراً حقيقياً أى بحسب العقل ثم وراء هذا علل لتخصيص هيئة دون هيئة من الحركات جزئية لا تضبط .

وأما الشك الذى يليه فينكشف بأن نعرف الفرق بين الغاية بالذات وبين الضرورى الذى هو أحد الغايات التى بالعرض. والفرق بينهما أن الغاية بالذات هى الغاية التى تطلب لذاتها ، والضرورى أحد ثلاثة أمور .

(١) فليس : فليست ب ، ـه ، ص ، ط ، م (٢) للتشوق : للشوق ص (٤) تخيل : + ألبتة ـه ، د ، ص ، ط ، م (٧) قد تخيل : قد يتخيل د (١٠) القوى : القوة ـه (١١) لها : بها ط || وإحساس : أو إحساس ـه ، ص ، ط ، م (١٣) الخير : + من ط (١٤) تخيلا : تخيليا ب ، م : تخييليا ـه ، ص ، ط (١٥) خيره : خير ص || تخيليا : تخييليا ب ، ـه ، ص ، ط ، م (١٦) دون هيئة : ساقط من د (١٨) فينكشف : فينكشف د || بين : من ب .

إما أمر لا بد من وجوده حتى توجد الغاية على أنه علة للغاية بوجه ؛ مثل صلابة الحديد حتى يتم القطع به .

وإما أمر لا بد من وجوده حتى توجد الغاية لا على أنه علة للغاية ، بل على أنه أمر لازم للعلة ، مثل أنه لا بد من أن يكون جسم أدكن حتى يتم القطع به ؛ وإنما لم يكن بد من جسم أدكن لا لدكنته ، لكن لأنه كان لازماً للحديد الذى لا بد منه . ٥

وإما أمر لا بد من وجوده لازماً للعلة الغائية نفسها ، مثل أن العلة الغائية فى التزويج مثلا التوليد ، ثم التوليد يتبعه حب الولد ويلزمه ، لأن التزويج كان لأجله . فهذه كلها غايات بالعرض الضرورى ، لا العرض الاتفاقى . وقد علمت الغايات العرضية الاتفاقية فى موضع آخر .

١٠ واعلم أن وجود مبادئ الشر فى الطبيعة ، هو من القسم الثانى من هذه الأقسام ، فإنه مثلا لما كان يجب فى الغاية الإلهية — التى هى الجود — أن يؤتى كل ممكنِ الوجودِ وجودَه الخيرى ، وكان الوجود الذى للمركبات من العناصر ، وكان لا يمكن أن تكون المركبات إلا من العناصر وكان لا يمكن أن تكون العناصر لها إلا الأرض والماء والنار والهواء ، وكان لا يمكن أن تكون النار على الجهة المؤدية إلى الغاية الخيرية المقصودة بها إلا أن تكون محرقة مفرقة ، لزم ذلك ضرورة أن يكون بحيث تضر الصالحين وتفسد كثيراً من المركبات . ١٥

وكأنا قد خرجنا عن غرضنا ، فلنعد إليه ، ولنجب عن الشك المورد فنقول : أما أشخاص الكائنات الغير المتناهية فليست هى بغايات ذاتية فى الطبيعة ، ولكن الغايات

---

(٣) للغاية : ساقطة من د ، م || أمر (الثانية) : ساقطة من ص ، م (٥) لدكنته : لدلالته م
(٦) للعلة : للعلل ط || نفسها : بنفسها ح ، د ، ص ، م || فى : + أمر ب ، د ، ص ، ط ، م
(٧) مثلا : مثل د || التوليد : للتوليد ب || ثم التوليد : ساقطة من م || لأن : لا أن ب ، م : أن د : لا لأن ح ، ص || فهذه : وهذه ب (٨) وقد : فقد ب ، ح ، د ، م || الاتفاقية : والاتفاقية ح ، د ، ط
(٩) موضع : مواضع د (١١) الغاية : العناية ص ، ط ، م || التى هى : والذى هو د || يؤتى : توفى د ؛ يعطى م || الوجود : + الخيرى ب ، ح ، د ، ط ، م (١٢) الخيرى : ساقطة من م || وكان : + منها مبدأ د ، ط ؛ + منباد ، ص ، ط ؛ + مبدأ د ، ط ، م (١٢ — ١٣) المركبات ...... لا يمكن أن تكون : ساقطة من ب (١٤) الجهة : جهة د (١٦) وكأنا : فكأنا د || ولنجب : ولنبحث ب ، د (١٧) الغايات : الغاية ب ، د ، م .

الذاتية هى مثلا أن يوجد الجوهر الذى هو الإنسان أو الفرس أو النخلة ، وأن يكون
هذا الوجود وجوداً دائماً ثابتاً ، وكان هذا ممتنعاً فى الشخص الواحد المشار إليه ، لأن
كل كائن يلزمه ضرورة الفساد ، وأعنى الكائنات من الهيولى الجسمانية ، ولما امتنع
فى الشخص استبق بالنوع، فالفرض الأول إذن هو بقاء الطبيعة الإنسانية مثلا، أوغيرها،
٥ أو شخص منتشر غير معين ، وهو العلة التمامية لفعل الطبيعة الكلية ، وهو واحد ، لكن
هذا الواحد لا بد له فى حصوله باقياً من أن يكون أشخاص بعد أشخاص بلا نهاية ، فيكون
لا تناهى الأشخاص بالعدد غرضاً على المعنى الضرورى من القسم الأول ، لا على أنه غرض
بنفسه، لأنه لوامكن أن يبقى الانسان دائماً كما تبقى الشمس والقمر لما احتيج إلى التوالد
والتكاثر بالنسل .

١٠ على أنه وإن سلمنا أن الغرض لا تناهى الأشخاص كان لا تناهى الأشخاص غير معنى
كل شخص ، وإنما يذهب بلا نهاية شخص بعد شخص ، لا لاتناه بعد لا تناه ، فإذن الغاية
بالحقيقة ههنا موجودة، وهى وجود شخص منتشر، أولا تناهى الأشخاص ثم الشخص الذى
يؤدى إلى شخص آخر إلى ثالث إلى رابع ليس هو بعينه غاية للطبيعة الكلية ، بل للطبيعة
الجزئية فإذ هى غاية للطبيعة الجزئية فليس غيرها بعدها غرضاً وغاية لتلك الطبيعة الجزئية
١٥ التى هى غايتها .

---

(١) هى : هو ب || أو الفرس : والفرس د (٢) وكان : فكان ﺣ ، د ، ط ، م (٣) وأعنى : أعنى ب ، د ، ص ، ط ، م || الجسمانية : الجسمانيات ط (٥) معين : متعين م (٦) يكون : + له ﺣ ، ص ، ط (٧) المعنى : معنى م ، ص (٨) والقمر : والفلك ب || والقمر لما احتيج : ساقط من د
(١٠) لا تناهى الأشخاص : كان لا تناهى الأشخاص ﺣ || كان لا تناهى الأشخاص : ولا تناهى الأشخاص معنى ﺣ ، م || الأشخاص : + معنى ب ، د ، ص (١١) بعد شخص : ساقطة من م
(١٢) بالحقيقة : لا الحقيقة ص : ساقطة من د ، ص ، ط || موجودة : + بالحقيقة ط
(١١ — ١٢) فإذن الغاية . . . . شخص منتشر : ساقطة من د ، م (١٣) للطبيعة : الطبيعة م
(١٤) للطبيعة : الطبيعة م || غاية للطبيعة : غاية الطبيعة د || "فإذ هى غاية للطبيعة الجزئية" : ساقطة من ص || وغاية : أو غاية ب .

وأعنى بالطبيعة الجزئية القوة الخاصة التدبير بشخص واحد .

وأعنى بالطبيعة الكلية القوة القابضة من جواهر السماويات كشىء واحد وهى المدبرة لكلية ما فى الكون . وأنت تعلم هذه كلها بعد هذا

وأما الحركة الذاهبة إلى غير النهاية فإنها واحدة بالاتصال كما علمت فى الطبيعيات .
٥ وأيضاً فإن الغرض فى تلك الحركة ليس هو نفس الحركة بما هى هذه الحركة ، بل الغرض هناك الدوام الذى نصفه بعد ، وهــذا الدوام معنى واحد إلا أنه متعلق الوجود بأشياء لنسلم أن عددها بغير نهاية .

وأما حديث المقدمات والنتيجة، فيجب أن يعلم أن المراد بقولنا : إن العلة الغائية تتناهى وتقف ، أن العلة الغائية التى بحسب فاعل واحد وفعل واحد تتناهى، ولا يجوز أن يكون
١٠ فاعل طبيعى أو اختيارى يفعل فعلا يروم به بعينه غاية بعد غاية من غير أن يقف عند نهاية.

وأما المبدأ الواحد إذا كان قد يصدر عنه فعل بعد فعل ، ويصير بحسب كل فعل فاعلا غير الفاعل الذى كان بحسب الفعل الآخر ، وإن لم يكن بالذات والموضوع غيره ، فيجوز أن تتكثر غاياته ويكون له بحسب كل كون منه فاعلا غاية أخرى ، وإن جاز أن يعتبر له كونه فاعلا بعد كونه فاعلا إلى غير النهاية ، كانت غاياته بغير نهاية .

١٥ ثم النتيجة هى علة غاية تمامية للقياس الذى يكون على مطلوب محدود ، وكل تركيب قياس فعل مبتدأ ، وللنفس بحسب كل قياس فعل مستأنف يصدر عنه استحقاق أن يقال له فاعل مستأنف ، وفى كل واحد من مرات كونه فاعلا غاية محدودة بعينها لا يجوز أن تكون ذاهبة إلى غير النهاية إذ لكل قياس واحد نتيجة واحدة لا محالة .

---

(١) التدبير : للتدبر د || بشخص واحد : بالشخص الواحد ح ، د ، ص ، ط
(١ — ٢) بالطبيعة الجزئية . . . وأعنى : ساقطة من م (٢) بالطبيعة : طبيعة د || من : فى ب ، ح ، ط ، م || وهى المدبرة : والمدبرة ب ، م : هى المدبرة ط (٣) لكلية ما : الكلية ب ، د ، ط || وأنت : فأنت د || كلها : + من ب ، د ، ص ، ط ، م (٤) فإنها : فإنه د
(٨) بقولنا : فى قولنا ح ، ص ، م (٩) بحسب : فحسب ص ، ط (١٣) تتكثر : تكثر م : تتكسر ح ، ص || فاعلا : + وغيره ط (١٤) غاياته : غايته ح (١٥) غاية : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص ، م || للقياس : القياس ط (١٦) فعل : ساقطة من ب ، ح ، د ، م (١٧) له : لها ح ، ط (١٨) إذ : أو د || واحدة : واحد د .

وأما الشك الذى يليه فينحل بأن يعلم أن الغاية تفرض شيئاً . وتفرض موجوداً ، وفرق بين الشيء والموجود ، وإن كان الشيء لا يكون إلا موجوداً ، كالفرق بين الأمر ولازمه ، وقد علمت هذا وتحققته فاستأنف تأمله من الإنسان . فإن للإنسان حقيقة هى حده وماهيته من غير شرط وجود خاص أو عام فى الأعيان أو فى النفس بالقوة شيء من ذلك أو بالفعل . ٥

وكل علة فإنها من حيث هى تلك العلة لها حقيقة وشيئية، فالعلة الغائية هى فى شيئيتها سبب لأن تكون سائر العلل موجودة بالفعل عللا، والعلة الغائية فى وجودها مسببة لوجود سائر العلل عللا بالفعل ، فكأن الشيئية من العلة الغائية علة علة وجودها ، وكأن وجودها معلول معلول شيئيتها ، لكن شيئيتها لا تكون علة ما لم تحصل متصورة فى النفس أو مايجرى مجراها، ولا علة للعلة الغائية فى شيئيتها إلا علة أخرى غير العلة التى تحرك إليها أو يتحرك إليها. ١٠

واعلم أن الشيء :

يكون معلولا فى شيئيته .

ويكون معلولا فى وجوده .

فالمعلول فى شيئيته مثل الاثنينية ، فإنها فى حد كونها اثنينية معلولة للوحدة .

والمعلول فى وجوده ظاهر لا يخفى . ١٥

وكذلك قد يكون للشيء أمر حاصل موجود فى شيئيته مثل العددية للاثنينية .

---

(١) تفرض : تفترض م (٢) إلا : + يكون م (٣) وتحققته : وتحققه ح : ساقطة من د || فاستأنف تأمله : واستأنف تأمله ص ، فاستأنف بأمثلة د ، ساقطة من ط (٤) وجود : وجوده ح (٣ — ٥) فاستأنف تأمله . . . . . . أو بالفعل : ساقطة من ب ، م (٧) لأن تكون : لا يكون ب ، د || لوجود : + سبب ط (٨) فكأن : وكأن ح ، ص ، ط || الشيئية : + بالفعل م || وجودها : لوجودها ح ، د ، ص ، ط ، م || وكأن : فكأن ب ، ح ، ص ، ط ، م (٩) لكن شيئيتها : ساقطة من د || النفس : نفس ب ، د ، ص ، ط ، م || ما يجرى : وما يجرى د (١٠) مجراها : مجراه ب ، د ، م || شيئيتها : شيئية م (١٤) فالمعلول : والمعلول د ، م || الاثنينية : ثنينية ح ، ص ، ط || فإنها : فإنهما د || كونها : كونهما د (١٥) وجوده : وجود د (١٦) للشيء : لشيء د || موجود : لوجوده د .

وقد يكون الأمر زائداً لأمر زائد على شيئيته مثل كون التربيع فى الخشب أو الحجر .

والأجسام الطبيعية علة لشيئية كثير من الصور والأعراض ، أعنى التى لا يتحدد إلا بها ، وعلة لوجود بعضها دون شيئيته كما يظن أن الحكم فى التعليميات كذلك .

فقد سهل لك أن تفهم أن العلة الغائية فى الشيئية قبل العلل الفاعلة والقابلة، وكذلك قبل الصورة من جهة ما الصورة علة صورية مؤدية إليها ، وكذلك أيضاً العلة الغائية ٥
فى وجودها فى النفس قبل العلل الأخرى . أما فى نفس الفاعل فلأنها توجد أولا ثم يتصور عنده الفاعلية ، وطلب القابل ، وكيفية الصورة . وأما فى نفس غير الفاعل فليس لبعضها ترتيب على الآخر ضرورى ، فإذن فى اعتبار الشيئية واعتبار الوجود فى العقل ليست علة أقدم من الغائية بل هى علة لصيرورة سائر العلل عللا ، ولكن وجود العلل الأخرى بالفعل عللا ، علة لوجودها ؛ وليست العلة الغائية علة على أنها موجودة، بل على أنها شىء ١٠
فبالجهة التى هى علة ، هى علة العلل ؛ وبالجهة الأخرى هى معلولة العلل .

هذا إذا كانت العلة الغائية فى الكون ، وأما إذا كانت العلة الغائية ليست فى الكون ولكن وجودها أعلى من الكون على ما سيتضح فى موضعه فلا يكون شىء من العلل الأخرى علة لها ولا فى الواحد الذى هو الحصول والوجود ؛ فتكون إذن العلة الغائية ليست معلولة لسائر العلل لا لأنها علة غائية ولكن لأنها ذات كون ؛ ولو كانت ليست ١٥
ذات كون ، لما كانت معلولة ألبتة ، وأما إذا اعتبرت كونها علة غائية فتجدها علة لسائر العلل فى أن تكون عللا مثل أن تكون علة فاعلية وعلة قابلية وعلة صورية، لا فى أن تكون كائنة

---

(١) لأمر زائد : الأمر زائدا حـ || الخشب أو الحجر : خشب أو حجر حـ ، م (١ — ٢) مثل كون التربيع . . . . لشيئية : ساقطة من ب (٢) أعنى : ساقطة من ط (٣) شيئيته : شيئيتها ط (٤) سهل : اتضح ب || أن تفهم : إذن ب || العلل : العلة ط || الفاعلة : الفاعلية ب ، حـ ، د ، م ، ص || القابلة : القابلية ب ، حـ ، د ، ص (٧) الفاعلية : الفعلية ب ، د ، م || وكيفية : وكيفيته ط (٨) الآخر : الأخرى ط (٧ — ٨) وأما فى نفس . . . . ضرورى : ساقطة من م (٩) ولكن : لكن ب ، د ، ص ، ط ، م (١٠) موجودة : موجود حـ (١١) هى (الثانية) : ساقطة من د || علة العلل : + هى علة ط || هى (الثالثة) : وهى ب ، حـ ، د ، ص ، ط || معلولة العلل : + الأخرى د (١٥) معلولة : معلولا د || لا لأنها : لأنها ب ، حـ ، ص ، ط ، م .

وموجودة فى أنفسها ؛ فإذن الذى بالذات للعلة الغائية بما هى علة غائية ، أن تكون علة لسائر العلل ويعرض لها من جهة أن معناها قد يكون واقعاً فى الكون أن يكون معلولا من جهة الكون .

فقد تبين لك أنه كيف يكون الشىء علة ومعلولا ، على أنه فاعل وغاية ، وهذا من المبادئ للطبيعيين . ٥

وأما البحث الذى بعد هذا فينكشف بما نقوله : إن الغاية التى تحصل فى فعل الفاعل تنقسم إلى قسمين :

غاية تكون صورة أو عرضاً فى منفعل قابل للفعل .

وغاية لا تكون صورة ولا عرضا فى منفعل قابل ألبتة فتكون فى الفاعل لا محالة ؛ لأنها إن لم تكن فى الفاعل ولا فى المنفعل ، وليس يجوز أن يكون ما يقوم بنفسه جوهرا حدث لا من مادة ولا فى مادة ، فلا يكون لها وجود ألبتة . ١٠

فمثال الأول صورة الإنسانية فى المادة الإنسانية ، فإنها غاية للقوة الفاعلة للتصوير فى مادة الإنسان ، وإليها يتوجه فعلها وتحريكها .

ومثال الثانى الاستكنان ، فإنه غاية لمستبنى البيت الذى هو مبدأ لحركة كونه ، وليس هو ألبتة صورة فى البيت . ويشبه أن تكون غاية الفاعل القريب الملاصق لتحريك المادة صورة فى المادة ، وأن يكون ما ليس غايته صورة فى المادة ليس مبدأ قريبا للحركة بما هو كذلك ، فإن عرض أن يكون ما غايته صورة فى المادة المتعاطاة وما غايته معنى ليس صورة فى تلك المادة شيئاً واحداً ، فإن وحدته تكون بالعرض ، مثل أن يكون ١٥

---

(١) فى أنفسها : لا فى أنفسها ص (٣) جهة : جملة ط (٤) فقد : فلدم (٥) للطبيعيين : للطبيعى ط (٦) فينكشف : فيكشف د || إن : الى د (٧) تنقسم : منقسمة ـ ، د ، ص ، م (٩) لا تكون صورة : لا صورة ط : تكون لا صورة ، (١٠) ما يقوم : مما يقوم ط ، م (١٢) فى المادة : فى مادة ـ || الفاعلة : الفاعلية ـ ، د (١٣) مادة : المادة د (١٤) فإنه : فإنها ـ || مبدأ : + الحركة ـ ، د ، ص (١٧) المتعاطاة : المتواطأة د (١٨) صورة : صورته ط .

الإنسان يبنى بيتا ليستكن فيه ؛ فإنه من جهة ما هو طالب الكنّ داع إلى البناء وعلة أولى للبناء ، ومن جهة ما هو بناء معلول لما هو مستكن ، فيكون الغاية لما هو مستكن ، غير الغاية لما هو بان . وإذا كان كذلك فيكون أيضا فى الإنسان الواحد المستكن البانى غايته بما هو مستكن غير غايته بما هو بان .

٥ وإذ قد تقرر هذا فنقول : أما فى القسم الأول فإن للغاية نسبة إلى أمور كثيرة هى قبلها فى الحصول بالفعل والوجود ؛ لأن لها نسبة إلى الفاعل ، ونسبة إلى القابل ، وهى بالقوة ؛ ونسبة إلى القابل ، وهى بالفعل قابل ، ونسبة إلى الحركة ؛ فهى بقياسها إلى الفاعل غاية وبقياسها إلى الحركة نهاية وليست بغاية ؛ لأن الغاية التى لأجلها الشىء ويؤمها الشىء لا يبطل مع وجودها الشىء ، بل يستكمل بها الشىء والحركة تبطل مع انتهائها ؛ وهى بقياسها إلى القابل المستكمل به وهو بالقوة خير يصلحه؛ لأن الشر هو العدم ١٠ لكماله ، والخير الذى يقابله هو الوجود والحصول بالفعل ، وبالقياس إلى القابل وهو بالفعل صورة .

وأما الغاية التى بحسب القسم الثانى فبيّن أنها ليست صورة للمادة المنفعلة ، ولا هى نفس نهاية الحركة . وقد بان أنها تكون صورة أو عرضاً فى الفاعل ، ويكون لا محالة ١٥ قد خرج بها الفاعل من الذى بالقوة إلى الذى بالفعل، والذى بالقوة هو لأجل العدم الذى يقارنه شر ، والذى بالفعل هو الخير الذى يقابله . فتكون إذن هذه الغاية خيراً بالقياس إلى ذات الفاعل ، لا إلى ذات القابل ؛ فإذا نسبت إلى الفاعل من جهة ما هو مبدأ حركة وفاعل ، كانت غاية ، وإذا نسبت إليه من جهة ما هو خارج بها من القوة إلى

---

(١) ليستكن : ليسكن م || فيه : ساقطة من ـه ، م (٢ ـ ٣) فتكون الغاية . . . . لما هو بان : ساقطة من م (٥) قد : ساقطة من ط ، م

(٦) ونسبة إلى القابل : ساقطة من م || وهى : وهو ط (٧) وهى : وهو ، ب ، ط || قابل : ساقطة من م || بقياسها : لقياسها ـه (٨) بقياسها : لقياسها د || وبقياسها إلى الحركة : ساقطة من ط || وليست بغاية : + لغاية الحركة ـه (٩) بها : به د (١٠) وهى : وهو ب ، ـه ، د ، ط ، م || بقياسها : بقياسه ب ، ـه ، د ، ط ، م (١١) وبالقياس : والقياس د (١٥) هو : + هو د (١٦) الخير : ساقطة من م || هذه : هى د (١٧) ذات الفاعل : للفاعل د || لا : + بالقياس د || فإذا : وإذا د || نسبت : نسب ب ، م (١٨) وإذا : فإذا ـه || نسبت : نسب ب ، د ، م .

الفعل ومستكمل ، كانت خيراً إذا كان ذلك الخروج من القوة إلى الفعل فى معنى نافع فى الوجود أو بقاء الوجود ، وكانت الحركة طبيعية أو اختيارية عقلية ، وأما إن كانت تخيلية فليس يجب أن يكون خيراً حقيقياً ، بل قد يكون خيراً مظنوناً ، فيكون إذن كل غاية فهى باعتبار غاية ، وباعتبار آخر خير إما مظنون وإما حقيق ، فهذا هو حال الخير ٥ والعلة التمامية .

وأما حال الجود والخير فيجب أن يعلم أن شيئا واحدا له قياس إلى القابل المستكمل به ، وقياس إلى الفاعل الذى يصدر عنه ، وإذا كان قياسه إلى الفاعل الذى يصدر عنه ، بحيث لا يوجب أن يكون الفاعل منفعلا به أو بشىء يتبعه كان قياسه إلى الفاعل جوداً وإلى المنفعل خيراً ، ولفظة الجود وما يقوم مقامها موضوعها الأول فى اللغات إفادة ١٠ المفيد لغيره فائدة لا يستعيض منها بدلا ، وأنه إذا استعاض منها بدلا قيل له مبايع أو معاوض ، وبالجملة معامل ، ولأن الشكر والثناء والصيت وسائر الأحوال المستحسنة لا تعد عند الجمهور من الأعواض ، بل إما جواهر وإما أعراض يقررونها فى موضوعات يظن أن المفيد غيره فائدة يربح منها شكراً هو أيضاً جواد وليس مبايعاً ولا معاوضاً ، وهو فى الحقيقة معاوض ، لأنه أفاد واستفاد سواء استفاد عوضاً مالياً ، إما من جنسه ، ١٥ وإما من غير جنسه ، أو شكراً ، أو ثناء يفرح به ، أو استفاد أن صار فاضلا محموداً ، بأن فعل ما هو أولى وأحرى الذى لو لم يفعله لم يكن جميلَ الحال فى فضيلته .

لكن الجمهور لا يعدون هذه المعانى فى الأعواض ، فلا يمتنعون عن تسمية من يحسن إلى غيره بشىء من هذه الخيرات المظنونة أو الحقيقية التى يحصل له بذلك ثناء ، جواداً ؛

---

(١) إذا : وإذا : ب ، ح ، د ، ص || كان : كانت ب ، ح ، ص ، ط (٣) تخيلية : تخييلية ط || فليس : فليست د (١٠) لغيره : لغير ص (١١) الأحوال : الأفعال ح || المستحسنة : المستحبة ح ، د ، ص ، م (١٢) الأعواض : الأعراض م || يقررونها : يقرونها د ، م (١٣) أن : ساقطة من ب ، د ، ط || يربح : ربح د || معاوضا : معارضا م (١٤) معاوض : معارض م || استفاد : ساقطة من ح || عوضا : + ما ح ، ص ، م || ماليا : ساقطة من د ، م || إما : ساقطة من ب ؛ + هو د (١٥) وإما : + هو د ؛ أو ط ، م || يفرح : ويفرح د (١٦) لولم : + يكن د (١٧) تسمية : تسميته د (١٨) بشىء : لشىء ب ، ح ، د ، م || هذه : هذا د || الخيرات : الحركات م || ثناء : ساقطة من ب ، م .

ولو فطنوا لهذا المعنى لم يسموه جواداً، إذ الواحد منهم إذا أحسن إليه لعوض و إن كان
شيئاً غير المـال، ففطن له ،استخف المنة أو أنكرها وأبى أن يكون المحسن إليــه جواداً إذ
كان فعله لعلة، فإذا حقق وحصل معنى الجود كان إفادة الخير كمالا فى جوهره أو فى أحواله
من غير أن يكون بإزائه ، عوض بوجه من الوجوه ، فكل فاعل يفعل فعلا لغرض يؤدى
إلى شبه عوض فليس بجواد ، وكل مفيد للقابل صورة أو عرضاً وله غاية أخرى يحصل ٥
بالخير الذى أفاده إياه فليس بجواد .

بل نقول : إن الغرض والمراد فى المقصود لا يقع إلا للشىء الناقص الذات ، وذلك
لأن الغرض إما أن يكون بحسب نفسه فى ذاته ، أو بحسب مصالح ذاته ، أو بحسب
شىء آخر فى ذاته ، أو فى مصالحه . ومعلوم أنه إن كان بحسب ذاته أو بحسب مصالح
ذاته أو بحسب شىء آخر فى مصالحه ، و بالجملة بحسب أمر يعود إلى ذاته بعائدة ما ، ١٠
فذاته ناقصة فى وجودها ، أو فى كمالاتها . و إن كان بحسب شىء آخر فلا يخلو إما أن
يكون صدور ذلك المعنى عنه إلى غيره بحيث كونه عنه له ولا كونه عنه بمنزلة ، حتى إنه
لو لم يصدر عنه ذلك الخير الذى هو خير بحسب غيره كانت حاله من كل جهــة كحـاله
لو صدر عنه ذلك ، فلم يكن ذلك أجمـل به وأحسن به وأجلب إليه لمحمدة أو غيرها
من الأغراض الخاصة فى ذاته ولا ضده غير الأجمل به وغير الجالب إليه محمدة أو غيرها ١٥
من الأغراض المـأثورة والنافعة، وحتى لو لم يفعل ذلك لمـا ترك ما هو الأولى والأحسن
به ، فيكون لا داعى له إلى ذلك ولا مرجح لأن يصدر عنه ذلك الخير إلى غيره على مقابلة .

---

(١) إذ : و ب || لعوض : لغرض ص ، م ؛ + أيضا ص (٢) أو أنكرها : وأنكرها م
|| وأبى : وإلى د || إليه : ساقطة من م || إذ : إذا ط (٣) وحصل : واجمل د
(٤) عوض : غرض ب || يؤدى : و يؤدى د (٥) وكل : فكل ب ، ط || وله : فله د
(٧ — ١٨) بل نقول . . . . مقابلة : ساقطة من م (٨) ذاته (الأولى) : وذاته د (٩) إن كان : +
غرضه ط (٩ — ١٠) إنه إن كان . . . . مصالح ذاته : ساقطة من ب (١٠) أو بحسب شىء
آخر فى مصالحه : ساقطة من ب ، حـ ، ص ، ط || إلى : على ب ، د ، ص ، ط || بعائدة : بفائدة د
(١٢) بحيث : بحسب د || عنه : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص || حتى : وحتى ب ، حـ ، د ، ص
(١٣) ذلك : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص (١٤) إليه : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط (١٥) الخاصة :
الخاصية ب || محمدة : لمحمدة ط (١٦) الأولى : + به د ، ص (١٦ — ١٧) والأحسن به :
ولا حسن فيه د (١٧) به : فيه حـ ، ص || ولا مرجح : والمرجح حـ ، ص ، ط

ومثل هذا إن لم يكن شيئاً يصدر عن طبع وعن إرادة ليست على سبيل إجابة داع بل على وجه آخر سيوقف عليه فلا يكون مصدراً لأمر من الأمور عن علة من العلل ، بل يجب أن يكون الأولى بالفاعل القاصد بالقصد المذكور أن يكون إنما يفيض خيراً على غيره، لأنه أولى به، وضده غير الأولى به، ويرجع آخر الأمر إلى غرض يتصل بذاته ويعود على ذاته ويرجع إلى ذاته ، وحينئذ لا يكون وجود ذلك الغرض ولا وجوده بمنزلة واحدة بالقياس إلى ذاته وكمالات ذاته ومصالحها، بل يكون كونه عن ذاته كون الأغراض التي تختص بذاته فيعود إلى أن ذاته تنال بذلك كمالا وحظاً خاصاً .

وكذلك فإن سؤال اللم لا يزال يتكرر إلى أن يبلغ المبلغ الراجع إلى الذات . مثاله إذا قيل للفاعل: لم فعلت كذا ؟ فقال. لينال فلان غرضاً؛ فيقال له : ولم طلبت أن ينال فلان غرضاً ؟ فقال: لأن الإحسان حسن، لم يقف السؤال؛ بل قيل: ولم تطلب ما هو حسن؟ فإذا أجيب حينئذ بخير يعود إليه أو شر ينتفي عنه ، وقف السؤال، فإن حصول الخير لكل شيء وزوال الشر عنه هو المطلوب لذاته مطلقاً .

وأما الشفقة والرحمة والعطف على الغير والفرح بما يحسن إلى الغير ، والغم بما يقع من التقصير وغير ذلك ، فهي أغراض خاصة للفاعل ، ودواع يذم عاملها أو تحط به منزلة كماله . فالجود إفادة الغنى في جميع الجهات عن الإفادة كمالا فيكون ذلك المعنى بالقياس إلى القابل خيراً ، وبالقياس إلى الفاعل جوداً ، وكل إفادة كمال فإنه يكون بالقياس إلى القابل خيراً ، سواء كان بعوض أو لا بعوض ولا يكون بالقياس إلى الفاعل جوداً إلا أن يكون لا بعوض . فهذا هو البيان لحقيقية الخير والجود .

وقد تكلمنا على العلل وأحوالها ، وبقي أن نكمل فيها القول فنقول : إن هذه العلل الأربع وإن كان يظن بها أنها تجتمع في كثير من الأمور الموجودة في العلوم، فإن الأمور

(١ — ١٥) ومثل ... كماله : ساقطة من م (١) وعن : أو عن ﺣ ، د ، ص ، ط || ليست : وليست د
(٢) مصدرا لأمر : مصدر أمر ﺣ (٣) بالفاعل : الفاعل ب || بالقصد : القصد ﺣ ، ﻫ : المقصد د
(٤) على غيره : + جهة خيرية ط || الأمر : الأمور د || يتصل : + به ب (٥) إلى : على ب ، د
(٦) بالقياس : وبالقياس د (٧) تنال : تال د || خاصا : خاصية ﺣ (٨) وكذلك : ولذلك ﺣ ، ط ، ﻫ
(٩) فقال : فيقول له ص (١٠) فقال : فيقول له ص (١١) عنه : منه ب (١٢) الشر : شر ﺣ || لذاته : بذاته ب ، ﺣ ، ص ، ط (١٣) وأما : فأما د ، ط || والرحمة : والمرحمة ﺣ ، د (١٤) التقصير : التقص ب || ودواع : وداع د || عاملها : عاصيها ب ، ﺣ ، د ، ط (١٥) فالجود : + هو ب ، د ، ص ، ط ، م || المعنى : الغنى د : ساقطة من ص ، ط (١٧) جودا : جوادا م (١٨) بعوض : لعوض ب ، ﺣ || فهذا هو : هذا وهو ، د (١٩) وقد : فقد د ، ص ، م || نكمل : نجمل ب ، ﺣ ، د ، ط ، م || فيها : فيه ب || إن : ساقطة من م || هذه : هذا د (٢٠) تجتمع : لا تجتمع ب ، د ، ص ، ط ، م .

التي تتحرك والتعليميات لا يظن أن فيها فاعلا أي مبدأ حركة، ولا أيضاً يظن أن فيها غاية لأن الغاية يظن أنها للحركة ، ولا أيضا لها مادة بل إنما يبحث عن صورها ، فلذلك استخف بها من استخف ، قائلا : إنها لا تدل على علة تمامية ، فالنظر فيها لهذا العلم لا أن علماً واحداً يتناولها ، كما للمتقابلات فليست متقابلة ، ولكن لأن علماً واحداً بالوجه الذي به هذا العلم واحد يشرح أمرها . ٥

وذلك لأنا وإن سلمنا أن هذه العلل لا تجتمع فى العلوم كلها حتى تكون من الأمور العامة الواقعة فى موضوعات للعلوم مختلفة ، فإنها أيضاً قد توجد فى علوم متفرقة مختلفة ، ولو كانت أيضا فى علم واحد لم يكن فى منة صاحب ذلك العلم الواحد كالطبيعى مثلا الذى فى صناعته هذه المبادئ كلها ، أن يبينها ؛ لأنها مبادئ للعلم الطبيعى ويتكلم فيما يعرض لها على أنه ليس الأمر كذلك . فليس كل فاعل مبدأ حركة على ماقيل، ١٠ والأمور التعليمية فى طبائعها إنما يجب وجودها بغيرها ، وطبائعها لاتفارق المادة وإن جردت عن المادة فى الوهم فقد يلزمها فى الوهم من القسمة ومن التشكل مايكون بسبب المادة ، ويكاد أن تكون المقادير هيولات قريبة للأشكال المقدارية والوحدات أيضا للعدد ، والعدد لخواص العدد ، فهذه يوجد لها مبدأ فاعل ومبدأ قابل وحيث كانا ، كان تمام ، والتمام هو الاعتدال ، والتحديد والترتيب التى بها يكون لها ما يكون من ١٥ الخواص، وإنما هى لأجل أن يكون على ما هى عليه من الترتيب والاعتدال والتحديد ، فإن منع أن يكون هذا تماما أى غاية حركة فلا يمنع أن يكون خيرا ويكون علة لأنه خير، وهناك أيضا إنما كان علة لأنه خير ثم كان اتفق لذلك الخير إن كان تماما لحركة ، إذ كان السبيل إليه بحركة .

---

(١) والتعليميات : والتعليات ب ، د ، ط ، م || أى : + أو د (٢) فلذلك : فذلك ب ، د (٣) علة : علته ح ، ص ، ط (٤) لا : إلا م (٥) هذا : وهذا ب (٦) سلمنا : أسلمنا د (٧) للعلوم : + فى علوم ط || قد توجد : + متفرقة د || فى علوم : على علوم د (٨) ولو : فلو د || أيضا : ساقطة من ط || منة : منته ح ، د ، ص ، ط || الواحد : ساقطة من ط (٩) مبادئ : مباد ح ، د ، ص || لأنها مبادئ للعلم الطبيعى : ساقطة من م (١١) طبائعها : طباعها ب ، د ، ص ، م || بغيرها : لغيرها ح (١٢) عن المادة : ساقطة من ب ، ح || المادة فى : ساقطة من د ، ص || من : عن د || التشكل : التشكيل م (١٣) أن : ساقطة من م || هيولات : هيوليات د ، ط ، م (١٤) مبدأ : منتهى د || وحيث : حيث م (١٥) لها : ساقطة من م (١٧) ويكون : أو يكون ب || علة : غاية ط (١٨) وهناك : أو هناك د || ثم : + إن د (١٨) كان : يكون د (١٩) إذ : أو د .

ولولا أن الخواص واللواحق التى لهذه هى غايات تتأدى إليها هيئآتها لما كان الطالب يطلبها فى المواد لتلك الغايات، فإن الصانع يحرك المادة إلى أن تكون مستديرة، ولا تكون الغاية هى الاستدارة نفسها بل شىء من خواصها ولواحقها ، فتطلب الدائرة لها ، فقد صارت هذه العلل أيضا مشتركة فيجب أن ينظر فيها صاحب هذا العلم ، وليس ينظر فى المشترك فقط بل ينظر فيما يخص علما علما ، لكنه مبدأ لذلك العلم وعارض للمشترك ؛ ٥ فإن هذا العلم قد ينظر فى العوارض المخصصة للجزئيات إذا كانت لذاتها أولا وكانت لم تتأدى بعد إلى أن تكون أعراضا ذاتية لموضوعات العلوم الجزئية ، ولو كانت هذه علوما مفردة لكان أفضلها علم الغاية وكان يكون ذلك هو الحكمة . والآن فذلك أيضا أفضل أجزاء هذا العلم ، أعنى العلم الناظر فى العلل الغائية للأشياء .

---

(١) هيئآتها : مبادئها ب ، ح ، د ، ص (٢) مستديرة : مستديرا ب ، د ، م (٤) أيضا : ساقطة من م || وليس : + إنما ب ، د ، ص ، ط ، م || مشتركة فيجب . . . . . هذا العلم : ساقطة من ب (٥) علما (الثانية) : ساقطة من د || وعارض : وعار د (٦) لجزئيات : فى الجزئيات د || كانت : كان د || أولا : وأولا ب ، ح ، د ، ط ، م || وكانت : كانت م (٩) للأشياء : للشىء ط || للأشياء : + بل نقول إن الغرض والمراد فى المقصود لا يقع إلا للشىء الناقص الذات وذلك لأن الغرض إما أن يكون بحسب نفسه فى ذاته أو بحسب مصالح ذاته أو بحسب شىء آخر فى ذاته أو فى مصالحه ومعلوم أنه إن كان غرضه بحسب ذاته أو بحسب مصالح ذاته وبالجملة بحسب أمر يعود على ذاته بفائدة ما ، فذاته ناقصة فى وجودها أو فى كمالاتها وإن كان بحسب شىء آخر فلا يخلو إما أن يكون صدور ذلك المعنى عنه إلى غيره بحيث كونه عنه له ولا كونه بمنزلة وحتى إنه لو لم يصدر عنه ذلك الجزء الذى هو خير بحسب غيره كانت حاله من كل جهة كحاله لو صدر عنه فلم يكن ذلك أجمل به وأحسن به وأجلب لمحمدة أو غيرها من الأعراض الخاصية فى ذاته ولا ضده غير الأجمل به وغير الجالب إليه محمدة أو غيرها من الأعراض المأثورة والنافعة وحتى لو لم يفعل ذلك لما ترك هو الأولى به والأحسن به فيكون له داعى له ولا مرجح لأن يصدر عنه ذلك الخير إلى غيره على مقابله ومثل هذا إن لم يكن شيئا يصدر من طبع أو من إرادة ليست على سبيل إجابة داع بل على وجه آخر سيوقف عليه فلا يكون لأن مصدر الأمر من الأمور عن علة من العلل بأن يجب وإما أن لا يكون الأولى بالفاعل القاصد القصد المذكور أن يكون إنما يفيض جزءا على غيره لأنه أولى به وضده عن الأولى به ويرجع آخر الأمر إلى غرض مقبل بذاته ويعود على ذاته ويرجع على ذاته وحينئذ ولا يكون وجود ذلك الغرض ولا وجوده بمنزلة واحدة بالقياس إلى ذاته وكمالات ذاته ومصالحها بل يكون كونه من ذاته كون الأعراض التى يختص بذاته فيعود إلى أن ذاته تنال بذلك كمالا وحظا خاصا وكذلك فإن سؤال اللم لا يزال يتكرر إلى أن يبلغ المبلغ الراجع إلى الذات مثاله إذا قيل الفاعل لم فعلت كذا فقال لينال فلان غرضا فيقال له ولم طلبت أن ينال فلان غرضا فقال لأن الإحسان حسن لم يقف السؤال بل قيل ولم تطلب ما هو حسن فإذا أجيب حينئذ بخير يعود عليه أو شر ينتفى عنه وقف السؤال فإن حصول الخير لكل شىء وزوال الشر عنه هو المطلوب بذاته مطلقا وأما الشفقة والرحمة والعطف على الغير والفرح بما يحسن إلى الغير والغم بما يقع من التقصير وغير ذلك فهى أعراض خاصة للفاعل ودواع ندم ماضيا أو تغبط به منزلة كماله م .

المقالة السابعة

وفيها ثلاثة فصول

---

(١) المقالة السابعة : + من الجملة الرابعة من الكتاب م (٢) ثلاثة فصول : ساقطة من ب ، ﺣ ، ص .



[الفصل الأول]

(أ) فصل

فى لواحق الوحدة من الهوية وأقسامها ولواحق الكثرة من الغيرية والخلاف وأصناف التقابل المعروفة

يشبه أن يكون قد استوفينا الكلام بحسب غرضنا هذا فى الأمور التى تختص بالهوية من حيث هى هوية أو تلحقها ، ثم الواحد والموجود قد يتساويان فى الحمل على الأشياء حتى أن كل ما يقال إنه موجود باعتبار يصح أن يقال له إنه واحد باعتبار ، وكل شىء فله وجود واحد ولذلك ربما ظن أن المفهوم منهما واحد وليس كذلك، بل هما واحد بالموضوع ، أى كل مايوصف بهذا يوصف بذاك ، ولو كان المفهوم من الواحد من كل جهة مفهوم الموجود لما كان الكثير من حيث هو كثير موجودا، كما ليس واحدا، وإن كان يعرض له الواحد أيضا ، فيقال للكثرة إنها كثرة واحدة ولكن لا من حيث هى كثرة .

حري بنا أن نتكلم أيضا فى الأمور التى تختص بالوحدة ومقابلاتها أى الكثرة مثل الهوية والمجانسة والموافقة والمساواة والمشابهة ومقابلاتها ، بل الكلام فى الجانب المقابل لها أكثر، فإن الوحدة متشابهة وما يضادها متفنن متغير متشعب ، فالهوهوية هو أن يحصل للكثرة وجه وحدة من وجه آخر ، فمن ذلك ما بالعرض وهو على قياس الواحد

(٢) فصل ساقطة من د (٣) الوحدة : الواحد م || الهوية : الهوهوية ب ، د ، ص ، ط ، م || وأقسامها : ساقطة من ﺣ ، ص ، ط (٤) من الغيرية : من الغير ب ، ﺣ ، د ، ص ، م (٦) هى : هو ط || أو تلحقها : وتلحقها ب ، ﺣ ، د ، ص (٧) أن يقال : أن تقول ب ، م (٨) ولذلك : وكذلك م (٩) بذاك : بذلك ب ، ﺣ ، د ، ط ، م || المفهوم من : مفهوم ب ، م (١٠) الموجود : الوجود د (١١) للكثرة : للكثير د (١٢) كثرة : كثير د (١٣) بنا : بناءً ط || أيضا : ساقطة من د || بالوحدة : بالوجود د || ومقابلاتها : وبمقابلها ب ، ﺣ ؛ وبمقابلاتها ص ؛ وبمقابلتها م : ولمقابلتها د (١٤) الهوية : الهوهوية ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م ؛ + هوية د (١٥) أكثر : فى الأكثر د : فى الكثرة ﺣ || متغير : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م || فالهوهوية : فالهوهو ب ، م (١٦) يحصل : يجعل ط ، م || للكثرة : للكثير ب ، د ، م ؛ + من ط ، م || ما بالعرض : بالعرض ب ، ﺣ ، د ، ص ، م .

بالعرض فكما يقال هناك واحد يقال ههنا هو هو ، وما كان هو هو فى الكيف فهو شبيه ، وما كان هو هو فى الكم فهو مساو ، وما كان هو هو فى الإضافة يقال له مناسب ، وأما الذى بالذات فيكون فى الأمور التى تقوِّم الذات ، فما كان هو هو فى الجنس قيل مجانس ، وما كان هو هو فى النوع قيل مماثل . وأيضا ما كان هو هو فى الخواص يقال له مشاكل . ومقابلات هذه معروفة من المعرفة بهذه . ٥

ومقابل الهو هو على الاطلاق الغيرُ . والغيرُ منه غيرٌ فى الجنس ومنه غير فى النوع ، وهو بعينه الغير بالفصل ومنه غير بالعرض ، ويجوز أن يكون الغير بالعرض شيئا واحدا وهو غير لنفسه من وجهين . وأما الآخر فاسم خاص فى الاصطلاح للمخالف بالعدد ، والغير يفارق المخالف بأن المخالف مخالف بشىء، والغير قد يغاير بالذات، والمخالف أخص من الغيروكذلك الآخر. والأشياء المتغايرة بالجنس الأعلى إذا كانت مما يحل المواد فنفس ١٠ تغايرها بالجنس الأعلى لا يوجب أن لا يجتمع فى مادة واحدة .

وأما المتغايرات التى تختلف بالأنواع تحت الأجناس القريبة التى دون الأعلى ، فيستحيل البتة أن تجتمع فى موضوع واحد، وكل الأشياء التى لا تجتمع فى موضوع واحد من جهةٍ واحدةٍ فى زمانٍ واحد فإنها تسمى متقابلات وقد علمت فى المنطق عددها وخاصياتها والقنية ، والعدم منها ، تدخل بوجه تحت التناقض ، والأضداد تدخل بوجه ١٥ تحت العدم والقنية . ووجه دخول العدم تحت السالبة ، غير وجه دخول الضد تحت العدم .

ولكن يجب أن تعلم أن العدم يقال على وجوه: فيقال لما من شأنه أن يكون لموجودما وليس له ، لأنه ليس من شأنه أن يكون له ، وإن كان من شأنه أن يوجد لأمر ما

---

(١) فكما: كما حـ (٣) التى: + تقدم د || الذات: بالذات حـ، ص || هو (الثانية): ساقطة من د (٤) ما كان: فإن كان ط (٥) المعرفة: المعروفة م (٦) الهوهو: هوهو د || على: لا على حـ (٧) وهو: هوب، د، ص، ط، م (٨) وأما: فأما د، ص، م || فى الاصطلاح للمخالف: فى إصلاح ما المخالف ب، حـ، د، ص، م (٩) بأن: فإن حـ، د، ص || مخالف بشىء: يخالف لشىء حـ: يخالف بشىء م (١٢) المتغايرات: المتغايران م || تحت: بحسب د || التى: ساقطة من حـ، ص، ط || الأعلى: العلى ب (١٤) متقابلات: مقابلات ب، د، ط (١٥) وخاصياتها: وخاصيتها م: وخاصاتها ط || والقنية: فالقنية ط || بوجه: ساقطة من حـ || التناقض: + بوجه حـ (١٦) والقنية: والوجود حـ (١٨) من: ساقطة من م (١٨ — ١٩) لموجود ما . . . أن يوجد لأمر ما: له وإن كان من شأنه أن يوجد لأمر ما وليس له من شأنه ط: له وإن كان من شأنه أن يوجد لأمر ما حـ، ص .

كالبصر فإنه من شأنه أن يكون لشيء ما ، لكن الحائط ليس من شأنه أن يكون البصر له . ويقال لما من شأنه أن يكون لجنس الشيء وليس للشيء ولا من شأنه أن يكون له جنسا قريبا أو بعيدا .

ويقال لما من شأنه أن يكون لنوع الشيء وليس من شأنه أن يكون لشخصه كالأنوثة . ويقال لما من شأنه أن يكون للشيء وليس له مطلقا أو فى وقته أو لأن وقته ٥ لم يجئ كالمرد أو لأن وقته قد فات كالدرد ؛ والضرب الأول يطابق السالبة مطابقة شديدة وأما الوجوه الأخرى فيخالفها ، ويقال عدم لكل فقد بالقسر ، ويقال عدم لما يكون قد فقد الشيء لا بتمامه ، فإن الأعور لا يقال له أعمى ولا هو أيضا بصير مطلق لكن هذا إنما يكون بالقياس إلى الموضوع البعيد أعنى الإنسان لا العين .

١٠ ثم إن العدم يحمل عليه السلب ، ولا ينعكس . وأما العدم فلا يحمل على الضد لأنه : ليس المرارة عدم الحلاوة ، بل هى شيء آخر مع عدم الحلاوة ؛ فإن العدم وحده قد يكون فى المادة وقد يكون مصاحبا لذات توجب فى المادة عدم ذات أخرى أو لا يكون إلا مع العدم . وهذه هى الأضداد ، وليس السبب فى تقابلها تغاير الأجناس وقد بينا ذلك ؛ بل السبب فى ذلك أن ذواتها فى حد أنفسها وحد فصولها تتمانع عن الاجتماع وتتفاسد ،

---

(١) كالبصر : كان كبصر د || فإنه : فإن كان د || ما : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط || لكن : ولكن ب ، د ، ص ، ط (١ — ٢) كالبصر فانه . . . البصر له : ساقطة من م (٢) بجنس : ساقطة من ح ، د ، ط || لجنس الشيء . . . أن يكون : ساقطة من د (٣) له : + كان ب ، د ، م || أو : + جنسا ط (٢ — ٣) ويقال لما من شأنه . . . جنسا قريبا أو بعيدا : ويقال لما من شأنه أن لم شأنه أن يكون له كان جنسا بعيدا أو قريبا ص (٤) وليس : فليس ح (٦) لأن : ساقطة من م || كالدرد : كالدرط || السالبة : بالسالبة ط (٧) فيخالفها : فيخالفه ط (٨) فقد : فقده ب ، ح ، ص ؛ فقدته د ، م || لا بتمامه : بتمامه ح ، د ، ط ، م || هو : ساقطة من ح ، ص || مطلق : ساقطة من ح ، ص ، ط (١٠) على الضد : عليه الضد ح ، ص ، ط (١١) المرارة : المرة ط || هى : هو ب ، ط || فإن العدم : فالعدم ب ، م (١٢) أو لا : ولا ب (١٣) وقد : فقد ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٤) الاجتماع : الإجماع م || وتتفاسد : ويفاسد ط .

وإذ ليس شئ من الأجناس العالية بمتضادة فيجب أن تكون الأضداد الحقيقية واقعة تحت جنس ، وأن يكون جنسا واحدا ، فيجب أن يكون الأضداد تخالف بالفصول، وتكون الأضداد من جملة الغير فى الصورة مثل السواد والبياض تحت اللون ، والحلاوة والمرارة تحت الذوق .

٥ وأما الخير والشر فليسا بالحقيقة أجناسا عالية ولا الخير يدل على معنى متواطئ ولا الشر، ومع ذلك فالشر يدل فى كل شىء بوجه ما على عدم الكمال الذى له ، والخير على وجوده ؛ فبينهما مخالفة العدم والوجود ، وأما الراحة والألم وأمثال ذلك فإنها تشترك فى غير جنس الخير والشر ، وإنها تشترك فى المحسوس أو فى المتخيل وغير ذلك ، فليست أنواعا للخير والشر ويشبه أن يكون أهل الظاهر من النظر عمدوا إلى الأشياء التى هى متضادة ولها ١٠ أجناس قريبة تدخل فيها ، وطبقة منها موافقة للحاسة أو العقل وطبقة مخالفة وطبقة منها موافقة للإيجاب ،والأخرى للفصل،وطبقة مخالفة لأيهما كان،فالتقطوا منها المعنى الموافق والمعنى المخالف فجعلوا أحدهما جنسا لطبقة ، والآخر لطبقة أخرى ، وليس الواجب كذلك، بل دلالة الموافقة والمخالفة دلالة اللوازم لأنها ليست للأشياء فى أنفسها بل بالإضافة.

ثم إن الأمور الموافقة والمخالفة إذا جعلا كطبيعتين وجد لها أشياء يصلح أن تجعل ١٥ بحسب الاعتبارات المختلفة كالأجناس لها فإنها تدخل فى جملة الأفعال والانفعالات من جهة ، وفى الكيفيات من جهة أخرى ، وفى المضافات باعتبارات أخرى ، فإنها من حيث

---

(١) بمتضادة : لمتضادة د : بمتضاد م (١ — ٢) واقعة تحت جنس : واقعة فى الجنس ط ؛ واقعة فى جنس ب (٢) جنسا : جنسها ب ، ﺣ ، د ، ط ، م || وتكون : فتكون ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م (٣) الغير : + فى الجملة ط || فى الصورة : صورة ط (٥) متواطئ : المتواطئ ط : متواطأ د ، م ؛ + فيه ﺣ ، م (٧) غير : ساقطة من د (٨) وإنها : فانها ﺣ ، ص ، ط || فى : ساقطة من ب ، ﺣ ، ص ، ط (٩) النظر : النظرى ط (١٠) فيها : فيهما ط || الحاسة أو العقل : ساقطة من د (١١) للايجاب : الإيجاب د || والأخرى : أخرى ﺣ ، د ، ص || الفصل : الفصل د || لأيهما : لأيها د (١٠ — ١١) وطبقة مخالفة . . . وطبقة مخالفة لأيهما : وطبقة مخالفة لأيهما ط ، م (١٢) فجعلوا : فجعل د || أحدهما : إحداهما ﺣ ، د ، ص ، ط ، م || والآخر : والأخرى ب ، د ، ص ، ط ، م || لطبقة أخرى : للطبقة الأخرى ب ، د ، ص ، ط ، م || الواجب : مشطوبة من م (١٣) ليست : ليس ب || بالإضافة : الإضافة م (١٤) جعلا : جعلوا ص || كطبيعتين : كطبقتين د || أشياء : الأشياء د (١٥) بحسب : تحت ط || لها : لهما ، د || فإنها : فإنهما د ؛ + قد ﺣ ، ص ، ط (١٦) باعتبارات : باعتبار ﺣ ، د ، ص || أخرى : أخر ﺣ ، د ، ص ، م .

هي صادرة من أشياء هي أفعال ، ومن حيث هي حاصلة عن أشياء في أشياء هي انفعالات ، ومن حيث يتقرر عنها هيآت قارة في حواملها فهي من الكيفيات ، ومن حيث أن الموافق موافق لموافقة فهي من المضاف ، فإذا كان اسم الموافقة والمخالفة مصروفا إلى أحد هذه المعاني بعينه دخل في الجنس الخاص له . لست أقول إن شيئا واحدا يدخل في أجناس مختلفة فهذا مما نحرمه ، بل كل اعتبار هو شيء آخر ، وهو ٥ الداخل في جنس آخر ولا هذه بالحقيقة أجناس بل كأجناس ، لأنها أمور مركبة من معنى ومن فعل أو انفعال أو إضافة أو غير ذلك ، ويشبه أن تكون في ذواتها كيفيات وتكون سائر الاعتبارات تلزمها ، ثم مع الاجتهاد كله في أن تجعل الموافقة والمخالفة مما يسندها إلى الأجناس العالية فإن لتلك الطبائع الأضداد التي جعلت طبيعتين أجناسا حقيقية غير الموافقة والمخالفة هي تدخل فيها وقد علمت هذا في موضعه . ١٠

وأما القول بوجود الضدين في جنسين متضادين مثل الشجاعة والتهور فهو أيضا قول متوسع فيه ، فإن الشجاعة في نفسها كيفية ، وباعتبار ما تكون فضيلة ، وكذلك التهور في نفسه كيفية ، وباعتبار ما يكون رذيلة ، فالفضيلة والرذيلة ليستا من الأجناس لهذه الكيفيات ، كما أن الطيب وغير الطيب ليسا جنسين للروائح والمذوقات بل لوازم لها بحسب اعتبارات تلحقها . ١٥

فالشجاعة في ذاتها لا تضاد التهور ولا الجبن وإنما المتضادان هما التهور والجبن الداخلان في باب الملكة من الكيف ، وأما الشجاعة فتقابل اللاشجاعة كما قلنا في المساوى

---

(٢) انفعالات : الانفعالات ط || عنها : منها ب ، ـه ، ص ، ط ، م || قارة : قادرة د
(٣) موافق : ما وافق د || فإذا : وإذا ، ص || اسم : + الشيء ـه ، د ، ص ، ط ، م (٤) لست : ليست م (٥) فهذا : وهذا ـه ، ص ، م || هو شيء : وهو شيء م (٦) في جنس آخر : في الجنس الآخر ط || بالحقيقة : وبالحقيقة د (٧) أو إضافة : وإضافة ـه (٨) مع : + وضع ط || مما : فما د || يسندها : يسندها ـه ، ص ، ط (٩) الطبائع : لطبائع د || الأضداد : للأضداد ب || طبيعتين : طبقتين ص (١٠) فيها : فيهما ط || في موضعه : في موضع ب ، د ، م ؛ في مواضع أخر ط (١١) فهو : وهو ، م (١٢) وباعتبار : وهي باعتبار ب ، ـه ، ط ، م ، ه (١٣) في نفسه : في نفسها ـه ، د ، ص ، ط ، م || ليستا : ليسا ـه ، ص ، ط
(١٤) وغير الطيب : ساقطة من د || ليسا : + من ص || والمذوقات : والمذاقات ب ، د ، م
(١٦) هما : هو ـه (١٧) المساوى : المبادىء د ؛ + في آخر الفصل السادس من المقالة الثالثة د .

وما يقابله ، ثم اللاشجاعة كالجنس للتهور والجبن ، فإذا ضادت الشجاعة التهور فتضاده لا لطبيعة ذاتها بل إنما تضاده لعارض فيها هو أن هذه محمودة وفضيلة ونافعة . وذلك مذموم ورذيلة وضار ، فالأضداد بالحقيقة هي التي تتفق في الجنس وتتفق في الموضوع الواحد ، فنها ما يكون الموضوع الواحد يقبل الضدين جميعا من غير
٥ استحالة في غيرهما ، ومنها مايكون الموضوع يستحيل أولا في غيرهما حتى يعرض له أحدهما فإن مزاجا ما يحلو به الشيء ، وإذا أمر احتاج إلى مزاج آخر وليس كذلك الحال في استحالة الحار إلى البارد .

ولما كان الضدان يكونان في الجنس فلا يخلو إما أن يكون عدم كل واحد منهما في طبيعة الجنس يلزمه الآخر فقط فيكون لا واسطة بينهما ، وإما أن يكون ليس كذلك .
١٠ فلا يخلو : إما أن يكون مخالفة تلك الكثرة للواحد منهما مخالفة واحدة ليس مخالفة بعضها أقل أو أكثر أو يكون ذلك مختلفا ، فإن كان مختلفا في ذلك فيكون بعضها أقرب إلى مشابهته والأقرب إلى مشابهته فيه شيء من صورته وبعضها في غاية الخلاف له فيكون الضد ذلك ، ويكون التضاد غاية الخلاف للتقابلات المتفقة في الجنس والمادة ، وذلك لأنه يصدق أن يقول غاية الخلاف من حيث كان متوسطا وحيث لم يكن ، لأنه إن كان اثنان كل
١٥ واحد منهما في غاية البعد عن الآخر فالتضاد خلاف تام ، ولذلك فإن ضد الشيء واحد .

وأما إن جعل جاعل غاية الخلاف والبعد قد يقع بين الواحد وبين آخرين اثنين متخالفين فذلك محال ، لأن التخالف بين الواحد وبينهما إما أن يكون في معنى واحد من

---

(١) فاذا : فإن ﺣ ، د ، ص ، ط م || ضادت : ضاد ، ب ، ﺣ ، ط ، م || ذاتها : ذاته ب || فيها : فيه ب || هو : وهو ب ، د ، ص ، ط ، م (٢) ونافعة : ونافع ﺣ ، ص ، ط (٤) في الموضوع الواحد فنها : في الموضوع فنها ب ، م (٦) وإذا : فإذا ط ؛ وإذ د (٧) وليس : فليس ص || في استحالة الحار : ساقطة من ص || البارد : البرد ﺣ ، ص ، ط ، م (٨) الضدان : الضد ب ، م || يكونان : يكون ب ، د ، م || إما : أو م (١٠) فلا يخلو إما : فإما م || منهما : منها ب ، ﺣ ، د ، ص ، م || مخالفة : بمخالفة م || بعضها : + لبعض ب ، ﺣ ، ط ، د (١١) أو أكثر : وأكثر ب ، ﺣ ، د || مشابهته : مشابهة د ، ط ؛ المشابهة ط (١٣) في الجنس : الجنس ب ، ط ، م ؛ بالجنس ﺣ (١٤) من : ساقطة من د ، ص ، ط || بين لفظ "لأنه" ولفظ "إن" بياض في ب ، د ، ط || كان : كانت د || كل : فكل ب ، ﺣ ، ط (١٥) منهما : ساقطة من ب || ولذلك : وكذلك د ، ط (١٦) آخرين : الآخرين ﺣ (١٧) متخالفين : مخالفين د ، ط || التخالف : المخالفة ب ، ﺣ ، د ، ط .

جهة واحدة فتكون المخالفات للواحد من جهة واحدة متفقة فى صورة الخلاف، ويكون نوعا واحدا لا أنواعا كثيرة ؛ وإما أن يكون من جهات فيكون ذلك وجوها من التضاد لا وجها واحدا ، فلايكون ذلك بسبب الفصل الذى إذا لحق الجنس فعل ذلك النوع من غير انتظار شيء، وخصوصا فى البسائط، وقدعلمت هذا، بل يكون من جهة لواحق وأحوال تلزم النوع . وكلامنا فى نمط واحد من التضاد وفى التضاد الذى بالذات ليس نعنى بقوله ٥ بالذات الجوهر والموضوع، بل نعنى به ما يقع به التضاد ولو كان كيفية أيضا، فقد بان أن ضد الواحد واحد .

والمتوسط فى الحقيقة هو الذى مع أنه يخالف يشابه، فحينئذ يجب أن يكون الانتقال إليه أولا فى التغير إلى الضد؛ فإن الأسود لذلك يغبر أو يخضر أو يحمر أولا ثم يبيض، وقد يعرض للأضداد متوسطات بسلب الطرفين ، فربما كان ذلك لعدم الاسم ، والمتوسط ١٠ متوسط ، ونعنى به متوسطا حقيقيا مثل اللاحار واللابارد ، وإذا لم يكن للفاتر اسم لمثل هذا أيضا يكون فى الجنس ، وإذا أخرج عن الجنس كقوله لا خفيف ولا ثقيل فذلك ليس بالمتوسط الحقيق إنما ذلك متوسط باللفظ ، وأما الملكة والعدم فلا يكون لهما فى الموضوع متوسط لأنهما هما الموجبة والسالبة بعينهما مخصصة بجلس أو موضوع ، وأيضا فى وقت وحال، فتكون نسبة الملكة والعدم إلى ذلك الشيء والحال نسبة النقيضين ١٥ إلى الوجود كله ، وإذ لا واسطة بين النقيضين فكذلك لا واسطة بين العدم والملكة .

---

(٢) من جهات : فى جهات ب ، ح ، د ، ط ، م (٣) لحق : تحقق م (٥) وفى التضاد : والتضاد ط (٦) والموضوع : أو الموضوع د ، ص ، ط || التضاد : + وفى التضاد الذى بالذات ليس الى ح || كيفية : كيفيه ص ، ط || أيضا : + الى د (٥ — ٦) ليس نعنى بقوله ..... كيفية أيضا : ساقطة من ب ، م (٨) والمتوسط : والمتوسطة د || فى الحقيقة : بالحقيقة ص || يخالف : مخالف ح || يشابه : + به ط (٩) أو يخضر أو يحمر : ويخضر ويحمر ، ط || ثم : لم د (١٠) للأضداد : الأضداد م || والمتوسط : والتوسط د (١١) ونعنى به متوسطا : ساقطة من د ، م || وإذا : إذا م (١٢) وإذا : إذا ط || أخرج : خرج م || فذلك : فلذلك د (١٤) هما : ساقطة من ط || الموجبة والسالبة : موجبة وسالبة ط || بعينهما : بعينها ب ، ح ، د ، ص ، م (١٥) الملكة : الملكات ب (١٦) وإذ : إذ ب ، د ، ح

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى اقتصاص مذاهب الحكماء الأقدمين فى المثل ومبادىء التعليميات والسبب الداعى إلى ذلك وبيان أصل الجهل الذى وقع لهم حتى زاغوا لأجله

قد حان لنا أن نتجرد لمناقضة آراء قيلت فى الصور والتعليميات والمبادىء المفارقة والكليات مخالفة لأصولنا التى قد قررناها ، وإن كان فى صحة ما قلناه وإعطائنا القوانين التى أعطيناها تنبيه للمستبصر على حل جميع شبههم وإفسادها ومناقضات مذاهبهم ، لكنا مستظهرون نتكلف ذلك بأنفسنا لما نرجو أن يجرى فى ذلك من فوائد نذكرها فى خلال مقاوماتنا إياهم يكون قد ذهب علينا فيما قدمناه وشرحناه .

ونقول : إن كل صناعة فإن لها نشأة تكون فيها نيئة فجة غير أنها تنضج بعد حين ثم إنها تزداد وتكمل بعد حين آخر ؛ ولذلك كانت الفلسفة فى قديم ما اشتغل بها اليونانيون خطبية ، ثم خالطها غلط وجدل ، وكان السابق إلى الجمهور من أقسامها هو القسم الطبيعى ، ثم أخذوا ينتبهون للتعليمى ، ثم للإلهى ، وكانت لهم انتقالات من بعضها إلى بعض غير سديدة ، وأول ما انتقلوا عن المحسوس إلى المعقول تشوشوا فظن قوم أن القسمة توجب وجود شيئين فى كل

---

(١) فصل : الفصل ط : ساقطة من د (٢) الحكماء : القدماء ب ، ح ، ص ، م || ومبادىء : المبادىء ح ؛ ساقطة من ب ، م (٣) التعليميات : التعليات ب ، د ، م || الجهل : الجهة د (٤) حتى : حين م (٥) حان : جاز د || فى الصور : فى الصورة د || والتعليميات : لتعليات د ؛ والتعليات ب ، م (٦) لأصولنا : أصولنا م || قد : ساقطة من ب ، ح ، ص ، ط ، م || كان : كانت ح ، ط (٧) التى : ساقطة من د (٨) بأنفسنا : لأنفسنا ط || نذكرها : نذكر ، م || فى خلال : بما خلال م (٩) ذهب : ذهبت م ؛ أذهب د (١٠) لها : + ابتداء ح ، د ، ص ، ط ، م || إنها : إنما ؛ د (١٠ — ١١) ثم إنها تزداد وتكمل بعد حين : ساقطة من ح ، ص ، ط (١١) ولذلك : وكذلك ب ، ح || فى قديم : فى القديم ط || اشتغل : استعمل د || بها : به ب ، ح ، ص ، ط (١٣) الإلهى : للإلهى ط ؛ الإلهى ب || من بعضها : ساقطة من ب : من بعضهم د (١٤) تشوشوا : تشوشوا ب ، د || وجود : + وجود ح .

شيء ؛ كانسانين في معنى الإنسانيـة : إنسان فاسد محسوس ، وإنسان معقول مفارق أبدى لايتغير ، وجعلوا لكل واحد منهما وجودا ، فسموا الوجود المفارق وجودا مثاليا ، وجعلوا لكل واحد من الأمور الطبيعية صورة مفارقة هي المعقولة ، وإياها يتلق العقل ، إذ كان المعقول أمرا لايفسد ، وكل محسوس من هذه فهو فاسد ، وجعلوا العلوم والبراهين تنحو نحو هذه وإياها تتناول . ٥

وكان المعروف بأفلاطون ومعلمه سقراط يفرطان في هذا الرأى ويقولان إن للإنسانية معنى واحدا موجودا يشترك فيه الأشخاص ويبقى مع بطلانها ، وليس هو المعنى المحسوس المتكثر الفاسد فهو إذن المعنى المعقول المفارق . وقوم آخرون لم يروا لهذه الصورة مفارقة بل لمبـادئها ، وجعلوا الأمور التعليمية التي تفارق بالحـدود مستحقة للمفارقة بالوجود ، وجعلوا مالا يفارق بالحد من الصور الطبيعية لا يفارق بالذات ، وجعلوا الصور ١٠ الطبيعية إنما تتولد بمقارنة تلك الصور التعليمية للـمادة ؛ كالتقعير فإنه معنى تعليمى ، فإذا قارن المـادة صار فطوسة ، وصار معنى طبيعيا ، وكان للتقعير من حيث هو تعليمى أن يفارق وإن لم يكن له من حيث هو طبيعى أن يفارق .

وأما أفلاطون فأكثر ميله إلى أن الصور هي المفارقة ، فأما التعليميات فإنها عنده معان بين الصور والمـاديات ، فإنها وإن فارقت في الحد فليس يجوز عنده أن يكون بعدٌ ١٥ قائم لا في مادة ؛ لأنه إما أن يكون متناهيا ، أو غير متناه ، فإن كان غير متناه ، وذلك

---

(٢) الوجود : الموجود د ، ط || وجودا : موجودا د ، ط (٢ — ٣) منهما وجودا . . . لكل واحد : ساقطة من د (٣) العقل : المعقول ط (٤) إذ : إذا ﺤ ، د (٦) بأفلاطون : بأفلاطن ﺤ ، ص ، ط : بفلاطن م || ويقولان : ويقولون د || للإنسانية : الإنسانية د (٧) فيه : فيها د (٨) المعنى : ساقطة من د ، م || مفارقة + مالوجود ﺤ (١١) الصور : الصورة د (١٢) فطوسة : فطوسطة ط || وكان : فكان ب ؛ ولأن د ، م || حيث : ساقطة من ﺤ ، ص ، ط || يفارق : يقارن م (١٣) وإن لم : ب ، د ، ط ، م || وإن لم يكن : ليس ب || له : ساقطة من م || هو : ساقطة من د || يفارق : يقارن م (١٤) أفلاطون : أفلاطن م || المفارقة : المتفارقة د || فأما : وأما ب ، د ، ص ، ط ، م (١٥) الصور : + وبين م || والماديات : والماديين ب ، ﺤ ، د ، ص (١٦) لأنه إما أن يكون متناهيا أو غير متناه : لأنه يكون إما متناهيا أو غير متناه ط ؛ لأنه إما أن يكون تناهيا أو غير تناه ﺤ ؛ لأنه إما أن يكون متناهيا وإما غير متناه م (١٦) فإن كان غير متناه" : وإن كان غير متناه د ؛ ساقطة من ب || وذلك : فذلك ﺤ .

يلحقه لأنه مجرد طبيعة ، كان حينئذ كل بعد غير متناه ، و إن لحقه لأنه مجرد عن المادة كانت المادة مفيدة للحصر والصورة، وكلا الوجهين محال ؛ بل وجود بعد غير متناه محال ، و إن كان متناهيا فانحصاره فى حد محدود وشكل مقدر ليس إلا لانفعال عرض له من خارج، لا لنفس طبيعته، ولن تنفعل الصورة إلا لمادتها ، فتكون مفارقة وغير مفارقة، ٥ وهذا محال فيجب أن تكون متوسطة .

وأما الآخرون فإنهم جعلوا مبادىء الأمور الطبيعية أمورا تعليمية، وجعلوها المعقولات بالحقيقة ، وجعلوها المفارقات بالحقيقة ، وذكروا أنهم إذا جردوا الأحوال الجسمانية عن المادة لم يبق إلا أقطار وأشكال وأعداد، وذلك لأن المقولات التسع فإن الكيفيات الانفعالية والانفعالات منها والملكات والقوة واللاقوة أمور تكون لذوات الانفعالات ١٠ والملكات والقوى ، وأما الإضافة فما يتعلق بأمثال هذه فهى أيضا مادية ؛ فيبقى الأين وهو كمى، ومتى وهو كمى، والوضع وهو كمى، وأما الفعل والانفعال فهو مادى، فيحصل من هذا ان جميع ماليس بكمى فهو متعلق بالمادة، والمتعلق بالمادة مبدؤه ما ليس متعلقا بالمادة ، فتكون التعليميات هى المبادىء، وتكون هى المعقولات بالحقيقة ، وسائر ذلك غير معقول ؛ ولذلك فليس واحد يحد اللون والطعم وغير ذلك حدا يعبأ به، إنما هو نسبة ١٥ إلى قوة مدركة فلا يعقلها عندهم العقل إنما يتخيلها الخيال تبعا للحس .

قالوا وأما الأعداد والمقادير وأحوالها فهى معقولة لذاتها، فهى إذن المفارقة. وقوم جعلوها مبادىء ولم يجعلوها مفارقة، وهم أصحاب فيثاغورث ، وركبوا كل شىء من الوحدة والثنائية، وجعلوا الوحدة فى حيز الخير والحصر، وجعلوا الثنائية فى حيز الشر وغير الحصر.

---

(١) وإن : فإن د ، ط ، م || مجرد : + حينئذ ، د (٢) لحصر : الحصر ب ، م || والصورة : الصور ط (٤) طبيعته : طبيعة ~ ، ط (٦) وجعلوها : بجعلوها ب ، ~ (٧) وجعلوها المفارقات بالحقيقة : ساقطة من م (٨) أقطار وأشكال وأعداد : أقطارا وأشكالا وأعدادا ب ، ~ ، ط ، م ، ه || التسع : التسعة ~ ، ص ، م || الكيفيات : المكيفيات م (٩) منها : ساقطة من د (١٠) فما : فإنما ط (١٢) مبدؤه : مبدئه ط : مبداه ، د ، ص ، م ؛ مبدءه ~ ؛ مبداوه ، ب || متعلقا : يتعلق ب ، ط (١٣) التعليميات : التعليات م || هى : ساقطة من م || بالحقيقة : الحقيقة ب ، ص ، م (١٤) معقول : + له ~ || ولذلك : يتصور ، م || فليس : وليس م || به : ساقطة من ~ || إنما : وإنما ط ؛ إما د || نسبة : يشبه د (١٥) فلا : ولا ب ، ~ ، د ، ص ، م || يتخيلها : يخيلها د (١٧) مفارقة : مفارقات ب (١٨) وجعلوا : واجعلوا م || الوحدة : الواحدة د || الخير : الخواطير ، د || والحصر : والحصور د .

وقوم جعلوا المبادئ الزائد والناقص والمساوى، وجعلوا المساوى مكان الهيولى، إذعنه الاستحالة إلى الطرفين .

وقوم جعلوه مكان الصورة ، لأنها المحصورة المحدودة ولا حد للزائد والناقص .

ثم تشعبوا فى أمر تركيب الكل من التعليميات، فجعل بعضهم العدد مبدأ للقدار، فركب الخط من وحدتين ، والسطح من أربع وحدات. وبعضهم جعل لكل واحد منهما حيزا ٥
على حدة ، وأكثرهم على أن العدد هو المبدأ ، والوحدة هى المبدأ الأول ، وأن الوحدة والهوية متلازمتان أو مترادفتان، وقد رتبوا العدد وإنشاءه من الوحدة على وجوه ثلاثة :

أحدها على وجه العدد العددى .

والثانى على وجه العدد التعليمى .

والثالث على وجه التكرار .

أما وجه العدد العددى فجعلوا الوحدة فى أول الترتيب ، ثم الثنائية ، ثم الثلاثية .

وأما العدد التعليمى : فجعلوا الوحدة مبدأ ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، فرتبوا العدد على توالى وحدة وحدة .

وأما الثالث فجعلوا إنشاء العدد بتكرار وحدة بعينها لا باضافة أخرى إليها .

١٥ والعجب من طائفة فيثاغورثية ترى أن العدد يتألف من وحدة وجوهر، إذ الوحدة لا تقوم وحدها ، فإنها وحدة شىء ، والمحل جوهر ، وحينئذ يكون التركيب ، فتكون الكثرة . ومن هؤلاء من يجعل لكل رتبة تعليمية من العـــدد صورة مطابقة لصورة

(٣) ولا حد : ولا حدا ط (٤) التعليميات : التعليات م || بعضهم : + التعليات ح || فركب : فتركب ب ، د ، ط (٥) لكل : كل ح || منهما : منها ب ، ص || حيزا : جزءا ح ، ص ، ط (٦) المبدأ الأول : للبدأ الأول م || وأن : فإن ح (٧) متلازمتان : متلازمان د || مترادفتان : مترادفان د (٨) العدد : ساقطة من م (١٠) على ساقطة من م (١١) أما : وأما د (١٥) فيثاغورثية : فيثاغورث ب ، د ، ح ، ط ؛ فيثاغورية م (١٧) لكل : الكل م || صورة : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص ، م .

موجودة ، فيكون عند التجريد رتبة عدد وعند الخلط بالمادة صورة إنسان أو فرس ، وذلك للمعنى الذى أشرنا إليه فيما سلف ، وقوم يرون أن بين هذه الصور العددية وبين المثل فرقا ، ومن هؤلاء من جعلها متوسطات على ما سلف قبل .

وأكثر الفيثاغوريين يرون أن العدد التعليمى هو المبدأ ولكنه غير مفارق ، ومنهم ٥ من يجوز تركيب الصور الهندسية من الآحاد فيمتنع تنصيف المقادير ، ومنهم من لا يرى بأسا بأن تكون التعليميات مركبة من أعداد يعرض لها بعد التركيب أن تنقسم إلى غير نهاية ، ومنهم من يجعل الصور العددية مباينة للصور الهندسية .

وأنت إذا فكرت وجدت أصول أسباب الغلط فى جميع ما ضل فيه هؤلاء القوم خمسة :

أحدها ، ظنهم أن الشىء إذا جرد من حيث لم يقترن به اعتبار غيره كان مجردا ١٠ فى الوجود عنه ، كأنه إذا التفت إلى الشىء وحده ومعه قرين التفاتا خلا عن الالتفات إلى قرينه فقد جعل غير مجاور لقرينه ، وبالجملة إذا نظر إليه لا بشرط المقارنة فقد ظن أنه نظر إليه بشرط غير المقارنة ، حتى إنما صلح أن ينظر فيه ، لأنه غير مقارن بل مفارق ، فظن لهذا أن المعقولات الموجودة فى العالم لما كان العقل ينالها من غير أن يتعرض لما يقارنها أن العقل ليس ينال إلا المفارقات منها وليس كذلك ، بل لكل شىء ١٥ من حيث ذاته اعتبار ، ومن حيث إضافته إلى مقارن اعتبار آخر .

وإنا إذا عقلنا صورة الإنسان مثلا من حيث هى صورة الإنسان وحده فقد عقلنا موجودا وحده من حيث ذاته ، ولكن حيث عقلناه فليس يجب أن يكون وحده مفارقا ،

---

(١) صورة : بصورة م (٢) للمعنى : المعنى ﺣ ، ص ، ط ؛ لمعنى د || بين : من ب || الصور : الصورة د ؛ ساقطة من ب (٣) متوسطات : متوسطة ط (٤) وأكثر : فأكثر د || ولكنه : ولكن ب (٥) فيمتنع : فيمنع ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م || من لا : لا د (٦) التعليميات : التعليات م || نهاية : النهاية ﺣ ، ص ، ط (٧) الصور : الصورة م (١٠) الشىء : شىء ﺣ ، ص ، ط (١١) فقد : وقد م (١٢) لأنه : لأن د (١٣) فظن : وظن ط ، م (١٥) آخر : ساقطة من ب ، ﺣ ، د ، ص ، م (١٦) وإنا إذا : فإنما إذا د ؛ وإذا م ؛ فإنا إذا ﺣ ، ص ، ط || الإنسان وحده : إنسان وحده ب ، د ، م (١٧) من حيث : ومن حيث م || ولكن : ساقطة من د ، م || عقلناه : عقلنا ب ، ﺣ ، د ، ص ، م || فليس : وليس ﺣ ، د ، ص ، ط ، م || مفارقا : ومفارقا د ، م .

فإن المخالط من حيث هو هو غير مفارق على جهة السلب لا على جهة العدول الذى يفهم منه المفارقة بالقوام وليس يعسر علينا أن نتصد بالإدراك أو بغير ذلك من الأحوال واحدا من الاثنين ليس من شأنه أن يفارق صاحبه قواما و إن فارقه حدا ومعنى وحقيقة ؛ إذ كانت حقيقته ليست مدخولة فى حقيقة الآخر، إذ المعية توجب المقارنة لا المداخلة فى المعانى . ٥

والسبب الثانى ، غلطهم فى أمر الواحد ؛ فإنا إذا قلنا إن الإنسانية معنى واحد لم تذهب فيه إلى أنه معنى واحد وهو بعينه يوجد فى كثيرين فيتكثر بالإضافة كأب واحد يكون لكثيرين، بل هو كالآباء لأبناء متفرقين، وقد استقصينا القول فى هذا فى مواضع أخر. فهؤلاء لم يعلموا أنا نقول لأشياء كثيرة إن معناها واحد، ونعنى بذلك أن أى واحد منها لو توهمناه سابقا إلى مادة هى بالحالة التى للآخر، كان يحصل منه هذا الشخص الواحد، ١٠ وكذلك أى واحد منها سبق إلى الذهن منطبعا فيه كان يحصل منه هذا المعنى الواحد ؛ و إن كان إذا سبق واحد تعطل الآخر فلم يعمل شيئا كالحرارة التى لو طرأت على مادة فيها رطوبة أثرت معنى آخر أو تعرضت لذهن سبق إليه معنى رطوبة ومعقولها لفعلت معنى آخر، ولو أنهم فهموا معنى الواحد فى هذا لكفاهم . ذلك ما أضلهم .

والثالث جهلهم بأن قولنا : إن كذا من حيث هو كذا شىء آخر مباين فى الحد له ، قول متناقض؛ ١٥ كقول المسئول الغالط إذا سئل هل الإنسان من حيث هو إنسان، إنسان واحد أو كثير؟

---

(١) مفارق : مقارن م ؛ + ومنهم من فهم هكذا فإن ليس بمفارق لا بأن يقال إنه غير مفارق لأن العدول عبارة عن عدم صفة موجودة فعدمها فرع وجودها فالعدم يستلزم الوجود بخلاف السلب المطلق ح . (٣) من : ساقطة من ص ، م . (٤) إذ : إذا ب ، د || حقيقته : حقيقة ط || ليست : غير ح ، د ، ص ، ط ، م || فى : ساقطة من ب ، م (٧) أنه معنى : + عدده ب ، د ، م ؛ + عدديا ح ، ص (٨) يكون : ساقطة من ب ، د || لكثيرين : للكثيرين د || كالآباء لأبناء : كآباء لأبناء م : كآباء لأولاد ب ، ط || القول : الكلام ط || مواضع : موضع ح ، د ، ص ، ط ، م (١٠) للآخر : للأخرى ح ، د ، ط ، م || منه : منها ب ، د ، ط ، م ؛ فيها ص (١٢) فلم : ولم ح || كالحرارة : لا كالحرارة ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٣) إليه : إليها ط || لفعلت : إن فعلت د (١٤) ولو : فلو ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٥) بأن : أن ح (١٦) الغالط : المغالط ط || إنسان (الثانية) : ساقطة من د ، ح ، ص ، ط ، م || أو كثير : أم كثير د ، ط ، م .

فقال : واحد أو كثير ، فإن الإنسان من حيث هو إنسان ، إنسان فقط ، وليس هو من حيث هو إنسان ، شيئاً غير الإنسان . والوحدة والكثرة غير الإنسان ، وقد فرغنا أيضاً من تفهيم هذا .

٥ والرابع ، ظنهم أنا إذا قلنا : إن الإنسانية توجد دائماً باقية، أن هذا القول هو قولنا إنسانية واحدة أو كثيرة ، وإنما يكون هذا لو كان قولنا الإنسانية وإنسانية واحدة أو كثيرة معنى واحداً ، وكذلك لايجب أن يحسبوا أنهم إذا سلموا لأنفسهم أن الإنسانية باقية فقد لزمهم أن الإنسانية الواحدة بعينها باقية حتى يضعوا إنسانية أزلية .

والخامس ظنهم أن الأمور المادية إذا كانت معلولة يجب أن تكون عللها أى أمور
١٠ يمكن أن تفارق ، فإنه ليس إذا كانت الأمور المادية معلولة وكانت التعليميات مفارقة يجب أن تكون عللها التعليميات لا محالة ، بل ربما كانت جواهر أخرى ليست من المقولات التسع ، ولم يحققوا كنه التحقيق أن الهندسيات من التعليميات لا تستغنى حدودها عن المواد مطلقاً ، وإن استغنت عن نوع ما من المواد ، وهذه أشياء يشبه أن يكفى فى تحقيقها أصول سلفت لنا ، فلتجرد للقائلين بالتعليميات .

---

(١) فقال : فيقال د || فقال واحد أو كثير : ساقطة من م || إنسان إنسان فقط : إنسان فقط م || وليس هو : وليس م (٣) تفهيم : تفهم م ؟ تفهيمهم ـه ، ص ، ط (٦) وإنما : فإنما ه || وإنسانية : وإنسانيه ط (٧) وكذلك : وكذلك ـه ، ص ، ط ، م (٨) فقد : ساقطة من ب || بعينها : ساقطة من م (٩) الأمور المادية : أمورا مادية ـه ، د ، ص ، م (٩ — ١١) أى أمور يمكن .... أن تكون عللها : ساقطة من م (١١) التعليميات' : التعليات م (١٢) التحقيق : التحقق د ، م || التعليميات : التعليات م (١٣) نوع ما : نوع ب ، م (١٣) التعليميات : التعليات م .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

فى إبطال القول بالتعليميات والمثل

فنقول : إنه إن كان فى التعليميات تعليمى مفارق للتعليمى المحسوس، فإما أن لا يكون فى المحسوس تعليمى ألبتة أو يكون ؛ فإن لم يكن فى المحسوس تعليمى وجب أن لا يكون مربع ولا مدور ولا معدود محسوس ، وإذا لم يكن شئ من هذا محسوسا فكيف السبيل إلى إثبات وجودها بل إلى تخيلها ، فإن مبدأ تخيلها كذلك من الوجود المحسوس حتى لو توهمنا واحدا لم يحس شيئا منها لحكمنا أنه لا يتخيل بل لا يعقل شيئا منها ، على أنا أثبتنا وجود كثير منها فى المحسوس . ٥

وإن كانت طبيعة التعليميات قد توجد أيضا فى المحسوسات فيكون لتلك الطبيعة بذاتها اعتبار ، فتكون ذاتها إما مطابقة بالحد والمعنى للمفارق أو مباينة له ؛ فإن كانت مفارقة له فتكون التعليميات المعقولة أمورا غير التى تخيلها ونعقلها ونحتاج فى إثباتها إلى دليل مستأنف . ثم تشتغل بالنظر فى حال مفارقتها فلا يكون ما عملوا عليه من الإخلاد إلى الاستغناء عن إثباتها والاشتغال بتقديم الشغل فى بيان مفارقتها عملا يستنام إليه . ١٠

وإن كانت مطابقة مشاركة له فى الحد فلا يخلو : إما أن تكون هذه التى فى المحسوسات إنما صارت فيها لطبيعتها وحدها ، وكيف يفارق ماله حدها ؟ وإما أن يكون ذلك أمرا يعرض لها بسبب من الأسباب ، وتكون هى معرضة لذلك ، وحدودها غير مانعة عن لحوق ذلك إياها ، فيكون من شأن تلك المفارقات أن تصير مادية ومن شأن هذه المادية أن تفارق ، وهذا هو خلاف ما عقدوه وبنوا عليه أصل رأيهم . ١٥

---

(٢) فصل : الفصل ط ؛ ساقطة من د (٢) التعليميات : التعليمات م (٤ — ٥) المحسوس فإما . . . . فى المحسوس تعليمى : ساقطة من ط || لا يكون فى المحسوس : يكون فى المحسوس ﺣ ، ص ، م (٥) أو يكون : أو لا يكون ﺣ ، ص ، م (٦) السبيل : السبل م (٧) تخيلها : تخيلنا د || كذلك : لذلك ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م || الوجود : الموجود د (٨) يحس : يحسن م (١٠) التعليميات : التعليمات د ، م || بذاتها : لذاتها ﺣ ، ص ، ط (١١) والمعنى : وبالمعنى ط || مباينة : مباينة ط (١٢) التعليميات : التعليمات م (١٣) فلا : ولا ص ، م (١٥) فى : فيه د (١٦) صارت : صار ب || وكيف : فكيف ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م (١٧) معرضة : معروضة ﺣ ، ط (١٨) عقدوه : عقلوه د ، ط .

وأيضا فإن هذه المادة التي مع العوارض إما أن تحتاج إلى المفارقات أو لا تحتاج إليها ، فإن كانت تحتاج إلى مفارقات ، فإنما تحتاج إلى مفارقات غيرها لطبائعها ، فتحتاج المفارقات أيضا إلى أخرى ، وإن كانت هذه إنما تحتاج إلى المفارقات لما عرض لها حتى لولا ذلك العارض لكانت لا تحتاج إلى المفارقات ألبتة ، ولا كان يجب أن يكون للمفارقات وجود ألبتة ، فيكون العارض للشيء يوجب وجود أمر أقدم منه وغنى عنه ، ويجعل المفارقات محتاجة إليها حتى يجب لها وجود .

فإن لم يكن الأمر كذلك ، بل كان وجود المفارقات يوجب وجودها مع هذا العارض فلم يوجب العارض في غيرها ولا يوجب في أنفسها والطبيعة متفقة ، وإن كانت غير محتاجة إلى المفارقات فلا تكون المفارقات عللا لها بوجه من الوجوه ولا مبادئ أولى ويلزم أن تكون هذه المفارقات ناقصة ، فإن هذا المفارق للمادة تلحقه من القوى والأفاعيل مالا يوجد للفارق ، وكم الفرق بين شكل إنساني ساذج وبين شكل إنساني حي كامل .

والعجب منهم إذ يجعلون الخط متجردا في قوامه عن السطح ، والنقطة عن الخط ، فما الذي يجمعها في الجسم الطبيعي ؟ أطبيعة واحدة منهما توجب ذلك ؟ فكذلك يجب أن يجمعهما لو كانت مفارقة أو قوة أخرى نفس أو عقل أو باري ، ثم الخط كيف يتقدم الجسم التام تقدم العلل وليس هو صورته ، فليس الخط صورة الجسمية ولا هو فاعله ولا هو غايته ، بل إن كان ولا بد فالجسم التام الكامل في الأبعاد هو غاية الخط وغيره ولا هو هيولاه ، بل هو شيء يلحقه من جهة ما يتناهى وينقطع ، وأيضا يلزم القائل

(٢) مفارقات (الأولى) : المفارقات ـ ، ص ، ط || فإنما : وإنما م ؛ + كانت م (٣) أخرى : الأخرى د || المفارقات : + ألبته ط (٤) العارض : ساقطة من ط || المفارقات : المفارقين د || ولا كان : ولما كان ص ؛ وإن كان ـ (٨) في غيرها : + في م || في أنفسها : في نفسها ص (١٠) المفارق : المفارق ب ، ـ ، د ط ، م (١٢) حي : ساقطة من ط || كامل : فاعل ـ ، د ، ص ، ط ، م (١٤) فما : فالذي ط ؛ في الذي د || أطبيعة : لطبيعة ب || واحدة : واحد ب ، د ، م || منهما : منها ب ، ـ ، ص ، ط ، م || فكذلك يجب : فيجب د (١٥) يجمعهما : يجمعها ـ ، م || كانت : كان د (١٧) غاية : الغاية ـ ، د ، ص ، ط ، م || الخط : فخط ـ ، د ، ص ، ط ، م (١٨) ولا هو : ولا ـ ، ط .

بالاعداد أن يجعل التفاوت بين الأمور بزيادة كثرة ونقصانها ، فيكون الخلاف بين الإنسان والفرس أن أحدهما أكثر والآخر أقل ، والأقل دائما موجود فى الأكثر فيكون فى أحدهما الآخر ، فيلزم من ذلك دخول بعض المتباينات تحت بعض وهو خلف فاسد .

ومن هؤلاء من يجعل الوحدات متساوية فيكون ما خالف به الأكثر الأقل جزءا من الأقل ، لكن منهم من يجعل الوحدات أيضا غير متساوية ؛ فإن كانت تختلف بالحد فليست وحدات إلا باشتراك الاسم وإن كانت لا تختلف بالحد لكنها بعد اتفاق فى الحد تزيد وتنقص ، فإما أن يكون زيادة الزائد منها بشىء فيها بالقوة كالمقادير ، فتكون الوحدة مقدرا لامبدأ مقدار ، وإن كانت زيادة الزائد بشئ فيها بالفعل كالأعداد فتكون الوحدة كثرة .

ويلزم القائلين بالعدد العددى المركبين منها صور الطبيعيات أن يعملوا أحد شيئين : إما أن يجعلوا للعدد المفارق الموجود نهاية ، فيكون تناهيه عند حد من الحدود دون غيره من الاختراع الذى لا محصول له .

أو يجعلوه غير متناه فيجعلوا صور الطبيعيات غير متناهية ، وهؤلاء يجعلون الوحدة الأولى غير كل وحدة من الوحدتين اللتين فى الثنائية ، ثم يجعلون الثنائية الأولى غير الثنائية التى فى الثلاثية وأقدم منها ، وكذلك فيما بعد الثلاثية ، وهذا محال ؛ فإنه ليس بين الثنائية الأولى ، والثنائيـة التى فى الثلاثية فرق فى الذات بل فى عارض ، وهو مقارنة شىء له . ومقارنة الشىء للشىء لا يجوز أن تبطل ذاته ، ولو أبطل ذاته لم يكن مقارنا ، لأن المقارن مقارن للوجود ، وأما المفسد فغير مقارن ، وكيف تكون الوحدة مفسدة للوحدتين

---

(١) كثرة : كثيرة د ، م (٢) والآخر أقل : ساقطة من ب ، د ، ط ، م (٣) فيلزم من ذلك . . . . . خلف فاسد : ساقطة من ب ، ص ، ط ، م (٤) الأقل : الأول د (٦) الاسم : اسم د || الحد : الحدين م (٧) الزائد : الزائدات ط || بشئ : شىء د ، م (٨) لا مبدأ مقدار : لا مبدأ مقدار يا حـ ، م : لا مبدأ مقدارا ص (١٠) المركبين : والمركبين د || منها : منه حـ ، د ، ص ؛ منهما هامش ص (١٢) الاختراع : الاجتماع د ، ط (١٥) الثلاثية : الثالثة د (١٧) لم يكن : لما كان ب ، د ، حـ ، ط ، م .

إلا بإفسادها واحدا واحدا منهما ، وكيف تكون الوحدة مفسدة للوحدة ؟ ولو أفسدتها لم تكن ثنائية . بل الثنائية بمقارنة الوحدة إياها لا تصير مباينة فى الذات للثنائية بوجودها غير مقارنة للوحدة ، فإن الوحدة لا تتغير بالمقارنة حالا ، بل تجعل الكل أكثر وتذر الجزء على حاله .

٥ وبالجملة إذا كانت الوحدات متشاكلة والتركيب واحداً كانت الطبيعتان متفقتين ، إلا أن يعرض شىء يغير ويفسد ، ولا يجوز أن لا تكون الوحدات متشاكلة ، فإن العدد يحدث من وحدات متشاكلة لا غير .

على أن قوماً منهم يقولون إن الثنائية يلحقها من حيث هى ثنائية وحدة غير وحدة الثلاثية ، فكذلك تكون وحدة الثنائية غير وحدة الثلاثية ، فيلزم أن تكون العشارية مركبة ١٠ لا من خماسيتين على ما تكون به الخماسيتان ، لأن آحاد العشرة غير آحاد الخماسية ، فلا تتركب العشارية من خماسيتين ، ويلزم أن تكون آحاد الخماسية إذا كانت جزء عشرة مخالفة لآحادها إذا كانت جزء خمسة عشر ، لكنهم عساهم يقولون : إن الخماسية التى فى خمسة عشر غير الخماسية التى فى العشارية البسيطة ، لأنها خماسية عشارية هى جزء من خمسة عشر ، فيلزم أن تكون العشارية إذا أضيف إليها الخماسية لا تصير خمسة عشر أو تستحيل آحادها ، ١٥ وذلك كله محال .

ثم إن لم تكن خماسية العشرة مساوية للخماسية المطلقة فلا تكون خماسية إلا باشتراك الاسم ، فبالحرى أن يتفهم معنى الخماسية فيها بعد المشاركة فى اللفظ ، وإن كانت مساوية

---

(١) الا بإفسادها . . . . مفسدة للوحدة : ساقطة من م || منهما : منها ط (٢) الوحدة : وحدة ب ، م || فى الذات : الذات د || الثنائية : الثانية د (٣) لا تتغير : لا تتغير ب ، د ، ص ، م أكثر : ساقطة من د (٤) وتذر : وتثبت ح ، د ، هامش ص (٥) الوحدات : الوحدات وحدات د ؛ وحدات ص || والتركيب : والتراكيب ح || الطبيعتان : الطبيعيات د ، ط ، م (٩) فكذلك : لذلك ب ، ح ، ط || فكذلك تكون وحدة الثانية غير وحدة الثلاثية : ساقطة من ب (١٠) خماسيتين : بخماستين م (١١) خماسيتين : خماسيين د || جزء عشرة : جزءا من عشرة ط (١١ — ١٢) جزء عشرة مخالفة لآحادها اذا كانت : ساقطة من م (١٢) كانت : كان د || عساهم يقولون : عسوا أن يقولوا ح ، ص ، ط ، م : عسوهم أن يقولوا ، د (١٢ — ١٣) التى فى خمسة عشر غير الخماسية : ساقطة من ح ، ص ، ط (١٦) العشرة : العشرية ط (١٧) فبالحرى : وبالحرى ب ، د || فيها : منها د .

فتكون إذن الآحاد فى جميعها متساوية والثنائيات والثلاثيات، فتكون أيضا صورة الثلاثية موجودة فى الرباعية ، لكن الثلاثية صورة لنوع طبيعى ، والرباعية كذلك ، فتكون الأنواع الطبيعية موجودة فيها أنواع أمور أخرى مخالفة . مثلا إذا كان عدد ما هو صورة للإنسان ثم عدد آخر صورة للفرس إما أكثر منه و إما أقل ، فإن كان أكثر منه كان نوع الإنسان موجودا فى الفرس وإن كان أقل منه كان نوع الفرس موجودا فى الإنسان ، ٥
فيلزم أن تكون صورة أنواع قبل أنواع وصورة أنواع بعد أنواع إذا كانت أشد تركيبا منها و إن لم يأخذ تركيب الأنواع من الأنواع مأخذا غير متناه. ثم كيف يكون عدد موجود له ترتيب ذاتى من الوحدانيــة والثنائية يذهب إلى غير النهاية بالفعل وقد تبين استحالة هذا .

وأما الذين يولدون العدد بالتكرير مع ثبات الوحدة للواحد فليس يفهم للتكرير فيه معنى ١٠
إلا إيجاد شىء آخر غير الأول بالعدد ، فإن كان العدد يفعله التكرير وليس بكل واحد من الأول والثانى فيه وحدة فليس الوحدة مبــدأ تأليف عدد ، فإن كان الأول من حيث هو أول وحدة ، والثانى من حيث هو ثان وحدة، فهناك وحدتان، فإن الوحدة لا تتكرر إلا بأن تكون هناك مرة بعد مرة ، وهــذه المرة إما أن تكون زمانية أو ذاتية ، فإن كانت زمانية ولم تعدم فى الوسط فهى كما كانت إلا أنها كررت ، وإن عدمت ثم أوجدت ١٥
فالموجدة شخصية أخرى، وإن كانت ذاتية فذلك أبين. وقوم جعلوا الوحدة كالهيولى للعدد وقوم جعلوها كالصورة لأنها تقال على الكل. والعجب من الفيثاغوريين إذ جعلوا الوحدات الغير المتجزئة مبادئ للمقادير، وعلموا أن المقادير تذهب إلى مذهب فى التجزؤ إلى غير النهاية .

---

(١) أيضا : إذن م (٤) آخر : أخرى ب ، حـ ، ص ، ط || فإن : وإن م (٧) م : ساقطة من ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٨) النهاية : نهاية م || تبين : بين د ، م (٩) استحالة : فساد د (١٠) بالتكرير : التكرير ، د || الوحدة : وحدة حـ || للواحد : الواحدة د : الواحدة ب ، ص ، م ؛ الواحد حـ (١٢) فيه : منه م (١٣) الوحدة : + الواحدة ب ، د ، ص ، ط ، م (١٥) الا أنها : لا أنها حـ ، ص ، ط ، م || عدمت : عددت د || أوجدت : وجدت حـ ، ص ، ط (١٦) فالموجدة : فالوحدة حـ ، د ، ص ، ط || وإن : فإن ط (١٧) كالصورة : كصورة ب ، م || الفيثاغوريين : الفيثاغورس د || جعلوا : جعل د (١٨) المقادير : المقادير ب || أن المقادير تذهب إلى مذهب : أن المقادير تذهب م ؛ أنها تذهب ب ، حـ ، ص ، ط .

وقال قوم : إن الوحدة إذا قارنت المادة صارت نقطة ، والثنائية على ذلك القياس إذا قارنتها فعات خطاً والثلاثية سطحا والرباعية جسما ، ولا يخلو إما أن تكون المادة لها مشتركة ، أو تكون لكل واحد منها مادة أخرى ، فإن كانت لها مادة واحدة فتصير المادة تارة نقطة ، ثم تنقلب جسما ، ثم تنقلب نقطة ، وهذا مع استحالته يوجب أن ٥ لا يكون كون النقطة مبدأ للجسم أولى من أن يكون الجسم مبدأ للنقطة ، بل ربما يكونان من الأمور المتعاقبة على موضوع واحد وإن كانت موادها مختلفة فلا توجد فى مادة الثنائية وحدة ، فلا تكون فى مادة الثنائية ثنائية ، ويلزم أن لا تكون هذه الأشياء ألبتة معا .

وأما على مذهب التحقيق فليست النقطة موجودة إلا فى الخط، الذى هو فى السطح، الذى هو فى الجسم ، الذى هو فى المادة ، وليست النقطة مبدأ إلا بمعنى الطرف ، وأما ١٠ بالحقيقة فالجسم هو المبدأ ، بمعنى أنه معروض له التناهى به . والعجب ممن جعل المبدأ الزيادة والنقصان، فجعل المضاف مبدأ ، والمضاف هو أمر عارض لغيره من الموجودات ومتأخر عن كل شىء .

ثم كيف يمكنهم أن يجعلوا فى الوجود كثرة؟ فإن الوحدة الثانية التى توجد فى الكثرة مضافة إلى الأولى إن كانت موجودة لذاتها ، فبماذا تباين وحدة وحدة ؟ وواجب ١٥ الوجود بذاته لا يتكثر ولا يباين شيئا إلا بالجوهر لا بالعدد ، وإن جاءت بانقسام وحدة فليست الوحدة إلا مقدارا ، وإن جاءت بسبب آخر فالوحدة لها علة موجودة فى طبيعتها وليست من الأمور التى بذاتها ومن المبادئ التى توجد ولا سبب لها .

---

(١) الثانية : ساقطة من ـ ، م || القياس : + فإن الثانية ـ ، د ، ص ، ط ، م
(٢) ولا : فلا ب ، ـ ، ص ، ط ، م (٣) لها مادة : + أخرى م || فتصير : فتصير م (٤) المادة : المادتان م || ثم تنقلب جسما : ساقطة من د || استحالته : استحالة م (٥) أولى من أن يكون : أولى من كون د ، ص ، م ؛ أولى من أن كون ـ || للنقطة : لنقطة ـ ، ص ، ط || ربما هما ب ، د ، ص ، ط ؛ ساقطة من ب ، م (٦) وإن كانت : فإن كان ـ ، ص ، ط || الثنائية : الثانية ب (٧) ثنائية : وحدتان ـ : وحدة ص : ساقطة من ط ؛ وحدتان فلا يوجد فى مادة الثنائية ثنائية د ، م (٩) الجسم : صورة الجسم ـ ، د ، ص ، ط ، م (١٠) المبدأ : كبدأ ـ ، ص ، ط (١٣) الثانية : الثانية ـ ، د ، ص (١٤) الأولى : الأول د ، م (١٥) جاءت : جاء م (١٦) فليست : ليست ـ ، ص ، ط || وإن جاءت : فإن جاءت ـ ، د ، هـ ؛ وجاءت ط || موجودة : موجدة ب ، ـ ، ص ، ط .

ثم كيف جعلوا الوحدة والكثرة من الأضداد وقسموها الى الخير والشر، فمنهم من مال الى أن يجعل العدد من الخير لما فيه من الترتيب والتركيب والنظام ، ومنهم من مال إلى أن يجعل الوحدة من الخير ، فإذا كانت الوحدة من الخير ، فكيف تولد من خير شر؟ وكيف صار ازدياد الخير شرا ؟ وإن كانت الكثرة خيرا والوحدة شرا ، فكيف حصل من ازدياد الشر خير؟ وكيف كان الأول والمبدأ شرا حتى صار الأفضل معلوما والأنقص علة ؟ ٥

ومنهم من جعل العدد والوحدة من باب الخير ، وجعل الشر الهيولى ، والهيولى إن كانت معلولة فيكون لها علة تستند إلى هيولى أو إلى صورة ، فإن كانت تستند الى هيولى فستقف على ما يقصد بالكلام ، وإن كانت تستند إلى صورة فكيف يولد الخير الشر ؟ وإن لم تكن معلولة فهى واجبة بذاتها ، فإما أن تكون قابلة للانقسام أو مجردة ؛ فإن كانت ١٠ قابلة للانقسام فى نفسها فهى مقدار مؤلف من آحاد على رأيهم ، فهى أيضا من الخير؛ وإن كانت غير منقسمة فى ذاتها فذاتها وحدانية، والوحدانية — بما هى وحدانية — خير؛ إذ ليس عندهم للخير معنى إلا كونه وحدة ونظاما من العدد، والوحدة أولى عندهم بذلك .

فإن جعلوا كون الوحدة وحدة غير كونها خيرا انتقضت أصولهم كلها ، وإن جعلوا الوحدانية خيرية لزم من ذلك أن تكون الهيولى — لأنها وحدانية — خيرية ، ثم إن كانت ١٥ الوحدانية فيها خيرية ، ولكنها لاحق لها غريب ، فلتجرد الملحوق به ، يلزمه هذا البحث بعينه ؛ ثم كيف يتولد من الأعداد حرارة و برودة وثقل وخفة حتى يكون عدد يوجب أن يتحرك الشيء إلى فوق وعدد يوجب أن يتحرك الشيء إلى أسفل ؟ فإن بطلان هذه مما يغنى عن تكلف إبانة .

---

(٢) يجعل : + الوحدة ص (٣) فإذا : وإن ـه ؛ فإن ب ، ص ، ط (٣) فإذا كانت الوحدة من الخير : ساقطة من م || شر : وشر م (٤) وكيف صار : ومن شر خير وكيف ط ؛ ومن شر خير وكيف حصل د || والوحدة : أو الوحدة د || فكيف : وكيف د (٧) جعل : يجعل ط (٨) أو إلى : وإلى د || أو إلى صورة فإن كانت تستند إلى هيولى : ساقطة من م || فإن : وإن ب (٩) يولد : ولد ـه ، م || الشر : شرا ب ، د ، ص ، ط ، م (١١) رأيهم : آرائهم د ، م (١٣) كونه : كونها ، د || ونظاما : أو نظاما د ، م (١٥) لزم : يلزم ب ، د ، ص ، ط (١٦) لاحق لها : عليها د || الملحوق : الحوق ـه || به : ساقطة من ـه ، م (١٧) يتولد : لا يتولد م (١٨) فإن : + كان م (١٩) تكلف إبانة : تكلفاته د .

على أن قوما منهم جعلوا الأشياء تتولد من عدد يطابق كيفية و يوجد معها ، فتكون المبادئ ليست أعدادا ، بل أعدادا ، وكيفيات وأمورا أخرى ، وهذا محال عندهم .

واعلم بعد هذا كله أن التعليميات لا تفارق الخيرية ، وذلك لأنها فى أنفسها ذوات حظ وافر من الترتيب والنظام والاعتدال ، فكل شىء منها على ما ينبغى أن يكون له ، ٥ وهذا خير كل شىء .

---

(١) فتكون : فيكون ب ، م (٢) ليست : ليس ح || وكيفيات : أو كيفيات د ، م || وأمورا : وأمور ب ، د ، م (٣) التعليميات : التعليمات ب || فى أنفسها : فى نفسها ص (٤) والنظام : ساقطة من ب || فكل : وكل ب ، ح | منها : منهما ب ، ص ، ط (٣ — ٥) واعلم بعد هذا . . . كل شىء : ساقطة من د ، م .

المقالة الثامنة

فى معرفة المبدأ الأول للوجود كله ومعرفة صفاته

سبعة فصول

---

(١) الثامنة : + من الجملة الرابعة من الكتاب م : ساقطة من د (٢) معرفة : المعرفة د || للوجود كله ومعرفة صفاته : ساقطة من ب ، د ، ص ، هـ ، ط (٣) سبعة فصول : ساقطة من ب ، هـ ، د ، ص ، وط



الفصل الأول

(١) فصــل

فى تناهى العلل الفاعلية والقابلية

وإذ قد بلغنا هذا المبلغ من كتابنا فبالحرى أن نختمه بمعرفة المبدء الأول للوجود كله وأنه هل هو موجود ، وهل هو واحد لا شريك له فى مرتبته ولا ندّله ؟ وندل على مرتبته فى الوجود ، وعلى ترتيب الموجودات دونه ومراتبها ، وعلى حال العود إليه ، مستعينين به . ٥

فأول ما يجب علينا من ذلك أن ندل على أن العلل من الوجوه كلها متناهية ، وأن فى كل طبقة منها مبدأ أول ، وأن مبدأ جميعها واحد ، وأنه مباين لجميع الموجودات ، واجب الوجود وحده ، وأن كل موجود فمنه ابتداء وجوده . ١٠

فنقول : أما أن علة الوجود للشىء تكون موجودة معه فقد سلف لك وتحقق .

ثم نقول : إنا إذا فرضنا معلولا ، وفرضنا له علة ، ولعلته علة ، فليس يمكن أن يكون لكل علة علة بغير نهاية ، لأن المعلول وعلته وعلة علته إذا اعتبرت جملتها فى القياس الذى لبعضها إلى بعض كانت علة العلة علة أولى مطلقة للأمرين ، وكان للأمرين نسبة المعلولية إليها ، وإن اختلفا فى أن أحدهما معلول بمتوسط والآخر معلول بغير متوسط ، ١٥ ولم يكن كذلك الأخير ولا المتوسط لأن المتوسط — الذى هو العلة المماسة للمعلول — علة

---

(١) فصل : ساقطة من د (٤) قد : ساقطة من م || للوجود : للوجوه ط (٥) له : ساقطة من د ، م || ولا ندله وندل : ولا ندل د (٥) ومراتبها : مرتبها م (٨) الوجوه : الوجود د (٩) الموجودات : الوجودات د (١١) ثم نقول : فنقول ح ، د ، م : ونقول : ص (١٤) كانت : كان ب ، ح ، ص ، ط (١٥) معلول بغير متوسط : غير معلول بمتوسط د (١٦) الأخير : لا الأخير ب ، د .

لشيء واحد فقط ، والمعلول ليس علة لشيء ، ولكل واحد من الثلاثة خاصية ، فكانت خاصية الطرف المعلول أنه ليس علة لشيء ، وخاصية الطرف الآخر أنه علة للكل غيره ، وكانت خاصية المتوسط أنه علة لطرف ومعلول لطرف .

وسواء كان الوسط واحداً أو فوق واحد ، فإن كان فوق واحد فسواء ترتب ترتيبا متناهيا أو ترتب ترتيبا غير متناه ، فإنه إن ترتب فى كثرة متناهية كانت جملة عدد ما بين الطرفين كواسطة واحدة تشترك فى خاصية الواسطة بالقياس إلى الطرفين ، ويكون لكل واحد من الطرفين خاصية ، وكذلك إن ترتب فى كثرة غير متناهية ولم يحصل الطرف كان جميع الطرف غير المتناهى مشتركا فى خاصية الواسطة ، لأنك أى جملة أخذت كانت علة لوجود المعلول الأخير ، وكانت معلولة ، إذ كل واحد منها معلول، والجملة متعلقة الوجود بها ، ومتعلق الوجود بالمعلول معلول، إلا أن تلك الجملة شرط فى وجود المعلول الأخير ، وعلة له، وكلما زدت فى الحصر كان الحكم إلى غير النهاية باقيا ، فليس يجوز إذن أن تكون جملة علل موجودة وليس فيها علة غير معلولة ، وعلة أولى ، فإن جميع غير المتناهى يكون واسطة بلا طرف وهذا محال ، وقول القائل إنها — أعنى العلل قبل العلل — تكون بلا نهاية مع تسليمه لوجود الطرفين ، حتى يكون طرفان وبينهما وسائط بلا نهاية ، ليس يمنع غرضنا الذى نحن فيه ، وهو إثبات العلة الأولى .

على أن قول القائل : أن ههنا طرفين ووسائط بغير نهاية قول يقوله باللسان ، دون الاعتقاد ، وذلك لأنه إذا كان له طرف فهو متناه فى نفسه ، فإن كان المحصى

---

(١) علة : العلة حـ ، ص ، ط || ولكل : وكان لكل ط (٣) خاصية : خاصيته حـ ، د ، ص ، ط || المتوسط : الوسط د (٤) فإن : وإن ب ، حـ ، د ، م || ترتيبا : ترتبا ب ، حـ ، ص ، ط (٥) ترتيبا : ترتبا ، ب ، حـ ، ص ، ط || ترتب (الثانية) : ترتبت م (٦) ويكون : فيكون حـ ، د ، ص ، ط ، م (٧) ترتب : ترتبت د ، م || ولم : فلم حـ ، د ، ص ، ط ، م (٨) الطرف : ساقطة من ب ، حـ ، ص ، ط ، م ؛ + كان جميع د || مشتركا : ساقطة من ب ، د ، ط ، م || كانت : كان د ، م (١١) زدت : زادت د || فى الحصر : + والأخذ حـ ، د ، ص ، ط ، م (١٢) غير : الغير ط (١٣) أعنى : أى حـ ، ص ، ط (١٣ — ١٤) بلا نهاية : لانهاية د (١٤) مع تسليمه ... بلا نهاية : ساقطة من ط (١٥) يمنع : لمنع د (١٦) ههنا : بينهما ص (١٧) طرف : طرفان حـ || فإن كان : وإن كان ب ، حـ ، ص ، م .

لا ينتهى إلى طرفه ، فإن ذلك معنى فى المحصى لا معنى فى الشىء نفسه ، وكون الأمر فى نفسه متناهيا ، هو أن يكون له طرف ، وكل ما بين الطرفين فهو محدود ضرورة بهما.

فقد تبين من جميع هذه الأقاويل أن ههنا علة أولى ، فإنه وإن كان ما بين الطرفين غير متناه ، ووجد الطرف ، فذلك الطرف أول لما لا يتناهى ، وهو علة غير معلول .

٥ وهذا البيان يصلح أن يجعل بيانا لتناهى جميع طبقات أصناف العلل ، وإن كان استعمالنا له فى العلل الفاعلية ، بل قد علمت أن كل ذى ترتيب فى الطبع ، فإنه متناه وذلك فى الطبيعيات ، وإن كان كالدخيل فيها فلنقبل على بيان تناهى العلل التى تكون أجزاء من وجود الشىء ومتقدمة فى الزمان ، وهى العلل التى تختص باسم العنصرية ، وهى ما يكون عنه الشىء ، بأن يكون هو جزءاً ذاتيا للشىء .

١٠ وبالجملة اعتبر بقولنا شىء من شىء أن يكون قد دخل فى وجود الثانى أمر كان للشىء الأول ، إما الجوهر والذات الذى للشىء الأول ، مثل الإنسان فى الصبى ، إذا قيل : إنه كان منه رجل ، أو جزء من الجوهر والذات الذى للشىء الأول ، مثل الهيولى فى الماء ، إذا قيل : إنه كان منه هواء ؛ ولا تعتبر المفهوم من قول القائل : كان كذا من كذا ، إذا كان بعده ، ولم تدل لفظ " من " على شىء من ذات الأول ، بل على البعدية فقط . ١٥

فنقول : إن كون الشىء من الشىء ، لا بمعنى بعد الشىء ، بل بمعنى أن فى الثانى أمراً من الأول داخلا فى جوهره ، يقال على وجهين :

أحدهما بمعنى أن يكون الأول إنما هو ما هو بأنه بالطبع يتحرك إلى الاستكمال بالثانى ، كالصبى إنما هو صبى لأنه فى طريق السلوك إلى الرجلية مثلا ، فإذا صار رجلا لم

---

(١) لا معنى فى الشىء نفسه : لا فى الشىء نفسه هـ ؛ لا فى معنى الشىء نفسه ط (٢) بهما : بينهما حـ ، ص ، م (٤) فذلك الطرف أول : فهو أول د ، ص ، م ؛ ذلك الطرف أول ب : فهو الطرف الأول ط (٦) استعمالنا له : استعماله لنا حـ ، ص ، ط (٧) وإن : إن حـ || فيها : فيه ط ، م || فلنقبل : فنقبل حـ ، هـ : فلننتقل د (٨) وجود : موجود د || ومتقدمة : وتتقدمه ص ، م || فى الزمان : بالزمان ط || تختص : تخص ب ، حـ ، د ، ط ، م (١٠) بقولنا : لقولنا ب ، د ، ط (١١) الجوهر : بالجوهر حـ (١٣) فى الماء : الماء ب ، ط || منه : عنه ط (١٤) لفظة : لفظ د || ذات : ذوات ، ب (١٦) من : بين ب || الشىء لا بمعنى : الأول لا بمعنى م || بعد الشىء : + بل بمعنى بعد الشىء ط (١٨) بمعنى : لمعنى م (١٩) طريق : الطريق م || السلوك : المسلوك م .

يفسد ، ولكنه استكمل ، لأنه لم يزل عنه أمر جوهرى ، ولا أيضا أمر عرضى ، إلا ما يتعلق بالنقص ، وبكونه بالقوة بعدُ ، إذا قيس إلى الكمال الأخير .

والثانى أن يكون الأول ليس فى طباعه أن يتحرك إلى الثانى ، وإن كان يلزمه الإستعداد لقبول صورته ، لا من جهة ماهيته ، ولكن من جهة حامل ماهيته . وإذا كان منه الثانى ، لم يكن من جوهره الذى بالفعل إلا بمعنى بعد ، ولكن كان من جزء جوهره ، وهو الجزء الثانى الذى يقارن القوة ، مثل الماء إنما يصير هواء بأن تخلع عن هيولاه صورة المائية ، ويحصل لها صورة الهوائية ، والقسم الأول كما لا يخفى عليك ، يحصل فيه الجوهر الذى للأول بعينه فى الثانى ، والقسم الثانى لا يحصل الجوهر الذى فى الأول بعينه فى الثانى ، بل جزء منه ويفسد ذلك الجوهر .

ولما كان فى أول القسمين جوهر ما هو أقدم موجوداً فيما هو أشد تأخراً كان هو بعينه ، أو هو بعض منه ، وكان الثانى هو مجموع جوهر الأول وكمال مضاف إليه ، ولما كان قد علم فيما سلف أن الشىء المتناهى الموجود بالفعل لا يكون له أبعاض بالفعل كانت أبعاضاً مقدارية أو معنوية لها تراتيب غير متناهية ، فقد استغنينا بذلك عن أن نشتغل ببيان أنه هل يمكن أن يكون موضوع من هذا القبيل قبل موضوع بلا نهاية، أو لا يمكن.

وأما الثانى من القسمين فإنه من الظاهر أيضاً وجوب التناهى فيه ، لأن الأول إنما هو بالقوة الثانى لأجل المقابلة التى بين صورته وبين صورة الثانى ، وتلك المقابلة تقتصر فى الإستحالة على الطرفين بأن يكون كل واحد من الأمرين موضوعاً للآخر ، فيفسد

---

(٣) والثانى أن : والثانى بأن ح ، د ، ص ، ط ، م || فى : ساقطة من ح ، ص ، م || أن يتحرك : أنه متحرك ، ص ، م ؛ أنه يتحرك ح ، ط (٤) صورته : صورة ح ، ص ، ط (٥) بمعنى : لمعنى د (٦) الثانى : الباقى ح ؛ ساقطة من ب ، ص ، ط (٧) لها : له ح ، ص ، ط (٨) فى الثانى : للثانى د ، ح ، م ، ص (٩) أول : ساقطة من م || هو : ساقطة من ط || كان : كانه ب (١٠) وكان : كان ح ، ص ، ط || هو مجموع : مجموع ب || مضاف : يضاف ح (١٢) تراتيب : ترتيب ب ، ح ، د ، ص ، ط || فقد استغنينا : وقد استغنى ب || عن : من ح ، د || نشتغل : استعمل د (١٣) أنه : ذاته د (١٥) بين (الثانية) : ساقطة من م (١٦) بأن يكون : أى يكون ب ، ص ، م ؛ أى أن يكون ح ، د .

هذا إلى ذاك ، وذاك إلى هذا ، فحينئذ بالحقيقة لا يكون أحدهما بالذات متقدما على الآخر ، بل يكون تقدمه عليه بالعرض ، أى باعتبار الشخصية دون النوعية ، ولهذا ليس طبيعة الماء أولى بأن تكون مبدأ للهواء من الهواء للماء ، بل هما كالمتكافئين فى الوجود . وأما هذا الشخص من الماء فيجوز أن يكون لهذا الشخص من الهواء ، ولا يمنع أن يتفق أن لا يكون لتلك الأشخاص نهاية أو بداية . ٥

وليس كلامنا ههنا فيما هو بشخصيته مبدأ لا بنوعيته ، وفيما هو بالعرض مبدأ لا بالذات ، فإنا نجوز أن تكون هناك علل قبل علل بلا نهاية فى الماضى والمستقبل ، وإنما علينا أن نبين التناهى فى الأشياء التى هى بذواتها علل ، فهذا هو الحال فى ثانى القسمين ، بعد أن نستعين أيضا بما قيل فى الطبيعيات . والقسم الأول هو الذى هو بذاته علة موضوعية ، ولا ينعكس فيصير الثانى علة للأول ، فإن الثانى لما كان عند الاستكمال ، ١٠ والأول عند الحركة إلى الاستكمال ، لم يجز أن تكون حركة إلى الاستكمال بعد حصول لاستكمال ، كما يجوز أن يكون الاستكمال بعد الحركة إلى الاستكمال ، فجاز رجل من صبي ولم يجز صبي من رجل .

---

(١) ذاك : ذلك د || وذاك : وذلك د || فحينئذ : حينئذ ب (٣) الماء : المياه ، ب ، د ، م || للماء بل : بل الماء د (٥) ولا يمنع : ولا لمنع د (٦) بشخصيته : لشخصيته ب ، د ؛ لشخصية حـ ، ص ، ط || لا بنوعيته : لا لنوعية حـ ، ص ، ط : لا لنوعيته م (٧) فإنا نجوز : فإنه يجوز د || يكون : يقع ب ، حـ ، ص ، ط || والمستقبل : أو المستقبل د ، ص ، ط ، م (١٠) موضوعية : موضوعة د || كان : ساقطة من م (١١) حركة : الحركة ب ، ص ، ط ، م (١٢) كما يجوز : وكما يجوز د .

[الفصل الثانى]

(ب) فصل

فى شكوك تلزم ما قيل وحلها

ونحن فقد آثرنا فى هـذا البيان أن نحاذى المذكور منه فى التعليم الأول و فى المقالة
٥ الموسومة بألف الصغرى ، ثم على هذا الموضوع شكوك يجب أن نوردها ثم نتجرد لحلها .

فمن ذلك ، أن لقائل أن يقول : إن المعلم الأول لم يستوف القسمة فى كون الشىء من شىء آخر ، لأنه ذكر ذلك على وجهين :

أحدهما ، كون الشىء عن آخر يضاده ، و بالجملة الكون الذى على سبيل الاستحالة .

والثانى ، كون الشىء المستكمل عن المتحرك إليه والذى فى طريق الكون .

١٠ وهذا غير مستوف للقسمة ، لأن كل ما يكون عن الشىء يكون أولا على وجهين ، وهو أنه لا يخلو :

إما أن يكون الأول المكون منه هو على وجود ذاته لم يبطل منه شىء ، ولم يفسد إلا معنى الاستعداد أو ما يتعلق به .

و إما أن يكون الأول إنما أمكن أن يكون منه الثانى بزوال شىء من الأول .

١٥ والقسم الأول لا يخلو :

أن يكون عنه الشىء ، وقد كان مستعداً فقط ، فخرج إلى الفعل دفعة من غير سلوك .

أو يكون قد كان مستعداً فقط فخرج إلى الفعل بحركة متصلة كان فيها بين الاستعداد الصرف و بين الاستكمال الصرف .

---

(٢) فصل : ساقطة من د ، م (٣) فى . . . وحلها : ساقطة من م || وحلها : وحل لها د (٤) فى التعليم : فى تعليم ط (٦) لقائل : القائل د (٨) عن : + شىء جـ ، ص ، ط (٩) الشىء : ساقطة من م
(١٠) للقسمة : القسمة ب || الشىء يكون أولا : الشىء أولا د (١٢) شىء : ساقطة من ط
(١٣) أو ما يتعلق : وما يتعلق جـ ، ص ، ط (١٤) أمكن : يمكن جـ ، ص ، م ؛ يكون ط || منه الثانى : من الأول ب || من : عن جـ ، د ، م (١٥) لا يخلو : + أما ب ، جـ ، د ، ص ، ط
(١٦) سلوك : شكوك م (١٧) يكون قد : ساقطة من م || فخرج : وخرج ب .

فيكون الكائن فى القسم الأول ينسب أنه كان عن حالة واحدة ، كقولنا : كان عن الجاهل بأمرٍ كذا عالم .

والكائن فى القسم الثانى ينسب أنه كان تارة عن حالة ما لكا ، كقولنا كان من الصبي رجل ، وتارة عن حالة مستعدا فقط كقولنا : كان عن المنى رجل ، فإن اسم الصبي هو للستعد أن يستكمل رجلا ، وهو فى السلوك ، واسم المنى للستعد أن يكون إنسانا لا بشرط أن يكون فى السلوك . ٥

فقد ترك المعلم الأول من الأقسام ما كان استكمالا ، وكان الكون منه غير منسوب إلى الحركة نحو الاستكمال .

وأيضا فإنه ليس كل خروج عن استعداد صرف إلى فعل استكمالا ، فإن النفس تعتقد الرأى الخطأ فيخرج إلى الفعل فيه من القوة ، ويكون ليس على سبيل الاستكمال ، ١٠ ولا أيضا على سبيل الاستحالة .

وأيضا فإن العناصر تتكون منها الكائنات فتكون مستحيلة عند الامتزاج غير فاسدة فى صورها الذاتية على ما علمت ، فيكون المزاج غير كائن فيها لزوال ضد المزاج بل عدمه فقط ، فيكون هذا القسم ليس هو من القسم الذى مثل له بكون الهواء من الماء ، وذلك لأن العناصر لا تفسد فى أنواعها عند المزاج بل تستحيل ، ولا من القسم الذى مثل له ١٥ بكون الرجل من الصبي ، لأنه كان لا ينعكس ؛ فلا يكون الصبي بفساد الرجل ، وههنا ينعكس فيكون من الممتزج شيء عنه امتزج بعد فساد المزاج .

وأيضاً فإنه إنما تكلم لا على الموضوع ، بما هو الموضوع ، بل بما يدل عليه لفظ الكون من الشيء ؛ ومعلوم أن هذا لا يقال لكل نسبة للتكون إلى موضوعه ؛ فإن ما كان من

---

(١) ينسب : + إلى حـ ، ص ، ط (٢) كذا : + كان م (٣ — ٤) من الصبي ... كقولنا كان : ساقطة من م (٤ — ٥) هو للستعد : هو هو المستعد ط (٥) يستكمل .... للستعد ساقطة من ب (٦) السلوك : المسلوك م (٧ — ٩) وكان الكون منه ... استكمالا : ساقطة من م (١٣) فيكون المزاج : ويكون الامتزاج حـ (١٦) لا ينعكس : ينعكس ب || فلا يكون : ولا يكون ب ، حـ ، ص ، ط ، م (١٧) عنه : عند حـ ، ص ، ط || امتزج : امتزاج حـ ، د ، ص ، ط ، م (١٨) تكلم : يتكلم ط || لفظ : لفظة ب ، د ، م || الكون : للكون ب (١٩) هذا : هذه م || موضوعه : موضوعاته د .

المستعدات التى يكون منها الشيء بالاستكمال لا اسم له من جهة ما هو مستعد، ولا يلحقه تغير عن حالته التى له قبل الخروج إلى الفعل؛ فلا يقال إن الشيء كان منه ، فلا يقال كان من الإنسان رجل ، ولكن من الصبي ، لأن الصبي اسم له من جهة ما هو ناقص ،ولأنه لا يتم إلا باستحالات أيضا فى طريق السلوك . فكأنه لما سمى كان له معنى يدل عليه لاسم يزول عنه عند الخروج إلى الفعل؛ كأنه ما لم يتوهم فيه زوال أمر ما، كان له بسببه استحقاق الاسم ، لم يقل إنه يكون منه شيء ، فيعرض من هذا أن تكون مالا يسمى فيه نسبة الكائن إلى الموضوع غير داخل فى هذه القسمة ويعرض منه أن تكون النسبة إلى الموضوع بالعرض لا الذى بالذات ، لأن الصبي بما هو صبي لا يجوز أن يصير رجلا ، حتى يكون هو صبيا ورجلا ، بل يفسد المعنى المفهوم من اسم الصبي حتى يصير رجلا فيكون الكون من الصبي آخر الأمر بمعنى بعد ويكون أيضاً إنما يتكلم على الموضوعات التى بالعرض .

وأيضاً فإنه لا يخلو :

إما أن يكون الماء إذا كان منه الهواء عنصراً له بوجه ما .

أو لا يكون .

فإن لم يكن فالاشتغال بذكره باطل .

وإن كان فليس يجب إذا كان الهواء يستحيل فى كيفيته الفاعلة إلى المائية ، فيصير عنصراً له أن لا يستحيل فى كيفية أخرى ، فيصير عنصراً لشيء آخر ، مثلا فى رطوبته فيصير عنصراً للنار من غير أن يرجع ماء ؛ ثم كذلك النار فى كيفية أخرى غير مقابلة للتى فيها استحال إليها الهواء فتكون العلل المادية تذهب إلى غير نهاية ، من غير أن ترجع ؛ فإذن

---

(١) ولا يلحقه : أو لا يلحقه ب ، د ، م (٣) له : الشيء ب ، ـه ، د ، ص ، م
(٤) باستحالات : بالاستحالات د ، ص ، ـه ، ط (٥) عنه : ساقطة من م || ما : ساقطة من د
(١٥) فالاشتغال : فاشتغال ط (١٦) وإن : فإن د || كيفيته : كيفية د ؛ الكيفية ط (١٧) أن : أنى د (١٩) إلى : ساقطة من ب || نهاية : النهاية ب ، ـه ، د ، ص ، ط .

لم يتبين من وضعه أنه يجب أن يرجع لا محالة ، بل بان إمكان الرجوع ، ويتعلق بذلك إمكان التناهى ، فليس ذلك مطلوبه ، بل مطلوبه وجوب التناهى .

ولنشرع الآن فى حل هذه الشكوك فنقول : الأولى أن يكون كلام المعلم الأول ، إنما هو فى مبادى الجوهر — بما هو جوهر — لا بما هو جوهر معروض له ما لا يقوم جوهريته، ولا أيضاً يكمله ، فيكون كلامه فى كون الجوهر من عنصره ، أو من موضوع ٥ له ، إما على سبيل كون نوع الجوهر مطلقاً ، وأما على سبيل كون كمال نوع الجوهر .

والأولى أيضاً أن يكون كلامه فى الكون الطبيعى دون الصناعى ، وإذا كان كذلك كان العنصر جزءاً ذاتياً فى وجود الكائن وأيضاً فى وجود المتكون منه، لست أعنى بالذاتى أنه يكون ضروريًا لوجود المركب منه ومن غيره ، فإن هذا أيضاً موجود للعنصر فى الأكوان غير الذاتية ، مثل العنصر فى الجسم الأبيض . ١٠

ولكن أعنى بالذاتية أن يكون كون العنصر جزءاً أمراً ذاتياً له ، فلا يقوم ذلك العنصر بالفعل إلا أن يكون جزءاً لذلك الشىء أو لما الشىء كما له الطبيعى ، إذ يكون جزءاً لجوهر أو لآخر ، حكمه حكمه ، لا أن يكون العنصر يقوم دون ذلك ، ثم عرض له أن صار جزءاً من مركب منه ومن عرض فيه ليس هو مقوماً له ولا مكملا لما يقومه ، فيكون كونه جزءاً هو ذاتى بالقياس إلى المركب ، وليس ذاتياً بالقياس إلى ذاته، بل يجب أن لا يعرى ١٥ عن كونه جزءاً .

وإذا كان كذلك ، لم يخل الموضوع من أحد أمرين :

إما أن يكون متقوماً بهذا الشىء أو بآخر يقوم مقامه ، فيكون قد كان فيه قبل حصول الصورة الحادثة فيه شىء آخر يقوم مقامها فى تقويمه إلا أنها لا تجتمع مع هذا ، فيكون

---

(١) إمكان : كان ط (٢) فليس : وليس م (٤) لا بما هو جوهر : ساقطة من م (٥ — ٦) من عنصره . . . . نوع الجوهر : ساقطة من ط (٦) إما على سبيل كون : أما كون على سبيل ب || وأما : + كون ط || كون : ساقطة من ب || كمال نوع : نوع كمال د ، ص ، م (٧) والأولى : + له د (٨) المتكون : المكون ب ، د (٩) أنه : أن د || لوجود : بالوجود د (١١) يقوم : + من م (١٢) إذ يكون : أو أن يكون ـ ؛ أن يكون د ؛ أو يكون م || جزءا : جزء ـ ، ص ، ط (١٣) أو : + لأمر ط || لآخر : آخر ب ، د ، ص ، ط || حكمه حكمه : حكمه حكمها د ، ص ، ط ، م ؛ حكمه ـ (١٤) يقومه : يقوم منه ب (١٦) عن : من د ، م (١٨) فيه : + فيكون فيه ـ ، ص ، ط (١٩) الصورة : الصور د .

قد كان حصل من العنصر ومن ذلك الشىء جوهر ، فلما كان الثانى فسد ذلك الجوهر المركب ، وهذا أحد القسمين .

وإما أن يكون العنصر قد يقوم لا بهذا الشىء الذى حدث ، ولكن بصورة غير مستكملة فيما لها بالطبع ، ولكنها قد حصلت بحيث يقوّم المادة فقط ، ولم يحصل الأمر الذى هو علة غائية لهذه الصورة بالطبع ، فيكون الجوهر قد حصل ولم يحصل كاملا بالطبع ، ٥ وإذا كان ذلك الكمال كمالا له بالطبع ، والقوة الطبيعية مبدأ الحركة إلى الكمال الذى بالطبع فيلزم ضرورة أن لا يكون هذا الشىء موجوداً على سلامته الطبيعية زماناً لا عائق له فيه وهو غير متحرك بالطبع إلى ذلك الكمال ، فإذن يلزم ضرورة فى هذا القسم أن يكون المستعد متحركا إلى الكمال .

١٠ فقد ظهر إذن أن جميع أصناف كون الجوهر الذى بحسب هذا النظر هو داخل تحت أحد هذين القسمين ضرورة ، وكذلك جميع أصناف ما هو كون الشىء عن شىء يكون ذلك القابل فى كليهما جزءاً ذاتياً باعتباره فى نفسه ، وباعتباره بالقياس إلى المركب .

وليس لقائل ، أن يقول : إنه يجوز أن تكون القوة الطبيعية لا تحرك إلى كمالها لإعواز معين من خارج أو عائق مانع .

١٥ مثال الأول فقدان ضوء الشمس فى الحبوب والبذور ، ومثال الثانى الأمراض المذبلة .

فالجواب عن ذلك أن كلام المعلم الأول ليس فى الذى يكون لا محالة يتحرك بالفعل ، بل فى الذى لو لم يكن عائق لطبيعته ، وكانت الأسباب الطبيعية المعاضدة بالطبع لطبيعته موجودة ، كان متحركا إلى الكمال وكان فى طريق السلوك .

---

(١) كان (الأول) : + قد ح ، د ، ط (٣) ولكن : لكن م || غير : ساقطة من م
(٦) كمالا له : ساقطة من د (٨) متحرك : متحركة د ، ط || ضرورة : ساقطة من ط (١١) ما هو : ما يكون ح ، ص ، ط (١٣) تكون : ساقطة من د || القوة الطبيعية : قوة الطبيعة د ، ط || لا تحرك : لا تحرك د ، ط ، م (١٤) معين : معنى ح ، ص ، ط ، م || من : ساقطة من ح ، ص ، ط (١٨) يكن : + له أ
(١٩) كان : وكان ب .

فقد ظهر إذن أن سائر الأقسام غير مقصودة فى هـذا البحث إلا القسم المذكور ، بل هذا الحكم غير صحيح فى سائر الأقسام ؛ فانه يجـــوز فى غير كون الجوهر إذا فرضنا موضوعاً مبتدأ أن لايزال يكتسب استعداداً بعد استعداد لأمور عرضية من غير أن يتناهى؛ كالخشب فإنك كلما شكلته بشكل استعد بذلك لأمر ، و إذا خرج استعداده إلى الفعل، استعد لأمر آخر ، وكذلك النفس فى إدراك المعقولات ، و يشبه أن تكون الاستحالات ٥ الطبيعية لا يمنع فيها هذا المعنى .

وأما الشبهة المذكورة فى كون الأشياء من العناصر ، وأنه ليس على أحد القسمين ، فحلها يظهر أيضاً مما قد قيل ؛ وهو أن العنصر مفردا ليس مستعداً لقبول الصور الحيوانية والنباتية ، بل يحصل له ذلك الاستعداد بالكيفية التى يحدث فيه بالمزاج ؛ والمزاج يحدث فيه لا محالة استحالة ما فى أمر طبيعى له ، و إن لم يكن مقوماً ؛ فتكون نسبته إلى صورة ١٠ المزاج من القسم الذى يكون بالاستحالة، و إذا حصل فيه المزاج كان قبول صورة الحيوانية له استكمالا لذلك المزاج ، و يتحرك الطبع به إليه ، فتكون نسبته إلى صورة الحيوانية نسبة الصبي إلى الرجل ؛ فلذلك ليست تفسد الصورة الحيوانية إلى أن تصير مجرد مزاج ، كما لا يكون الصبي من الرجل ، و يفسد المزاج إلى موجب الصورة البسيطة، كما يستحيل الماء إلى الهواء ، وليس الحيوان عنصراً لجوهر العناصر ، بل يستحيل إليها من حيث ١٥ هى بسيطة .

فيكون إذن الامتزاج والبساطة يتعاقبان على الموضوع. والبساطة ليست تقوم جوهر العناصر ولكن تكمل طبيعة كل واحد منها ، من حيث هو بسيط ، فتكون النار ناراً صرفة فى الكيفية التى فيها ، اللازمة لصورتها وكذلك الماء . وكذلك كل واحد من العناصر ؛ فإذن كون الحيوان يتعلق بكونين ، ولكل واحد منهما حكم يخصه من وجوب التناهى ، ٢٠ فهو داخل أيضاً فى القسمين المذكورين .

---

(٢) الجوهر : الجواهر حـ ، د ، ص ، ط ، م (٥) المعقولات : المعلومات حـ ، د ، ص ، م
(٧) على : ساقطة من د (٨) يظهر: ساقطة من د || الصور : الصورة حـ، ص ، ط ؛ صورة د ، م
(١١) الحيوانية : + التى د (١١ — ١٢) المزاج من القسم . . . . نسبته إلى صورة ساقطة من م
(١٢) نسبته : نسبة د (١٣) ليست : ليس ب ، حـ ، د ، ص ، ط || الصورة : صورة ب ، حـ ، د ، ص (١٤) يستحيل : فيستحيل د (١٥) وليس : فليس ص ، ط (١٨) بسيط : بسيطة د .

وأما الشبهة التى تعرض من جهة أنه إنما أخذ من العناصر ما جرت به العادة بأن يقال: إن الشىء منه دون ما لم تجر به العادة، فالجواب عن تلك الشبهة هو أنه ليس تتغير أحكام الأشياء من جهة الأسماء، ولكن يجب أن يقصد المعنى؛ فانقصد ولنعرف الحال فيه فنقول :

إن العنصر أو الموضوع الذى يكون منه الشىء إذا كان يتقدمه فى الزمان، فإن له من جهة تقدمه له خاصية لا تكون مع حصوله له، وهى الاستعداد القوى، وإنما يكون الجوهر منه لأجل استعداده لقبول صورته. وأما إذا زال الاستعداد بالخروج إلى الفعل وجد الجوهر وكان محالا أن يقال إنه متكون منه .

فإذا لم يكن له من جهة الاستعداد اسم، بل أخذ له اسمه الذى لذاته الذى يكون له

١٠ أيضاً عندما لا يجوز أن يكون منه الشىء، لم يكن هو الاسم الذى يتعلق بمعناه التكون.؛ فإن لم يكن له من جهة الاستعداد اسم، لم يمكن أن يقال باللفظ وإن كان المعنى حاصلا فى الوجود،و إذا كان المعنى الذى يكون للمسمى حاصلا فى غير المسمى كان حكمه فى المعنى حكم ذلك، وإن كان عدم الاسم يمنع أن يكون حكمه فى اللفظ حكم ذلك .

فإذا أخذنا القول الذى يكون لذلك الاسم لو كان موضوعاً أمكننا حينئذ أن نقول

١٥ فى كل شىء : إنه يكون من العنصر له؛ مثلا أمكننا أن نقول: إن النفس العاقلة تكون من نفس جاهلة مستعدة للعلم، إلا أن تمنع استعمال لفظ يكون فيما خلا التكون الذى فى الجوهر. فلا يجوز أن نقول فى النفس العاقلة : إنها كانت من نفس مستعدة للعلم ؛ ولكن يجوز لا محالة فى الجواهر، وكلامنا فيها . على أنه فيما أحسب لا يختلف هذا الحكم فى الجواهر مع ذواتها، وفى الجواهر مع أحوالها .

---

(١) بأن : أن د (١ — ٢) بأن يقال . . . تجرية العادة : ساقطة من ح، ص، ط، م (٣) ولكن: لكن د || ولنعرف : ولنتعرف ب، م (٥) أو الموضوع : أو أن الموضوع د (٦) له : ساقطة من ح، د، ص، ط (٧) يتكون : يكون د، م (١٠) الشىء : بشىء د (١١) له : ساقطة من د (٩ — ١١) بل أخذ له . . . الاستعداد اسم : ساقطة من م (١٣) وإن : وإذا د، م || كان : ساقطة من م (١٣) يكون : ساقطة من د (١٥) العاقلة : العالمة ب، د، م (١٦) تمنع : يمتنع د (١٧) العاقلة : العالمة ب، ح، د، ص || من نفس : ساقطة من م (١٨ — ١٩) الجواهر مع ذواتها : الجواهر ذواتها ب، د، ص، ط، م .

وأما قول هذا القائل: إن هذا يكون كوناً من الشيء بمعنى بعد ، فليس إذا كان بمعنى بعد كيف كان ، لم يكن الكون الذى نقصده ، فإنه لا بد فى كل كون عن شيء أن يكون الكائن بعد ما عنه كان، إنما الذى يزيفه المعلم الأول ولا يتعرض له هو أن لا يكون هناك معنى غير البعدية ، مثل المثل الذى يضرب به ويشرحه ، وأما إذا كان من الشيء بمعنى أن كان بعده ، بأن بقى له من جوهره الذى كان أولا ما هو أيضاً من جوهر الثانى لم يكن ٥ بمعنى بعد فقط ، وكان الذى كلامنا فيه .

وأما قول هذا القائل: إنه تكلم فى العنصر الذى بالعرض دون العنصر الذى بالذات، فقد وقعت فيه مغالطة، بسبب أن العنصر للكون ليس هو بعينه العنصر للقوام فى الاعتبار، وإن كان هو هو بالذات ، فإن العنصر بالذات للكون هو ذات مقارنة للقوة ، والعنصر بالذات للقوام هو ذات مقارنة الفعل ، وكل واحد منهما هو عنصر بالعرض. لما ليس ١٠ هو عنصراً له بالذات ، وكلامه فى العنصر الذى للكون ، لا فى الذى للقوام ، فيكون إنما أخذ العنصر بالعرض لو أخذ العنصر الذى للكون مبدأ للقوام ، فإن الصبى ليس عنصراً لقوام الرجل ولا يكون منه قوام الرجل ، ولكنه عنصر لكون الرجل ويكون منه كون الرجل .

فإن قال قائل: إن المعلم الأول إنما يتكلم فى مبادئ الجوهر مطلقاً ، فلم أعرض عن ١٥ العنصر الذى للجوهر فى قوامه ، مثل موضوع السماء ، واقتصر على العنصر الذى للجوهر فى كونه .

فالجواب عن ذلك أن عنصر قوامه جزء منه ، وهو معه بالفعل ، ولا يشكل تناهى الأمور الموجودة بالفعل فى شيء متناه موجود بالفعل. على أن من بلغ أن يتعلم هذا العلم،

---

(١) قول هذا القائل : قول القائل حـ، ص ، ط || هذا : ساقطة من د (٢) الذى : ساقطة من ب || فى : + كون م (٣) أن لا يكون : أنه لا يكون د (٤) معنى : بمعنى م (٥) من جوهره : فى جوهره ط (٦) وكان : فكان حـ ، د ، ص ، م (٨) مغالطة : المغالطة حـ ، د ، ص ، ط ، م || للكون : الكون د (٩ — ١٠) للقوة ... هو ذات مقارنة : ساقطة من حـ، ص ، ط (١٠) مقارنة : بمقارنة حـ، ص ، ط || للفعل : بالفعل حـ ، د ، ص ، ط (١١) وكلامه : وكلامنا د (١٢) أخذ العنصر : أخذ للعنصر د (١٣) ولا يكون منه قوام الرجل : ساقطة من ط (١٨) أن : لأن ب ، حـ ، ط ، م ، هـ || عنصر : العنصر د || وهو : هو م (١٩) على أن من : على من ب ، حـ ، ص ، ط

ووقف على سائر ما سلف فإنما يشكل عليه من أمر تناهي العلل ولا تناهيها أنه هل يمكن أن يكون كذلك في العناصر التي بالقوة واحداً بعد آخر متتالية بالقرب والبعد .

وأما الشك الآخر في حديث الماء والهواء فحله سهل على من وقف على كلامنا في العناصر ، حيث تكلمنا في الكون والفساد ؛ على أن الكلام ههنا في كون الشيء من الشيء بالذات ، وكل تغير من الذي بالذات فهو في مضادة واحدة مقتصر عليها ، فيكون الذي كان عنها بالذات يقصد إليها ضرورة ، وفي الأخرى كذلك ، فتكون جملة التغيرات محصورة ، وكل طبقة منها مقتصرة على طرفين نرجع بأحدهما على الآخر ، فقد انحلت جميع الشبه المذكورة .

[الفصل الثالث]

(ج) فصل

في إبانة تناهي العلل الغائية والصورية وإثبات المبدأ الأول مطلقاً ، وفصل القول في العلة الأولى مطلقاً ، وفي العلة الأولى مقيداً ، وبيان أن ما هو علة أولى مطلقة علة لسائر العلل .

وأما تناهي العلل الغائية فيظهر لك من الموضع الذي حاولنا فيه إثباتها وحللنا الشكوك في أمرها ؛ فإن العلة الغائية إذا ثبت وجودها ثبت تناهيها ؛ وذلك لأن العلة التمامية هي التي تكون سائر الأشياء لأجلها ، ولا تكون هي من أجل شئ آخر ؛ فإن كان وراء العلة التمامية علة تمامية كانت الأولى لأجل الثانيـــة ، فلم تكن الأولى علة تمامية ،

(١) فإنما : وربما حـ ، ص ، ط || عليه من أمر : عليه أمر م || ولا تناهيها : وغير تناهيها حـ ، ص ، ط (٢) كذلك : لذلك ب || واحدا : واحد ب ، حـ ، ص ، ط ، م || بعد : قبل ط (٣) الشك : الشبهة ب ، ط || الآخر : الأخير حـ ، ص ؛ الأخيرة ب ؛ الأخرى ط || حديث : حيث د || فحله : فحلها ب ، حـ ، د ، ط (٤) الكلام : كلامنا ط (٥) تغير : تغيره د ؛ تغيير م || مقتصر : مقتصرا ب ، د ، ط ، م (٦) كذلك : لذلك ب || التغيرات : التغييرات ب ، ط ، م (٧) الآخر : الأخيرة م || انحلت : انحل ب ، م (٨) الشبه : الشبهة حـ (١٠) فصل : ساقطة من د (١١) الغائية : الداعية م (١٣) أن : ساقطة من د || أولى : الأولى ب ، حـ ، ص ، ط || مطلقة : مطلقا م || علة : علته م (١٥) في : ساقطة من د (١٦) سائر : جميع حـ ، د ، م ؛ جميع سائر ص || ولا تكون هي من : وتكون هي لا من حـ (١٧) فلم : ولم ط .

وقد فرضت علة تمامية فإذا كان كذلك فمن جوز أن تكون العلل التمامية تستمر واحدة بعد أخرى ، فقد رفع العلل التمامية فى أنفسها ، وأبطل طبيعة الخير التى هى العلة التمامية، إذ الخير هو الذى يطلب لذاته ، وسائر الأشياء تطلب لأجله ؛ فإذا كان شئ يطلب لشئ آخر كان نافعاً لاخيراً حقيقيا ، فقد اتضح أن فى إيجاب لا تناهى العلل التمامية رفعَ العلل التمامية ؛ فإن من جوز أن وراء كل تمام تماماً فقد أبطل فعل العقل ؛ فإنه من البين بنفسه ٥ أن العاقل إنما يفعل ما يفعل بالعقل ؛ لأنه يؤم مقصوداً وغاية ؛ حتى إنه إذا كان فاعل ما منا يفعل فعلا وليس له غاية عقلية، قيل إنه يعبث ويجازف ويفعل لا بما هو ذو عقل، ولكن بمـا هو حيوان، وإذا كان هذا هكذا فيجب أن تكون الأمور التى يفعلها العاقل بما هو عاقل محدودة ، تفيد غايات مقصودة لأنفسها ، وإذا كان الفعل العقلى لا يكون إلا محدود الغاية ، وليس ذلك للفعل العقلى من جهة ما هو فعل عقلى ، بل من جهة ما هو ١٠ فعل يؤم به الفاعل الغاية ، فهو إذن كذلك من جهة ما هو ذو غاية ، فإذن كونه ذا غاية يمنع أن يكون لكل غاية غاية ؛ فظاهر أنه لا يصح قول القائل : إن كل غاية وراءها غاية ، وأما الأفعال الطبيعية والحيوانية ، فقد علم أيضاً فى مواضع أخرى أنها لغايات .

وأما العلة الصورية للشئ فيفهم عن قريب تناهيها بما قيـــل فى المنطق ، وبما علم من تناهى الأجزاء الموجودة للشئ بالفعل على ترتيب طبيعى ، وأن الصورة التامة للشئ ١٥ واحدة ، وأن الكثير يقع منها على نحو العموم والخصوص ، وأن العموم والخصوص يقتضى الترتيب الطبيعى ،وماله ترتيب طبيعى فقد علم تناهيه ، وفى تأمل هذا القدر كفاية وغنية عن التطويل .

---

(١) وقد فرضت علة تماميـــة : ساقطة من م || فرضت : + أنه د || علة : علته د || جوز : زعم د (٢) أخرى : واحدة ط || فى : ساقطة من ص ، ط || أنفسها : نفسها د || العلة : للعلة د (٤) حقيقيا : ساقطة من م (٥) أن : + يكون ص (٦) إنما يفعل : ساقطة من د ، ط || ما يفعل : بالفعل ص || وغاية : + نحوه د || إنه : إن ﺣ ، م ، ﺣ ؛ ساقطة من ب || إذا كان : كل د ، م (٧) يفعل : + الد || ويجازف : ساقطة من ب (٩) عاقل : فاعل د (١٠ — ١١) بل من جهة ما وفعل : ساقطة من ﺣ ، ص ، ط (١٢) لكل غاية غاية : لكل غاية د || (١٣) وأما : فأما ، م || أيضا : ساقطة من م || فى : من د || لغايات : الغايات ﺣ ، ط ، ص ، م (١٦) منها : فيها ﺣ ، د ، ص ، ط ، م (١٧) علم : عرف ص ، عرفت ﺣ || وفى تأمل : وبتأمل ﺣ ، م .

ونبتدئ فنقول : إذا قلنا مبدأ أول فاعل ، بل مبدأ أول مطلق فيجب أن يكون واحدا . وأما إذا قلنا علة أولى عنصرية ، وعلة أولى صورية ، وغير ذلك ، لم يجب أن تكون واحدة وجوب ذلك فى واجب الوجود ، لأنه لا تكون ولا واحد منها علة أولى مطلقا ، لأن واجب الوجود واحد ، وهو فى طبقة المبدأ الفاعل ، فيكون الواحد الواجب الوجود ٥ هو أيضا مبدأ وعلة لتلك الأوائل .

فقد بان من هذا ومما سلف لنا شرحه ، أن واجب الوجود واحد بالعدد ، وبان أن ما سواه إذا اعتبر ذاته كان ممكنا فى وجوده ، فكان معلولا ، ولاح أنه ينتهى فى المعلولية لا محالة إليه ، فإذن كل شىء إلا الواحد الذى هو لذاته واحد ، والموجود الذى هو لذاته موجود ، فإنه مستفيد الوجود عن غيره ، وهو أيس به ، وليس فى ذاته ؛ ١٠ وهذا معنى كون الشىء مبدَعا أى نائل الوجود عن غيره ، وله عدم يستحقه فى ذاته مطلق ، ليس إنما يستحق العدم بصورته دون مادته ، أو بمادته دون صورته ، بل بكليته ، فكليته إذا لم تقترن بإيجاب الموجد له ، واحتسب أنه منقطع عنه وجب عدمه بكليته ، فإذن إيجاده عن الموجد له بكليته ، فليس جزء منه يسبق وجوده بالقياس إلى هذا المعنى ، لا مادته ولا صورته ، إن كان ذا مادة وصورة .

١٥ فالكل إذن بالقياس إلى العلة الأولى مبدَع ، وليس إيجاده لما يوجد عنه إيجادا يمكن العدم ألبتة من جواهر الأشياء بل إيجادا يمنع العدم مطلقا فيما يحتمل السرمد ، فذلك هو الإبداع المطلق ، والتأييس المطلق ليس تأييسا ما ، وكل شىء حادث عن ذلك الواحد ، وذلك الواحد محدِث له إذ المحدَث هو الذى كان بعد ما لم يكن ، وهذا البعد إن كان زمانيا سبقه القبل وعدم مع حدوثه ، فكان شىء هو الموصوف بأنه قبله ، وليس الآن ،

---

(١) إذا : فإذا م ‖ مطلق : ساقطة من ط (٢) أولى عنصرية وعلة : ساقطة من د ‖ لم يجب : فلم يجب ب ، ط (٣) فى واجب : فى الواجب ب ، د ، م ‖ لأنه : ولأنه د ‖ ولا واحد : ولا واحدا ح ، ص ، ط (٤) واجب : الواجب ب ، م (٥) أيضا مبدأ وعلة : مبدأ أيضا ب ، ح ، د ، م ؛ علة أيضا ص (٦) أن : ساقطة من ح ، ص ، ط (٧) ذاته : بذاته ط (٨) هو : ساقطة من م (٩) الوجود : للوجود ح ، ص ، ط ‖ وأيس : ليس ب ، م : أيس ح ، ص ، ط (١١) بصورته : فصورته م ‖ بمادته : مادته د ، ‖ بكليته : بكلية ح ، د ، ص ، ط (١٢) فكليته : وكلية ح ، ص ، ط ؛ وكليته م ؛ لكليته د ‖ تقترن : تقرن ب ، ح ، ص ، ط (١٤) ولا صورته : وصورته م (١٦) إيجادا : إيجاد ب ‖ فذلك : فلذلك ب ، ح ، د ، م (١٧) ليس : ساقطة من د (١٩) فكان شىء : فكان الشىء ط ؛ وكان شىء ص ‖ قبله : + زمانا ص ، ط .

فلم يكن يتهيأ أن يحدث شيء إلا وقبله شيء آخر يعدم بوجوده ، فيكون الإحداث من
الليس المطلق وهو الابداع باطلا لامعنى له بل البعد الذى ههنا هو البعد الذى بالذات ،
فإن الأمر الذى للشيء من تلقاء نفسه قبل الذى له من غيره ، وإذا كان له من غيره
الوجود والوجوب فله من نفسه العدم والامكان ، وكان عدمه قبل وجوده ، ووجوده
بعد عدمه قبلية وبعدية بالذات ، فكل شيء غير الأول الواحد فوجوده بعد ما لم يكن ٥
باستحقاق نفسه .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

فى الصفات الأولى للمبدأ الواجب الوجود

فقد ثبت لك الآن شيء واجب الوجود، وكان ثبت لك أن واجب الوجود واحد ، ١٠
فواجب الوجود واحد لا يشاركه فى رتبته شيء ، فلا شيء سواه واجب الوجود ،
وإذ لا شيء سواه واجب الوجود ، فهو مبدأ وجوب الوجود لكل شيء ، ويوجبه
إيجابا أوليا أو بواسطة، وإذا كان كل شيء غيره فوجوده من وجوده فهو أول. ولا نعنى
بالأول معنى ينضاف إلى وجوب وجوده حتى يتكثر به وجوب وجوده، بل نعنى به اعتبار
إضافته إلى غيره . ١٥

واعلم أنا إذا قلنا بل بينا أن واجب الوجود لا يتكثر بوجه من الوجوه ، وأن ذاته
وحدانى صرف محض حق ، فلا نعنى بذلك أنه أيضا لا يسلب عنه وجودات ، ولا تقع

(٢) الذى بالذات : بالذات ب (٣) قبـــل : + الإبداع حـ || الذى : التى د || غيره : غيرد (٥) فكل : وكل حـ ، ط || فوجوده : موجود ب ، حـ ، ص، ط ، م || يكن : + موجودا ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٨) فصل : ساقطة من د (٩) فى الصفات الأولى : فى الصفات الأول حـ ، فى صفات الأول ص || الواجب : لواجب م (١٠) الآن : ساقطة من م (١١) فواجب الوجود واحد : ساقطة من د ، م (١٢) وجوب : الوجوب د || الوجود لكل : وجود كل ب ، د ، ص ، ط ، م . (١٤) ينضاف : مضاف ب .

له إضافة إلى وجودات ، فإن هذا لا يمكن . وذلك لأن كل موجود فيسلب عنه أنحاء من الوجود مختلفة كثيرة ، ولكل موجود إلى الموجودات نوع من الإضافة والنسبة ، وخصوصا الذى يفيض عنه كل وجود ، لكنا نعنى بقولنا إنه وحدانى الذات لا يتكثر أنه كذلك فى ذاته ، ثم إن تبعته إضافات إيجابية وسلبية كثيرة فتلك لوازم للذات معلولة للذات ، توجد بعد وجود الذات ، وليست مقومة للذات ولا أجزاء لها .

فإن قال قائل : فإن كانت تلك معلولة فلها أيضا إضافة أخرى ، ويذهب إلى غير النهاية .

فإنا نكلفه أن يتأمل ما حققناه فى باب المضاف من هذا الفن ، حيث أردنا أن نبين أن الإضافة تتناهى وفى ذلك انحلال شكه .

ونعود فنقول : إن الأول لا ماهية له غير الإنية ، وقد عرفت معنى الماهية ، وبماذا تفارق الإنية فيما تفارقه فى افتتاح تبياننا هذا فنقول : إن واجب الوجود لا يصح أن يكون له ماهية يلزمها وجوب الوجود ، بل نقول من رأس : إن واجب الوجود قد يعقل نفس واجب الوجود ، كالواحد قد يعقل نفس الواحد ، وقد يعقل من ذلك أن ماهيته هى مثلا إنسان أو جوهر آخر من الجواهر ، وذلك الإنسان دو الذى هو واجب الوجود ، كما أنه قد يعقل من الواحد أنه ماء أو هواء أو إنسان وهو واحد .

وقد تتأمل فتعلم ذلك مما وقع فيه الاختلاف فى أن المبدأ فى الطبيعيات واحد أو كثير .

فبعضهم جعل المبدأ واحدا ، وبعضهم جعله كثيرا .

---

(١) أنحاء : أنحاها د (٢) إلى : من د ، ص ، ط (٣) وحدانى : أحدى ج ، ص ، ط
(٤) وسلبية : أو سلبية م || فتلك : لوازم د (٥) وليست : ليست د || ولا أجزاء لها : والأجزاء لها د (٦) معلوله : + لها د (٩) وفى : بين د ؛ فى م (١٠) وبماذا : بماذا م (١١) فيما تفارقه فى افتتاح : ساقطة من د || افتتاح : ابتداء م || تبياننا : بياننا د (١٢) قد : ساقطة من ب
(١٤) وذلك : ذلك ب ، م (١٦) تتأمل فتعلم : بيناه د || فى : وفى ج (١٨) وبعضهم جعله : وجعل بعضهم د .

والذى جعله منهم واحدا فنهم من جعل المبدأ الأول لا ذات الواحد ، بل شيئا هو الواحد ، مثل ماء أو هواء أو نار أو غير ذلك .

ومنهم من جعل المبدأ ذات الواحد من حيث هو واحد ، لا شيء عرض له الواحد. ففرق إذن بين ماهية يعرض لها الواحد والموجود ، و بين الواحد والموجود من حيث هو واحد وموجود . ٥

فنقول : إن واجب الوجود لا يجوز أن يكون على الصفة التى فيها تركيب حتى يكون هناك ماهية ما ، وتكون تلك الماهية واجبة الوجود ، فيكون لتلك الماهية معنى غير حقيقتها وذلك المعنى وجوب الوجود مثلا إن كانت تلك الماهية أنه إنسان ، فيكون أنه إنسان غير أنه واجب الوجود ، فحينئذ لا يخلو إما أن يكون لقولنا وجوب الوجود هناك حقيقة ، أو لا يكون ، ومحال أن لا يكون لهذا المعنى حقيقة ، وهى مبدأ كل حقيقة ، بل هى تؤكد الحقيقة وتصححها . ١٠

فإن كان له حقيقة وهى غير تلك الماهية ، فإن كان ذلك الوجوب من الوجود يلزمه أن يتعلق بتلك الماهية ولا يجب دونها ، فيكون معنى واجب الوجود من حيث هو واجب الوجود يوجد بشيء ليس هو ، فلا يكون واجب الوجود ، من حيث هو واجب الوجود ، و بالنظر إلى ذاته من حيث هو واجب الوجود ليس بواجب الوجود ، لأن له شيئا به يجب ، ١٥ وهذا محال إذا أخذ مطلقا غير مقيد بالوجود الصرف الذى يلحق الماهية ، و إذا أخذ لاحقا للماهية فإنه و إن كان قد يقارن ذلك الشيء فليست تلك الماهية البتة

(١ — ٣) لا ذات الواحد . . . . من جعل المبدأ : ساقطة من م (٢) أو نار : ونار ه
(٤) ماهية : ماهيته ص ، م || لها : له ــ ، د ، م || و بين : ومن م (٥) واحد : واجب د || وموجود : ساقطة من ــ ، د ، ص ، ط ، م (٧) ماهية : ماهيته م || واجبة : واجب ــ (٩) غير أنه : غير ه || فحينئذ : محال ــ ، ص ، ط ؛ ومحال د || لا يخلو : ولا يخلو د (١١) وتصححها : فتصححها م (١٢) كان له : كانت له م || تلك : ذلك ه (١٤) فلا يكون : فيكون ب ، ــ ، ص ، ط (١٥) إلى : فى ب ، د ، م || ليس : ساقطة من د (١٦) أخذ : أخذنا ــ (١٧) الماهية : لماهيته م ؛ لماهية د || يقارن : يفارق د ، م || ذلك : + ذلك ــ || فليست : فليس ب ، ط ،

واجبة الوجود مطلقا ، ولا عارضا لها وجوب الوجود مطلقا ، لأنها لا تجب فى كل وقت ، وواجب الوجود مطلقا يجب فى كل وقت ، وليس هكذا حال الوجود إذا أخذ مطلقا غير مقيد بالوجوب الصرف الذى يلحق الماهية ، فلا ضير لو قال قائل : إن ذلك الوجود معلول للماهية من هذه الجهة أو لشىء آخر .

٥ وذلك لأن الوجود يجوز أن يكون معلولا ، والوجوب المطلق الذى بالذات لا يكون معلولا ، فبق أن يكون واجب الوجود بالذات مطلقا متحققا من حيث هو واجب الوجود بنفسه ، واجب الوجود من دون تلك الماهية ، فتكون تلك الماهية عارضة لواجب الوجود المتحقق القوام بنفسه إن كان يمكن ، فواجب الوجود مشار إليه بالعقل فى ذاته ، ويتحقق واجب الوجود وإن لم تكن تلك الماهية العارضة ، فإذن ليست تلك الماهية ماهية ١٠ للشىء المشار إليه بالعقل أنه واجب الوجود ، بل ماهية لشىء آخر لاحق له ، وقد كانت فرضت ماهية لذلك الشىء لا لشىء آخر ، هذا خلف ، فلا ماهية لواجب الوجود غير أنه واجب الوجود ، وهذه هى الإنية .

ونقول : إن الإنية والوجود لو صارا عارضين للماهية فلا يخلو إما أن يلزمها لذاتها ، أو لشىء من خارج ، ومحال أن يكون لذات الماهية ، فإن التابع لا يتبع إلا موجودا ١٥ فيلزم أن يكون للماهية وجود قبل وجودها ، وهذا محال . ونقول إن كل ماله ماهية غير

---

(١) واجبة : بواجب د ، م : راجب حـ ، ص ، ط || كل : ساقطة من م (٢) وواجب : وهو واجب ط || مطلقا : ساقطة من د || الوجود : الوجوب ب ، ص (٢ — ٣) إذا أخذ مطلقا . . . يلحق الماهية : إذا أخذ لاحقا لماهيته د ، ط (٣) الذى يلحق الماهية : ساقطة من م || فلا ضير : فإنه لا ضير ط || قائل : القائل د ، م (٤) الوجود : الوضع ط || للماهية : لماهية ب ، د ، م || لشىء : بشىء حـ (٥) الذى بالذات : الذى للذات د (٧) الوجود من : الوجود م || لواجب : لوجوب م (٨) مشار : المشار ب ، حـ ، د ، ص ، ط || بالعقل : بالفعل د (٩) ويتحقق : يتحقق ب ، ص ، ط || لم : ساقطة من ط || تلك : ساقطة من م || العارضة : العرضية د (٩ — ١٠) ماهية للشىء : ماهيته الشىء ط ، م (١٠) لشىء : شىء م (١١) ماهية : + له د || لا لشىء آخر : ساقطة من ب ، ص ، ط ؛ وشىء آخر م ؛ وشيئا آخر د (١٣) ونقول : بل نقول ب ، ط || (١٣ — ١٤) ونقول أن الإنية : . . . يكون لذات : ساقطة من م (١٣) لوصارا : ساقطة من ط || فلا يخلو : ولا يخلو ب || إما : ساقطة من ب || يلزمها : يلزمه د (١٤) التابع : البالغ ب (١٥) وهذا محال : ساقطة من ب (١٤ — ١٥) الماهية . . . محال : ساقطة من م (١٥) ونقول : فنقول ب .

الإنية فهو معلول ؛ وذلك لأنك علمت أن الإنية والوجود لا يقوم من الماهية التى هى خارجة عن الإنية مقام الأمر المقوم ، فيكون من اللوزام ، فلا يخلو :

إما أن يلزم الماهيه لأنها تلك الماهية

وإما أن يكون لزومها إياها بسبب شيء . ومعنى قولنا اللزوم اتباع الوجود ، ولن يتبع موجود إلا موجودا ، فإن كانت الإنية تتبع الماهية وتلزمها لنفسها ، فتكون الإنية قد تبعت فى وجودها وجودا ، وكل مايتبع فى وجوده وجودا فإن متبوعه موجود بالذات قبله ، فتكون الماهية موجودة بذاتها قبل وجودها ، وهذا خلف. فبق أن يكون الوجود لها عن علة ، فكل ذى ماهية معلول ، وسائر الأشياء غير الواجب الوجود فلها ماهيات ، وتلك الماهيات هى التى بأنفسها ممكنة الوجود ، وإنما يعرض لها وجود من خارج . ٥

فالأول لا ماهية له ، وذوات الماهيات يفيض عليها الوجود منه ، فهو مجرد الوجود بشرط سلب العدم وسائر الأوصاف عنه ؛ ثم سائر الأشياء التى لها ماهيات فإنها ممكنة توجد به ، وليس معنى قولى : إنه مجرد الوجود بشرط سلب سائر الزوائد عنه أنه الوجود المطلق المشترك فيه إن كان موجود هذه صفته ؛ فان ذلك ليس الموجود المجرد بشرط السلب بل الموجود لا بشرط الإيجاب ، أعنى فى الأول أنه الموجود مع شرط لا زيادة تركيب ، وهذا الآخر هو الموجود لا بشرط الزيادة ، فلهذا ما كان الكلى يحمل على كل شيء ، وذلك لا يحمل على كل ما هناك زيادة ، وكل شيء غيره فهناك زيادة . ١٠ ١٥

والأول أيضا لا جنس له ؛ وذلك لأن الأول لا ماهية له ، وما لا ماهية له فلا جنس له ؛ إذ الجنس مقول فى جواب ما هو والجنس من وجه هو بعض الشيء ، والأول قد تحقق أنه غير مركب .

---

(٤) ولن : ولمن د (٧) وجودها : + أى وجود الماهية ب ، ح ، ص ، ط || فبق : فبقى ط
(٨) فكل : وكل د || ماهية : + هو د ، م (٩) وتلك : تلك ب ، د ، ص ، ح ، م
|| الماهيات : الماهية ب || التى : + هى ص ، ط (١٠) الماهيات : الماهية ب ، ح ، ص ، ط
|| عليها : عليه د (١١) فإنها : وأنها ص (١٢) الوجود (الأولى) : الموجود م || بشرط : وبشرط د
|| الوجود (الثانية) : الوجود ب ، ح ، د ، م (١٣) إن : إذا د (١٤) لا زيادة : لا زيادات د
(١٥) وهذا : وهذه د (١٦) وذلك : وهذا ب ، د ، ص ، ط ، م || على كل : + شيء ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٧) له (الأولى) : ساقطة من ب .

وأيضا أن معنى الجنس لا يخلو :

إما أن يكون واجب الوجود فلا يتوقف إلى أن يكون هناك فصل .

وإن لم يكن واجب الوجود وكان مقوما لواجب الوجود كان واجب الوجود متقوما بما ليس بواجب الوجود ، وهذا خلف ، فالأول لا جنس له .

٥ ولذلك فإن الأول لا فصل له ، وإذ لا جنس له ولا فصل له فلا حد له ، ولا برهان عليه ، لأنه لا علة له ، ولذلك لا لمَ له ، وستعلم أنه لا لمية لفعله . ولقائل أن يقول : إنكم إن تحاشيتم أن تطلقوا على الأول اسم الجوهر فلستم تتحاشون أن تطلقوا عليه معناه ، وذلك لأنه موجود لا فى موضوع ، وهذا المعنى هو الجوهر الذى جنستموه له . فنقول: ليس هذا معنى الجوهر الذى جنساه ، بل معنى ذلك أنه الشىء ذو الماهية المتقررة الذى ١٠ وجوده ليس فى موضوع بجسم أو نفس ؛ والدليل على أنه إذا لم يعن بالجوهر هذا لم يكن جنسا ألبتة، هو أن المدلول عليه بلفظ الموجود ليس يقتضى جنسيته ، والسلب الذى يلحق به لا يزيد، على الوجود إلا نسبة مباينة : وهذا المعنى ليس فيه إثبات شىء محصل بعد الوجود ، ولا هو معنى لشئ بذاته ، بل هو بالنسبة فقط ، فالموجود لا فى موضوع إنما المعنى الإثباتى فيه الذى يجوز أن يكون لذات ما ، هو الموجود ؛ وبعده شئ سلبى ١٥ ومضاف خارج عن الهوية التى تكون للشئ . فهذا المعنى إن أخذ على هذا الوجه لم يكن جنساً ، وأنت قد علمت هذا فى المنطق علماً متقناً .

وقد علمت فى المنطق أيضاً أنا إذا قلنا : كل "ا" مثلا ، عنينا كل شئ موصوف بأنه "ا" ولو كانت له حقيقة غير الألفية ، فقولنا فى حد الجوهر : إنه الموجود لا فى موضوع،

---

(٢) فصل : ساقطة من ط (٣) لواجب : بواجب ﺣ ، ص ، ط (٥) ولذلك : وكذلك د ، ص (٦) ولذلك : وكذلك د ، ص ، ط ، م || وستعلم : وستعلم ب (٧) إن تحاشيتم : إن حاشيتم ﺣ ؛ حاشيتم م || فلستم : ساقطة من ط (٨) وهذا : هذا م || المعنى هو : معنى ط ؛ المعنى د ؛ المعنى هو معنى م || جنستموه : جنستموه له ب ، د ؛ حددتموه ﺟ (٩) جنساه : جنسناه ب ، د || المتقررة : المنفردة د ؛ ساقطة من م || الذى : التى له فى د (١٠) وجوده : + وجود ب ، ﺣ ، د ، ص ، م || بجسم : بالجسم م (١١) هو أن : وأن د || بلفظ : بلفظة م || جنسيته : جنسية د ، م || السلب : ساقطة من ط (١٢) إثبات : الثبات ط || محصل : يحصل د (١٥) التى : + أن ﺣ (١٦) متقنا : متيقنا د (١٧) علمت : تعلمت ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م (١٨) كانت : كان . . .

معناه أنه الشئ الذى يقال عليه موجود لافى موضوع ، على أن الموجود لافى موضوع محمول عليه ، وله فى نفسه ماهية مثل الإنسان والحجر ، والشجر ، فهكذا يجب أن يتصور الجوهر حتى يكون جنساً . والدليل على أن بين الأمرين فرقاً وأن الجنس أحدهما دون الآخر ، أنك تقول لشخص إنسان ما مجهول الوجود : إنه لا محالة هو ما وجوده أن لا يكون فى موضوع، ولا تقول: إنه لا محالة موجود الآن لا فى موضوع، وكأنا قد بالغنا فى تعريف هذا حيث تكلمنا فى المنطق . ٥

[الفصل الخامس]

(ه) فصل

كأنه توكيد وتكرار لما سلف من توحيد واجب الوجود وجميع صفاته السلبية على سبيل الإنتاج ١٠

وبالحرى أن نعيد القول فى أن حقيقة الأول موجودة للأول دون غيره ؛ وذلك لأن الواحد — بما هو واجب الوجود — يكون ماهو به هو ، وهو ذاته ؛ ومعناه إما مقصوراً عليه لذات ذلك المعنى ، أو لعلة ، مثلا : لوكان الشيء الواجب الوجود هو هذا الإنسان ، فلا يخلو إما أن يكون هو هذا الإنسانية ولأنه إنسان ، أو لايكون .

فإن كان لأنه إنسان هو هذا، فالإنسانية تقتضى أن يكون هذا فقط ؛ فإن وجدت لغيره فما اقتضت الإنسانية أن يكون هذا ، بل إنما صار هذا لأمر غير الإنسانية . ١٥

وكذلك الحال فى حقيقة واجب الوجود، فإنها إن كانت لأجل نفسها هى هذا المعين استحال أن تكون تلك الحقيقة لغيره ، فتكون تلك الحقيقة ليست إلا هذا . وإن كان

---

(٢) وله : ولا د || والحجر : ساقطة من ب ، ط ، ص (٣) فرقا : ساقطة من ط (٥) الآن : ساقطة من د
(٨) فصل : ساقطة من د || توكيد وتكرار : تأكيد أو تكرار ب ، د ، م ؛ تكرار وتأكيد ح ؛ تأكيد وتكرار ص
(١٢) بما : مما ب ، م || يكون : ويكون ط || به هو : به د (١٣) لذات ذلك : لذلك م || ذلك : ساقطة من ب ، د (١٣) كان : + فى د || الوجود : + شيئا ط ؛ + شيء د (١٤) هو هذا : + الإنسان ط (١٦) هذا : + هذا ب || لأمر : الأمر ح ، د ، ص ، ط (١٧) الحال : الحالة د || هى : ساقطة من د || المعين : المعنى م || (١٨) الا : بسبب د : ساقطة من ب ، م .

تحقق هذا المعنى لهذا المعين لا عن ذاته ، بل عن غيره ، وإنما هو هو لأنه هذا المعين ،
فيكون وجوده الخاص له مستفاداً من غيره ، فلا يكون واجبَ الوجود ، وهذا خلف ؛
فإذن حقيقةُ الواجبِ الوجودُ الواحد فقط . وكيف تكون الماهية المجردة عن المادة
لذاتين ، والشيئان إنما يكونان اثنين إما بسبب المعنى ، وإما بسبب الحامل للمعنى ،
٥ وإما بسبب الوضع أو المكان ، أو بسبب الوقت والزمان ، وبالجملة لعلة من العلل ؟
لأن كل اثنين لا يختلفان بالمعنى ، فإنما يختلفان بشيء عارض للمعنى مقارن له ، فكل
ماليس له وجود إلا وجود معنى ، ولا يتعلق بسبب خارج أو حالة خارجة ، فبماذا
يخالف مثله ؟ فإذن لا يكون له مشارك فى معناه ، فالأول لاند له .

وأيضا ، فإنا نقول : إن وجوب الوجود لا يجوز أن يكون معنى مشتركا فيه لعدة
١٠ بوجه من الوجوه ، لا متفق الحقائق والأنواع ولا مختلف الحقائق والأنواع .

إما أول ذلك فإن وجوب الوجود لا ماهية له تقارنه غير وجوب الوجود ، فلايمكن
أن يكون لحقيقة وجوب الوجود اختلاف بعد وجوب الوجود .

وأيضا ، لا يخلو إما أن يكون ما يختلف به آحاد واجب الوجود بعد الاتفاق
فى وجوب الوجود أشياء موجودة لكل واحد من المتفقين فيه بها يخالفه صاحبه ،
١٥ أو غير موجودة لشيء منها ، أو موجودة لبعضها وليس فى البعض الآخر إلا عدمها .
فإن كانت غير موجودة وليس هناك شيء يقع به الاختلاف بعد الاتفاق ، فلا اختلاف
بينهما فى الحقائق ، فهى متفقة الحقائق ، وقد قلنا إنها تختلف حقائقها بعد ما اشتركت
فيه ، وإن كانت غير موجودة فى بعضها وموجودة فى بعضها ، مثلا أن يكون أحدهما

---

(١) المعين(الأول) : المعنى م || المعين(الثانية) : المعنى م (٢) الواجب : واجب ب ، حـ ، ط || وهذا : هذا ، م (٥) أو المكان : والمكان ب ، حـ ، د ، ص ، م (٦) فإنما : وإنما حـ ، ص ، ط || بشيء : لشيء م || فكل : وكل د ، ط (٧) معنى : معين د ؛ + معين ط || أو حالة : وحالة م (١١) تقارنه : مقارنة ب || غير : من م (١٣) به : ساقطة من د (١٤) يخالفه : يخالف ب ، د ، م (١٥) أو غير موجودة : أو غير موجود د (١٥ — ١٦) لشيء منها ... غير موجودة : ساقطة من م (١٧) بينهما : ساقطة من م (١٨) وإن : فإن ط ، م || كانت : كان ب ؛ + فيه د || وموجودة ؛ وموجودا ب ، ط ، م ؛ أو موجودة د .

انفصل عن الآخر بأن له حقيقة وجوب الوجود ، وشيئا هو الشرط فى الانفصال ، وللآخر حقيقة وجوب الوجود مع عدم الشرط الذى لذلك، وإنما فارقه لأجل هذا العدم فقط ، وليس هناك شيء إلا العدم ينفصل به عن الآخر ، فيكون من شأن وجوب الوجود بالحقيقة التى له أن تثبت قائمة مع عدم شرط يلحق به ، والعدم لا معنى له محصلا فى الأشياء ، وإلا لكان فى شيء واحد معان بلا نهاية فإن فيه اختلاف أشياء ٥ بلا نهاية .

فلا يخلو إما أن يكون وجوب الوجود متحققاً فى الثانى من دون الزيادة التى له ، أو لا يكون. فإن لم يكن، فيكون ليس له دونه وجوب الوجود، ويكون شرطا فى وجوب الوجود فى الآخر أيضا . وإن كان، فتكون الزيادة فصلا أيضاً، وليس من شرط وجوب الوجود ، وهو مع ذلك مركب ، وواجب الوجود غير مركب . وإن كان لكل واحد ١٠ منهما ما ينفصل به عن الآخر، فهو يقتضى التركيب فى كل واحد منهما .

ثم لا يخلو أيضاً ، إما أن يكون وجوب الوجود يتم وجوب وجود دون كل واحد من الزيادتين ، أو يكون ذلك شرطا له فى أن يتم . فإن تم، فوجوب الوجود لا اختلاف فيه بالذات ، إنما الاختلاف فى العوارض التى تلحقه ، وقد قام الوجود واجباً مستغنياً فى قوامه عن تلك اللواحق . ١٥

وإن لم يتم فلا يخلو : إما أن لا يتم دون ذلك فى أن يكون له حقيقة وجوب الوجود، وإما أن يكون وجوب الوجود معنى متحققاً فى نفسه ، وليس ذاتك ولا أحدهما داخلا فى هويته من حيث هو واجب الوجود ، ولكنه لا بد من أن يصير حاصل الوجود

(١) انفصل : انفصال د || عن الآخر بأن له : للآخر د || وشيئا : وشيء ـ ، ص ، ط
(١ـ٢) وشيئا هو الشرط . . . وجوب الوجود : ساقطة من ب (٣) عن : من ب ، د ، ط
(٤) بالحقيقة : والحقيقة ـ ، د ، ص ، ط ، م || والعدم : فالعدم ط ، م (٥) اختلاف : خلاف ب ، د ، ص ، م (٩) الوجود : + ويكون ط || من : فى د
|| شرط : ساقطة من ب ، ـ ، د (١١) منهما : منها ص ، ط || به : ساقطة من د || فى كل واحد منهما : فى كل واحد منها م (١٢) وجوب وجود : وجوب الموجود ـ ؛ ساقطة من م
(١٤) بالذات : فى الذات ب ، ص ، ط || فى : فيه م || العوارض التى تلحقه : بعوارض تلحقه ب ، د ، ص ، ط ، م (١٦) إما أن : + يكون ـ ، د ، م (١٦ـ١٧) الوجود وإما : وجود وأما م .

بأحدهما ، مثل أن الهيولى ــ وإن كانت لها جوهريتها فى حد هيوليتها ــ فإن وجودها بالفعل إما بهذه الصورة أو بالأخرى ؛ وأيضاً اللون ، فإنه وإن كان فصل السواد لا يقومه ــ من حيث هو لون ولا فصل البياض ــ فإن كل واحد منهما كالعلة له فى أن يوجد بالفعل ويحصل ، وليس أحدهما علة له بعينه ، بل أيهما اتفق ، ولكن ذلك فى حال ، وذلك فى حال .

فإن كان الأمر على مقتضى الوجه الأول ، فكل واحد منهما داخل فى تقويم وجوب الوجود وشرط فيه ، فحيث كان وجوب الوجود ، وجب أن يكون معه ؛ وإن كان على مقتضى المعنى الثانى فواجب الوجود يحتاج إلى شىء يوجد به ، فيكون واجب الوجود ــ من بعد ما يتقرر له معنى أنه واجب الوجود ــ يحتاج إلى شىء آخر يوجد به ، وهذا محال .

وأما فى اللون ، وفى الهيولى ، فليس الأمر هناك على هذه الصورة ؛ فإن الهيولى فى أنها هيولى شئ ، واللون فى أنه لون شئ ، وفى أنه موجود شئ . ونظير اللون هناك هو واجب الوجود ههنا ، ونظير فصل السواد والبياض هناك هو ما يختص به كل واحد من المفروضين ههنا ، فكما أن كل واحد من فصلى السواد والبياض لا مدخل لها فى تقرير اللونية ، كذلك يجب أن يكون خاصة كل واحد من هذين المفروضين لا مدخل لها فى تقرير وجوب الوجود .

---

(١) كانت : كان د ، م || هيوليتها : هيوليتها ــ ، ص ، م (٢) أو بالأخرى : وأما بالأخرى ب ، د ، م || وأيضا : وأما د || وإن : إن ــ ، ص ، ط (٤) يحصل : + بالفعل ب (٦) فكل : وكل ــ ، ص ، ط (٨) فواجب : فوجوب ــ ، ص ، ط ، م (٨ ، ٩) يحتاج . . . الوجود : ساقطة من ط (١٢) فى أنها هيولى شىء : فى أنه هيولى شىء م ؛ فى ذاته هيولى ط || ونظير : فنظير ــ ، ص ، ط ، م ؛ فيظهر د (١٣) هو (الأولى) : ساقطة من د || واجب : الواجب ــ ، ص ، ط ، م || فصل : فصل د || والبياض : أو البياض م || هو : ساقطة من د (١٤) من : + واحد ط ؛ + واحد واحد ص || المفروضين : + به ص || فكما : وكما (الثانية) ــ ، د ، ص ، م || أن : ساقطة من ط || لها : له ط ، م (١٥) تقرير : تقرر ب ، د ، م || اللونية : + لونية ب ، ــ ، ص ، م ؛ + لون ط (١٦) لها : له ، ب ، د ، ــ ، م : لهما ص || تقرير : تقرر ب ، د ؛ + الكونية كذلك يجب أن تكون خاصة كل واحد من هذين المفروضين إلى د .

وأما هناك ، فكان المدخل للفصلين فى أن صار اللون موجوداً ، أى صار اللون شيئاً هو غير اللون ، وزائداً على أنه لون ؛ وههنا ليس يمكن ذلك ؛ لأن وجوب الوجود يكون متقرر الوجود ، بل هو تقرر الوجود ، بل الوجود شرط فى تقرير ماهية واجب الوجود ، أو هو نفسه مع عدم عدم ، أو امتناع بطلان .

وأما فى اللون ، فالوجود لاحق يلحق ماهية هى اللون ، فتوجد الماهية التى هى ٥ بنفسها لون عيناً موجودة بالوجود . فلو كانت الخاصة ليست علة فى تقرير ماهية وجوب الوجود ، بل فى أن يحصل له الوجود ، وكان الوجود أمراً خارجاً عن تلك الماهية خروجها عن ماهيـة اللون ، كان الامر مستمراً على قياس سائر الأشياء العامة المنفصلة بفصول، وبالجملة المنقسمة فى معان مختلفة؛ لكن الوجود يجب أن يكون حاصلا حتى يكون وجوبه ، فتكون الخاصة كأنها تحتاج إليها كشئ فى أمر هو الذى استغنى فيه عنه ، وهذا ١٠ خلف، محال ، بل الوجوب ليس له الوجود كشىء ثان يحتاج إليه ، كما للونية وجود ثان. وبالجملة كيف يكون شىء خارج عن وجوب الوجود شرطاً فى وجوب الوجود ؟ ومع ذلك فإن حقيقة وجوب الوجود كيف يتعلق بموجب له ، فيكون وجوب الوجود فى نفسه إمكان الوجود ؟

---

(١) صار : + يثبت د ، م (٢) هو : + شيء ص || وههنا : وهناك ص (٣) تقرير : تقرر ب ، م || ماهية : الماهية ح ، د || واجب : لواجب ح (٤) أو هو : وهو ح ، ص ، ط ؛ + فى ط (٥-٦) التى هى بنفسها : هى هى بنفسها ط (٦) عينا : + ما هو ط || موجودة بالوجود : موجود بالفعـــل ط || الخاصة : الخاصية ب ، م || ليست : ليس د || تقرير : تقرر ب ، م (٧) الوجود (الأول) : + الوجوب الوجود د || فى : ساقطة من د (٨) ماهية : + تلك د || الأشياء : الأسباب ، د ، م (١٠) وجوبه : وجود به ط || الخاصة : الخاصية ح ، ص ، ط || كأنها : كأنه م || كشيء : ساقطة من ح ، ص ، ط || أمر : آخر م (١١) محال : ساقطة من ح ، ص ، ط || بل الوجوب ... وجود ثان : ساقطة من م || الوجوب : الوجود ب ، ح ، ص || ثان : + حتى ص || كاللونية : كاللونية د (١٢) ومع : مع ط (١٢-١٣) خارج عن وجوب الوجود شرطا فى وجوب الوجود ومع ذلك فإن : غير محتاج الى وجود ثان يلحقها احتاج حقيقة اللونية الى وجود يكون لأشياء وعلة وجود م (١٣) له : لها ح ، د ، ص ، ط ، م .

ونقرر من رأس فنقول : بالجملة إن الفصول وما يجرى مجراها لا يتحقق بها حقيقة المعنى الجنسى من حيث معناه ، بل إنما كانت علة لتقويم الحقيقة موجودة ، فإن الناطق ليس شرطاً يتعلق به الحيوان فى أن له معنى الحيوان وحقيقته ، بل فى أن يكون موجوداً معيناً . وإذا كان المعنى العام هو نفس واجب الوجود ، وكان الفصل يحتاج إليه فى أن يكون واجب الوجود موجوداً ، فقد دخل ما هو كالفصل فى ماهية ما هو كالجنس ، ٥
والحال فيما يقع به اختلاف غير فصلى فى جميع هذا ظاهر ، فبين أن وجوب الوجود ليس مشتركا فيه ، فالأول لا شريك له ، وإذ هو برىء عن كل مادة وعلائقها وعن الفساد ، وكلاهما شرط مع ما يقع تحت التضاد ، فالأول لا ضد له .

فقد وضح أن الأول لا جنس له ، ولا ماهية له ، ولا كيفية له ، ولا كمية له ، ولا أين له ، ولا متى له ، ولا ند له ، ولا شريك له ، ولا ضد له ، تعالى وجل ، وأنه ١٠
لا حد له ، ولا برهان عليه ، بل هو البرهان على كل شىء ، بل هو إنما عليه الدلائل الواضحة ، وأنه إذا حققته فإنما يوصف بعد الإنية بسلب المشابهات عنه ، وبإيجاب الإضافات كلها إليه ، فإن كل شىء منه وليس هو مشاركا لما منه ، وهو مبدأ كل شىء وليس هو شيئا من الأشياء بعده .

---

(١) إن : ساقطة من ط (٢) حيث : + هو ص ، ط || بل : ربما ب ، د ، ص ، ط ، م || لتقويم : بتقويم ط (٣) ليس : ساقطة من ط (٤) المعنى : معنى حـ ، ص ، ط (٥) فقد : ساقطة من ب ، د ، م (٦) ظاهر : أظهر حـ ، د ، ص ، ط ، م (٨) مع : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م || يقع : + به ط (٩) ولا كمية له : ولا كمية ب (١١) شىء بل هو : شىء بل ب ، حـ ، د ، ط ، م (١٢) حققته : حققته ب ، حـ ، كان حقيقته د ، ص || فإنما : وإنما ب (١٣) إليه : له حـ ، + له م || لما منه : كالماهية د ، ط || مبدأ : ساقطة من ب ، د ، حـ ، م .

[الفصل السادس]

(و) فصل

فى أنه تام بل فوق التام ، وخير ، ومفيد كل شىء بعده ، وأنه حق ، وأنه عقل محض ، ويعقل كل شىء ، وكيف ذلك ، وكيف يعلم ذاته ، وكيف يعلم الكليات ، وكيف يعلم الجزئيات ، وعلى أى وجه لا يجوز أن يقال يدركها . ٥

فواجب الوجود تام الوجود ، لأنه ليس شىء من وجوده وكمالات وجوده قاصراً عنه ، ولا شىء من جنس وجوده خارجاً عن وجوده يوجد لغيره ، كما يخرج فى غيره ؛ مثل الإنسان ، فإن أشياء كثيرة من كمالات وجوده قاصرة عنه ، وأيضاً فان إنسانيته توجد لغيره . بل واجب الوجود فوق التمام ؛ لأنه ليس إنما له الوجود الذى له فقط ، بل كل وجود أيضاً فهو فاضل عن وجوده ، وله ، وفائض عنه . ١٠

وواجب الوجود بذاته خير محض ، والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شىء وما يتشوقه كل شىء هو الوجود ، أو كمال الوجود من باب الوجود . والعدم من حيث هو عدم لا يتشوق إليه ، بل من حيث يتبعه وجود أو كمال للوجود ، فيكون المتشوق بالحقيقة الوجود ، فالوجود خير محض وكمال محض .

١٥ فالخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شىء فى حده ويتم به وجوده ، والشر لا ذات له ، بل هو إما عدم جوهر ، أو عدم صلاح لحال الجوهر . فالوجود خيرية ، وكمال الوجود

---

(٢) فصل : ساقطة من د (٣) التام : التمام ب ، ح ، ط ، ه || ومفيد : ويفيد ب ، د ، م
(٤) ويعقل : يعقل م || شىء : + بعده م (٤) وكيف يعلم الكليات : وأنه كيف يعلم الكليات د (٥) يقال : + أنه م (٦) وكمالات وجوده : + شيئا د ، ص ، م (٧) خارجا : خارج ب || يوجد : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م (٨) فإن أشياء : فى أشياء ح (٩) لأنه : فإنه ط (١١) بذاته : + هو م || والخير : فالخير ح ، د ، م ، ه || بالجملة : + ما ب || هو : ساقطة من م (١٣) إليه : ساقطة من ب ، ح ، د ، م ، ه (١٤) للوجود : الموجود ب ، ح ، ط ؛ ساقطة من م (١٥) فالخير : والخير ح ، د ، م .

خيرية الوجود . والوجود الذى لا يقارنه عدم — لا عدم جوهر، ولا عدم شىء للجوهر، بل هو دائما بالفعل — فهو خير محض، والممكن الوجود بذاته ليس خيراً محضاً؛ لأن ذاته بذاته لا يجب له الوجود بذاته ، فذاته تحتمل العدم ، وما احتمل العدم بوجه ما فليس من جميع جهاته بريئاً من الشر والنقص ، فإذن ليس الخير المحض إلا الواجب الوجود
٥ بذاته .

وقد يقال أيضا : خير ، لما كان مفيداً لكمالات الأشياء وخيراتها ، وقد بان أن واجب الوجود يجب أن يكون لذاته مفيداً لكل وجود ، ولكل كمال وجود ، فهو من هذه الجهة خير أيضاً لا يدخله نقص ولا شر، وكل واجب الوجود فهو حق؛ لأن حقية كل شىء خصوصية وجوده الذى يثبت له ، فلا أحق إذن من واجب الوجود .

١٠ وقد يقال : حق، أيضا ، لما يكون الاعتقاد بوجوده صادقا ، فلا أحق بهذه الحقيقة مما يكون الاعتقاد بوجوده صادقاً ، ومع صدقه دائما ، ومع دوامه لذاته لا لغيره ؛ وسائر الأشياء فإن ماهياتها كما علمت لا تستحق الوجود ، بل هى فى أنفسها وقطع إضافتها إلى واجب الوجود تستحق العدم ؛ فلذلك كلها فى أنفسها باطلة ، وبه حقة ، وبالقياس إلى الوجه الذى يليه حاصلة ، فلذلك كل شىء هالك إلا وجهه ، فهو أحق بأن يكون
١٥ حقا .

وواجب الوجود عقل محض ؛ لأنه ذات مفارقة للمادة من كل وجه ، وقد عرفت أن السبب فى أن لا يعقل الشىء هو المادة وعلائقها لا وجوده . وأما الوجود الصورى فهو الوجود العقلى وهو الوجود الذى إذا تقرر فى شىء صار للشىء به عقل، والذى يحتمل نيله هو عقل بالقوة ، والذى ناله بعد القوة هو عقل بالفعل على سبيل الاستكمال ، والذى

---

(٣) بذاته فذاته : فذاته بذاته م ؛ بذاته فذاته بذاته ب ، ح ، د ، ص || وما احتمل : وما لايحتمل ط (٦) أن : ساقطة من د (٦—٧) وخيراتها . . . لكل وجود : ساقطة من م (٧) واجب : الواجب ح ، د ، ص ، ط (٨) خير أيضا : أيضا خير ح ، ص ؛ أيضا خير محض د || حقية : حقيقة ب ، ح ، ط ، م (١٠) وقد : ساقطة من ط || بوجوده : لوجوده ب ، د ، م (١١) بوجوده : لوجوده ب ، م ؛ لوجود د (١٢) علمت : علمته د (١٨) تقرر : تقدر د (١٩) هو : وهو د || ناله : + العقل ح ، ص ، ط ، م ؛ + العقل بالقوة د || بعد : ساقطة من م .

هو له ذاته هو عقل بذاته . وكذلك هو معقول محض ؛ لأن المانع للشئ أن يكون معقولا هو أن يكون فى المادة وعلائقها ، وهو المانع عن أن يكون عقلا .

وقد تبين لك هذا فالبرىء عن المادة والعلائق، المتحقق بالوجود المفارق، هو معقول لذاته ، ولأنه عقل بذاته وهو أيضاً معقول بذاته فهو معقول ذاته ، فذاته عقل وعاقل ومعقول ، لا أن هناك أشياء متكثرة . وذلك لأنه بما هو هوية مجردة عقل ، و بما يعتبر له أن هويته المجردة لذاته فهو معقول لذاته ، و بما يعتبر له أن ذاته له هوية مجردة فهو عاقل ذاته؛ فإن المعقول هو الذى ماهيته المجردة لشىء، والعاقل هو الذى له ماهية مجردة لشىء، وليس من شرط هذا الشئ أن يكون هو أوآخر، بل شىء مطلقا ، والشىء مطلقا أعم من هو أو غيره .

فالأول باعتبار أن له ماهية مجردة لشىء ، هو عاقل ، و باعتبار أن ماهيته المجردة لشىء ، هو معقول ، وهذا الشىء هو ذاته، فهو عاقل بأن له الماهية المجردة التى لشىء هو ذاته ، ومعقول بأن ماهيته المجردة هى لشئ هو ذاته .

وكل من تفكر قليلا علم أن العاقل يقتضى شيئا معقولا ، وهذا الاقتضاء لا يتضمن أن ذلك الشىء آخر أو هو ، بل المتحرك إذا اقتضى شيئا محركا لم يكن نفس هذا الاقتضاء يوجب أن يكون شيئا آخر أو هو ، بل نوع آخر من البحث يوجب ذلك ؛ وتبين أنه من المحال أن يكون ما يتحرك هو ما يحرك ؛ ولذلك لم يمتنع أن يتصور فريق لهم عدد أن فى الأشياء شيئا متحركا عن ذاته ، إلى وقت أن قام البرهان على امتناعه ، ولم يكن نفس تصور المحرك والمتحرك يوجب ذلك ، إذ كان المتحرك يوجب أن يكون له شىء محرك مطلقا بلا شرط أنه آخر أو هو ، والمحرك يوجب أن يكون له شىء متحرك عنه بلا شرط أنه آخر أو هو .

(١) هو عقل : فهو عقل د (٢) المادة : مادة ب ، م || عن : ساقطة من د (٣) وقد : فقد ب ، د ، م ؛ فقد حـ ، ص || تبين : بين د ، م (٤) وعاقل : ساقطة من د (٦) هوية : هويته د || فهو : هو ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٨) من (الأولى) : فى ب ، حـ ، د ، ص ، م || والشىء مطلقا : والشىء ط (١٠) فالأول : + تعالى ط || باعتبار : باعتباره ب ، د ، ص ، ط ، م (١١) لشىء : شىء د ؛ ساقطة من م (١٢) ماهيته : ماهية ط (١٧) متحركا عن ذاته : محركا لذاته ب ، حـ ، د ، ط ، م (١٨) إلى : إذا د ، م (١٩) مطلقا : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص ، م .

وكذلك المضافات تعرف إثنيتها لأمر ، لا لنفس النسبة والإضافة المفروضة فى الذهن ؛ فإنا نعلم علما يقينا أن لنا قوة نعقل بها الأشياء . فإما أن تكون القوة التى نعقل بها هذه القوة هى هذه القوة نفسها ، فتكون هى نفسها تعقل ذاتها ، أو تعقل ذلك قوة أخرى ، فتكون لنا قوتان : قوة نعقل الأشياء بها ، وقوة نعقل بها هذه القوة ، ثم يتسلسل الكلام ٥ إلى غير النهاية ، فيكون فينا قوى تعقل الأشياء بلا نهاية بالفعل ؛ فقد بان أن نفس كون الشىء معقولا لا يوجب أن يكون معقولا لشىء ، ذلك الشئ آخر .

وبهذا تبين أنه ليس يقتضى العاقل أن يكون عاقل شىء آخر بل كل ما توجد له الماهية المجردة فهو عاقل ، وكل ماهية مجردة توجد له أو لغيره فهو معقول ، إذ كانت هذه الماهية لذاتها عاقلة ، ولذاتها أيضا معقولة لكل ماهية مجردة تفارقها أو لا تفارقها . ١٠ فقد فهمت أن نفس كونه معقولا وعاقلا ، لا يوجب أن يكون اثنين فى الذات ، ولا اثنين فى الاعتبار أيضا ؛ فإنه ليس تحصيل الأمرين إلا اعتبار أن ماهية مجردة لذاته ، وأنه ماهية مجردة ذاته لها ، وههنا تقديم وتأخير فى ترتيب المعانى ، والغرض المحصل شىء واحد بلا قسمة ، فقد بان أن كونه عاقلا ومعقولا لا يوجب فيه كثرة ألبتة .

وليس يجوز أن يكون واجب الوجود يعقل الأشياء من الأشياء ، وإلا فذاته إما متقومة ١٥ بما يعقل ، فيكون تقومها بالأشياء ، وإما عارضة لها أن تعقل ، فلا تكون واجبة الوجود من كل جهة ؛ وهذا محال . ويكون لولا أمور من خارج لم يكن هو بحال ، ويكون له حال لا يلزم عن ذاته بل عن غيره فيكون لغيره فيه تأثير ، والأصول السالفة تبطل هذا

---

(١) تعرف : تعريف ط || إثنيتها : اثنينيتها ب ، ـ ، د ، ص ، م || والإضافة : أو الإضافة د (٢) علما : ساقطة من ب ، ـ ، د ، ط ، م || يقينا : ساقطة من ط (٣) هى هذه القوة : ساقطة من د || فتكون هى : + فى ص || أخرى : + فى هذه القوة ، هى هذه القوة نفسها ـ (٦) معقولا لشىء : معقول شىء ب ، د ، ص ، ط ، م (٧) تبين : يثبت م || كل : كان د (٩) لكل : ولكل ص || تفارقها أو : ساقطة من م (١٠) وعاقلا : أو عاقلا د ، ط (١١) تحصيل : يحصل ب ، ـ ، د ، ص ، ط || إلا اعتبار : الاعتبار ط || لذاته : لذاتها ب ، ـ ، ص ، ط (١٢) وأنه : وأن ب ، ـ ، ص ، م || وأنه ماهية : وأن ماهيته د || ذاته : ذاتها ب ، د ، ص ، ط (١٤) إما : ساقطة من ط (١٥) بالأشياء : ساقطة من م || تكون واجبة : يكون واجبا ط (١٦) وهذا : هذا د (١٧) عن ذاته : من ذاته د ، ـ || عن غيره : من غيره د .

وما أشبهه ، ولأنه مبدأ كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدأ له وهو مبدأ للموجودات التامة بأعيانها ، والموجودات الكائنة الفاسدة بأنواعها أولا و بتوسط ذلك بأشخاصها .

ومن وجه آخر لا يجوز أن يكون عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها من حيث هي متغيرة عقلا زمانيا مشخصا بل على نحو آخر نبينه ؛ فإنه لا يجوز أن يكون تارة يعقل عقلا زمانيا منها أنها موجودة غير معدومة ، وتارة يعقل عقلا زمانيا منها أنها معدومة غير موجودة ، ٥ فيكون لكل واحد من الأمرين صورة عقلية على حدة ، ولا واحدة من الصورتين تبق مع الثانية ، فيكون واجب الوجود متغير الذات ، ثم الفاسدات إن عقلت بالماهية المجردة و بما يتبعها مما لا يتشخص لم تعقل بما هي فاسدة ، و إن أدركت بما هي مقارنة لمادة وعوارض مادة ووقت وتشخص لم تكن معقولة بل محسوسة أو متخيلة ؛ ونحن قد بينا فى كتب أخرى أن كل صورة محسوسة وكل صورة خيالية فإنما تدرك من حيث ١٠ هي محسوسة أو متخيلة بآلة متجزئة ، وكما أن إثبات كثير من الأفاعيل للواجب الوجود نقص له ، كذلك إثبات كثير من التعقلات ، بل واجب الوجود إنما يعقل كل شيء على نحو كلي ، ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وهذا من العجايب التي يحوج تصورها إلى لطف قريحة .

وأما كيفية ذلك ، فلأنه إذا عقل ذاته وعقل أنه مبدأ كل موجود ، عقل أوائل ١٥ الموجودات عنه وما يتولد عنها ، ولا شيء من الأشياء يوجد إلا وقد صار من جهة ما واجبا بسببه ، وقد بينا هذا ، فتكون هذه الأسباب يتأدى بمصادماتها إلى أن توجد

---

(١) كل : لكل ح، د ، ه || وهو : فهو ح (٢) التامة : الثابتة ط ؛ ساقطة من ح ، ه
(٣) لا يجوز : فلا يجوز ب ، د ، ص || هى : هو د (٤) مشخصا : متشخصا د || نحو : وجه ح ، ص ، ط (٦) عقلية : عقليته ح || حدة : وحدة د (٧) متغير الذات : متغير بالذات م
(٨) مما لا : مما لم د (٩) لمادة : للمادة د ، ط (٩) ووقت : ومركب م ؛ + وتركيب ط || وتشخص : وتشخيص م ؛ تشخص ب || بل : + هى ح ، د ، ص ، م
(٩-١١) «ونحن قد بينا . . . أو متخيله» : ساقطة من م (١٠) محسوسة : لمحسوسة ب، ح ، د ، ص || فإنما : فأنها د (١٢) كذلك : لذلك ص || واجب : الواجب د ، ص ، ط || كل : على م
(١٣) شخصى : وشخصى د || ولا يعزب : فلا يعزب ب ، ح ، ص ، ط (١٤) ولا فى الأرض : والأرض ب ، ح ، ص ، ط ، م || التى : الذى د || يحوج : يحرج د ، م (١٥) وأما : فأما م
|| موجود : + ووجود ط (١٦-١٧) ما واجبا : ما يكون واجبا ، ح ، د ، ص ، ط
(١٧) وقد : قلت .

منها الأمور الجزئية . والأول يعلم الأسباب ومطابقاتها، فيعلم ضرورة ما يتأدى إليها،
وما بينها من الأزمنة وما لها من العودات ، لأنه ليس يمكن أن يعلم تلك ولا يعلم هذا ،
فيكون مدركا للأمور الجزئية من حيث هي كلية ، أعني من حيث لها صفات. وإن
تخصصت بها شخصا فبالإضافة إلى زمان متشخص أو حال متشخصة لو أخذت تلك
٥ الحال بصفاتها كانت أيضا بمنزلتها لكنها تستند إلى مبادئ كل واحد منها نوعه في شخصه،
فتستند إلى أمور شخصية . وقد قلنا : إن مثل هذا الاستناد قد يجعل للشخصيات رسما
ووصفا مقصورا عليها . فإن كان ذلك الشخص مما هو عند العقل شخصي أيضا ، كان
للعقل إلى ذلك المرسوم سبيل ، وذلك هو الشخص الذي هو واحد في نوعه لا نظير له،
ككرة الشمس مثلا ، أو كالمشترى ، وأما إذا كان النوع منتشرا في الأشخاص لم يكن
١٠ للعقل إلى رسم ذلك الشئ سبيل إلا أن يشار إليه ابتداء على ما عرفته .

ونعود فنقول : كما أنك تعلم حركات السماويات كلها ، فأنت تعلم كل كسوف
وكل اتصال وكل انفصال جزئي يكون بعينه ولكن على نحو كلي ؛ لأنك تقول في كسوف
ما إنه كسوف يكون بعد زمان حركة يكون لكذا من كذا شماليا نصفيا ينفصل القمر منه
إلى مقابلة كذا ، ويكون بينه وبين كسوف مثله سابق له أو متأخر عنه مدة كذا، وكذلك
١٥ بين حال الكسوفين الآخرين حتى لا تقدر عارضا من عوارض تلك الكسوفات إلا علمته،
ولكنك علمته كليا ، لأن هذا المعنى قد يجوز أن يحمل على كسوفات كثيرة كل واحد
منها يكون حاله تلك الحال ، لكنك تعلم لحجة ما أن ذلك الكسوف لا يكون إلا واحدا

---

(١) والأول : فالأول ب ، جـ ، د ، ص ، م || ضرورة : ضرورى د || إليها : إليه حـ ، د ، ص ، م
(٤) بها : لها د (٥) لكنها : لكونها ب ؛ بكونها م || تستند : مستندة حـ (٦) فتستند : مستند م
|| الاستناد : الأسناد د (٧) عليها : عليهما حـ ، ط || كان : كل م || شخصى : شخص ط (٨) الشخص :
الشخصى ب ، د || لا نظير له : ولا نظير له ط (٩) أو كالمشترى : وكالمشترى د (١٠) الشيء :
الشخص ط (١١) ونعود : فنعود حـ || فنقول : ونقول ب ، د || أنك : + إذا ب ، حـ ، د ، ص ؛
+ إذ م || تعلم : + إذا علمت ط (١٢) وكل اتصال : ساقطة من د || وكل انفصال : وانفصال
ب ، م || جزئي : جزء ب || يكون : + يكون ط (١٣) يكون بعد : فيكون بعد د || منه :
ساقطة من م (١٥) لا تقدر : لا يعرف ط ؛ لا يغادر د || علمته : وعلمته حـ ، ص ، ط (١٧) منها :
منهما حـ ، ص ، ط || الحال : الحالة د .

بعينه ، وهذا لا يدفع الكلية إن تذكرت ماقلناه من قبل . ولكنك مع هذا كله ، وربما لم يجز أن تحكم فى هذا الآن بوجود هـذا الكسوف أولا وجوده ، إلا أن تعرف جزئيات الحركات بالمشاهدة الحسية ، وتعلم ما بين هذا المشاهد وبين ذلك الكسوف من المدة ، وليس هذا نفس معرفتك بأن فى الحركات حركة جزئية صفتها صفة ماشاهدت ، وبينها وبين الكسوف الثانى الجزئى كذا ، فإن ذلك قد يجوز أن تعلمه على هذا النوع من العلم ولا ٥ تعلمه وقت مايشك فيه أنها هل هى موجودة ، بل يجب أن يكون قد حصل لك بالمشاهدة شىء مشار إليه حتى تعلم حال ذلك الكسوف .

فإن منع مانع أن يسمى هذا معرفة للجزء من جهة كلية ، فلا مناقشة معه ؛ فإن غرضنا الآن فى غير ذلك ، وهو فى تعريفنا أن الأمور الجزئية كيف تعلم وتدرك علما وإدراكا يتغير معهما العالم ، وكيف يعلم ويدرك علما وإدراكا لا يتغير معهما العالم ؛ فإنك إذا علمت ١٠ أمر الكسوفات كما توجد أنت ، أو لو كنت موجودا دائما كان لك علم لا بالكسوف المطلق ، بل بكل كسوف كائن ، ثم كان وجود ذلك الكسوف وعدمه لا يغير منك أمرا ؛ فإن علمك فى الحالين يكون واحدا ، وهو أن كسوفا له وجود بصفات كذا ، بعد كسوف كذا ، أو بعد وجود الشمس فى الحمل كذا ، فى مدة كذا ، ويكون بعد كذا ، وبعده كذا ، ويكون هذا العقد منك صادقا قبل ذلك الكسوف ومعه وبعده . فأما إن ١٥ أدخلت الزمان فى ذلك ، فعلمت فى آن مفروض أن هـذا الكسوف ليس بموجود ، ثم علمت فى آن آخر أنه موجود ، لم يبق علمك ذلك عند وجوده ، بل يحدث علم آخر ، ويكون فيك التغير الذى أشرنا إليه ، ولم يصح أن تكون فى وقت الانجلاء على ما كنت

---

(١) لا يدفع : لا رفع د || من : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م (٢) يجز : تجرم حـ ، ص ؛ تكن تجز د || فى هذا : فى إلا هذا ، د || الكسوف : لكسوف م || وجوده : بوجوده د || أن : أنك م (٣) هذا : هذه حـ ؛ ساقطة من م || المشاهد : المشاهدات حـ (٥) الثانى : الفلانى ط || من : فى د (٨) فلا لا د (٩) يتغير : لايتغيرت ، ط (١٠) معهما (الأول) : معها د || وكيف يعلم : ساقطة من حـ || علما + واحدا ص ، ط || معهما (الثانية) : معها د (١١) أولو : ولو د ، ط || لك : ذلك د (١٣) أن : بها + يكون ب ، ط || وجود : وجوده ب ، ط || بعد : أو بعد حـ (١٤) أو بعد وبعد حـ ، ص ، ط || الشمس : + فعلته د (١٥) العقد : العقل ب ، ط || إن : إذا د (١٦) فعلمت : فعلت د ، تعلمت ص (١٧ بل : + كان حـ ، د ، ص ، ط || فيك : قبل م .

قبل الانجلاء ، هذاوأنت زمانى وآنى ، ولكن الأول الذى لا يدخل فى زمان وحكمه، فهو بعيد أن يحكم حكما فى هذا الزمان، وذلك الزمان من حيث هو فيه ومن حيث هو حكم منه جديدا ومعرفة جديدة .

واعلم أنك إنما كنت تتوصل إلى إدراك الكسوفات الجزئيـــة ، لإحاطتـك بجميع أسبابها ، وإحاطتك بكل ما فى السماء ؛ فإذا وقعت الإحاطة بجميع أسبابها ووجودها ، ٥ انتقل منها إلى جميع المسببات ، ونحن سنبين هذا من ذى قبل بزيادة كشف ، فتعلم كيف يعلم الغيب وتعلم من هناك أن الأول من ذاته كيف يعلم كل شيء ، وأن ذلك لأنه مبدأ كل شيء ، ويعلم الأشياء من حالها ؛ إذ هو مبـــدأ شيء أو أشياء حالها وحركاتها كذا ، وما ينتج عنها كذا ، إلى التفصيل بعده ، ثم على الترتيب الذى يلزم ذلك التفصيل لزوم التعدية والتأدية ، فتكون هـــذه الأشياء مفاتيح الغيب التى لا يعلمها أحد إلا هو ، ١٠ فالله أعلم بالغيب وهو عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم .

[الفصل السابع]

(ز) فصل

فى نسبة المعقولات إليه ، وفى إيضاح أن صفاته الإيجابية والسلبية لا توجب فى ذاته كثرة ، وأن له البهاء الأعظم والجلال الأرفع والمجد الغير المتناهى ، وفى تفصيل حال اللذة العقلية ١٥

ثم يجب أن يعلم أنه إذا قيل عقل للأول قيل على المعنى البسيـــط الذى عرفته فى كتاب النفس ، وأنه ليس فيه اختلاف صور مترتبة متخالفة كما يكون فى النفس على المعنى

---

(١) وآنى : ساقطة من حـ ، ص || لكن : ساقطة من ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٢) حكما : ساقطة من حـ ، ص ، ط (٤) إنما : ساقطة من د ، ط || ادراك : إدراكات حـ ، د (٥) وإحاطتك . . . أسبابها : ساقطة من حـ || فإذا : وإذا ب ، م || أسبابها : الأسباب ب ، حـ ، ص ، ط (٦) بزيادة : زيادة د || فتعلم : وتعلم حـ (لم الغيب و : ساقطة من د || تعلم : لا تعلم ط || الغيب : + الاهو ط || من ذاته : فى ذاته طـ || يعلم : + مبدأ ب ، ط (٧ — ٨) مبدأ كل شيء ويعلم الأشياء من حالها اذ : مبدأ شيء ب ، حـ ، د ، ص ، م (٩) منها : عنه حـ || التفصيل : + الذى لا تفصيل ب ، حـ ، ص ، ط ، م (١٠ — ١١) التى لا يعلمها . . . الحكيم : ساقطة من ب ، حـ ، د ، م ، ص (١٣) فصل : ساقطة من د (١٥) والجلال الأرفع : ساقطة من ط (١٦) وفى تفصيل : وتفصيل م (١٧) للأول : + تعالى ط (١٧) مترتبة : مرتبة ب ، د || متخالفة : مخالفة د .

الذى مضى فى كتاب النفس ؛ فهو لذلك يعقل الأشياء دفعة واحدة من غير أن يتكثر بها فى جوهره ، أو تتصور فى حقيقة ذاته بصورها ، بل تفيض عنه صورها معقولة ، وهو أولى بأن يكون عقلا من تلك الصور الفائضة عن عقليته، ولأنه يعقل ذاته، وأنه مبدأ كل شىء ، فيعقل من ذاته كل شىء .

٥ واعلم أن المعنى المعقول قد يؤخذ من الشىء الموجود ، كما عرض أن أخذنا نحن عن الفلك بالرصد والحس صورته المعقولة ، وقد تكون الصورة المعقولة غير مأخوذة عن الموجود ، بل بالعكس ؛ كما أنا نعقل صورة بنائية نخترعها، ثم تكون تلك الصورة المعقولة محركة لأعضائنا إلى أن نوجدها، فلا تكون وجدت فعقلناها ، ولكن عقلناها فوجدت. ونسبة الكل إلى العقل الأول الواجب الوجود هو هذا؛ فإنه يعقل ذاته وما توجبه ذاته،

١٠ ويعلم من ذاته كيفية كون الخير فى الكل ، فتتبع صورته المعقولة صورة الموجودات على النظام المعقول عنده ، لا على أنها تابعة اتباع الضوء للضىء والإسخان للحار ؛ بل هو عالم بكيفية نظام الخير فى الوجود ، وأنه عنه وعالم بأن هذه العالمية يفيض عنها الوجود على الترتيب الذى يعقله خيراً ونظاماً .

وعاشق ذاته التى هى مبدأ كل نظام ، وخير من حيث هى كذلك ، فيصير نظام الخير

١٥ معشوقاً له بالعرض ، لكنه لا يتحرك إلى ذلك عن شوق فإنه لا ينفعل منه ألبتة ، ولا يشتاق شيئا ولا يطلبه . فهذه إرادته الخالية عن نقص يجلبه شوق وانزعاج قصد إلى غرض .

(١ — ٢) بها فى جوهره : فى جوهره بها ب (٢) بصورها : + من غير أن تتكثر صورتها فى حقيقة ذاته بصورها ط (٣) الصور : الصورة ط ، م || ذاته : بذاته م || وأنه : وأنها ب ، ح ، ص ، ط ، م || مبدأ كل : مبدأ لكل د (٩) صورته : وصورته م || المعقولة وقد : المعقولية وقد م || المعقولة : الموجودة م || عن : ساقطة من د (٧) الموجود : الوجود ط ؛ الموجودة ح ؛ المعقولة م (٧) بنائية : مباينة ط ، تباينه ب ، د || ثم : ساقطة من ط ؛ لم د || تكون : ساقطة من م (١٠) من ذاته : ذاته م | صورته . الصورة ط (١١) للضىء : المضىء د (١٢) الوجود : الموجود م (١٤) وخير : خير ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٥) منه : عنه ح ، ص ، م ؛ ساقطة من ب (١٦) وانزعاج : وازعاج ب ، د ، ص ، ط .

ولا يظن أنه لو كانت للمعقولات عنده صور وكثرة ، كانت كثرة الصور التي يعقلها أجزاء لذاته ، وكيف وهي تكون بعد ذاته ؟ لأن عقله لذاته ذاته ، ومنها يعقل كل ما بعده ؛ فعقله لذاته علة عقله ما بعد ذاته ، فعقله ما بعد ذاته معلول عقله لذاته . على أن المعقولات والصور التي له بعد ذاته إنما هي معقولة على نحو المعقولات العقلية لا النفسانية ، وإنما له إليها إضافة المبدأ الذي يكون عنه لا فيه ، بل إضافات على الترتيب بعضها قبل بعض ، وإن كانت معا لا تتقدم ولا تتأخر في الزمان ، فلا يكون هناك انتقال في المعقولات .

ولا يظن أن الإضافة العقلية إليها إضافة إليها كيف وجدت ، وإلا لكان كل مبدأ صورة في مادة من شأن تلك الصورة أن تعقل بتدبير ما ، من تجريد وغيره ، يكون هو عقلا بالفعل ، بل هذه الإضافة إليها وهي بحال معقولة . ولو كانت من حيث وجودها في الأعيان ، لكان إنما يعقل ما يوجد في كل وقت ولا يعقل المعدوم منها في الأعيان إلى أن يوجد ، فيكون لا يعقل من نفسه أنه مبدأ ذلك الشيء على الترتيب إلا عندما يصير مبدأ فلا يعقل ذاته ، لأن ذاته من شأنها أن يفيض عنها كل وجود ، وإدراكها من حيث شأنها كذا يوجب إدراك الآخر وإن لم يوجد ، فيكون العالم الربوبي محيطا بالوجود الحاصل والممكن ، ويكون لذاته إضافة إليها من حيث هي معقولة لا من حيث لها وجود في لأعيان .

فبقي لك النظر في حال وجودها معقولة أنها تكون موجودة في ذات الأول كاللوازم التي تلحقه ، أو يكون لها وجود مفارق لذاته وذات غيره كصور مفارقة على ترتيب موضوعة

(١) أنه ، له ط || كانت كثرة الصور : كانت الصورة د (٢) وهي : وهو م ؛ هي ط || ومنها : ومنا ب ، د ، ط ، م ، ه (٣) فعقله لذاته : فعقله بذاته حـ || فعقله : فعقليه ط (٤) ه : ساقطة من م || معقولة : معقولية ب ، د ، ص || المعقولات العقلية لا النفسانية : المعقول العقلي لا النفساني ب ، حـ ، د ، ص ؛ المعقولات العقلي إلا النفساني م (٥) الذي : التي ب ، ص : ط ، م || الترتيب : ترتيب ط (٦) لا تتقدم : لا تتقدم ط || انتقال : أنتقال حـ ، ص ، ط (٧) إضافة : + له ط ، ه (٩) الإضافة : + له حـ ، د ، ط ، م ، ه || كانت : كان حـ ، (١٠) الأعيان : + أعيان م (١١) مبدأ : ساقطة من م || الترتيب : ترتيب م (١٢) من شأنها : شأنها د (١٣) شأنها : + الدفع د (١٤) والممكن : ولكن د (١٦) لك : لنا حـ (١٧) التي : ساقطة من ب ، حـ ، د ، م || وذات : وذوات ط || كصور : كصورة م ؛ لصورة د .

فى صقع الربوبية ، أو من حيث هى موجودة فى عقل أو نفس إذا عقل الأول هذه الصور، ارتسمت فى أيها كان ، فيكون ذلك العقل أو النفس كالموضوعة لتلك الصور المعقولة، وتكون معقولة له على أنها فيه، ومعقولة من الأول على أنها عنه، و يعقل الأول من ذاته أنه مبدأ لها ، فيكون من جملة تلك المعقولات ما المعقول منه أن الأول مبدأ له بلا واسطة ، بل يفيض وجوده عنه أولا ، وما المعقول منه أنه مبدأ له بتوسط فهو يفيض عنه ثانيا ، ٥ وكذلك يكون الحال فى وجود تلك المعقولات ، و إن كان ارتسامها فى شىء واحد ، لكن بعضها قبل و بعضها بعد ، على الترتيب السببى والمسببى .

و إذا كانت تلك الأشياء المرتسمة فى ذلك الشىء من معلولات الأول، فتدخل فى جملة ما الأول يعقل ذاته مبدأ لها ، فيكون صدورها عنه ليس على ما قلنا من أنه إذا عقل خيرا وجد ، لأنها نفس عقله للخير، أو يتسلسل الأمر لأنه يحتاج أن يعقل أنها عقلت ، وكذلك ١٠ إلى مالا نهاية ، وذلك محال فهى نفس عقله للخير . فإذا قلنا لما عقلها وجدت ، ولم يكن معها عقل آخر، ولم يكن وجودها إلا أنها تعقلات ، فإنما يكون كأنا قلنا لأنه عقلها عقلها ، أو لأنها وجدت عنه وجدت عنه .

و إن جعلت هذه المعقولات أجزاء ذاته عرض تكثر، و إن جعلتها لواحق ذاته عرض لذاته أن لايكون من جهتها واجب الوجود لملاصقته ممكن الوجود ، و إن جعلتها أمورا مفارقة ١٥ لكل ذات عرضت الصور الأفلاطونية ، و إن جعلتها موجودة فى عقل ما عرض أيضا ماذكرنا قبل هذا من المحال .

---

(١) صقع : موضع د || الصور: الصورة د ، م (٢) أيها : أيهما ح ، ص ، ط ، م || ذلك : بذلك د (٣) له : ساقطة من م (٤) المعقولات : المعلولات ب ، م || أن الأول : أن المبدأ الأول م || له : لها م (٥) وجوده عنه : عنه وجوده د ؛ وجوده م || منه أنه : أنه منه ح (٦) وإن : ساقطة من د (٨) وإذا : وإذ م || معلولات : المعلولات ط (٩) لها : له ب ، ح ، د ، م || عقل : عقله ، ب ، د ، ص ، ط ، م (١٠) أو يتسلسل : ويتم ط (١٠—١١) لأنه يحتاج ... ما لا نهاية : ساقطة من م (١١) فهى : نفى ب ؛ + فى ب ، د ، ط || عقله : ساقطة من د || عقلها : علقها د (١٢) فإنما : فإنا ح ، م ؛ فإنها ب ، د || لأنه : + عقلا د (١٣) وجدت عنه وجدت عنه : وجدت عنه ب (١٤) وإن جعلت : فإن جعلت ب ، ح ، د ، م (١٦) عرضت الصور : عرضت للصور ط ، م ؛ تعرضت الصور ح (١٧) ماذكرنا : ما ذكرناه ح ، ص ، م || قبل : قبيل م ؛ قبيل من ب ، د .

فينبغى أن تجتهد جهدك فى التخلص من هذه الشبهة ، وتحفظ أن لا تكثر ذاته، ولا تبالى بأن تكون ذاته مأخوذة مع إضافة ما ممكنة الوجود ، فإنها من حيث هى علة لوجود زيد ليست بواجبة الوجود بل من حيث ذاتها . وتعلم أن العالم الربوبى عظيم جدا، وتعلم أنه فرق بين أن يفيض عن الشىء صورة من شأنها أن تعقل ، وأن يفيض عن الشىء صورة معقولة من حيث هى معقولة بلا زيادة ، وهو يعقل ذاته مبدأ لفيضان كل معقول من حيث هو معقول معلول ، كما هو مبدأ لفيضان كل موجود من حيث هو موجود معلول . ثم تجتهد فى تأمل الأصول المعطاة والمستقبلة ليتضح لك ما ينبغى أن يتضح .

فالأول يعقل ذاته ونظام الخير الموجود فى الكل أنه كيف يكون بذلك النظام، لأنه يعقله وهو مستفيض كائن موجود. وكل معلوم الكون ، وجهة الكون عن مبدئه عند مبدئه ، وهو خير غير مناف ، وهو تابع لخيرية ذات المبدأ وكمالها المعشوقين لذاتيهما ، فذلك الشىء مراد ، لكن ليس مراد الأول هو على نحو مرادنا حتى يكون له فيما يكون عنه غرض ، فكأنك قد علمت استحالة هذا وستعلم ، بل هو لذاته مريد هذا النحو من الإرادة العقلية المحضة ، وحياته هذا أيضا بعينه ، فإن الحياة التى عندنا تكمل بإدراك وفعل هو التحريك ينبعثان عن قوتين مختلفتين ، وقد صح أن نفس مدركه — وهو مايعقله عن الكل — هو سبب الكل وهو بعينه مبدأ فعله ؛ وذلك إيجاد الكل ، فمعنى واحد منه هو إدراك وسبيل إلى الإيجاد ، فالحياة منه ليس مما تفتقر إلى قوتين حتى تتم بقوتين ، ولا الحياة منه غير العلم وكل ذلك له بذاته .

وأيضا فإن الصور المعقولة التى تحدث فينا فتصير سببا للصورة الموجودة الصناعية لو كانت بنفس وجودها كافية لأن تكون منها الصور الصناعية — بأن تكون صورها بالفعل

(١) من : من ط || الشبهة : الشبه ب ، م || وتحفظ : وتحفظ د (٥) ذاته : + الأشرف الأصل التى هى ط || لفيضان : + وجود ط (٦) هو : هى ه (٧) ليتضح : ليفتح ب ، ح ؛ ليستفتح ص ؛ يتفتح م ، لينتج د || ينبغى : + لك ح ، ص ، ط || يتضح : يتفتح ب ، ح ، ص ، ط ؛ ينتج د (٩) وهو (الأول) : هو ص ، ط ، م : ساقطة من ح || وجهة : وجد د || من مبدئه : عن ذاته ح ؛ عن د (٩ — ١٠) وهو خير : وخير د (١٠) المعشوقين : المعشوقين د ، م || الشىء : + هو ح (١١) الأول : + تعالى ح (١٢) النحو : والنحو م (١٤) عن : من د || الكل : الكنه د (١٥) إيجاد الكل : إيجاد للكل ب ، ص ، ط ، م (١٨) الصور : الصورة د ، م || المعقولة : المعلولة د || فتصير : فتكون ب (١٩) كانت : كان د ، ط || بنفس : نفس د ، ط || يكون : يتكون ، ح ، د ، ص || بأن : أن م || صورها : صورا هى م : صور ب ، ح د ، ص .

بادئ لما هى له صور – لكان المعقول عندنا هو بعينه القدرة . ولكن ليس كذلك بل وجودها لا يكفى فى ذلك ، لكن يحتاج إلى إرادة متجددة منبعثة من قوة شوقية تحرك منهما معاً القوة المحركة فتحرك العصب والأعضاء الأدوية ، ثم تحرك الآلات الخارجة ، ثم تحرك المادة ، فلذلك لم يكن نفس وجود هذه الصور المعقولة قدرة ولا إرادة ، بل عسى القدرة فينا عند المبدأ المحرك ، وهذه الصورة محركة لمبدأ القدرة ، فتكون محركة المحرك . ٥

فواجب الوجود ليست إرادته مغايرة الذات لعلمه ، ولا مغايرة المفهوم لعلمه ، فقد بينا أن العلم الذى له بعينه هو الإرادة التى له . وكذلك قد تبين أن القدرة التى له هى كون ذاته عاقلة للكل عقلا ، هو مبدأ للكل لا مأخوذاً عن الكل ، ومبدأ بذاته ، لا يتوقف على وجود شىء . وهذه الإرادة على الصورة التى حققناها التى لا تتعلق بغرض فى فيض الوجود ، لا تكون غير نفس الفيض وهو الجود . فقد كنا حققنا لك من أمر الجود ما إذا تذكرته علمت أن هذه الإرادة نفسها تكون جوداً ، وإذا حققت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه إنّ وموجود ثم الصفات الأخرى بعضها يكون المعنى فيها هذا الوجود مع إضافة ، وبعضها هذا الوجود مع سلب ، وليس ولا واحد منها موجباً فى ذاته كثرة ألبتة ولا مغايرة . ١٠ ١٥

فاللواتى تخالط السلب أنه لو قال قائل للأول ، ولم يتحاش ، إنه جوهر ، لم يعن إلا هذا الوجود ، وهو مسلوب عنه الكون فى الموضوع . وإذا قال له : واحد ، لم يعن إلا هذا الوجود نفسه مسلوباً عنه القسمة بالكم أو القول ، أو مسلوباً عنه الشريك

(١) مبادئ : مساو د || له : ساقطة من ب ، ط || صور : صورة حـ ، د ، ص ، ط ، م (٣) الآلات : ساقطة من د || الخارجة : الخارجية د ، ص ، ط (٤) الصور : الصورة ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٥) محركة (الأولى) : + محركة د || محركة (الثانية) : محرك ط (٨) بعينه هو : هو بعينه ب ، حـ ، د ، ص ، م || الإرادة : لإرادته ص || له هى : له هو د ؛ هى له ص (٩) لا يتوقف : لا متوقف م (١٠) حققناها : حققناه د ، م (١١) لا تكون : تكون د ، م ؛ + عن حـ (١١ — ١٢) من أمر الجود . . . وإذا حققت : ساقطة من ط (١٢) تذكرته : تدركه حـ ، ص || وإذا : فإذا ب ، حـ ، ص ، م (١٣) وموجود : موجود ط (١٥) مغايرة : متغايرة حـ (١٦) فاللواتى : فالتى د ، ط || قال : قيل ب ، د (١٧) واحد : الواحد د (١٧ — ١٨) : عنه الكون . . . مسلوبا : ساقطة من ط ، م (١٨) هذا : ساقطة من ب || مسلوبا : مسلوب ب ، حـ (١٨) أو مسلوبا : أو مسلوب حـ .

وإذا قال : عقل وعاقل ومعقول ، لم يعن بالحقيقة إلا أن هذا المجرد مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلائقها مع اعتبار إضافة ما . وإذا قال له : أول ، لم يعن إلا إضافة هذا الوجود إلى الكل . وإذا قال له : قادر ، لم يعن به إلا أنه واجب الوجود مضافاً إلى أن وجود غيره إنما يصح عنه على النحو الذى ذكر . وإذا قال له : حى ، لم يعن إلا هذا الوجود ٥ العقلى مأخوذاً مع الإضافة إلى الكل المعقول أيضاً بالقصد الثانى ؛ إذ الحى هو المدرك الفعال . وإذا قال له : مريد ، لم يعن إلا كون واجب الوجود مع عقليته — أى سلب المادة عنه — مبدأ لنظام الخير كله وهو يعقل ذلك ، فيكون هذا مؤلفاً من إضافة وسلب . وإذا قال له : جواد ، عناه من حيث هذه الإضافة مع السلب ، بزيادة سلب آخر ، وهو أنه لا ينحو غرضاً لذاته . وإذا قال له : خير ، لم يعن إلا كون هذا الوجود مبرأ ١٠ عن مخالطة ما بالقوة والنقص وهذا سلب ، أو كونه مبدأ لكل كمال ونظام وهذا إضافة .

فإذا عقلت صفات الأول الحق على هذه الجهة ، لم يوجد فيها شىء يوجب لذاته أجزاء أو كثرة بوجه من الوجوه .

ولا يمكن أن يكون جمال أو بهاء فوق أن تكون الماهية عقلية محضة ، خيرية محضة ، بريئة عن كل واحد من أنحاء النقص ، واحدة من جهة ، فالواجب الوجود له الجمال ١٥ والبهاء المحض ، وهو مبدأ جمال كل شىء وبهاء كل شىء . وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له ، فكيف جمال ما يكون على ما يجب فى الوجود الواجب ؟ وكل جمال وملاءمة

---

(١) وإذا : فإذا د || وعاقل ومعقول : ومعقول وعاقل ب ، د ، م || المجرد : + فى نفسه د ، ص ، ط || جواز : لجوز د (٢) مخالطة : مخالفة د || إلا : + أن ـ ، ص ، ط (٣) الوجود : الموجود ، ب || وإذا : فإذا ط (٢ — ٣) إلا إضافة . . . يعن به : ساقطة من د (٣) مضافا : مضافا د (٤) وجود : وجوب ب || إنما يصح عنه : عنه إنما يصح ـ ؛ عنه إنما يصح عنه ص ؛ عنه إنما يصح عنه م ؛ إنما يصح د || وإذا : وإذ د || الوجود : + مضافا أن وجود ط (٥) مع : عن ط || المعقول : المعقولة د ، م || بالقصد : بالفصل ط || المدرك : الدارك ـ ، ص ؛ الدراك ب ، د ، م (٦) كون : كوان ط || عقليته : عقلية د (٧) مبدأ لنظام : نظام ط || يعقل : يعلى هامش ص || هذا : هذه د (٨) له : ساقطة من م (٩) أنه : لأنه د (١٠) عن : منه د (١١) صفات : الصفات ط (١٢) الوجوه : + كل اعتدال لأن كل اعتدال هو فى كثرة وبتركيب أو مزاج فيحدث وحدة فى كثرة د : + فصل فى أنه بذاته معشوق وعاشق ولذيذ وملتذ ، وأن اللذة هى إدراك الخير الملائم ، هامش ـ (١٣) أو بهاء : وبهاء م || وخيرية : خيرية ط (١٥) وبهاء : وجمال ب ، ص ، ط ، م ؛ وكمال ـ (١٦) له : عليه د || الواجب : + وجمال م || وملاءمة : بلائمه د ـ

وخير مدرك فهو محبوب معشوق، ومبدأ ذلك كله إدراكه . أما الحسى ، وأما الخيالى وأما الوهمى وأما الظنى ، وأما العقلى ، وكلما كان الإدراك أشد اكتناهاً وأشد تحقيقاً والمدرك أكمل وأشرف ذاتاً ، فإحباب القوة المدركة إياه والتذاذها به أكثر .

فالواجب الوجود الذى هو فى غاية الكمال والجمال والبهاء الذى يعقل ذاته بتلك الغاية والبهاء والجمال ، وبتمام التعقل ، وبتعقل العاقل والمعقول على أنهما واحد بالحقيقة ، ٥ تكون ذاته لذاته أعظم عاشق ومعشوق وأعظم لاذ وملتذ ؛ فإن اللذة ليست إلا إدراك الملائم من جهة ما هو ملائم ، فالحسية إحساس الملائم ، والعقلية تعقل الملائم ، وكذلك فالأول أفضل مدرك بأفضل إدراك لأفضل مدرك ، فهو أفضل لاذ وملتذ ، ويكون ذلك أمرا لا يقاس إليه شىء . وليس عندنا لهذه المعانى أسام غير هذه الأسامى ، فمن استبشعها استعمل غيرها . ١٠

ويجب أن يعلم أن إدراك العقل للمعقول أقوى من إدراك الحس للمحسوس ، لأنه — أعنى العقل — يعقل ويدرك الأمر الباقى الكلى، ويتحد به ويصير هو هو على وجه ما، ويدركه بكنهه لا بظاهره ، وليس كذلك الحس للمحسوس ؛ فاللذة التى تجب لنا : بأن نعقل ملائماً ، هى فوق اللذة التى تكون لنا : بأن نحس ملائماً ولا نسبة بينهما . لكنه قد يعرض أن تكون القوة المدركة لا تستلذ بما يجب أن تستلذ به لعوارض ، كما أن ١٥ المريض لا يستلذ الحلو، ويكرهه لعارض، فكذلك يجب أن يعلم من حالنا ما دمنا فى البدن . فإذا حصل لقوتنا العقلية كمالها بالفعل لا تجد من اللذة ما يجب للشىء فى نفسه ؛ وذلك

---

(١) مدرك : ومدرك ط || معشوق : ومعشوق د || كله : ساقطة من م || الخيالى : الخيال د (٢) الظنى : ظن د || اكتناها : حافزا ب (٣) والمدرك : المدرك د || أكمل : أجمل م || وأشرف وأجل د || فإحباب : وإحباب د || أكثر : أكثره د (٤) فالواجب : الواجب د (٥) وبتعقل : وبتعاقل حـ ؛ وبه يتعقل د (٧) إحساس الملائم : إحساس بلائم ب، د، م || تعقل : تعقل د || الملائم : للملائم ت ، حـ ، د ، ص، م (٨) أفضل(الأول) : أقبل د || إدراك : الأدراك د (٩) أمرا : الأمر د || غير هذه : غيره د (١١) للمحسوس : للمحسوس د (١٣) التى : الذى د (١٤) نعقل : تعقل م ؛ يتفعل ب ، د || اللذة : ساقطة من ب || بينهما : منهما جـ || لكنه : ولكنه د (١٥) المدركة : الدراكة ب ، د ، ص ، ط ، م (١٦) الحلو : بالحلو ط || ويكرهه : أو يكرهه حـ ، د || فكذلك : وكذلك د ، م (١٧) فإذا : فإنا حـ ، ص ؛ فإنا وإن د ، م ؛ فإذا إذا ب || بالفعل : بالعقل د || وذلك : فذلك حـ ، ص ؛ ساقطة من ط .

لعائق البدن . ولو انفردنا عن البـــدن ، كنا بمطالعتنا ذاتنا ، وقد صارت عالما عقليا مطابقا للموجودات الحقيقية ، والجمالات الحقيقية ، واللذات الحقيقية ، متصلة بها اتصال معقول بمعقول ، نجد من اللذة والبهاء ما لا نهاية له . وسنوضح هذه المعانى كلها بعد .

واعلم أن لذة كل قوة حصول كمالها لها ؛ فللحس المحسوسات الملائمة ، وللغضب الانتقام ، وللرجاء الظفر ، ولكل شيء ما يخصه ، وللنفس الناطقة مصيرها عالما عقليا بالفعل . فالواجب الوجود معقول ، عقل أو لم يعقل ، ومعشوق ، عشق أو لم يعشق .

(١) كنا : لكاب ، ـه ، ص ، ط ، م || بمطالعتنا : بمطابقتنا د || صارت : صار م (٢) مطابقا : ب ، ـه ، ص ، م ؛ مطابق د || واللذات : واللذيذات ـه ، ص ، م (٧) عقل : + عقل م || ومعشوق : معشوق ب ، م .

المقالة التاسعة

فى صدور الأشياء عن التدبير الأول والمعاد إليه

سبعة فصول

---

(١) التاسعة : + من الجملة الرابعة من الكتاب م (٢) صدور : صدر ـه || عن : من م || التدبير : + المبدأ ـه ، ص ، ط (٣) سبعة فصول : ساقطة من ، ب ، ـه ، د ، ص ، م .



[الفصل الأول]

(١) فصل
فى صفة فاعلية المبدأ الأول

فقد ظهر لنا أن للكل مبدأ واجب الوجود ، غير داخل فى جنس أو واقع تحت حد أو برهان ، برىء عن الكم والكيف والماهية والأين والمتى والحركة ، لا ند له ولا شريك له ولا ضد له ، وأنه واحد من جميع الوجوه؛ لأنه غير منقسم: لا فى الأجزاء بالفعل ولا فى الأجزاء بالفرض والوهم كالمتصل ، ولا فى العقل بأن تكون ذاته مركبة من معان عقلية متغايرة تتحد منها جملة ؛ وأنه واحد من حيث هو غير مشارك ألبتة فى وجوده الذى له ، فهو بهذه الوحدة فرد ، وهو واحد لأنه تام الوجود ما بقى له شىء ينتظر حتى يتم ،وقد كان هذا أحد وجوه الواحد. وليس الواحد فيه إلا على الوجه السلبى، ليس كالواحد الذى للأجسام ، لاتصال أو اجتماع ، أو غير ذلك مما يكون الواحد فيه بوحدة هى معنى وجودى يلحق ذاتا أو ذواتا .

وقد اتضح لك فيما سلف من العلوم الطبيعية وجود قوة غير متناهية غير مجسمة، وأنها مبدأ الحركة الأولية ، وبان لك أن الحركة المستديرة ليست متكونة تكونا زمانيا ، وقد بان لك من هناك من وجه ما أنه مبدأ دائم الوجود . وقد بان لك بعد ذلك أن واجب الوجود بذاته واجب الوجود من جميع جهاته ،وأنه لا يجوز أن تستأنف له حالة لم تكن، مع أنه قد بان لك أن العلة لذاتها تكون موجبة المعلول،فإن دامت أوجبت المعلول دائما. ولو اكتفيت بتلك الأشياء لكفاك ما نحن فى شرحه ، إلا أنا نزيدك بصيرة .

---

(٢) فصل : ساقطة من د (٣) فاعلية : ماعليه ب ، حـ ، د (٥ — ٦) ولاشريك له : ولا شريك م (٦) جميع الوجوه : وجوه ب ، حـ ، د ، ص ، م || لا فى : فى حـ (٧) الأجزاء : أجزاء د (٨) منها : بها حـ ، د ، ، م || غير : ساقطة من م (٩) الوحدة : الوجود د : الوجوه حـ (١٠) إلا : لا ص || السلبى : الذى د (١١) لاتصال أو اجتماع : بالاتصال والانفصال والاجتماع د (١٢) أو ذواتا : + فصل فى إثبات دوام الحركة بقول مجمل ، ثم بقول مفصل حـ ، ص (١٣) لك : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ط || سلف : + لك ب ، حـ ، ط (١٤) الحركة : ساقطة من ب || لك : ذلك د || وقد : فقد ب ، حـ ، ص ، ط ، م (١٥) لك : ساقطة من م || واجب : الواجب ب ، د ، ص ، ط ، م (١٦) وأنه : فأنه د ، ط (١٨) ولو : فلو حـ ، د .

فنقول: إنك قد علمت أن كل حادث فله مادة ، فإذا كان لم يحدث ثم حدث لم يخل ، إما أن تكون علتا الفاعلية والقابلية لم تكونا لحدثتا ، أو كانتا ، ولكن كان الفاعل لا يحرك والقابل لا يتحرك ، أو كان الفاعل ولم يكن القابل ، أو كان القابل ولم يكن الفاعل .
ونقول قولا مجملا قبل العود إلى التفصيل، إنه إذا كانت الأحوال من جهة العلل كما كانت ٥ ولم يحدث ألبتة أمر لم يكن ، كان وجوب كون الكائن عنها ، أولا وجوبه ، على ما كان ، فلم يجز أن يحدث كائن ألبتة .

فإن حدث أمر لم يكن ، فلا يخلو :

إما أن يكون حدوثه على سبيل ما يحدث، لحدوث علته دفعة، لا على سبيل ما يحدث لقرب علته أو بعدها .

١٠ أو يكون حدوثه على سبيل ما يحدث لقرب علته أو بعدها .

فأما القسم الأول فيجب أن يكون حدوثه لحدوث العلة ومعها غير متأخر عنها ألبتة ، فإنه إن كانت العلة غير موجودة ثم وجدت ، أو موجودة وتأخر عنها المعلول ، لزم ما قلناه في الأول من وجوب حادث آخر غير العلة ، فكان ذلك الحادث هو العلة القريبة . فإن تمادى الأمر على هذه الجهة ، وجبت علل وحوادث دفعة غير متناهية ، ووجبت معا ، ١٥ وهذا مما عرفنا الأصل القاضي بإبطاله ، فبقي أن لا تكون العلل الحادثة كلها دفعة لا لقرب من علة أولى أو بعد .

فبقي أن مبادئ الكون تنتهي إلى قرب علل أو بعدها ، وذلك بالحركة . فإذن قد كان قبل الحركة حركة ، وتلك الحركة أوصلت العلل إلى هذه الحركة ، فهما كالمتماسين ، وإلا رجع الكلام إلى الرأس في الزمان الذي بينهما . وذلك أنه إن لم تماسه حركة كانت

---

(٢) علتا : علتاه د || لا يحرك : لا يتحرك د (٥) وجوبه : وجوده م (٨) يكون : ساقطة من د (٩) أو بعدها : وبعدها ب (١٠) أو يكون . . . أو بعدها : ساقطة من د (١١) لحدوث : بحدوث ح ، ص ، ط (١٢) كانت : كان ح ، ص ، ط (١٣) فكان : وكان د ، ط (١٤) وجبت : وجب د || ووجبت : ووجب د (١٥) وهذا : وهذه ط || فبقي : فيبقى ب ، ط (١٦) أو بعد : أو بعده م (١٧) تنتهي : منته ح (١٨) كالمتماسين : كالمماسين م (١٩) كانت : تلك ص ، ط .

الحوادث الغير المتناهية منها فى آن واحد، إذ لا يجوز أن تكون فى آنات متلاقية متماسة ، فاستحال ذلك، بل يجب أن يكون واحد قد قرب فى ذلك الآن بعد بعد، أو بعد قرب ؛ فيكون ذلك الآن نهاية حركة أولى ؛ تؤدى إلى حركة أخرى ، أو أمر آخر، فإن أدت إلى حركة أخرى وأوجبت ، كانت الحركة التى هى كعلة قريبة لهذه الحركة مماسة لها.

والمعنى فى هذه المماسة مفهوم، على أنه لا يمكن أن يكون زمان بين حركتين ولا حركة فيه ، فإنه قد بان لنا فى الطبيعيات أن الزمان تابع للحركة، ولكن الاشتغال بهذا النحو من البيان يعرفنا إن كانت حركة قبل حركة، ولا يعرفنا أن تلك الحركة كانت علة لحدوث هذه الحركة اللاحقة .

فقد ظهر ظهورا واضحا أن الحركة لاتحدث بعد مالم تكن إلا لحادث، وذلك الحادث لا يحدث إلا بحركة مماسة لهذه الحركة ، ولا تبالى أى حادث كان ذلك الحادث : كان قصدا من الفاعل ، أو إرادة ، أو علما ، أو آلة ، أو طبعا ، أو حصول وقت أوفق للعمل دون وقت ، أو حصول تهيؤ أو استعداد من القابل لم يكن ، أو وصول من المؤثر لم يكن ؛ فإنه كيف كان ، فحدوثه متعلق بالحركة لا يمكن غير هذا .

ولنرجع إلى التفصيل فنقول : إن كانت العلة الفاعلية والقابلية موجودتى الذات ، ولا فعل ولا انفعال بينهما ، فيحتاج إلى وقوع نسبة بينهما توجب الفعل والانفعال .

أما من جهة الفاعل ، فمثل إرادة موجبة للفعل ، أو طبيعة موجبة للفعل ، أو آلة أو زمان .

---

(١) المتناهية : المتناهى د || منها : منهما د (٢) فاستحال : واستحال حـ || بل : بأن د || بعد قرب : بعد بعد قرب ب ، د ، م (٣) ذلك : ساقطة من م || أولى : أولية د ؛ أولا حـ ، ط ، هـ || فإن أدت : فإن فادت ط (٤) وأوجبت : أوجبت م || كانت : كان د || كعلة : لعلة د (٦) للحركة : الحركة د (٧) حركة قبل حركة ولا يعرفنا أن : ساقطة من د || لحدوث : الحدوث د (٨) اللاحقة : ساقطة من ، ب ، حـ ، د ، ص ، م (٩) لحادث : بحادث ط ، م (١٠) أى : أمر د (١١) أو آلة أو طبعا : أو طبعا أو آلة ب ، حـ ، ص ، ط (١٤) ولنرجع : ونرجع د ؛ أو نرجع حـ ، ص || فنقول : ونقول ب ، حـ ، د ، ط ، م || والقابلية : والقابلة م || موجودتى : موجود فى د ؛ موجودة فى م : موجودى ب (١٦) للفعل (الثانية) : + والأفعال حـ .

وأما من جهة القابل ، فمثل استعداد لم يكن :

أو من جهتيهما جميعا مثل وصول أحدهما إلى الآخر .

وقد وضع أن جميع هذا بحركة ما

وأما إن كان الفاعل موجودا ولم يكن قابل البتة ، فهذا محال :

٥ أما أولا ، فلأن القابل كما بينا لا يحدث إلا بحركة أو اتصال فيكون قبل الحركة حركة .

وأما ثانيا ، فإنه لا يمكن أن يحدث ما لم يتقدمه وجود القابل ، وهو المادة ، فيكون قد كان القابل حتى حدث القابل. وأما إن وضع أن القابل موجود والفاعل ليس بموجود ، فالفاعل يحدث ويلزم أن يكون حدوثه بعلة ذات حركة على ما وصفناه .

١٠ وأيضا مبدأ الكل ذات واجبة الوجود ، وواجب الوجود واجب ما يوجد عنه ، وإلا فله حال لم يكن فليس واجب الوجود من جميع جهاته . فإن وضعت الحال الحادثة لا فى ذاته ، بل خارجة عن ذاته كما يضع بعضهم الإرادة ، فالكلام على حدوث الإرادة عنها ثابت ، هل هو بإرادة أو طبع ، أو لأمر آخر أى أمر كان ؟ ومهما وضع أمر حدث لم يكن ، فإما أن يوضع حادثا فى ذاته ، وإما غير حادث فى ذاته ، بل على أنه شئ ١٥ مباين لذاته ، فيكون الكلام ثابتا .

وأن حدث فى ذاته ، كان ذاته متغيرا ، وقد بُيّن أن واجب الوجود بذاته واجب الوجود من جميع جهاته .

---

(٢) جهتيهما : جهتهما ﻫ ، ص ، ط (٣) وضع : صلح ﻫ || هذا : هذه ﻫ ، د ، ص ، ، ط || بحركة : لحركة ب || ما : ساقطة من د (٥) بحركة : + لها ط ؛ + فيها ﻫ ، ص || أو اتصال : وانصال ﻫ ، ص ، ط (٧) لم : ساقطة من د (٨) حتى حدث القابل : ساقطة من م || القابل : ساقطة من ط (٩) يحدث : محدث ص ، ط || بعلة : بعد د || وصفناه : وصفنا ب ، د ، م ، هامش ص : وضعنا ﻫ ، ص (١٠) واجبة : واجب د (١١) حال : ساقطة من د ما فى ، ﻫ || الحادثة : + لها د (١٣) هل هو : أهو م || أو طبع : أو طبعا ب ، ﻫ ، م (١٦) وأن : فأن ﻫ || حدث : وجدث ﻫ ، د .

وأيضا إذا كان هو عند حدوث المباينات عنه كما كان قبل حدوثها ، ولم يعرض ألبتة شئ لم يكن ، وكان الأمر على ما كان ولا يوجد عنه شئ ، فليس يجب أن يوجدعنه شئ بل يكون الحال والأمر على ما كان .

فلا بد من مميز لوجوب الوجود عنه ، وترجيح للوجود عنه بحادث متوسط لم يكن حين كان الترجيح للعدم عنه ، وكان التعطل عن الفعل حاله ، وليس هـذا أمرا خارجا عنه ، فإنا نتكلم فى حدوث الحادث عنه نفسه بلا واسطة أمر يحدث فيحدث به الثانى ، كما يقولون فى الإرادة والمراد . ٥

والعقل الصريح الذى لم يكدر يشهد أن الذات الواحدة إذا كانت من جميع جهاتها كما كانت ، وكان لا يوجد عنها فيما قبل شئ ، وهى الآن كذلك ، فالآن أيضا لا يوجد عنها شئ . فإذا صار الآن يوجد عنها شئ ، فقد حدث فى الذات قصد و إرادة ، أوطبع ، أو قدرة وتمكن ، أو شئ مما يشبه هذا لم يكن . ومن أنكر هذا ، فقد فارق مقتضى عقله لسانا و يعود إليه ضميرا ، فإن الممكن أن يوجد وأن لا يوجد ، لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له أن يوجد إلا بسبب ، وإذا كانت هذه الذات التى للعلة كما كانت ولا تترجح ، ولا يجب عنها هذا الترجيح ، ولا داعى ولا مصلحة ولا غير ذلك ، فلا بد من حادث موجب للترجيح فى هذه الذات إن كانت هى العلة الفاعلية ، و إلا كانت نسبتها إلى ذلك الممكن على ما كان قبل ، ولا تحدث لها نسبة أخرى ؛ فيكون الأمر بحاله ، ويكون الإمكان إمكانا صرفا بحاله . ١٠ ١٥

و إذا حدث لها نسبة فقد حدث أمر ، ولا بد من أن يحدث لذاته وفى ذاته ، فإنها إن كانت خارجة عن ذاته كان الكلام ثابتا ، ولم تكن هى النسبة المطلوبة ؛ فإنا نطلب

---

(٢) الأمر : لأمر د (٣) يكون : ساقطة من ب (٤) مميز : تمييز ب ، د ، م || لوجوب : لواجب د || عنه : ساقطة من ب || وترجيح : أو ترجيح ـه ، ص ، ط ، م || للوجود : الوجود ص ، م (٥) كان : ما كان ط (٦) فإنا : وإنا (٨) يكدر : يكذب طا (٩) وكان لا : ولا كان ـه || وكان : وكانت م || فيما : ساقطة من ب ، ـه ، د (٩) شئ : ساقطة من د || يوجد : يحدث ص (١٠) فقد حدث : وجد وحدث د || وإرادة : أو إرادة ـه ، ص ، ط (١٣) لا : لا د || كما : ساقطة من د ، م || ولا يترجح : ولا ترجح ب ، ط (١٤) عنها : ساقطة من د || الترجيح : الترجح د ، م (١٥) أن : ساقطة من د || هى : ساقطة من د || العلة : الذات ص || الفاعلية : الفاعلة ، ب ، د ، م (١٦) ولا : ولم ـه ، د ، ص ، م (١٨) حدث : حدثت ب ، ـه ، ص ، ط ، م (١٩) إن كانت : وإن كانت ـه .

النسبة الموافقة لوجود كل ما هو خارج عن ذاته بعد ما لم يكن أجمع، كأنها جملة واحدة وفى حال ما لم يوجد شئ، وإلا فقد أخرج من الجملة شيء ونظر فى حال ما بعده. فإن كان مبدأ النسبة مباينا له، فليست هى النسبة المطلوبة، فإذن الحادث الأول يكون على هذا القول فى ذاته، لكنه محال فكيف يمكن أن يحدث فى ذاته شئ وعمن يحدث؟

٥ وقد بان أن واجب الوجود بذاته واحد، فيرى أن ذلك غير الحادث منه فيكون ليست النسبة المطلوبة، لأنا نطلب النسبة الموجبة لخروج الممكن الأول إلى الفعل، أهى عن واجب وجود آخر؟ وقد قيل إن واجب الوجود واحد. وعلى أنه إن كان عن آخر، فهو العلة الأولى والكلام فيه ثابت، ثم كيف يجوز أن يتميز فى العدم وقت ترك ووقت شروع؟ وبماذا يخالف الوقت الوقت؟

١٠ وأيضا، إذ بان أن الحادث لا يحدث إلا لحدوث حال فى المبدأ، فلا يخلو إما ن يكون حدوث ما يحدث عن الأول بالطبع، أو بعرض فيه عن غير الإرادة، أو بالإرادة، إذ ليس بقسرى ولا اتفاق. فإن كان بالطبع، فقد تغير الطبع، أو كان بالعرض فقد تغير العرض.

وإن كان بالإرادة، فلنترك أنها حدثت فيه أو مباينة له، بل نقول: إما أن يكون ١٥ المراد نفس الإيجاد، أو غرضا، ومنفعة بعده، فإن كان المراد نفس الإيجاد لذاته فلم لم يوجد قبل؟ أتراه استصلحه الآن؟ أو حدث وقته؟ أو قدر عليه الآن؟ ولا معنى

---

(١) الموافقة: الموفقة ب، د، ص، ط (٢) فقد: ساقطة من د || أخرج: فأخرج د || من الجملة شيء: شيء من الجملة ط (٣) النسبة: + موافقا م || له: ساقطة من ح || فإذن: فإن م (٤) فى ذاته: فى حد ذاته ح || فكيف: وكيف د، م (٥) بان أن واجب: بان واجب ب، ط || واحد: واحدا ح، ص، ط || غير: عن ب، د، ح، م (٧) أهى: أو هى ب، ح، ص، ط، م || وعلى: على د (٨) فيه: ساقطة من ح، ص || ثابت: + فيه فصل فى أن ذلك لم يكن يتبع لانتظار وقت ولا يكون وقت أولى من وقت ح، ص (١٠) لحدوث: بحدوث ب، ح، ص، ط؛ لحادث م (١١) بالطبع: بطبع ص، ط || بعرض: عرض ب، د، ص، ط، م || عن: ساقطة من ب، د، ص، ط، م (١٢) كان: ساقطة من ب (١٥) ومنفعة: أو منفعة ب، ح، ط، ص (١٦) أتراه: أفتراه ب، ح، ص، ط || الآن: لأن ص || معنى: نعنى ب، م: بمعنى د.

فيما يقوله القائل : إن هذا السؤال باطل ؛ لأن السؤال فى كل وقت عائد ، بل هـذا سؤال حق لأنه فى كل وقت عائد ولازم و إن كان لغرض ومنفعة ، فملوم أن الذى هو للشئ بحيث كونه ولا كونه بمنزلة فليس لغرض ، والذى هو للشئ بحيث كونه منه أولى فهو نافع ؛ والحق الأول كامل الذات لا ينتفع بشئ . وأيضا فإن الأول بماذا سبق أفعاله الحادثة ؟ أبذاته ؟ أم بالزمان ؟ فإن كان بذاته فقط مثل الواحد للاثنين — و إن كانا معا — وحركة المتحرك — بأن يتحرك بحركة ما يتحرك عنه و إن كانا معا — فيجب أن يكونا كلاهما محدثين : الأول القديم ، والأفعال الكائنة عنه و إن كان قــد سبق لا بذاته فقط بل بذاته والزمان بأن كان وحده ولا عالم ولا حركة .

ولا شـــك أن لفظة " كان " تدل على أمر مضى وليس الآن ، وخصوصـا و يعقبه قولك ثم ، فقد كان كون قد مضى قبل أن خلق الخلق ، وذلك الكون هو متناه ، فقد كان إذن زمان قبل الحركة والزمان ؛ لأن المـاضى إما بذاته وهو الزمان ، و إما بالزمان وهو الحركة وما فيها وما معها ؛ فقد بان لك هذا .

فإن لم يسبق بأمر هو ماض للوقت الأول من حدوث الخلق فهو حادث مع حدوثه ، وكيف لا يكون سبق على أوضاعهم بأمر ما للوقت الأول من الخلقة ، وقد كان ولا خلق ، وكان وخلق ؟ وليس " كان ولا خلق " ثابتا عند كونه " كان وخلق " ولا " كونه قبل الخلق " ثابت " مع كونه مع الخلق " وليس " كان ولا خلق " نفس وجوده وحده ؛ فإن ذاته حاصلة بعــد الخلق ، ولا " كان ولا خلق " هو وجوده مع عدم الخلق بلا شىء ثالث ؛ فإن وجود ذاته حاصل بعد الخلق ، وعدم الخلق موصوف بأنه قد كان وليس الآن .

---

(١) يقوله : + قول ب ، ح ، د ، ص ، م (٣) للشيء : الشيء د || كونه : ساقطة من د || لغرض : بعرض ح ، م || للشيء : الشيء د || منه : + ولا كونه بمنزلة فليس بنافع والذى به د (٤) والحق . فالحق د ، م || بشيء : + فصل فى أنه يلزم على قول المعطلة أن يكون الله تعالى سابق الزمان والحركة بزمان ح ، ص || بماذا : ماذا د || سبق : يسبق ب ، ح ، د ، ص ، م (٥) الحادثة : الحادث د || أبذاته : بذاته د (٧) يكونا : يكون ب ، د ، ط (١٠) هو : ساقطة من م (١٠ — ١١) كون قد مضى ... فقد كان : ساقطة من د (١١) إذن : أدنى م (١٢) وما معها : ومعها ب ، ح ، ص ، ط ، م || فقد : قد ب ، د ، م (١٥) ثابتا : ثابت ح (١٦) وليس : ولا د (١٧) نفس وجوده : ولا نفس ووجوده م || نفس : ونفس ح (١٨) حاصل بعد الخلق : ساقطة من ، ب ، ح ، د ، ص ، م .

وتحت قولنا : " كان " معنى معقول دون معقول الأمرين؛لأنك إذا قلت : "وجود ذات وعدم ذات " لم يكن مفهوما منه السبق ، بل قد يصح أن يفهم معه التأخر ، فإنه لو عدمت الأشياء صح وجوده وعدم الأشياء،ولم يصح أن يقال لذلك " كان " بل إنما يفهم السبق بشرط ثالث؛ فوجود الذات شيء،وعدم الذات شيء ، ومفهوم كان شيء موجود غير المعنيين ، وقد وضع هذا المعنى للخالق ممتدا لا عن بداية ، وجوز فيه أن يخلق قبل أى خلق توهم فيه خلقا . فإذا كان هكذا ، كانت هذه القبلية مقدرة مكمّمة ، وهذا هو الذى نسميه الزمان؛إذ تقديره ليس تقديرذى وضع ولاثبات، بل على سبيل التجدد .

ثم إن شئت فتأمل أقاويلنا الطبيعية ، إذ بينا أن ما يدل عليه معنى " كان ويكون " عارض لهيئة غير قارة ، والهيئة غير القارة هى الحركة ، فإذا تحققت علمت أن الأول إنما سبق الخلق عندهم ليس سبقا مطلقا ، بل سبقا بزمان معه حركة وأجسام أو جسم . ١٠

وهؤلاء المعطلة الذين عطلوا الله عن جوده لا يخلو : إما أن يسلموا أن الله كان قادرا قبل أن يخلق الخلق ،أن يخلق جسما ذا حركات بقدر أوقات وأزمنة تنتهى إلى وقت خلق العالم ، أو يبقى مع خلق العالم ويكون له إلى وقت خلق العالم أوقات وأزمنة محدودة ، أو لم يكن للخالق أن يبتدئ الخلق إلا حين ابتدأ .

١٥ وهذا القسم الثانى يوجب انتقال الخالق من العجز إلى القدرة ، أو انتقال المخلوقات من الامتناع إلى الإمكان بلا علة .

---

(٢) معه التأخر : منه التأخير ب ، د ، ط ؛ معه التأخير م (٣) عدمت : انعدمت ط
(٤) شىء (الثانية) : الشيء د (٥) بداية : بذاته ط ، م || وجوز: وجود ط (٦) فإذا : وإذا ط || كان : كانت ط ، م || مكمّمة : ممكنة د ؛ ساقطة من ب ، ـه ، ص (٧) بل : ساقطة من ط . || التجدد : + فصل فى أن المعطلة يلزمهم أن يضعوا وقتا قبل وقت بلا نهاية ،وزمان ممتدا فى الماضى بلا نهاية ـه ، ص (١٠) سبق : يسبق ـه ، د || بل سبقا : ساقط من ط || بزمان : بزمانهم د
(١١) لا يخلو : فلا يخلو ـه ، د (١٢) أن يخلق : أن يبقى ط || أوقات : أوقاته م ؛ ساقطة من ـه ، ص || وأزمنة تنتهى : وأزمنته تنتهى ب ، ـه ، د ، ص ، م (١٣) أو يبقى مع خلق . . . خلق العالم : ساقطة من د || ويكون له : أو يكون له د (١٤) يكن : يمكن م || للخالق : الخالق ب ، ـه ، ص ، ط ، م || إلا حين : إلا بعد حين م || ابتدأ : ابتداءها ب ، د ، ص ، ط
(١٥) الثانى : + محال ، ب ، ـه ، د ، ص || من : ساقطة من د || أو انتقال : وانتقال م
(١٦) من : عن ب ، ـه ، ص .

والقسم الأول يقسم عليهم قسمين، فيقال : لا يخلو إما أن يكون كان يمكن أن يخلق الخالق جسما غير ذلك الجسم إنما ينتهي إلى خلق العالم بمدة وحركات أكثر، أو لا يمكن.

ومحال أن لا يمكن ؛ لما بيناه . فإن أمكن فإما أن يمكن خلقه مع خلق ذلك الجسم الأول الذي ذكرنا قبل هذا الجسم، أو إنما يمكن قبله . فإن أمكن معه فهو محال ؛ لأنه لا يمكن أن يكون ابتداء خلقين متساويي الحركة في السرعة والبطء، ويقع بحيث ينتهيان إلى خلق العالم، ومدة أحدهما أطول من الآخر . وإن لم يمكن معه، بل كان إمكانه مباينا له، متقدما عليه، أو متأخرا عنه، يقدر في حال العدم إمكان خلق شيء ولا إمكانه، وذلك في حال دون حال، وقع ذلك متقدما ومتأخرا، ثم ذلك إلى غير نهاية ؛ فقد وضح صدق ما قدمناه من وجود حركة لابدء لها في الزمان، وإنما البدء لها من جهة الخالق، وإنها هي الحركات السماوية، فيجب أن يعلم أن العلة القريبة للحركة الأولى نفس لا عقل، وأن السماء حيوان مطيع لله تبارك وتعالى .

[الفصل الثاني]

(ب) فصل

في أن المحرك القريب للسماويات لا طبيعة ولا عقل، بل نفس، والمبدأ الأبعد عقل

فنقول : إنا قد بينا في الطبيعيات أن الحركة لا تكون طبيعية للجسم على الإطلاق، والجسم على حالته الطبيعية، إذا كان كل حركة بالطبع مفارقة ما بالطبع لحالة، والحالة التي تفارق

---

(١) عليهم : ساقطة من د (٣) بيناه : بين د || فإما : فلان د (٤) ذكرنا : ذكرناه ح، ص، م || أو إنما : وإنما ب، ح، م (٥) متساويي : متساوى ب، ح، ص، ط ؛ متساوبين د || والبطء : ساقطة من ب، ح، ه، ص، م (٦) من الآخر : ساقطة من ب، ح، د، م || يمكن : يكن م (٧) شيء : + بصفة ب، د، ط، طا، م (٨) وقع : ووقع ب، ح، ص، ط، م || نهاية : النهاية، ح، د، ص، ط || فقد : وقد ص (٩) لابدء : بدوب، د || وإنها : وإنما ح، ص، ط (١٠) الحركات : ساقطة من ب، د، م (١١) تبارك وتعالى : جل جلاله، ح، د، ص، م ؛ تعالى ط (١٤) المحرك : المتحرك د || لا طبيعة ولا عقل : لا طبيعية ولا عقلية م || الأبعد : لا بعد ص، م (١٥) قد : ساقطة من ب، ح، ط، م || الطبيعيات : + أن لكل حركة محركا، فلهذه الحركة محرك، لا يجوز أن يكون المحرك لهذه قوة طبيعية، فإنا قد بينا في الطبيعيات ح، ص (١٦) حالته : حاله ب، ط || لحالة : ساقطة من م .

بالطبع هى حالة غير طبيعية لا محالة ؛ فظاهر أن كل حركة تصدر عن طبع فمن حالة غير طبيعية ، ولو كان شىء من الحركات مقتضى طبيعة الشىء لما كان شىء من نسب الحركات باطل الذات مع بقاء الطبيعة ، بل الحركة إنما تقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعية : إما فى الكيف ، كما إذا سخن الماء بالقسر ، وإما بالكم كما يذبل البدن الصحيح ذبولا مرضيا ، وإما فى المكان كما إذا نقلت المدرة إلى حيز الهواء ؛ وكذلك ٥ إذا كانت الحركة قد تكون فى مقولة أخرى ، والعلة فى تجدد حركة بعد حركة تجدد الحال الغير الطبيعية ، وتقدير البعد عن الغاية .

فإذا كان الأمر على هذه الصفة لم تكن حركة مستديرة عن طبيعة ، وإلا كانت عن حالة غير طبيعية إلى حالة طبيعية ، وإذا وصلت إليها سكنت ، ولم يجز أن يكون فيها بعينها قصد إلى تلك الحالة الغير الطبيعية ؛ لأن الطبيعة ليست تفعل باختيار ، بل على سبيل ١٠ التسخير ، وسبيل ما يلزمها بالذات ؛ فإن كانت الطبيعة تحرك على سبيل الاستدارة فهى تحرك لا محالة : إما من أين غير طبيعى ، أو وضع غير طبيعى ، هربا طبيعيا عنه ؛ وكل هرب طبيعى عن شىء فمحال أن يكون هو بعينه قصدا طبيعيا إليه ، والحركة المستديرة تفارق كل نقطة ، وتتركها ، وتقصد فى تركها تلك النقطة ، وليست تهرب عن شىء إلا وتقصده ، فليست إذن الحركة المستديرة طبيعية . ١٥

---

(١) بالطبع : + لحالة ب ، ـ ، د ، ص ، م || فظاهر : فظهر ـ ، د ، ص || تصدر : صدر ط || فمن : ساقطة من ط (٢) مقتضى : يقتضى م || طبيعة : طبيعية د || نسب : سبب ط (٣) حال : حالة ط (٤) كما : فكما ط (٥) فى : ساقطة من د (٦) إذا : أن ـ ، د ، ص ، م || الحركة : + فى م || مقولة : مقالة د || والعلة : وأما العلة ، ـ ، د || بعد حركة : ساقطة من ب (٧) وتقدير البعد : و بقدر تقدير البعد ـ : و بتقدير البعد ص : والتقدير والبعد ط (٨) الأمر : لأمر ب ، ـ ، د ، ص ، ط (٨) عن : ساقطة من ص (٩) وصلت : وصل ب (١١) التسخير : تسخير ب ، ـ ، ط ، م ، ه || بالذات : فى الذات د || تحرك : تحرك لـ ؛ تحركه د || سبيل : ساقطة من ب ، ـ ، ه (١٣) عن : من ب || يكون : يتكون م (١٤) تركها : + ذلك ـ ، ص || تلك : كل ب ؛ ذلك م || النقطة : النقط ب ، ط ، م || تهرب : هرب ب || عن شىء : عن كل شىء ط .

إلا أنها قد تكون بالطبع — أى ليس وجودها فى جسمها مخالفا لمقتضى طبيعة أخرى لجسمها — فإن الشيء المحرك لها وإن لم يكن قوة طبيعية كان شيئا طبيعيا لذلك الجسم غير غريب عنه ؛ فكأنه طبيعته .

وأيضا فإن كل قوة فإنما تحرك بتوسط الميل ، والميل هو المعنى الذى يحس فى الجسم المتحرك ، وإن سكن قسرا أحس ذلك الميل فيه يقاوم المسكن مع سكونه طالبا للحركة ، ٥ فهو غير الحركة لا محالة ، وغير القوة المحركة ؛ لأن القوة المحركة تكون موجودة عند إتمامها الحركة ولا يكون الميل موجودا ، فهكذا أيضا الحركة الأولى ؛ فإن محركها لا يزال يحدث فى جسمها ميلا بعد ميل ، وذلك الميل لا يمتنع أن يسمى طبيعة ، لأنه ليس بنفس ، ولا من خارج ، ولا له إرادة أو اختيار ، ولا يمكنه أن لا يحرك ، أو يحرك إلى غير جهة محدودة ، ولا هو مع ذلك مضاد لمقتضى طبيعة ذلك الجسم الغريب ، فإن سميت هذا المعنى طبيعة كان لك أن ١٠ تقول : إن الفلك يتحرك بالطبيعة ، إلا أن طبيعته فيض عن نفس يتجدد بحسب تصور النفس ؛ فقد بان أن الفلك ليس مبدأ حركة طبيعية ، وكان قد بان أنه ليس قسرا ، فهى من إرادة لا محالة .

ونقول : إنه لا يجوز أن يكون مبدأ حركته القريب قوة عقلية صرفة لا يتغير ولا يتخيل الجزئيات ألبتة . وكأنا قد أشرنا إلى جمل مما تعين فى معرفة هذا المعنى فى الفصول المتقدمة ، ١٥ وأوضحنا أن الحركة معنى متجدد النسب ، وكل شطر منه مخصص بنسب فإنه لا ثبات له ، ولا يجوز أن يكون عن معنى ثابت ألبتة وحده ؛ فإن كان عن معنى ثابت فيجب أن يلحقه

---

(١) مخالفا : مخالف د || لمقتضى طبيعة : لطبيعة د (٢) شيئا : صبيا ﺣ ، د ، ص ، ط ، م || (٣) فكأنه : وكأنه ﺣ ، د ، ط ، م (٥) الميل فيه : + كأنه به ﺣ ، ص ، ط ، م || يقاوم : يقام ط ؛ مقاوما ص (٦) لأن القوة المحركة : ساقطة من د || تكون : قد تكون ط (٨) لا يمتنع : لا يمنع ﺣ ، د (٩) ولا يمكنه : ولا يمكنها ط (١٠) مضاد : مضادة د || الغريب : غريب ﺣ ، ص ، ط || سميت : سمت د (١١) طبيعته : الطبيعة ﺣ ، د ، ص ، ط || فيض : فيضت ﺣ || نفس : شيء ط (١٢) حركة : حركته ب ، د ، م || طبيعية : طبعه ب ؛ ساقطة من د ؛ طبيعة م || وكان قد : وقد ب ، ص ، ط ، م (١٣) إرادة : الإرادة د || لا محالة : + فصل فى أنه لا يجوز أن يكون للسماويات عقلا مجردا عن المادة صرفا ﺣ ؛ + فصل فى أنه لا يجوز أن يكون المحرك للسماويات عقلا مجردا عن المادة صرفا ص (١٥) ألبتة : ساقطة من م (١٦) وأوضحنا : إذ أوضحنا م ؛ إذا أوضحنا ب ، ﺣ ، د ، ص || النسب : السبب ب ، د || شطر : شرط ﺣ || مخصص : مختص ﺣ || بنسب : بسبب ، ب ، د ، ص ، ط || فإنه : لأنه د .

ضرب من تبدل الأحوال ؛ أما إن كانت الحركة عن طبيعة فيجب أن تكون كل حركة تجدد فيه فلتجدد قرب و بعد من النهاية المطلوبة ، وكل حركة تعدم منه فلعدم قرب و بعد من النهاية ، ولولا ذلك التجدد لم يكن تجددحركة ؛ فإن الثابت من جهة ما هو ثابت لا يكون عنه إلا ثابت .

٥ وأما إن كانت عن إرادة فيجب أن تكون عن إرادة متجددة جزئية ؛ فإن الإرادة الكلية نسبتها إلى كل شطر من الحركة نسبة واحدة ؛ فلا يجب أن تتعين منها هذه الحركة دون هذه ، فإنها إن كانت لذاتها علة لهذه الحركة لم يجز أن تبطل هذه الحركة ، وإن كانت علة لهذه الحركة بسبب حركة قبلها أو بعدها معدومة كان المعدوم موجبا للموجود ، والمعدوم لا يكون موجبا لموجود ، و إن كان قد تكون الأعدام علة للأعدام .

١٠ وأما أن يوجب المعدوم شيئا فهذا لا يمكن .

و إن كانت علة لأمور تتجدد ، فالسؤال فى تجددها ثابت . فان كان تجددا طبيعياً لزم المحال الذى قدمناه ، و إن كان إراديا يتبدل بحسب تصورات متجددة فهو يثبت الذى نريده .

فقد بان أن الإرادة العقلية الواحدة لا توجب ألبتة حركة ، ولكن قد يمكن أن يتوهم ١٥ أن ذلك لإرادة عقلية متنقلة ؛ فإنه قد يمكن أن ينتقل العقل من معقول إلى معقول آخر ، إذا لم يكن عقلا من كل جهة بالفعل ، ويمكن أن يعقل الجزئى تحت النوع منتشراً مخصوصاً بعوارض ، عقلا بنوع كلى على ما أشرنا إليه ؛ فيجب إذن أن يتوهم وجود عقل يعقل الحركة الكلية و يريدها ، ثم يعقل انتقاله من حد إلى حد ، و يأخذ تلك الحركات وحدودها بنوع معقول على ما أوضحناه ، وعلى ما من شأننا أن نبرهن عليه

(١) من : من ــ ص || إن : إذا ــ || كانت : + حركة فيه بعده د (٢) فلتجدد : فتتجدد د || حركة بعدم : جزء نسبه له بعدم م || منه فلعدم : فالعدم ط (٥) إرادة : الإرادة د (٧) لذاتها : بذاتها ــ ، ص ، ط || وإن : فإن د (٧ — ٨) لم يجز... لهذه الحركة : ساقطة من م (١١) علة لأمور : العلة لأمور ب ، ــ ، د ، م العلة علة لأمور ط || كان : كانت ــ ، ص ، ط (١٢) تصورات : التصورات د (١٤) ولكن : ولكنه ب ، ــ ، ص ، ط ، م ، || أن يتوهم : أن يكون يتوهم ــ (١٥) لإرادة : الإرادة د || العقل : الذهن د || آخر : ساقطة من ب ، د ، م (١٧) فيجب : فيجوز ط ، م (١٨) انتقاله : انتقاله ب ، ــ ، ط ، م ، ــ (١٩) وحدودها : وجودها ص ، ط || شأننا : شأنها ، ــ ، د ، ص ، ط .

من أن حركة من كذا إلى كذا فهو من كذا إلى كذا ؛ فتعين مبدأ ما كليا إلى طرف آخر كلى بمقدار ما ، موهوم كلى ، وكذلك حتى تفنى الدائرة ؛ فلا يبعد أن يتوهم أن تجدد الحركة يتبع تجدد هذا المعقول .

فنقول : ولا على هذه السبيل يمكن أن يتم أمر الحركة المستديرة ؛ فإن هذا التأثير على هذا الوجه يكون صادرا عن الإرادة الكلية ، وإن كانت على سبيل تجدد وانتقال ، ٥
والإرادة الكلية كيف كانت فإنما هى بالقياس إلى طبيعة مشترك فيها ؛ وإن كانت إرادة لحركة تتبعها إرادة لحركة ، وأما هذه الحركة التى من ههنا بعينه إلى هناك بعينه فليست أولى بأن تصدر عن تلك الإرادة من هذه الحركة التى من هناك إلى حد ثالث؛ فنسبة جميع أجزاء الحركة المتساوية فى الجزئية إلى واحد واحد من تلك الإرادات الجزئيـة العقلية المنتقلة واحدة، وليس جزء من ذلك أولى بأن ينسب إلى واحد من تلك التصورات من أن ١٠
لا ينسب ، فنسبته إلى مبدئه ولا نسبته واحدة ؛ فإنه بعد عن مبدئه ولم يتميز ، ولم يترجح وجوده عن لا وجوده ، وكل ما لم يجب عن علته فإنه لا يكون ، كما قد علمت .

وكيف يصح أن يقال : إن الحركة من "ا" إلى "ب" لزمت عن إرادة عقلية ، والحركة من "ب" إلى "ج" من إرادة أخرى عقليـــة ، دون أن يلزم عن كل واحدة من تلك الإرادات غير ما لزم من الأخرى ، ويكون بالعكس فإن "ا" ١٥
و"ب" و"ج" متشابهة بالنوع ، وليس شىء من الإرادات الكلية بحيث يعين "ا" دون

---

(١) فهو من : ومن ب || فهو من كذا إلى كذا : ساقطة من د (٢) موهوم : مرسوم ب ، ـﻫ ، ص ، ط ، م . (٣) يتبع : تبع ـﻫ ، ص ، ط (٤) هذه : هذا ـﻫ ، د ، ص || يتم : يتوهم ـﻫ ، ص (٥) وانتقال : والانتقال د (٦) مشترك : مشتركة ـﻫ ، د ، ص ، ط (٧) لحركة تتبعها : الحركة تتبعها د ؛ لا بحركة تتبعها ـﻫ || لحركة وأما : بحركة وأما ـﻫ ، د ؛ محركة وأما ه (٨) بأن : أن ب ، ـﻫ ، د ، ص ، م || هناك إلى : ساقطة من ـﻫ (٩) الإرادات : الإرادة ـﻫ ، د ، ص ، ط || الجزئية : ساقطة من ب ، ـﻫ ، ص ، ط ، م (١٠) وليس : فليس ب ، ـﻫ ، د ، ص ، م || جزء من ذلك : من ذلك جزء م (١١) عن مبدئه : + بإمكان ـﻫ ، د ، ص ، ط (١١) ولم يترجح : ساقطة من م ؛ + بإمكان ب ، ـﻫ (١٢) قد : ساقطة من د ، ص ، م (١٣) وكيف : كيف ص (١٥) الإرادات : الإرادة د || من الأخرى : ساقطة من ب ، ـﻫ ، د ، ص ، م (١٦) بالنوع : فى النوع ب ، ـﻫ ، د ، ص ، ط ، م || ا : الألف م .

"ب" و"ب" دون "ج" وليس "الألف" أولى بأن يتعين من "الباء" و "الجيم" عن تلك الإرادة ما كانت عقلية ، ولا "الباء" من "الجيم" إلا أن تصير نفسانية جزئية ، وإذا لم تتعين تلك الحدود فى العقل بل كانت حدودا كلية فقط ، لم يمكن أن توجد الحركة من "ا" إلى "ب" أولى من التى من "ب" إلى "ج" ولا "الألف" أولى بأن يتعين من "ب" و "ج" عن تلك الإرادة ما كانت عقلية ، ولا "الباء" من "الجيم" .

٥ ثم كيف يمكن أن نفرض فيها إرادة وتصورا ، ثم إرادة وتصورا يختلفان فى أمر متفق ، ولا استناد فيه إلى مخصص شخصى يماس به ؟ ومع هذا كله فإن العقل لا يمكنه أن يفرض هذا الانتقال إلا مشاركا للتخيل والحس ولا يمكننا إذا رجعنا إلى العقل الصريح أن نعقل جملة الحركة وأجزاء الانتقال العقلى فيما نعقله دائرة معا ، فإذن على الأحوال

١٠ كلها لا غنى عن قوة نفسانية تكون هى المبدأ القريب للحركة ، وإن كنا لا نمنع أن يكون هناك أيضا قوة عقلية تنتقل هذا الانتقال العقلى بعد استناده إلى شبه تخيل ، وأما القوة العقلية مجردة عن جميع أصناف التغير فتكون حاضرة المعقول دائما ، إن كان معقوله كليا عن كلى ، أو كليا عن جزئى ، على ما أوضحناه .

فإذا كان الأمر على هذا ، فالفلك يتحرك بالنفس ، والنفس مبدأ حركته القريبة ،

١٥ وتلك النفس متجددة التصور والإرادة ، وهى متوهمة : أى لها إدراك للتغيرات كالجزئيات وإرادة لأمور جزئية بأعيانها ، وهى كمال جسم الفلك وصورته . ولو كانت لا هكذا ، بل قائمة بنفسها من كل وجه ، لكانت عقلا محضا لا يتغير ولا ينتقل ولا يخالطه

---

(١) "ب" ، و "ب" دون "ج" : الألف دون ألف اب والب دون الج د || "ب" و "ب" : الباء والباء ص ، م || "ج" : الجيم ص ، م || وليس الألف : ولا ألف م ؛ فالألف د || بأن يتعين : ساقطة من د || "الباء" و "الجيم" : الب والج د (٢) ولا الباء من الجيم : ولا الباء عن الجيم م ؛ ولا الب ولا الج د (١ — ٢) وليس الألف . . . ولا الباء من الجيم : ساقطة من ب ، ﺣ ، ط (٤) "ا" : ألف ﺣ ، ص ، ط (٥) "ب" و "ج" : الباء والجيم ب ، د || الإرادة : الأرادات د || ولا "الباء" : والباء ﺣ ، ط ؛ ساقطة من ص || من : عن ب ، ﺣ (٤ — ٥) ولا الألف . . . من الجيم : ساقطة من م (٦) ثم كيف : كيف م || يختلفان : مختلفان د (٧) متفق : يتفق م || استناد : اسناد م || مخصص : مخصوص ب ، ط ، م || يماس : بقياس د || كله : ساقطة من ط (٩) العقل : ساقطة من ب ، ﺣ ، د ، ط ، م || على : عن د (١٠) المبدأ : مبدأ ﺣ ، د || للحركة : الحركة ط (١١) استناده : اسناده ب (١٢) حاضرة : حاضر ب ، ﺣ ، د ، ص ؛ حاضرا م (١٣) كليا : كلية م || على : ساقطة من د || أوضحناه : أوضحناه ب ، ﺣ ، ص ، ط ، م (١٤) يتحرك : متحرك ب (١٥) وتلك : وتكون تلك ﺣ || التصور : التصور ط || للتغيرات : المتغيرات د || كالجزئيات : الجزئيات م (١٦) لأمور : الأمور م .

ما بالقوة . والمحرك القريب للفلك و إن لم يكن عقلا ، فيجب أن يكون قبله عقل ، هو السبب المتقدم لحركة الفلك ؛ فقد علمت أن هـذه الحركة محتاجة إلى قوة غير متناهية ، مجردة عن المادة لا تتحرك بالذات ولا بالعرض .

وأما النفس المحركة فإنها — كما تبين لك — جسمانية مستحيلة ومتغيرة وليست مجردة عن المادة ، بل نسبتها إلى الفلك نسبة النفس الحيوانية التى لنا إلينا ، إلا أن لها أن ٥
تعقل بوجه ما تعقلا مشوبا بالمادة ؛ و بالجملة تكون أوهامها أو ما يشبه الأوهام صادقة وتخيلاتها أو ما يشبه التخيلات حقيقية ، كالعقل العملى فينا . و بالجملة إدراكاتها بالجسم ولكن المحرك الأول لها قوة غير مادية أصلا بوجه من الوجوه . و إذ ليس يجوز أن يتحرك بوجه من الوجوه فى أن يحرك ، و إلا لاستحالت ولكانت مادية — كما قد تبين
هذا — فيجب أن يحرك كما يحرك محرك بتوسط المحرك الآخر ، وذلك الآخر محاول للحركة ١٠
مريد لها متغير بسببها ، وهذا هو النحو الذى يحرك عليه محرك المحرك .

والذى يحرك المحرك من غير أن يتغير بقصد واشتياق فهو الغاية ، والغرض الذى إليه ينحو المحرك ، وهو المعشوق ، والمعشوق بما هو معشوق هو الخير عند العاشق ؛ بل نقول : إن كل متحرك حركة غير قسرية فهى هى إلى أمر ما ، ولتشوق أمر ما ، حتى الطبيعة
أيضا ؛ فإن شوق الطبيعة أمر طبيعى ، وهو الكمال الذاتى للجسم : إما فى صورته ، و إما ١٥
فى أينه ووضعه؛ وشوق الإرادة أمر إرادى، إما إرادة لمطلوب حسى كاللذة ، أو وهمى خيالى كالغلبة ، أو ظنى وهو الخير المظنون . فطالب اللذة هو الشهوة ، وطالب الغلبة

---

(١) عقل : ساقطة من ح ، ص ، ط || هو : وهو ح ، ص ، ط (٣) بالذات : ساقطة من ب ، ح ، د ، م : لا بالذات ص (٤) تبين : يتبين م ؛ تبين ح ؛ بين ب ، ط || مستحيلة : ومستحيلة ب ، ح ، ص ، ط ، م || ومتغيرة : متغيرة ب ، ح ، ص ، ط ، م (٥) النفس : ساقطة من ط (٦) تكون : فتكون ب ، ح ، ص ، ط (٧) ما يشبه : يشبه م || العملى : العلى د ؛ العمل م (٩) لاستحالت : لاستحالة د || تبين : يتبين م (١٠) المحرك الآخر : محرك آخر م || وذلك : ذلك ب ، ص ، ط || محاول : مجاورة د (١١) محرك : محركه د || المحرك : + فصل فى أن المحرك الأول كيف يحرك وأنه يحرك على سبيل الشوق إلى الاقتداء بأمره ، لا إلى الاكتساب بشوق الفعل ح (١٢) بقصد : ساقطة من م || واشتياق : ساقطة من م (١٤) متحرك : محرك ب ح ، د ، ط ، م || فهى هى إلى أمر : فهى إلى ح ، ص ؛ فهى أمر ب ، ط || هى إلى . . . حتى : ساقطة من م || ولتشوق : ولشوق ح ، ص (١٥) شوق الطبيعة : الشوق للطبيعة ط .

هو الغضب ، وطالب الخير المظنون هو الظن ، وطالب الخير الحقيق المحض هو العقل ؛ ويسمى هذا الطلب اختياراً . والشهوة والغضب غير ملائم بجوهر الجسم الذى لا يتغير ولا ينفعل ؛ فإنه لا يستحيل إلى حال غير ملائمة ، فيرجع إلى حال ملائمة، فيلتذ أو ينتقم من مخيل له فيغضب . وعلى أن كل حركة إلى لذيذ أو غلبة فهى متناهية . وأيضاً فإن أكثر المظنون لا يبقى مظنوناً سرمدياً .

فوجب أن يكون مبدأ هذه الحركة اختياراً و إرادة لخير حقيق ، فلا يخلو ذلك الخير: إما أن يكون مما ينال بالحركة فيتوصل إليه ، أو يكون خيراً ليس جوهره مما ينال بوجه ، بل هو مباين ؛ ولا يجوز أن يكون ذلك الخير من كمالات الجوهر المتحرك فينال بالحركة، وإلا لانقطعت الحركة، ولا يجوز أن يكون يتحرك ليفعل فعلا يكتسب بذلك الفعل كمالا، كما من شأننا أن نجود لنمدح، ونحسن الأفعال ليحدث لنا ملكة فاضلة، أو نصير خيرين، وذلك ن المفعول يكتسب لأكماله من فاعله ، ومحال أن يعود فيكمل جوهر فاعله ، فإن كمال المعلول أخس من كمال العلة الفاعلة ، والأخس لا يكسب الأشرف والأكمل كمالا ، بل عسى أن يهيئ الأخس للأفضل آلته ومادته حتى يوجد هو فى بعض الأشياء عن سبب آخر .

وأما نحن فإن المدح الذى نطلبه ونرغب فيه هو كمال غير حقيق بل مظنون ، والملكة الفاضلة التى نحصلها بالفعل ليس سببها الفعل ، بل الفعل يمنع ضدها ويهيئ لها . وتحدث هذه الملكة من الجوهر المكمل لأنفس الناس — وهو العقل الفعال — أو جوهر آخر

(١) الحقيق المحض : المحض الحقيق ب ، ط (٤) مخيل : مخيل ب ، د ، ط || لذيذ : اللذيذ ح ، ص ، ط
(٦) فوجب : بوجب ح ، ص || هذه : هذا ب || و إرادة : أو إرادة ح ، ص ، ط ، م || لخير حقيق : لخير الحقيق د ، ط || فلا يخلو : ولا يخلو م || الخير : الجسم م (٧) ينال : + إليه ط || فيتوصل : فيوصل ب ، م ؛ ويتوصل ح ، د || مما : فما د || ينال : + إليه ب ، ط (٨) فينال : فيناله ح ، د ، ص ، ط ، م (٩) يكون : ساقطة من م || يكتسب : فيكتسب د (١٠) شأننا : شأنها د || ونحسن : أو نحسن ط || ليحدث : كى يحدث ط (١١) المفعول : لمفعول د || ومحال : فمحال ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٢) الفاعلة : الفاعلية ح ، ص ؛ ساقطة من م || يكسب : يكتسب د ، م (١٣) بل : ساقطة من ح || الأشياء : + بل ح (١٤) عن : من ب || آخر : الآخر د (١٥) التى : ساقطة من د (١٧) الملكة : الحركة د ؛

يشبهه ؛ وعلى هذا فإن الحرارة المعتدلة سبب لوجود القوى النفسانية ، ولكن على أنها مهيئة للمادة لا موجدة ، وكلامنا فى الموجد ، ثم بالجملة إذا كان الفعل مهيئاً ليوجد كمالا انتهت الحركة عند حصوله .

فبقى أن يكون الخير المطلوب بالحركة خيراً قائماً بذاته ليس من شأنه أن ينال ، وكل خير هذا شأنه فإنما يطلب العقل التشبه به بمقدار الإمكان ؛ والتشبه به هو تعقل ذاته ٥ فى كمالها ، فيصير مثله ، فى أن يحصل له الكمال الممكن له فى ذاته كما حصل لمعشوقه ، فيوجب البقاء الأبدى على أكمل ما يكون لجوهر الشئ فى أحواله ولوازمه كمالا لذلك ، فما كان يمكن أن يحصل كماله الأقصى له فى أول الأمر تم تشبهه به بالثبات ، وما كان لا يمكن أن يحصل كماله الأقصى له فى أول الأمر تم تشبهه به بالحركة .

١٠ وتحقيق هذا هو أن الجوهر السماوى قد بان أن محركه يحرك عن قوة غير متناهية . والقوة التى لنفسه الجسمانية متناهية، لكنها — بما يعقل الأول فيسنح عليها من نوره وقوته دائما — تصير كأن له قوة غير متناهية ؛ فلا يكون له قوة غير متناهية ، بل للمعقول الذى يسنح عليه من نوره وقوته ، وهو — أعنى الجرم السماوى — فى جوهره على كماله الأقصى إذ لم يبق له فى جوهره أمر بالقوة ، وكذلك فى كمه وكيفه ، إلا فى وضعه أو أينه أولا ، ١٥ وفيما يتبع وجودهما من الأمور ثانياً ، وإنه ليس أن يكون على وضع أو أين أولى بجوهره من أن يكون على وضع أو أين آخر له فى حيزه ؛ فانه ليس شئ من أجزاء مدار فلك أو كوكب أولى بأن يكون ملاقياً له أو لجزئه من جزء آخر . فمتى كان فى جزء بالفعل

---

(٢) لا موجدة : موجدة حـ || مهيئا : يهيء م || كمالا : الكمال ط (٣) حصوله : حصولها ، م
(٤) المطلوب : مطلوبا د || بالحركة : الحركة د (٥) هو : + أن حـ ، د ، ص (٦) فى كمالها : ساقطة من حـ ، د ، ص ، م : فى كماله ط || فيصير مثله : ساقطة من ب || فى أن يحصل . . . لمعشوقه : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص ، م (٧) فيوجب : وجب د ، م ؛ يوجب حـ || فيوجب البقاء الأبدى : الأبدى وجب البقاء الأبدى ب || فى : من ط || كمالا : كما ب ، حـ ، ص ، ط
(٨) تشبهه : تشبه د (٩) تشبهه : تشبه ط | به : ساقطة من ب ، د ، م (١٠) هو : ساقطة من ب ، ط ، م || الجوهر : الجرم ب ، ط (١١) بما : لما حـ ، ص ؛ إنما د || عليها : عليه ط ، م (١٣) من : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص ، م (١٤) إذ : إذا حـ (١٤) فى كمه وكيفه : فى كيفه وكميه د ، ط : فى كيفه وكمه م (١٥) وإنه : فإنه حـ ، د ، ص ، ط ، م || بجوهره : لجوهره د (١٦) أو أين : وأين ب ، د || من : فى ط .

فهو فى جزء آخر بالقوة ، فقد عرض لجوهر الفلك ما بالقوة من جهة وضعه أو أينه ، والتشبه بالخير الأقصى يوجب البقاء على أكمل كمال يكون للشئ دائماً ، ولم يكن هذا ممكناً للجوهر السماوى بالعدد ، لحفظ بالنوع والتعاقب ، فصارت الحركة حافظة لما يمكن من هذا الكمال ، ومبدؤها الشوق إلى التشبه بالخير الأقصى فى البقاء على الكمال الأكمل بحسب الممكن ، ومبدأ هذا الشوق هو ما يعقل منه ، وأنت إذا تأملت حال الأجسام الطبيعية فى شوقها الطبيعى إلى أن يكون بالفعل أيناً لم تتعجب أن يكون جسم يشتاق شوقاً إلى أن يكون على وضع من أوضاعه التى يمكن أن تكون له ، أو إلى أن يكون على أكمل ما يكون له من كونه متحركاً ، وخصوصاً ويتبع ذلك من الأحوال والمقادير الفائضة ما يتشبه فيه بالأول تعالى من حيث هو مفيد للخيرات ، لا أن يكون المقصود تلك الأشياء فتكون الحركة لأجل تلك الأشياء ، بل أن يكون المقصود هو التشبه بالأول تعالى — بقدر الإمكان — فى أن يكون على أكمل ما يكون فى نفسه ، وفيما يتبعه من حيث هو تشبه بالأول ، لا من حيث هو يصدر عنه أمور بعده حتى تكون الحركة لأجل ذلك بالمقصود الأول ، كلا .

وأقول : إن نفس الشوق إلى التشبه بالأول من حيث هو بالفعل تصدر عنه الحركة الفلكية صدور الشئ عن التصور الموجب له ، وإن كان غير مقصود فى ذاته بالقصد الأول ؛ لأن ذلك تصور لما بالفعل فيحدث عنه طلب لما بالفعل الأكمل ، ولا يمكن بالشخص فيكون بالتعاقب وهو الحركة ؛ لأن الشخص الواحد إذا دام لم يحصل لأمثاله وجود ، وبقيت دائماً بالقوة .

---

(٢) والتشبه : والتشبيه حـ (٣) لجوهر : لجرم ب ، حـ ، ص ، م || لحفظ : لحفظه حـ ، د ، ص ، ط ، م (٤) التشبه : التشبيه حـ (٦) يكون : + يتالـ حـ ، ص ، ط (٧) أو إلى أن يكون : وكذلك حـ ، ص (٧ — ٨) أكمل ما يكون : أكمل ما ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٨) الفائضة : ساقطة من م ؛ + بقدر أمكان حـ ، ص ، ط (٩) فيه : به حـ || تعالى : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ط ، م || للخيرات : الخيرات ط || أن : ساقطة من م (١٠) أن : بأن حـ || هو : وجود || تعالى : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ط ، م (١١) بقدر : بمقدار د ؛ مقدار م (١٢) حتى تكون : فتكون ب ، د ، ط ، م (١٣) كلا : ساقطة من م (١٦) تصور : التصور ب || فيحدث . . . بالفعل : ساقطة من د || ولا يمكن : ويمكن م .

والحركة تتبع أيضاً ذلك التصور المقصود على هذا النحو ، لا على أن تكون مقصودة أولية و إن كان ذلك التصور الواحد يتبعه تصورات جزئية — ذكرناها وفصلناها — على سبيل الانبعاث لا على سبيل المقصود الأول ، وتتبع تلك التصورات الجزئيـة الحركات المتنقل بها فى الأوضاع ، والجزء الواحد بكماله لا يمكن فى هذا الباب فيكون الشوق الأول على ما ذكرنا ، ويكون سائر ما يتلوه انبعاثات ؛ وهذه الأشياء قد يوجد لها نظائر بعيدة ٥ فى أبداننا ليست تناسبها ، و إن كانت قد تخيلها وتحكيها ، مثل ان الشوق إذا اشتد إلى خليل ، أو إلى شىء آخر، تبع ذلك فينا تخيـلات على سبيل الانبعاث ، يتبعها حركات ليست الحركات التى نحو المشتاق نفســه ، بل حركات نحو شىء فى طريقــه وفى سبيله وأقرب ما يكون منه .

١٠ فالحركة الفلكية كائنة بالإرادة والشوق على هذا النحو ، وهذه الحركة مبــدؤها شوق واختيار ولكن على النحو الذى ذكرناه ، ليس أن تكون الحركة مقصودة بالقصد الأول ؛ وهذه الحركة كأنها عبادة ما ملكية أو فلكية ، وليس من شرط الحركة الإرادية أن تكون مقصودة فى نفسها ، بل إذا كانت القوة الشوقيــة تشتاق نحو أمر يسنح منهـا تأثير يحرك الأعضاء ؛ فتارة يتحرك على النحو الذى يوصل به إلى الغرض ، وتارة على نحو آخر مشابه ١٥ أو مقارب له إذا كان عن تخيل ، سواء كان الغرض أمراً ينال ، أو أمراً يقتدى به ويحتذى حذوه و يتشبه بوجوده .

فإذا بلغ الالتذاذ بتعقل المبــدأ الأول ، وبمـا يعقل منه أو يدرك منه على نحو عقلى أو نفسانى، شغل ذلك عن كل شىء وكل جهة، لكنه ينبعث عن ذلك ما هو أدون مرتبة منه،

---

(١) والحركة : فالحركة ﺤ ، د ، ص ، م || تتبع أيضا : أيضا تتبع ب ، د || المقصود : ساقطة من ﺤ ، د ، ص ، ط ، م (٣) الجزئية : الجزويات د (٤) والجزء : والجزء ﺤ || لا يمكن : + والحركة أنه استكمال د ؛ والحركة أنه استكمال يمكن ﺤ ؛ والحركة آلة استكمال يمكن ص (٥) ذكرنا : ذكرناه ط || قد : ساقطة من ط || لها : بها د (٦) أبداننا : أبدان د || تناسبها : مناسبها د || مثل : ساقطة من د (٧) تبع : يتبع ﺤ ، ص ، ط . (٨) المشتاق : + فى ط || سبيله : سبيل ﺤ (٩) ما : بها د ، ص ، ط (١٠) كائنة : كانت د (١١) الحركة : لحركة د (١٢) كأنها : كأنه ص || أو فلكية : وفلكية د (١٣) يسنح : فسنح ب ، م ؛ فيسنح ط || يحرك : + له ب ، ص ، ﺤ ، ط ، م (١٥) يقتدى : يبتدى م (١٦) ويحتذى : أو يحتذى م (١٨) عن : من م || مرتبة منه : منه مرتبة ب ، ﺤ ، ص ، ط ، م .

وهو الشوق إلى التشبه به بمقدار الإمكان ، فيلزم طلب الحركة لا من حيث هى حركة ، ولكن من حيث قلنا ، و يكون هذا الشوق يتبع ذلك العشق والالتذاذ منبعثاً عنه ، وهذا الاستكمال منبعثاً عن الشوق ، فعلى هذا النحو يحرك المبدأ الأول جرم السماء .

وقد اتضح لك من هذه الجملة أيضاً ، أن المعلم الأول إذا قال : إن الفلك متحرك بطبعه فماذا يعنى ، أو قال : إنه متحرك بالنفس فماذا يعنى ، أو قال : متحرك بقوة غير متناهية تحرك كما يحرك المعشوق، فماذا يعنى، وأنه ليس فى أقواله تناقض ولا اختلاف .

ثم أنت تعلم أن جوهر هذا الخير المعشوق الأول واحد ، ولا يمكن أن يكون هذا المحرك الأول الذى لجملة السماء فوق واحد ، وإن كان لكل كرة من كرات السماء محرك قريب يخصها ، ومتشوق ومعشوق يخصها على ما يراه المعلم الأول ومن بعده من محصل علماء المشائين ؛ فإنهم إنما ينفون الكثرة عن محرك الكل ، و يثبتون الكثرة للحركات المفارقة وغير المفارقة التى يختص واحدا واحدا منها ؛ فيجعلون أول المفارقات الخاصة محرك الكرة الأولى ، وهى عند من تقدم بطلميوس كرة الثوابت ، وعند من تعلم العلوم التى ظهرت لبطلميوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة ، و بعد ذلك محرك الكرة التى تلى الأولى بحسب اختلاف الرأيين ، وكذلك هلم جرا .

فهؤلاء يرون أن محرك الكل شيء واحد ، ولكل كرة بعد ذلك محرك خاص . والمعلم الأول يضع عدد الكرات المتحركة على ما كان ظهر فى زمانه ، ويتبع عددها عدد المبادئ المفارقة . و بعض من هو أسد قولا من أصحابه يصرح و يقول — فى رسالته التى فى مبادئ

(٢) يتبع : تبع ب ، د ، م (٣) الأول : + جميع ح || السماء : السماوية ص || قال (الثانية) : + أنه م (٥ — ٦) أوقال إنه . . . . فماذا يعنى : ساقطة من د (٦) تحرك : بحركة ص || وأنه : فأنه ط || ولا اختلاف : + فصل فى أن لكل فلك جزئى محركا أولا مفارقا قبل نفسه يحرك على أنه معشوق وأن المحرك الأول للكل مبدأ لجميع ذلك ح ، ص (٧) ثم أنت : وأنت د ، م (٩) يخصها : يخصه ب ، د ، ط ، م || ومتشوق : ساقطة من د ، ط || يخصها : يخصه ب ، ط ، م (١٠) الكل : الأول د || و يثبتون : يثبتون د (١١) وغير المفارقة : وغيرها د || يختص : يخص م || الخاصة : الخاصية م (١٢) العلوم : بالعلوم ط ، م (١٣) محيطة : محيط د || بها : ساقطة من م || محرك : فمحرك ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٤) هلم : فهلم ب ، ح ، ص ، ط (١٥) واحد : ساقطة من ب ، ح ، د ، م (١٧) أسد : أشد د || التى : ساقطة من ص ، ط .

الكل — إن محرك جملة السماء واحد لا يجوز أن يكون عدداً كثيراً ، وإن كان لكل كرة محرك ومتشوق يخصانها . والذى يحسن عبارته عن كتب المعلم الأول على سبيل تلخيص، وإن لم يكن يغوص فى المعانى ، يصرح ويقول ما هذا معناه : إن الأشبه والأحق وجود مبدأ حركة خاصة لكل فلك على أنه فيه ، ووجود مبدأ حركة خاصة له على أنه معشوق مفارق. وهذان أقرب قدماء تلامذة المعلم الأول من سواء السبيل .

ثم القياس يوجب هذا ، فإنه قد صح لنا بصناعة المجسطى أن حركات وكرات سماوية كثيرة ومختلفة فى الجهة وفى السرعة والبطء ، فيجب لكل حركة محرك غير الذى للآخر ومشوق غير الذى للآخر ؛ وإلا لما اختلفت الجهات ، ولما اختلفت السرعة والبطء . وقد بينا أن هذه المتشوقات خيرات محضة مفارقة للمادة ، وإن كانت الكرات والحركات كلها تشترك فى الشوق إلى المبدأ الأول ، فتشترك لذلك فى دوام الحركة واستدارتها ونحن ١٠ نزيد هذا بياناً .

[الفصل الثالث]

(حـ) فصل

فى كيفية صدور الأفعال من المبادئ العالية ؛ ليعلم من ذلك ما يجب أن يعلم من المحركات المفارقة المعقولة بذاتها المعشوقة

ولنحقق هذا البيان ، ولنفتتح من مبدأ آخر فنقول : إن قوماً لما سمعوا ظاهر قول ١٥ فاضل المتقدمين إذ يقول : إن الاختلاف فى هذه الحركات وجهاتها يشبه أن يكون للعناية

(١) كان : ساقطة من ب (٢) يخصانها : يخصانه ب ، ص ، ط ، م ؛ يختصا به د (٣) يغوص : يعرض د (٤) خاصة : خاصية ب ، حـ ، ص ، م || أنه : أن د || ووجود : وجود د || خاصة : خاصية ب ، م (٥) قدماء : قدماء ب ، د ، ط || المعلم : معلم حـ (٦) وكرات : ساقطة من ط (٧) لكل : ولكل ب || للآخر : للأخرى ص (٨) ومشوق : ومتشوق د ، ص ، م ؛ يتشوق ب ؛ معشوق حـ || غير الذى للآخر : للذى غير الآخر د || اختلفت (الأولى) : اختلف د ، م || اختلفت (الثانية) : اختلف حـ ، د ، ص ، ط (١١) نزيد هذا : نزيدها حـ ، ص ، ط (١٣) فصل : ساقطة من د (١٤) صدور : صدق ط (١٥) المحركات : المبادئ م || المعقولة : + وأنها حـ ، ص ، ط || المعشوقة : المتشوقة ب ، حـ ، ص ، ط ، م (١٦) ولنحقق : ولنحقيق حـ || فنقول : ونقول حـ ، د ، ص ، م (١٧) فاضل : أفاضل حـ || فاضل المتقدمين : يقصد به اسكندر الأفروديسى .

بالأمور الكائنة الفاسدة التي تحت كرة القمر ، وكانوا سمعوا أيضاً وعلموا بالقياس أن حركات السماويات لا يجوز أن تكون لأجل شيء غير ذواتها ، ولا يجوز أن تكون لأجل معلولاتها ، أرادوا أن يجمعوا بين هذين المذهبين فقالوا : إن نفس الحركة ليست لأجل ما تحت كرة القمر ولكن للتشبه بالخير المحض والشوق إليه .

٥ وأما اختلاف الحركات ، فلاختلاف ما يكون من كل واحد منها في عالم الكون والفساد اختلافاً ينتظم به بقاء الأنواع ، كما أن رجلا خيّراً لو أراد أن يمضي في حاجته سمت موضع ، واعترض إليه طريقان : أحدهما يختص بإيصاله إلى الموضع الذي فيه قضاء وطره ، والآخر يضيف إلى ذلك إيصال نفع إلى مستحق ، وجب في حكم خيريته أن يقصد الطريق الثاني ، وإن لم تكن حركته لأجل نفع غيره بل لأجل ذاته . قالوا :

١٠ فكذلك حركة كل فلك ، إنما هي ليبقى على كماله الأخير دائماً ، لكن الحركة إلى هذه الجهة وبهذه السرعة لينتفع غيره .

فأول ما نقول لهؤلاء : إنه إن أمكن أن يحدث للأجرام السماوية في حركاتها قصد ما لأجل شيء معلول ، ويكون ذلك القصد في اختيار الجهة ، فيمكن أن يحدث ذلك ويعرض في نفس الحركة حتى يقول قائل : إن السكون كان يتم لها به خيرية تخصها

١٥ والحركة كانت لا تضرها في الوجود وتنفع غيرها ، ولم يكن أحدهما أسهل عليها من الآخر أو أعسر فاختارت الأنفع . فإن كانت العلة المانعة عن القول بأن مصير حركتها لنفع الغير ، استحالة قصدها فعلا لأجل الغير من المعلولات ، فهذه العلة موجودة في نفس

(١) الفاسدة : والفاسدة د || سمعوا : سمعوه ب ، ح ، د ، ص ، م (٣) يجمعوا : يجمع د || ليست : ليس ب ، ح ، د ، ص ، م (٤) كرة : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م || للتشبه : للتشبيه ب ، ح ، د ، ص ، ط || والشوق : والتشوق ح (٥) وأما : فأما ب ، د ، ط ، م || فلاختلاف : فلتختلف ب ، م ؛ فيختلف ح ، ط ، ص || من كل : كل من ب ، د ؛ كل ط (٦) حاجته : حاجة ح ، ص ، ط (٧) واعترض : + له ب ، ح ، د ، ص ، م || طريقان : + أحدهم (٨) خيريته : خيرته م (١١) لينتفع : لينفع ح ، م (١٢) إنه : ساقطة من ط || في حركاتها : في حركاته د || ما : ساقطة من د (١٤) ويعرض : ويفرض د ، ص || خيرية : خيريته ح ، ص ، ط (١٥) والحركة : والحركات د || غيرها : غيره ب || ولم : لولم ب || عليها : عليه ح ، د ، ص ، ط ، م (١٦) أو أعسر : وأعسر د || كانت : + نفع ح || بأن : فإن م || مصير : يصير ب ، د ، ط : ساقطة من م || النفع : أنفع م (١٧) موجودة : موجوود د .

قصد اختيار الجهة . وإن لم يمنع هذه العلة قصد اختيار الجهة ، لم يمنع قصد الحركة وكذلك الحال فى قصد السرعة والبطء هذه الحال ، وليس ذلك على ترتيب القوة والضعف فى الأفلاك بسبب ترتيب بعضها على بعض فى العلو والسفل حتى ينسب إليه ، بل ذلك مختلف .

ونقول بالجملة : لا يجوز أن يكون منها شيء لأجل الكائنات ؛ لا قصد حركة ؛ ولا قصد جهة من حركة ، ولا تقدير سرعة وبطء ، بل ولا قصد فعل ألبتة لأجلها ، وذلك لأن كل قصد فيكون من أجل المقصود ، فيكون أنقص وجودا من المقصود ؛ لأن كل ما لأجله شيء آخر فهو أتم وجوداً من الآخر من حيث هو والآخر على ما هما عليه ، بل به يتم للآخر النحو من الوجود الداعى إلى القصد . ولا يجوز أن يستفاد الوجود الأكمل من الشيء الأخس ، فلا يكون ألبتة إلى معلول قصد صادق غير مظنون ، وإلا كان القصد معطيا ومفيداً لوجود ما هو أكمل وجوداً منه .

وإنما يقصد بالواجب شيء يكون القصد مهيئاً له ومفيد وجوده شيء آخر : مثل الطبيب للصحة ، فالطبيب لا يعطى الصحة بل يهيىء لها المادة والآلة ؛ وإنما يفيد الصحة مبدأ أجل من الطبيب ، وهو الذى يعطى المادة جميع صورها ، وذاته أشرف من المادة . وربما كان القاصد مخطئاً فى قصده إذا قصد ما ليس أشرف من القصد ، فلا يكون القصد لأجله فى الطبع بل بالخطأ ؛ ولأن هذا البيان يحتاج إلى تطويل وتحقيق ، وفيه شكوك لا تحل إلا بالكلام المشبع ، فلنعدل إلى الطريق الأوضح فنقول : إن كل قصد فله مقصود ، والعقلى منه هو الذى يكون وجود المقصود عن القاصد أولى بالقاصد من لا وجوده عنه ، وإلا فهو هذر . والشيء الذى هو أولى بالشيء فإنه يفيد كمالا ما ؛

---

(١) وإن : فأن ب (٢) الحال : الحالة حـ ، ط ، م (٥) منها شيء : شيء منها ب ، د ، ط ، م ، هـ (٦) من : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص ، م || ولا تقدير : تقدر د (٧) فيكون : ويكون ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٨) كل ما : + به حـ ، ص ، ط (٩) به يتم : يتم به م || به : ساقطة من د || النحو : + الآخر حـ ، د ، ص ، ط || الداعى : والداعى د (١٠) كان : لكان د (١١) ومفيدا : ويفيد د (١٣) فالطبيب : فأن الطبيب حـ ، ص || يهيىء : مهيىء ط (١٥) وربما : ربما م (١٦) تطويل وتحقيق : نظر وتطويل د (١٧) فلنعدل : + الآن حـ ، د ، ص ، ط ، م (١٩) وجوده : وجود حـ || فهو هذر : فهذر د || يفيد : يفيده ، ب ، د ، م .

إن كان بالحقيقة فحقيقياً ، وإن كان بالظن فظنياً : مثل استحقاق المدح وظهور القدرة وبقاء الذكر ، فهذه وما أشبهها كمالات ظنية . أو الربح ، أو السلامة ، أو رضى الله تعالى وتقدس وحسن معاد الآخرة ، وهذه وما أشبهها كمالات حقيقية لا تتم بالقاصد وحده .

٥ فإذن ، كل قصد ليس عبثاً فإنه يفيد كمالا ما لقاصده لو لم يقصده لم يكن ذلك الكمال ، والعبث أيضاً يشبه أن يكون كذلك ، فإن فيه لذة أو راحة أو غير ذلك أو شيئاً مما علمت أو سائر ما تبين لك .

ومحال أن يكون المعلول المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كمالا لم يكن ، فإن المواضع التي يظن فيها أن المعلول أفاد علته كمالا مواضع كاذبة أو محرفة ، ومثلك ممن أحاط بما

١٠ سلف له من الفنون لا يقصر عن تأملها وحلها .

فإن قال قائل : إن الخيرية توجب هذا ، فإن الخير يفيد الخير ، قيل إن الخير يفيد الخير ولكن لا على سبيل قصد وطلب ليكون ذلك ؛ فإن هذا يوجب النقص ؛ فإن كل طلب وقصد لشيء فهو طلب لمعدوم وجوده من الفاعل أولى من لا وجوده ، وما دام معدوماً وغير مقصود لم يكن ما هو الأولى بالفاعل وذلك نقص ؛ فإن الخيرية لا تخلو :

١٥ إما أن تكون صحيحة موجودة دون هذا القصد ولا مدخل لوجود هذا القصد في وجودها ، فيكون كون هذا القصد ولا كونه عن الخيرية واحداً ، فلا تكون الخيرية توجبه ، ولا يكون حال سائر لوازم الخيرية التي تلزمها بذاتها لا عن قصد هو قصد هذه الحال .

---

(٢) أو الربح : والربح م || أو السلامة : والسلامة ب ، م || أو رضى : ورضاء ب ، ح ، د ص ، ط (٣) تعالى وتقدس : ساقطة من ب ، ح ، ص ، ط || وحسن معاد الآخرة : ساقطة من ح || وهذه وما أشبهها : ساقطة من ح || بالقاصد : بالمقاصد د (٥) يقصده : يقصد ب (٦) شيئا : أشياء ح (٦ ــ ٧) مما علمت أو سائر : من سائر ب ، ح ، ص (٧) أو سائر : سائر ب ، د || تبين : يبين د ، م || لك : + مما علمت ح ، ص : مما علمت أو سائر ما تبين ب (٧) فإن : وإن ب ، ح (١٢) لكن : ساقطة من م || ذلك : + منه ص ، ط || يوجب : يوجبه ب ، ح ، د ، ص ، م (١٣) من : عن ب ، ح ، ص ، ط ، م || الفاعل : القاصد ، ط (١٤) الأولى : أولى د || بالفاعل : بالفعل ب ، م ؛ بالقاصد ط (١٥) القصد : لقصد ح ، ص ، ط (١٦) واحدا : واحد د (١٧) هو قصد : ساقطة ب ، د .

وإما أن يكون بهذا القصد تتم الخيرية وتقوم ، فيكون هذا القصد علة لاستكمال الخيرية وقوامها لا معلولا لها .

وإن قال قائل : إن ذلك للتشبه بالعلة الأولى فى أن خيريته متعدية ، وحتى يكون بحيث يتبعها خير ، فنقول : إن هذا فى ظاهر الأمر مقبول وفى الحقيقة مردود ، فإن التشبه به فى أن لا يقصد شيئا بل بأن ينفرد بالذات ، فإنه على هذه الصفة اتفاقا من جماعة من أهل العلم . وأما استفادة كمال بالقصد فباين للتشبه به ، اللهم إلا أن يقال إن المقصود الأول شىء ، وهذا بالقصد الثانى وعلى جهة الاستتباع ، فيجب فى اختيار الجهة أيضاً أن يكون المقصود بالقصد الأول شيئاً ، وتكون المنفعة المذكورة مستتبعة لذلك المقصود ، فتكون الجهة الخيرية غير مقصودة قصداً أولياً لنفس ما يتبع ، بل يجب أن يكون هناك استكمال فى ذات الشىء مستتبع تلك المنفعة حتى يكون تشبهاً بالأول .

ونحن لا نمنع أن تكون الحركة مقصودة بالقصد الأول على أنها تشبه بذات الأول من الجهة التى قلنا ، وتشبه بالقصد الثانى بذات الأول من حيث يفيض عنه الوجود بعد أن يكون القصد الأول أمراً آخر ينظر به إلى فوق . وأما النظر إلى أسفل واعتباره ، فلو جاز أن يقع بالقصد الأول إلى الجهة ، حتى يكون تشبهاً بالأول فى الاستتباع ، لجاز فى نفس اختيار الحركة . فكانت الحركة لأجل ما تحت ، ويفيض عنها وجود ليس تشبهاً به من حيث هو كامل الوجود ومعشوقه ، إنما ذلك لذاته من حيث ذاته . ولا مدخل البتة لوجود الأشياء عنه فى تشريف ذاته وتكميلها ، بل المدخل أنه على كماله الأفضل ، وبحيث ينبعث عنه وجود الكل لا طلباً وقصداً . فيجب أن يكون الشوق إليه من طريق التشبه على هذه الصورة ، لا على ما لا يتعلق للأول به كمال .

(١) بهذا : بيلمه ﺣ (٢) معلولا : معلولة د ، م ؛ معلول ب || لها : له د ، م (٣) ذلك : هذا ﺣ ، ص || للتشبه : التشبيه ﺣ || أن : ساقطة من د || خيريته متعدية : خيرية مقتدية د (٥) به : ساقطة من ﺣ || شيئا : شىء ب ، د ، م || بأن : أن ب ، د ، ص ، ط ، م (٦) جماعة من أهل : جماعة أهل ب ، د ، ص ، ط ، م (٨) شيئا : شىء ب (٩) الخيرية : ساقطة من ب ، ص ، ط ، م (١٠) مستتبع : يستتبع ب ، د ، ط || تشبها : تشبيها د (١١) أنها : أنه ﺣ || تشبه : يشبه التشبه د ، ﺣ (١٣) به : ساقطة من د ، م || فوق : الفوق ﺣ ، د ، ط ، ص || وأما : فأما ﺣ ، د || أسفل : الأسفل ط (١٤) بالقصد : القصد ب ، م || الجهة : جهة ط || بالأول : + التشبه د ، ط || فى الاستتباع : ساقطة من ب ، ﺣ ، ص ، م (١٥) ويفيض : يفيض ب ، م || عنها : عنهما ط (١٦) ومعشوقه : معشوقه ب ، د ، م || مدخل : دخل ص (١٩) لا يتعلق للأول : يتعلق بالأول م .

فإن قال قائل : إنه كما قد يجوز أن يستفيد الجرم السماوى بالحركة خيراً وكمالا ، والحركة فعل له مقصود ، فكذلك لسائر أفاعيلها ، فالجواب أن الحركة ليست تستفيد كمالا وخيراً ، وإلا لانقطعت عنده ، بل هى نفس الكمال الذى أشرنا إليه . وهى بالحقيقة استثبات نوع ما يمكن أن يكون للجرم السماوى بالفعل ، إذ لا يمكن استثبات الشخص له . فهذه الحركة لا تشبه سائر الحركات التى تطلب كمالا خارجا عنها ، بل يكمل بهذه الحركة نفس المتحرك عنها بذاتها ، لأنها نفس استبقاء الأوضاع والأيون على التعاقب . وبالجملة يجب أن ترجع إلى ما فصلناه فيما سلف حين بينا أن هذه الحركة كيف تتبع تصور المتشوق ، وهذه الحركة شبيهة بالثبات .

فإن قال قايل : إن هذا القول يمنع وجود العناية بالكائنات والتدبير المحكم الذى فيها ، فإنا سنذكر بعد ما نزيل هذا الإشكال ، ونعرف أن عناية البارى بالكل على أى سبيل هى ، وأن عناية كل علة بما بعدها على أى سبيل هى ، وأن الكائنات التى عندنا كيف العناية بها من المبادئ الأولى ومن الأسباب التى وسطها . وقد اتضح بما أوضحناه أنه لا يجوز أن يكون شىء من العلل يستكمل بالمعلول بالذات لا بالعرض ، وأنها لا تقصد فعلا لأجل المعلول وإن كان ترضى به وتعلمه . بل كما أن الماء يبرد بذاته بالفعل ليحفظ نوعه لا ليبرد غيره ، ولكن يلزمه أن يبرد غيره ، والنار تسخن بذاتها بالفعل لتحفظ نوعها لا لتسخن غيرها ، ولكن يلزمها أن تسخن غيرها ، والقوة الشهوانية تشتهى لذة الجماع ليندفع الفضـــل ويتم لها اللذة ، لا ليكون عنها ولد ، ولكن يلزمها ولد ، والصحة

(١) فإن : وإن م || قد : ساقطة من ﺣ (٢) له : لها ب || فكذلك : وكذلك ب ، د ، ط || لسائر : سائر ص (٣) وخيرا : خيرا ﺣ || لانقطعت : انقطعت د || وهى : وهو ب (٤) ما يمكن : ما لا يمكن د (٦) بهذه : هذه ب ، د ، ص ، ط ، م (٧) ما : ساقطة من د (٨) تصور : التصور ب ، ﺣ ، د ، ص ، م (١٠) سنذكر : + من ب ، ﺣ ، ص ، ط (١١) بعدها : بعده ب ، ﺣ ، ط ، م (١٢) ومن الأسباب : والأسباب م || وسطها : وسطتها ط || بما : ما د (١٣) يستكمل : ليستكمل ط || لا بالعرض : إلا بالعرض ب ، ﺣ ، د ، ص ، م (١٤) وتعلمه : وتعمله د || يبرد : يبرده د || يبرد : تبرد ط ، تبرد د (١٦) تشتهى : يشتهى ط (١٧) ليندفع : لتدفع ب ، ص ، ط ، لدفع د ، م || لها : بها د || يلزمها : يلزمه ﺣ ، ص || ولد : ساقطة من ب .

هى صحة بجوهرها وذاتها ، لا لأن تنفع المريض ، لكن يلزمها نفع المريض ، كذلك فى العلل المتقدمة ، إلا أن هناك إحاطة بما يكون ، وعلما بأن وجه النظام والخير فيها كيف يكون ، وأنه على ما يكون وليس فى تلك .

فإذا كان الأمر على هذا ، فالأجسام السماوية إنما اشتركت فى الحركة المستديرة شوقا إلى معشوق مشترك . وإنما اختلفت ، لأن مبادئها المعشوقة المتشوق إليها قد تختلف بعد ٥
ذلك الأول . وليس إذا أشكل علينا أنه كيف وجب عن كل تشوق حركة بهذه الحال ، فيجب أن يؤثر ذلك فيما علمنا من أن الحركات مختلفة لاختلاف المتشوقات .

ولكن بق علينا شىء ، وهو أنه يمكن أن تتوهم المتشوقات المختلفه أجساما لا عقولا مفارقة ، حتى يكون مثلا الجسم الذى هو أخس متشبها بالجسم الذى هو أقدم وأشرف كما ظنه القوم من أحداث المتفلسفة الإسلامية فى تشويش الفلسفة إذ لم يفهم غرض الأقدمين، ١٠
فنقول : إن هذا محال ؛ وذلك لأن التشبه به يوجب مثل حركته وجهتها والغاية التى تؤمها ؛ فإن أوجب القصور عن مرتبته شيئا فإنما يوجب الضعف فى الفعل ، لا المخالفة فى الفعل مخالفة توجب أن يكون هذا إلى جهة وذاك إلى أخرى . ولا يمكن أن يقال : إن السبب فى هذه المخالفة طبيعة ذلك الجسم ، كأن طبيعة ذلك الجسم تعاند أن يتحرك من "ا" إلى "ب" ولا تعاند أن يتحرك من "ب" إلى "ا"؛ فإن هذا محال ؛ لأن الجسم بما هو ١٥
جسم لا يوجب هذا ، والطبيعة بما هى طبيعة لجسم تطلب الأين الطبيعى من غير وضع مخصوص ، ولو كانت تطلب وضعا مخصوصا لكان النقل عنه قسرا ، فدخل فى حركة الفلك معنى قسرى .

---

(١) هى صحة : وهى الصحة د || بجوهرها : بجواهرها د ؛ بجوهرها ـ || لأن : لئن د (٢) الا أن : لا أن ب ، د ، ط (٤) هذا : هذه د || فالأجسام : والأجسام د || اشتركت : اشترك د (٥) اختلفت : اختلف د || تختلف : + هى ـ ، ص ، ط (٦) تشوق : متشوق ص ، م || الحال : الحالة ط (٧) من : + حيث ـ ، د || لاختلاف : لاختلافات ـ (٨) بق : بقى ط (٩) متشبها : تشبها د (١٠) القوم : التقدم ب ، ـ ، ص ، ط ، م || المتفلسفه : الفلسفة د (١١) إن : ساقطة من ب || حركته : حركة د || وجهتها : وجهتا د (١٢) فإن : وإن د || لا المخالفة : لأن المخالفة ـ ، د (١٣) مخالفة توجب : ساقطة من ط || وذاك : وذلك د (١٤) هذه المخالفة : ذلك الخلاف د ، م (١٥) لأن : فأن د ، ص ، م (١٦) هى : هو د ، م || لجسم : الجسم د || تطلب : لا يطلب د || غير : + أين م (١٧) ولو : فلو د .

ثم وجود كل جزء من أجزاء الفلك على كل نسبة محتمل فى طبيعة الفلك، فليس يجب إذن أن يكون إذا أزيل جزء من جهة جاز ، وإن أزيل من جهة لم يجز بحسب بساطته إلا أن يكون هناك طبيعة تقبل حركة إلى جهة فتجيب إلى تلك الجهة ولا تجيب إلى جهة أخرى إن كانت نيفت عن جهتها. وقد قلنا : إن مبدأ هذه الحركة ليست طبيعته، ولا أيضا ٥ هناك طبيعة توجب وضعا بعينه ولا جهات مختلفة ، فليس إذن فى جوهر الفلك طبيعة تمنع تحريك النفس له إلى أى جهة كانت . وأيضا ، لا يجوز أن يقع ذلك من جهة النفس حتى يكون طبعها أن يريد تلك الجهة لا محالة، إلا أن يكون الغرض فى الحركة مختصا بتلك الجهة لأن الإرادة تبع للغرض ليس الغرض تبعا للإرادة. وإذا كان هكذا ، كان السبب مخالفة الغرض . فإذن ، لا مانع من جهة الجسمية، ولا من جهة الطبيعة ، ولا من جهة النفس، ١٠ إلا اختلاف الغرض والقسر أبعد الجميع عن الإمكان. فإذن لو كان الغرض تشبها بعد الأول بجسم من السماوية، لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم، ولم يكن مخالفا له أو أسرع منه فى كثير من المواضع، وكذلك إن كان الغرض لمحرك هذا الفلك التشبه بمحرك ذلك الفلك.

وقد كان بان أنه ليس الغرض فى تلك الحركات شيئا يوصل إليه بالحركة ، وإلا لزم الانقطاع ، بل شيئا مباينا لا يوصل إليه . وبان الآن أنه ليس جسما ، فبقى أن الغرض ١٥ لكل فلك تشبه بشىء غير جواهر الأفلاك من موادها وأنفسها ، ومحال أن يكون بالعنصريات وما يتولد عنها ولا أجسام ولا أنفس غير هذه ، فبقى أن يكون لكل واحد منها تشبه بجوهر عقلى مفارق يخصه وتختلف الحركات وأحوالها اختلافها الذى لها لأجل ذلك ، وإن كنا لا نعرف كيفية وجوب ذلك ولميته ، وتكون العلة الأولى متشوق الجميع

---

(١) كل نسبة : كل شىء نسبة حـ (٢) جزء : ساقطة من د || وإن : بأن د || بحسب : + الطبع م || بساطته : ساقطة من جـ، د، هـ (٣) تقبل : يفعل ب، حـ، ص، ط، م || فتجيب : فيجب ب، د، ط || تجيب : يجب ط (٤) كانت : ساقطة من ب، م || طبيعته : طبيعة ط ؛ طبعه د (٥) فليس : فليست د || تمنع : + من حـ، د، ص، ط، م (٦) له : ساقطة من ص (٨) تبع للغرض ليس الغرض : ساقطة من م || وإذا : فإن د ؛ فإذا م || السبب : المسبب ب، د ؛ ط (١١) بجسم : تم الجسم ص، ط (١٢) كان : ساقطة من حـ، ط (١٣ — ١٤) وإلا لزم الانقطاع : ساقطة من ب، د، ص، ط، م (١٤) لا يوصل إليه : ساقطة من ب، د، ص، ط، م (١٧) منها : + شوق ب، د، ص، ط، م || اختلافها : اختلافا م (١٨) كيفية : كيفيته ط || وجوب : وجود د || ولميته : وكميته ب، حـ، م || متشوق : متشوقة تشوق ط .

بالاشتراك . فهـذا معنى قول القدماء إن للكل محركا واحدا معشوقا وأن لكل كرة محركا يخصها ومعشوقا يخصها. فيكون إذن لكل فلك نفس محركة تعقل الخير ، ولها بسبب الجسم تخيل، أى تصور للجزئيات و إرادة للجزئيات ، و يكون ما تعقله من الأول وما يعقله من المبدأ الذى يخصه القريب منه مبـدأ تشوقه إلى التحرك . و يكون لكل فلك عقل مفارق نسبته إلى نفسه نسبة العقل الفعال إلى أنفسنا ، وإنه مثال كلى عقلى لنوع فعله فهو يتشبه به . ٥

و بالجملة ، لا بد فى كل متحرك منها لغرض عقلى من مبدأ عقلى يعقل الخير الأول ، وتكون ذاته مفارقة ، فقـد علمت أن كل ما يعقل مفارق الذات ؛ ومن مبدأ للحركة جسمانى أى مواصل للجسم ، فقد علمت أن الحركة السماوية نفسانية تصدر عن نفس مختارة متجددة الاختيارات على الاتصال جزئيتها ، فيكون عدد العقول المفارقة بعد المبدأ الأول بعدد الحركات . فإن كانت الأفلاك المتحيرة إنما المبدأ فى حركة كرات كل كوكب فيها ١٠ قوة تفيض من الكواكب ، لم يبعد أن تكون المفارقات بعدد الكواكب لا بعدد الكرات وكان عددها عشرة بعد الأول : أولها العقل المحرك الذى لا يتحرك وتحريكه لكرة الجرم الأقصى ، ثم الذى هو مثله لكرة الثوابت ، ثم الذى هو مثله لكرة زحل ، وكذلك حتى ينتهى إلى العقل الفائض على أنفسنا ، وهو عقل العالم الأرضى ، ونحن نسميه العقل الفعال. وإن لم يكن كذلك ، بل كان كل كرة متحركة لها حكم فى حركة نفسها ولكل كوكب ، كانت ١٥ هذه المفارقات أكثر عدداً ، وكان يلزم على مذهب المعلم الأول قريباً من خمسين فما فوقها ، وآخرها العقل الفعال ؛ وقد علمت من كلامنا فى الرياضات مبلغ ما ظفرنا به من عددها.

---

(١) للكل : لكل ط || وأن : فأن د ؛ ساقطة من ب (١ — ٢) محركا يخصها : محركا يخصوما د
(٢) يخصها : ساقطة من جـ ، ص (٣) تخيل : تخيلا د || أى : أو ، م || الأول وما يعقله : الأول ما يعقله جـ : ساقطة من د || المبدأ : + القريب جـ ، د ، ص ، م (٤) القريب : القرب ط || التحرك : التحريك جـ ، د ، ص || ويكون : فيكون د ، ط ؛ ساقطة من ب || لكل : ولكل ب
(٥) نسبة : + الكل م || أنفسنا : قوسنا ط (٦) و بالجملة لابد فى : ساقطة من م || لغرض : بغرض د || مبدأ عقلى : + أعلى د || الخير : الجزء جـ (٨) جسمانى : الجسمانى ط || أى : + هو د ، ط ؛ + من م || مواصل للجسم : أصل للجسم د ، م || مختارة : مختار جـ (٩) الاختيارات : الاختيار م (١٠) الأفلاك : أفلاك ب ، م ؛ ساقطة من د || فيها : منها د ، ب ، جـ ، م (١١) من : عن ب ، د || الكواكب : الكوكب ب ، د ، م || الكواكب (الثانية) : + لها ب ، د ، ص ، ط ، م || لا : ما م (١٢) وكان : فكان د || بعد الأول : بالأول د ؛ أبعد الأول م || الجرم : الجسم د (١٣) هو مثله لكرة الثوابت : مثله لكرة الثوابت د ، ط || وكذلك : فكذلك د (١٤) ونحن نسميه : ونسميه نحن د ، م
(١٥) متحركة : يتحرك ط (١٦) يلزم : ساقطة من جـ ، ص ، م || فوقها : فوقه ب ، د ، ص ، م .

[الفصل الرابع]

(د) فصل

فى ترتيب وجود العقل والنفوس السماوية والأجرام العلوية عن المبدأ الأول

قد صح لنا فيما قدمناه من القول أن الواجب الوجود بذاته واحد ، وأنه ليس بجسم ولا فى جسم ولا منقسم بوجه من الوجوه، فإذن الموجودات كلها وجودها عنه ، ولا يجوز أن يكون له مبدأ بوجه من الوجوه ولا سبب لا الذى عنه ، ولا الذى فيه أو به يكون ، ولا الذى له ، حتى يكون لأجل شىء، فلهذا لا يجوز أن يكون كون الكل عنه على سبيل قصد منه كقصدنا لتكوين الكل ولوجود الكل فيكون قاصداً لأجل شىء غيره وهذا الفصل قد فرغنا من تقريره فى غيره ، وذلك فيه أظهر ، ونخصه من بيان امتناع أن يقصد وجود الكل عنه إن ذلك يؤدى إلى تكثره فى ذاته ؛ فإنه حينئذ يكون فيه شىء بسببه يقصد ، وهو معرفته وعلمه لوجوب القصد أو استحبابه أو خيرية فيه توجب ذلك ، ثم قصد ، ثم فائدة يفيدها إياه القصد على ما أوضحنا قبل ؛ وهذا محال ؛ وليس كون الكل عنه على سبيل الطبع بأن يكون وجود الكل عنه لا بمعرفة ، ولا لرضى منه ، وكيف يصح هذا وهو عقل محض يعقل ذاته ؟ فيجب أن يعقل أنه يلزمه وجود الكل عنه ؛ لأنه لا يعقل ذاته إلا عقلا محضا ومبدأ أولا ، وإنما يعقل وجود الكل عنه على أنه مبدئه وليس فى ذاته مانع أو كاره لصدور الكل عنه ، وذاته عالمة بأن كماله وعلوه بحيث يفيض

(٢) فصل : ساقطة من د (٣) وجود : ساقطة من ط (٤) عن المبدأ الأول : من الأول ج ؛ عن الأول د ، ص ، م (٦) منقسم : ينقسم ب ، ج ، ص ، ط ، م || عنه : عنده د (٧) سبب : بسبب ج || عنه : عليه د (٧ — ٨) لا الذى عنه ، ولا الذى فيه أو به يكون ولا الذى : لا الفاعل عنه ولا المادة فيه أو به يكون ولا الغاية ج (٨) عنه : ساقطة من د (١٠) فرغنا : عرفنا م || أظهر : + شىء ط || ونخصه : وشىء نخصه م (١١) تكثره فى ذاته : تكثر ذاته ب ، د ، ص ، م ؛ تكثر ط || حينئذ يكون فيه : يكون فيه حينئذ ج ، د ، ص ، ط || بسببه : بسبب ج ، ص ، ط (١٢) لوجوب : بوجوب ج ، ص ، ط : لوجود ، د || خيرية : خيريته د ، م (١٣) ثم فائدة : فائدة د (١٤) لا بمعرفة : لا بمعرفته ط ؛ المعرفة د || لرضى : رضى ب ، ج ، ص ، ط ، م (١٥) يعقل : ساقطة من د .

عنه الخير، وأن ذلك من لوازم جلالته المعشوقة له لذاتها، وكل ذات يعلم ما يصدر عنه، ولا تخالطه معاوقة ما بل يكون على ما أوضحنا بيانه ؛ فإنه راض بما يكون عنه ؛ فالأول راض بفيضان الكل عنه ، ولكن الحق الأول إنما فعلُه الأول و بالذات أنه يعقل ذاته التي هي لذاتها مبدأ لنظام الخير في الوجود ؛ فهو عاقل لنظام الخير في الوجود ، وأنه كيف ينبغي أن يكون ، لا عقلا خارجا عن القوة إلى الفعل ، ولا عقلا متنقلا من معقول ٥
إلى معقول ؛ فإن ذاته بريئة عما بالقوة من كل وجه على ما أوضحناه قبل ، بل عقلا واحداً ، ويلزم ما يعقله من نظام الخير في الوجود أن يعقل أنه كيف يمكن ، وكيف يكون أفضل ما يكون أن يحصل وجود الكل على مقتضى معقوله ؛ فإن الحقيقة المعقولة عنده هي بعينها على ما علمت ، علم وقدرة وإرادة . وأما نحن فنحتاج في تنفيذ ما نتصوره إلى قصد وحركة وإرادة حتى توجد ، وهو لا يحسن فيه ذلك ولا يصح له لبراءته عن ١٠
الاثنينية ، وعلى ما أطنبنا في بيانه فتعقُّله علة للوجود على ما يعقله ووجود ما يوجد عنه على سبيل لزوم لوجوده وتبع لوجوده ، لا أن وجوده لأجل وجود شيء آخر غيره ، وهو فاعل الكل بمعنى أنه الموجود الذي يفيض عنه كل وجود فيضانا مباينا لذاته ، ولأن كون ما يكون عن الأول إنما هو على سبيل اللزوم إذ صح أن واجب الوجود بذاته واجب الوجود من جميع جهاته، وفرغنا من بيان هذا الفرض قبل. فلا يجوز أن يكون أول الموجودات ١٥
عنه — وهي المبدعات — كثيرة لا بالعدد ولا بالانقسام إلى مادة وصورة؛ لأنه يكون لزوم ما يلزم عنه هو لذاته ، لا لشيء آخر . والجهة والحكم الذي في ذاته الذي يلزم عنه هذا الشيء ليست الجهة والحكم الذي في ذاته الذي يلزم عنه ، لا هذا الشيء بل غيره ؛

---

(١) يصدر: صدر حـ (٢) أوضحنا : أوضحناه حـ، ص || بيانه : ساقطة من ب ، حـ ، ص، م || ولا يخالطه ... ...يكون عنه : ساقطة من ط (٣) عنه : منه ط (٤) هي لذاتها: لذاتها هي د || لنظام (الأولى) : النظام ط || الخير في الوجود وأنه : ساقطة من د || وأنه : ساقطة من م (٥) كيف : وكيف ب ، حـ ، ص || من : عن د (٦) فإن : فإنه د || أوضحناه : أوضحنا ب ، م (٧) واحدا : + ما د ب ، حـ ، ص ، ط || أن : إذ م ؛ وأن حـ ، د ، ص || وكيف : ساقطة من د (٩) على : ساقطة من د (١٠) وحركة وإرادة : وإرادة وحركة حـ ، د ، ص ، م || له : ساقطة ب ، د ، م (١١) الاثنينية : اللاثنينية ط (١٢) وتبع : ساقطة من ب || لوجوده لا أن : لا أن ب ، ط (١٣) بمعنى : يعني د (١٤) واجب : الواجب حـ ، د ، ص ، م (١٧) لذاته : + الذي حـ || يلزم عنه : عنه يلزم م (١٨) في ذاته الذي : ساقطة من م .

فإن لزم منه شيئان متباينان بالقوام ، أو شيئان متباينان يكون منهما شئ واحد : مثل مادة وصورة ، لزوما معا ، فإنما يلزمان عن جهتين مختلفتين فى ذاته ؛ وتلك الجهتان إن كانتا لا فى ذاته بل لازمتين لذاته ، فالسؤال فى لزومها له ثابت حتى تكونا من ذاته ، فتكون ذاته منقسمة بالمعنى ، وقد منعنا هذا قبل و بينا فساده ؛ فتبين أن أول
٥ الموجودات عن العلة الأولى واحد بالعدد ، وذاته وماهيته واحدة لا فى مادة ، فليس شئ من الأجسام ولا من الصور التى هى كمالات للأجسام معلولا قريبا له ، بل المعلول الأول عقل محض ؛ لأنه صورة لا فى مادة ، وهو أول العقول المفارقة التى عددناها ، ويشبه أن يكون هو المبدأ المحرك للجرم الأقصى على سبيل التشويق . ولكن لقائل أن يقول : إنه لا يمتنع أن يكون الحادث عن المبدأ الأول صورة مادية ، لكنها يلزم عنها
١٠ وجود مادتها فنقول : إن هذا يوجب أن تكون الأشياء التى بعد هذه الصورة وهذه المادة تالية فى درجة المعلولات ، وأن يكون وجودها بتوسط المادة ، فتكون المادة سببا لوجود صور الأجسام الكثيرة فى العالم وقواها ، وهذا محال ؛ إذ المادة وجودها أنها قابلة فقط وليست سببا لوجود شئ من الأشياء على غير سبيل القبول . فإن كان شئ من المواد ليس هكذا فليس هو مادة إلا باشتراك الاسم فيكون إن كان الشئ المفروض ثابتا
١٥ ليس على صفة المادة إلا باشتراك الاسم ، فالمعلول الأول لا تكون نسبته إليه على أنه صورة فى مادة إلا باشتراك الاسم ، فإن كان هذا الثانى من جهة توجد عنه هذه المادة ، ومن جهة أخرى توجد صورة شئ آخر ، حتى لا تكون الصورة الأخرى موجودة بتوسط المادة ، كانت الصورة المادية تفعل فعلا لا يحتاج فيه إلى المادة ، وكل شئ يفعل فعله من غير أن يحتاج إلى المادة فذاته أولا غنية عن المادة ، فتكون الصورة المادية غنية عن المادة .

---

(١) أو شيئان : وشيئان د (٢) مثل : متصل د || مختلفتين : مختلفين ط (٣) لذاته : له م || له : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص ، م (٤) منقسمة : منقسما د ، م || فتبين : مبين ب ، ح ، د ، ط ، م (٥) واحدة : وحده ب ، ح ، ص ، ط ، م (٦) الصور : الصورة د ، م || للأجسام : الأجسام ب ، ط ، م || قريبا له : له قريبا ب (٧) عقل : عقل د (٨) هو . ساقطة من د ؛ + هذا د ، ط || المحرك : المتحرك د || التشويق : التشوق ط (٩) لا يمتنع : لا يمنع ح ، م ، ص (١٠) وهذه : وبعد هذه ط || المادة : + تكون ح ، د ، ص ، ط ، م (١١) المعلولات : المعلول م (١٢) وقواها : وقوامها د ، ص ، ط ؛ وقومها ح (١٤) ثابتا : ثانيا ط ؛ ساقطة من ح ، ص (١٥) نسبته : نسبة ط (١٦) مادة : مادته م (١٥ — ١٦) فالمعلول ... الاسم : ساقطة من ب (١٦) الثانى : الأول ح (١٨) وكل : فكل ص .

و بالجملة فإن الصورة المادية و إن كانت علة للمادة فى أن تخرجها إلى الفعل وتكملها فإن للمادة أيضا تأثيرا فى وجودها وهو تخصيصها وتعيينها ، و إن كان مبدأ الوجود من غير المادة كما قد علمت ، فيكون لا محالة كل واحد منهما علة للأخرى فى شئ ، وليسا من جهة واحدة ؛ ولولا ذلك لاستحال أن يكون للصورة المادية تعلق بالمادة بوجه من الوجوه ؛ ولذلك قد سلف منا القول : أن المادة لا يكفى فى وجودها الصورة فقط ، ٥ بل الصورة كجزء العلة ؛ و إذا كان كذلك فليس يمكن أن تجعل الصورة من كل وجه علة للمادة مستغنية بنفسها ؛ فبين أنه لا يجوز أن يكون المعلول الأول صورة مادية أصلا ولا أن يكون مادة أظهر ؛ فوجب أن يكون المعلول الأول صورة غير مادية أصلا بل عقلا ، وأنت تعلم أن ههنا عقولا ونفوسا مفارقة كثيرة ؛ فمحال أن يكون وجودها مستفادا بتوسط ما ليس له وجود مفارق ؛ لكنك تعلم أن فى جملة الموجودات عن الأول ١٠ أجساما ؛ إذ علمت أن كل جسم ممكن الوجود فى حيز نفسه وأنه يجب بغيره ، وعلمت أنه لا سبيل إلى أن يكون عن الأول تعالى بغير واسطة ، فهى كائنة عنه بواسطة وقد علمت أنه لا يجوز أن تكون الواسطة وحدة محضة لا اثنينية فيها ، فقد علمت أن الواحد من حيث هو واحد إنما يوجد عنه واحد ، فبالحرى أن يكون عن المبدعات الأول بسبب اثنينيته يجب أن يكون فيها ضرورة أو كثرة كيف كانت ، ولا يمكن فى العقول المفارقة ١٥ شئ من الكثرة إلا على ما أقول : إن المعلول بذاته ممكن الوجود ، و بالأول واجب الوجود ، ووجوب وجوده بأنه عقل ، وهو يعقل ذاته ، و يعقل الأول ضرورة ، فيجب أن يكون

---

(١) المادية : المادة ط (٢) وتعيينها : وتعينها د || كان : كانت د || الوجود : + وجودا ط
(٣) فى شئ : ساقطة من ب || وليسا : وليستا حـ ، ص ، ط (٤) المادية : المادة د
(٥) القول : قول حـ ، ص ، ط (٧) بنفسها : عن النفس حـ ؛ بنفسها عنها ص || صورة : + شيرط ||
أصلا : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ص ، م (٨) ولا أن : ولأن ب ، م ؛ وثلا حـ ، ص ، ط || فوجب : فواجب ب ، حـ ، ص ، ط ، م || الأول : ساقطة من ط (٩) بل عقلا : وعقلا م (١٠) وجود : + وههنا شكوك قد خلت ، بأنه لا يجب أن يتصور معنى الممكن على ما شرح أولا فى بعض تصورات متقدمة ، أن الممكن الذى تقرر به الوجود أوليا يجوز أن يكون سببا لوجود شئ آخر حـ || لكنك : ولكنك د ، ط (١١) إذ : إذا ط ؛ + قد حـ || علمت : علمه د (١٢) وأنه : فأنه د || تعالى : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط ، م || فهى كائنة : ساقطة د || قد : ساقطة من ب ، حـ ، د ، ط ، م (١٣) تكون : ساقطة من حـ || لا اثنينية فيها : ساقطة من د ، ب ، حـ ، م (١٤) أن : ساقطة من د || الأول : الأول ب ، ص (١٦) و بالأول : بالأول د (١٧) بأنه عقل وهو يعقل ذاته : يلزمه أنه عقل وهو يعقل ذاته حـ ؛ يلزمه أن عقل ذاته ط .

فيه من الكثرة معنى عقله لذاته ممكنة الوجود في حيزها ، وعقله وجوب وجوده من الأول المعقول بذاته ، وعقله للأول ، وليست الكثرة له عن الأول ، فإن إمكان وجوده أمر له بذاته لا بسبب الأول ، بل له من الأول وجوب وجوده ، ثم كثرة أنه يعقل الأول ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الأول ، ونحن لا نمنع أن يكون

٥ عن شئ واحد ذات واحدة ، ثم يتبعها كثرة إضافية ليست في أول وجوده ، ولا داخلة في مبدأ قوامه ، بل يجوز أن يكون الواحد يلزم عنه واحد ، ثم ذلك الواحد يلزمه حكم وحال ، أو صفة ، أو معلول ، ويكون ذلك أيضا واحدا ، ثم يلزم عنه بمشاركة ذلك اللازم شيء ، فيتبع من هناك كثرة كلها يلزم ذاته ، فيجب إذن أن تكون مثل هذه الكثرة هي العلة لإمكان وجود الكثرة فيها عن المعلولات الأول ، ولولا هذه الكثرة

١٠ لكان لا يمكن أن يوجد منها الا واحدة ، ولم يمكن أن يوجد عنها جسم ، ثم لا إمكان للكثرة هناك إلا على هذا الوجه فقط ، وقد بان لنا فيما سلف أن العقول المفارقة كثيرة العدد ، فليست إذن موجودة معا عن الأول بل يجب أن يكون أعلاها هو الموجود الأول عنه ثم يتلوه عقل وعقل ، ولأن تحت كل عقل فلكا بمادته وصورته التي هي النفس وعقلا دونه ، فتحت كل عقل ثلاثة أشياء في الوجود ، فيجب أن يكون إمكان وجود هذه

١٥ الثلاثة عن العقل الأول في الإبداع لأجل التثليث المذكور ، والأفضل يتبع الأفضل من جهات كثيرة ، فيكون إذن العقل الأول يلزم عنه بما يعقل الأول وجود عقل تحته ، وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك الأقصى ، وكمالها وهي النفس ، وبطبيعة إمكان الوجود الحاصلة له المندرجة في تعقله لذاته وجود جرمية الفلك الأقصى المندرجة في جملة ذات الفلك الأقصى بنوعه ، وهو الأمر المشارك للقوة فيما يعقل الأول ،

---

(١) ممكنة : يمكن ص (٢) وعقله ؛ عقله م : عقل ط (٤) ذاته : أنه ط || كثرة : كثيرة د || وجوده : وحدته ب ، ص ، ح ، ط ، م (٥) عن : ساقطة من م (٦) ولا داخلة : وداخلة د ، ب ، ح ، م (٧) عنه : + لذاته شيء و ب ، م || بمشاركة : ولمشاركة د (٨) من : + ذلك ح || يلزم : ويلزم د (٩) فيها : منها ب ، د ؛ معا ط ؛ + معا ح || الأول : الأولى ب ، ح ، م ، ه ؛ ساقطة من د (١٠) واحدة : وحدة ب ، د ، ص ، ط ، م || ثم : ساقطة من م (١١) للكثرة : كثرة م || هذا : هذه ب ، ح ، د ، ص ، ط || لنا : ساقطة من ح ، د (١٣) وعقل : وعقل ب || ولأن : فلأن د (١٥) عن : -- ذلك ب ، ح ، د ، ص ، م || التثليث : الثالث ح ، ص ، ط || المذكور : + فيه ب ، ط ، م (١٦) عقل : عقل د (١٧) وبطبيعة : فبطبيعة د (١٨) الحاصلة : الحاصل ط || له ساقطة من د || في : فيها ح ، م || المندرجة : المدرجة ب (١٩) للقوة : للقوة م .

يلزم عنه عقل و بمـا يختص بذاته على جهة تلزم عنه الكثرة الأولى بجزئيها ، أعنى المـادة والصورة ، والمـادة بتوسط الصورة أو بمشاركتها، كما أن إمكان الوجود يخرج إلى الفعل بالفعل الذى يحاذى صورة الفلك ، وكذلك الحال فى عقل عقل ، وفلك فلك ، حتى ينتهى إلى العقل الفعال الذى يدبر أنفسنا ، وليس يجب أن يذهب هـذا المعنى إلى غير النهاية حتى يكون تحت كل مفارق مفارق ، فإنا نقول : إنه إن لزم وجود كثرة عن العقول ٥
فبسبب المعانى التى فيها من الكثرة . وقولنا هذا ليس ينعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة يلزم كثرته هذه المعلولات ؛ ولا هذه العقول متفقة الأنواع ، حتى يكون مقتضى معانيها متفقا .

ولنبتدئ لبيان هـذا المعنى ابتداء آخر فنقول : إن الأفلاك كثيرة فوق العدد الذى فى المعلول الأول من جهة كثرته المذكورة ، وخصوصاً إذا فصل كل فلك إلى صورته ١٠
ومادته ، فليس يجوز أن يكون مبدؤها واحدا هو المعلول الأول ، ولا أيضا يجوز أن يكون كل جرم متقدم منها علة للمتأخر، وذلك لأن الجرم بمـا هو جرم لا يجوز أن يكون مبدأ جرم ، و بمـا له قوة نفسانية لا يجوز أن يكون مبدأ جرم ذى نفس أخرى ؛ وذلك لأنا بينا أن كل نفس لكل فلك فهى كماله وصورته وليس جوهراً مفارقاً وإلا لكان عقلا لا نفسا ، وكان لايتحرك ألبتة على سبيل التشوق وكان لا يحدث فيه من حركة الجرم ١٥
تغير ، ومن مشاركة الجرم تخيل وتوهم،وقد ساقنا النظر إلى إثبات هذه الأحوال لأنفس الأفلاك كما علمت ، وإذا كان الأمر على هذا ، فلا يجوز أن تكون أنفس الأفلاك تصدر عنها أفعال فى أجسام أخرى غير أجسامها إلا بوساطة أجسامها،فإن صورالأجسام وكمالاتها على صنفين :

إما صور قوامها بمواد الأجسام ، فكما أن قوامها بمواد تلك الأجسام ، فكذلك ٢٠
مايصدر عن قوامها يصدر بواسطة مواد تلك الأجسام؛ولهذا السبب فإن النار لاتسخن

---

(١) عقل : ساقطة من ح || جهة تلزم عنه : جهتيه ط ، م ؛ بجهة د ؛ جهته ب ، ح (٢) بمشاركتها : مشاركتها د ، م (٥) إن لزم : لزوم د || العقول : المعقول د (٦) هذا : لهذا د (٧) يلزم : فيلزم ح ، د ، ص ، م || كثرته : كثرة د || العقول : المعقول د (١٢) جرم : جزء م (١٤) لأنا : + قد ص || لكل فلك : افلاك د|| فهى : فهو م || وليس : ليس ب ، ح، ص، ط، م (١٥) لا نفسا : نفسا، م || يتحرك : يحرك ب، د، ص، ط، م (١٥) ألبته : + ألا ب، ح، ص، ط || التشوق : التشويق ح، ص ، ط ؛ شوق م (١٦) تخيل : بتغير، ط (١٨) غير : عن م || بوساطة : بواسطة م || أجسامها فإن : أجسام فإن د (٢٠) فكما أن : فكان ح (٢١) تلك : ساقطة من ط .

حرارتها أى شىء اتفق بل ما كان ملاقياً لجرمها ، أو من جسمها بحال . والشمس لا تضىء كل شىء ، بل ما كان مقابلا لجرمها .

وأما صور قوامها بذاتها لا بمواد الأجسام ، كالأنفس ، ثم كل نفس فإنما جعلت خاصة لجسم بسبب أن فعلها بذلك الجسم وفيه . ولو كانت مفارقة الذات والفعل جميعا لذلك الجسم ، لكانت نفس كل شىء لا نفس ذلك الجسم فقط . فقد بان على الوجوه ٥ كلها أن القوى السماوية المنطبعة بأجسامها ، لا تفعل إلا بواسطة جسمها . ومحال أن تفعل بواسطة الجسم نفسا ، لأن الجسم لا يكون متوسطا بين نفس ونفس ؛ فإن كانت تفعل نفساً بغير توسط الجسم فلها انفراد قوام من دون الجسم واختصاص بفعل مفارق لذاتها ولذات الجسم . وهذا غير الأمر الذى نحن فى ذكره ، وإن لم تفعل نفسا ، لم تفعل ١٠ جرما سماويا ؛ لأن النفس متقدمة على الجسم فى المرتبة والكمال ؛ فإن وضع لكل فلك شىء يصدر عنه فى فلكه شىء وأثر من غير أن يستغرق ذاته في شغل ذلك الجرم وبه ، ولكن ذاته مباينة فى القوام وفى الفعل لذلك الجسم ، فنحن لا نمنع هذا ، وهذا هو الذى نسميه العقل المجرد ، ونجعل صدور ما بعده عنه ، ولكن هذا غير المنفعل عن الجسم وغير المشارك إياه ، والصائر صورة خاصة به ، والكائن من الجهة التى حدثنا عنها حين أثبتنا هذه النفس .

١٥ فقد بان ووضح أن للأفلاك مبادئ غير جرمانية ، وغير صور الأجرام . وأن كل فلك يختص بمبدأ منها ، والجميع يشترك فى مبدأ واحد . ومما لا شك فيه أن ههنا عقولا بسيطة مفارقة ، تحدث مع حدوث أبدان الناس ، ولا تفسد بل تبقى . وقد تبين ذلك فى العلوم الطبيعية ، وليست صادرة عن العلة الأولى ؛ لأنها كثيرة مع وحدة النوع ، ولأنها حادثة

---

(١) أو من : ومن م (٢) مقابلا : ملاقيا ﺣ (٤) الجسم : ساقطة من د
(٥) لكانت : كانت م (٧) بوساطة : بواسطة د ، ط (٨) نفسا : ساقطة من د
|| توسط : توسطه م || فلها : فله د (٩) ولذات : ولذات ب ، ﺣ ، ص ، ط (١٠) جرما : جسما د || لأن النفس : لا النفس م || متقدمة : مقدمة د ، م || الجسم : الجرم د ، ط || المرتبة : الرتبة ﺣ
(١١) ذاته : فى ذاته د (١٤) صورة : وصورة د || خاصة : خاصية ب ، ﺣ ، ص ، م || عن : على ب ، ﺣ ، د ، ص ، م || حين : حيز د (١٥) صور : صورة د || الأجرام : للأجرام م || فلك : ذلك د
(١٦) شك : نشك ب ، د ، ط ، م (١٧) تبين : بين ب ، د ، ﺣ (١٨) العلة : ساقطة من د .

فهى إذن معلولات الأول بتوسط . ولا يجوز أن تكون العلل الفاعلية المتوسطة بين الأولى و بينها ، دونها فى المرتبة ؛ فلا تكون عقولا بسيطة ومفارقة ؛ فإن العلل المعطية للوجود أكمل وجودا ، أما القابلة الوجود فقد تكون أخس وجودا ؛ فيجب إذن أن يكون المعلول الأول عقلا واحداً بالذات ، ولا يجوز أيضاً أن تكون عنه كثرة متفقة النوع ؛ وذلك لأن المعانى المتكثرة التى فيه ، و بها يمكن وجود الكثرة فيه إن كانت مختلفة الحقائق ، كان ما يقتضيه كل واحد منها شيئاً غير ما يقتضى الآخر فى النوع . فلم يلزم كل واحد منها ما يلزم الآخر ، بل طبيعة أخرى و إن كانت متفقة الحقائق فبماذا تخالفت وتكثرت ، ولا انقسام مادة هناك؟ فإذن المعلول الأول لايجوز عنه وجود كثرة إلا مختلفة الأنواع ، فليست هذه الأنفس الأرضية أيضاً كائنة عن المعلول الأول بلا توسط علة أخرى موجودة ؛ وكذلك عن كل معلول أول عال حتى ينتهى إلى معلول أول كونه مع كون الاسطقسات القابلة للكون والفساد، المتكثرة بالنوع والعدد معا . فيكون تكثر القابل سببا لتكثر فعل مبدأ واحد بالذات . وهذا بعد استتمام وجود السماويات كلها ؛ فيلزم دائما عقل بعد عقل حتى تتكون كرة القمر ثم تتكون الاسطقسات، و تتهيأ لقبول تأثير واحد بالنوع كثير بالعدد عن العقل الأخير . فإنه إذا لم يكن السبب فى الفاعل ، وجب فى القابل ضرورة . فإذن يجب أن يحدث عن كل عقل عقل تحته ، و يقف حيث يمكن أن تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد ، لتكثر الأسباب ، فهناك ينتهى .

وقد اتضح و بان أن كل عقل هو أعلى فى المرتبة ، فإنه لمعنى فيه ، وهو أنه بما يعقل الأول يجب عنه وجود عقل آخر دونه ، و بما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه وجرمه وجرم الفلك كائن عنه ، ومستبق بتوسط النفس الفلكية ؛ فإن كل صورة فهى علة لأن يكون مادتها بالفعل ، لأن المادة نفسها لا قوام لها .

(١) معلولات : + علة ط || الأول : الأولى ب ، حـ ، د ، ط ، م (٢) المرتبة : الرتبة د (٤) واحدا : وواحد حـ ، ص ، م (٦) الآخر : فى الآخر ب ، حـ ، د ، ص ؛ الأخرى ط || فلم : ساقطة من ب (٨) ولا انقسام : ولا الأقسام حـ (٩) الأنواع : النوع د ، م || توسط : واسطة د (١٠) أول : ساقطة من ب ، حـ ، ص ، ط ، م || مع : معلول ط (١١) بالنوع والعدد : بالعدد والنوع ب ، د ، م ، هـ (١٢) بالذات : الذات ب ، د (١٤) عن : من ب ، حـ ، د ، ص ، م (١٦) منقسمة : بنفسه د || لتكثر : تكثر م (١٧) اتضح و بان : بان واتضح حـ ، د ، ص ، م || لمعنى : بمعنى ب ، د ، ص ، م (١٨) و بما : ربما د || عنه : + وجود ص ، ط || فلك : ذلك د || بنفسه : و بنفسه د (١٩) وجرمه : ساقطة من د .

٥

١٠

١٥

[الفصل الخامس]

(ه) فصل

فى حال تكون الاسطقسات عن العلل الأوائل

فإذا استوفت الكرات السماوية عددها ، لزم بعدها وجود اسطقسات ؛ وذلك لأن
٥ الأجسام الاسطقسية كائنة فاسدة ، فيجب أن تكون مبادئها القريبة أشياء تقبل نوعا
من التغير والحركة ، وأن لا يكون ما هو عقل محض وحده سبباً لوجودها ، وهذا يجب
أن يحقق من أصول ، أكثرنا التكرار فيها ، وفرغنا من تقريرها .

ولهذه الاسطقسات مادة يشترك فيها ، وصور يختلف بها ؛ فيجب أن يكون اختلاف
صورها مما يعين فيه اختلاف فى أحوال الأفلاك ، وأن يكون اتفاق مادتها مما يعين فيه
١٠ اتفاق فى أحوال الأفلاك . والأفلاك تتفق فى طبيعة اقتضاء الحركة المستديرة ؛ فيجب
أن يكون مقتضى تلك الطبيعة يعين فى وجود المادة ، ويكون ما يختلف فيه مبدأ تهيء
المادة للصور المختلفة ؛ لكن الأمور الكثيرة المشتركة فى النوع والجنس لا تكون وحدها
بلا مشاركة من واحد معين علة لذات هى فى نفسها متفقة واحدة ، وإنما يقيمها غيرها ؛
فلا يوجد إذن هذا الواحد عنها إلا بارتباط بواحد يردها إلى أمر واحد ، فيجب أن
١٥ تكون العقول المفارقة بل آخرها الذى يلينا هو الذى يفيض عنه — بمشاركة الحركات
السماوية — شىء فيه رسم صور العالم الأسفل على جهة الانفعال ؛ كما أن فى ذلك العقل
أو المعقول رسم الصور على جهة الفعل ، ثم تفيض منه الصور فيها بالتخصيص لا بانفراد

---

(٢) فصل : ساقطة من د (٤) فإذا : وإذا ، د ، م || استوفت : استوفيت د || بعدها وجود : بعد وجودها وجود ص || اسطقسات : الأسطقسات ح ، ص ، م (٣ — ٤) وذلك لأن الأجسام الأسطقسية : ساقطة من ب (٥) كائنة : كانت د || فاسدة : ذو فاسدة د || فيجب : + إذن ح (٦) وهذا : وبهذا ط (٧) من : عن د (٩ — ١٠) وأن يكون ... أحوال الأفلاك : ساقطة من ح ، ص ، ط (١١) وجود : الوجود د || ما : مما م (١٣) معين : متعين د (١٤) بواحد : واحد ح ، ص ، ط (١٥) العقول : المقول د || بمشاركة : لمشاركة د (١٦) رسم : يرسم د || على : من ب ، د ، ص ، م (١٧) العقول : المعقول د || منه : عنه ح ، د || فيها : منها ح .

ذاته ، فإن الواحد يفعل فى الواحد – كما علمت – واحداً ، بل بمشاركة الأجسام السماوية ؛ فيكون إذا خصص هـذا الشىء تأثير من التأثيرات السماوية بلا واسطة جسم عنصرى ، أو بواسطة تجعله على استعداد خاص بعد العام الذى كان ذلك فى جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة ، وارتسمت فى تلك المـادة .

وأنت تعلم أن الواحد لا يخصص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد ، بأمر دون أمر يكون له ، بل يحتاج إلى أن تكون هناك مخصصات مختلفة، ومخصصات المـادة معداتها ، والمعد هو الذى يحدث عنه فى المستعد أمر ما ، تصير مناسبته لذلك الأمر لشىء بعينه أولى من مناسبته لشىء آخر ، ويكون هذا الإعداد مرجحاً لوجود ما هو أولى فيه من الأوائل الواهبة للصور ، ولو كانت المـادة على التهيؤ الأول لتشابهت نسبتها إلى الضدين فما يرجح أحدهما ؛ اللهم إلا بحال تختلف به المؤثرات فيه ، وذلك الاختلاف أيضاً ملسوب إلى جميع المواد نسبة واحدة ، فلا يجب أن تختص بموجبه مادة دون مادة إلا لأمر أيضاً يكون فى تلك المـادة، وليس إلا الاستعداد الكامل؛ وليس الاستعداد الكامل إلا مناسبة كاملة لشىء بعينه هو المستعد له ؛ وهذا مثل المـاء إذا أفرط تسخينه فاجتمعت السخونة الغريبة ، والصورة المـائية ، وهى بعيدة المناسبة للصورة المـائية وشديدة المناسبة للصورة النارية . فإذا أفرط ذلك واشتدت المناسبة ، اشتد الاستعداد، فصار من حق الصورة النارية أن تفيض ، ومن حق هذه أن تبطل؛ ولأن المـادة ليست تبقى بلا صورة ، فليس قوامها عما ينسب إليه من المبادئ الأولى وحدها ، بل عنها وعن

(٣) بواسطة : بواسطته م || تجعله : متجعله د || ذلك : ساقطة من د (٥) وأنت : فأنت د || منهما واحد : ساقطة من م || بأمر : من ب ، د (٦) مختلفة ومخصصات : ساقطة من م (٧) معداتها : معداته م ؛ معدات ب ؛ معداة د || والمعد : فالمعد ب ، ط || عنه : منه د || مناسبته : مناسبة ط (٨) لشىء : بشىء ـ ، ص ، ط || هذا : لهذا ـ || لوجود : بوجود د || أولى : الأولى ط (١٠) فما : فيما ـ ، ص ، ط (١٢) فى تلك : لتلك ب || الكامل : ساقطة ب ، ـ ، د ، ص ، م (١٣) لشىء : بشىء ط || له : + وهذا المستعد له د || مثل : + أن ب ، ـ ، د ، ص ، م || المـاء : المـادة د (١٤) المـائية : المـاهية د (١٥) وشديدة : وشديد ب (١٦) الصورة : الصور م (١٧) صورة : + قوامها م || فليس : وليست د || الأولى : الأول ـ ، د ، ص ، م || وحدها : وحده م || عنها : عنه م : + عنه د .

الصورة . ولأن الصورة التى تقيم هذه المادة الآن قد كانت المادة قائمة دونها ، فليس قوامها عن الصورة وحدها بل بها ، و بالمبادئ الباقية بوساطتها أو واسطة أخرى مثلها . لو كانت من المبادئ الأولى وحدها لاستغنت عن الصورة، ولو كانت عن الصورة وحدها لما سبقت بالصورة ، بل كما أن المتفق فيه من الحركة المستديرة هناك يلزم طبيعة تقيمها
٥ الطبائع الخاصة بذلك فلك . فكذلك المادة ههنا يقيمها مع الطبيعة المشتركة ما يكون من الطبائع الخاصة وهى الصور .

وكما أن الحركة أخص الأحوال هناك ، فكذلك المادة أخص الذوات ههنا . وكما أن الحركة هناك تابعة لطبيعة ما بالقوة ، كذلك المادة ههنا مرافقة لما بالقوة . وكما أن الطبائع الخاصة والمشتركة هناك مبادئ أو معينات لطبيعة الخاصة والمشتركة ههنا،
١٠ فكذلك ما يلزم الطبائع الخاصة والمشتركة هناك من النسب المختلفة المتبدلة الواقعة فيها بسبب الحركة مبدأ لتغير الأحوال وتبدلها ههنا ، وكذلك امتزاج نسبتها هناك سبب لامتزاج نسب هذه العناصر أو معين . ولأجسام السماويات تأثير فى أجسام هذا العالم بالكيفيات التى تخصها ، ويسرى منها إلى هذا العالم، ولأنفسها تأثير أيضا فى أنفس هذا العالم . و بهذه المعانى يعلم أن الطبيعة التى هى مدبرة لهذه الأجسام بالكمال والصورة ،
١٥ حادثة عن النفس الداشية فى الفلك ، أو بمعونتها .

---

(٢) عن : من د || و بالمبادئ : و بمبادئ د || بوساطتها : بواسطتها ب ، ح ، ط ، م ، ه
(٣) فلو كانت : فإذن لو كانت ص ، فلو كان ط ، فإن كانت د || من : عن ب ، ح ، د ، ص ، م || الأولى : الأول ب ، د || لاستغنت : لاستغنوت ب (٤) بالصورة : الصورة ب ، ص (٥) الطبائع : الطابع د || الخاصة : الخاصية ب ، م || بذلك : لذلك د || فلك : وفلك م ؛ + فلك ص ، ط || فكذلك : كذلك م || عن : من ب (٦) الخاصة : الخاصية ب ، ص ، ط ، م || الصور : الصورة ب ، د
(٧) هناك : هنا م (٨) مرافقة : موافقة د ، ص ، ط (٧ — ٩) الذوات ههنا ... ههنا : الطبيعة الخاصية والمشتركة ههنا فكذلك ما يلزم الطبائع الخاصية المشتركة هناك ، والذوات ههنا ، وكما أن الحركة هناك تابعة لطبيعة ما بالقوة ، كذلك المادة ههنا موافقة لما بالقوة . وكما أن الطبائع الخاصة والمشتركة هناك مباد ، ومعينات الطبيعة الخاصية والمشتركة ههنا ح (٩ — ١٠) هناك ... والمشتركة : ساقطة من م || مبادئ ... هناك : ساقطة من ص (١٠) هناك : ههنا د || الواقعة : الواقع م
(١١) بسبب : لنسب د (١٢) ولأجسام : لأجسام م || تأثيرأيضا : أيضا تأثير د ، ح ، ص ، م
(١٤) بالكمال : كالكمال ب ، ح ، ص ، ط || والصورة : والصور ، ب ، م (١٥) الفاشية : الناشئة د || بمعونتها : لمعونتها د .

وقال قوم من المنتسبين إلى هذا العلم : إن الفلك لأنه مستدير فيجب أن يستدير على شيء ثابت فى حشوه ، فيلزم محاكته له التسخن حتى يستحيل ناراً ، وما يبعد عنه يبقى ساكنا ، فيصير إلى التبرد والتكاثف حتى يصير أرضاً ، وما يلى النار منه يكون حاراً ، ولكنه أقل حرارة من النار ، وما يلى الأرض منه يكون كثيفاً ، ولكنه أقل تكثفاً من الأرض . وقلة الحر وقلة التكثف يوجبان الترطيب ، فإن اليبوسة إما من الحر ، وإما من البرد ؛ لكن الرطب الذى يلى الأرض هو أبرد، والذى يلى النار هو أشد حرارة، فهذا سبب كون العناصر؛ فهذا هو ما قد قالوا وليس مما يمكن أن يصحح بالكلام القياسى، ولا هو بسديد عند التفتيش ، ويشبه أن يكون الأمر على قانون آخر ، وأن تكون هذه المادة التى تحدث بالشركة يفيض إليها من الأجرام السماوية ، إما عن أربعة أجرام، وإما عن عدة منحصرة فى أربع جمل، عن كل واحد منها ما يتهيأ لصورة جسم بسيط . فإذا استمدّ نال الصورة من واهب الصور ، أو يكون ذلك كله يفيض عن جرم واحد ، وأن يكون هناك سبب يوجب انقساما من الأسباب الخفية علينا ، فإنك إن أردت أن تعرف ضعف ما قالوه ، فتأمل أنهم يوجبون أن يكون الوجود أولا للجسم ، وليس له فى نفسه إحدى الصور المقومة غير الصورة الجسمية، وإنما يكتسب سائر الصور بالحركة والسكون ثانيا ؛ وبيّنا نحن قبل هذا استحالة هذا، وبينا أن الجسم لا يستكمل له وجود بمجرد الصورة الجسمية، مالم تقترن بها صورة أخرى ، وليست صورته المقيمة للهيولى الأبعاد فقط ، فإن الأبعاد تتبع فى وجودها صورا أخرى تسبق الأبعاد . وإن شئت فتأمل حال التخلخل من الحرارة، والتكاثف من البرودة ، بل الجسم لا يصير جسما حتى يصير بحيث يتبع غيره فى الحركة ،

---

(١) هذا : اهل د ، م ؛ أهل هذا ، ب ؛ ساقطة من حـ ، ص || العلم : ساقطة من حـ ، ص
(٢) حشوه : جسده ب ، د || محاكته : فى محاكته ب ؛ محاكه د || يستحيل : + بأقرب منه ب || منه : عنها فوق ص || يبقى : فيبقى م (٣) التبرد : البرد ب ؛ التبريد د ؛ منه ساقطة من ب ، م
(٤) حرارة : حر ب ، حـ ، ص ، ط ، م || ولكنه : ولكن ب ، حـ ، د ، ط ، م || تكثفا : تكثيفا د ، ط
(٥) الحر : الحركة د || التكثف : التكثيف ط || الحر : الحركة د (٦) لكن : ولكن د || أشد حرارة : أحر د ، ص ، ط ، م (٧) ما : مما ب ، د || قالوا : قالوه ب || مما : ما م
(١٠) أربع : أربعة د || منها : ساقطة من ب || ما يتهيأ : ما تهيئوه ب ، حـ ، م ؛ تهيئة د ؛ يصيره ص
(١٠ — ١١) استمد نال : استمدناله هـ (١١) الصورة : الصور د ، م (١٤) المقومة : المقدمة د || الصورة : صورة د ، م ؛ الصور حـ ، ص ، ط || وإنما : وألا د (١٥) قبل هذا : ساقطة من م || الصورة : صورة حـ ، م ؛ صورته ص (١٦) بها : به حـ || صورة : فى عدد د || صورته : صورة د ، ط .
(١٨) جسما : حارا (النسخة اللاتينية) .

حتى تسخنه متابعته تلك الحركات المتابعة التي بيّنا أنها ليست قسرية بل طبيعية، إلا وقد تمت طبيعته . لكن يجوز أن يكون إذا تمت طبيعته يستحفظ بأصلح المواضع لاستحفاظها ، لأن الحار يستحفظ حيث الحركة ، والبارد يستحفظ حيث السكون ، ثم لا يفكرون أنه لم وجب لبعض تلك المادة أن يهبط إلى المركز ، فعرض له البرودة ، ولبعضه ٥ أن جاوز الفوق .

أما الآن فإن السبب في ذلك معلوم . أما في الكليات فالخفة والثقل ، وأما في جزئي عنصر واحد ، فلأنه قد صح أن أجزاء العناصر كائنة ، وأنه إذا تكون جزء منه في موضع ضرورة ، لزم أن يكون سطح منه يلي الفوق إذا تحرك فوق ، كان ذلك السطح أولى بالفوقية من السطح الآخر . وأما في أول تكونه ، فإنما يصير سطح منه إلى فوق ، ١٠ وسطح إلى أسفل ، لأنه لا محالة قد استحال بحركة ما ، وأن الحركة أوجبت له ضرورة وضعا ما. فالأشبه عندي ما قد ذهبنا إليه، وأظن أن الذي قال ذلك في تكون الاسطقسات، رام تقريبا للأمر عند بعض من كاتبه من العاميين، بجزم عليه القول من تأخر عنه على أن كاتب ذلك الكلام شديد التذبذب والاضطراب .

[الفصل السادس]

١٥ (و) فصل

في العناية وبيان وكيفية دخول الشر في القضاء الإلهي

وخليق بنا إذا بلغنا هذا المبلغ، أن نحقق القول في العناية، ولا شك أنه قد اتضح لك مما سلف منا بيانه أن العلل العالية لا يجوز أن تكون تعمل ما تعمل لأجلنا ، أو تكون

---

(١) الحركات المتابعة : الحركة المتابعة ب ، د ، ص ، ط ، م (٢) لأن : فأن ح ، د ، ص ، م (٣) يفكرون : يتكرون م (٤) تلك : ساقطة من ب (٤) تهبط : هبط د ، ص ، م || فعرض : يعرض د || البرودة : البرد ب ، م || ولبعضه : وبعضه م (٦) أما : وأما ب ، د ، أمال م || الآن : لأن م || فإن : ساقطة من د (٧) جزء منه : ساقطة من م (٨) لزم : + منه م (٩) تكونه : ساقطة من د (١٠) وسطح : + منه د (١٠) استحال : استحالة د || له : ساقطة من ب (١٢) القول من : العوام م (١٣) كاتب : كان د (١٥) فصل : ساقطة من د (١٦) وبيان : ساقطة من ط ، م || القضاء الإلهي : القضايا الإلهية د (١٧) وخليق : + بالآلهة وخليق د || إذا : أذ قد د ، م : إذ ، ب || شك : يشك ب ، ح ، ص ، ط ، م (١٨) مما : فيما د || لأجلنا : + ما د .

بالجملة يهمها شيء ، ويدعوها داع ويعرض لها إيثار . ولا لك سبيل إلى أن تنكر الآثار العجيبة فى تكون العالم ، وأجزاء السموات ، وأجزاء الحيوان والنبات ، مما لا يصدر ذلك اتفاقا ، بل يقتضى تدبيرا ما ، فيجب أن يعلم أن العناية هى كون الأول عالما لذاته بما عليه الوجود فى نظام الخير ، وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان ، وراضيا به على النحو المذكور ، فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ فى الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله ٥ نظاما وخيرا على الوجه الأبلغ الذى يعقله فيضانا على أتم تأدية إلى النظام، بحسب الإمكان، فهذا هو معنى العناية .

واعلم أن الشر يقال على وجوه : فيقال شر ، لمثل النقص الذى هو الجهل والضعف والتشويه فى الخلقة ؛ ويقال : شر ، لما هو مثل الألم والغم الذى يكون إدراك ما بسبب لا فقد سبب فقط . فإن السبب المنافى للخير المانع للخير ، والموجب لعدمه، ربما ١٠ كان مباينا لا يدركه المضرور ؛ كالسحاب إذا ظلل فمنع شروق الشمس عن المحتاج إلى أن يستكمل بالشمس . فإن كان هذا المحتاج دراكا ، أدرك أنه غير منتفع ولم يدرك من حيث يدرك ذلك أن السحاب قد حال ، بل من حيث هو مبصر وليس هو من حيث هو مبصر متأذيا بذلك ، متضررا أو منتقصا بل من حيث هو شيء آخر ، وربما كان مواصلا يدركه مدرك عدم السلامة كمن يتألم بفقدان اتصال عضو بحرارة ممزقة ، فإنه من حيث ١٥ يدرك فقدان الاتصال بقوة فى نفس ذلك العضو ، يدرك المؤذى الحار أيضا ، فيكون قد اجتمع هناك إدراكان : إدراك على نحو ما سلف من إدراكنا الأشياء العدمية ، وإدراك على ما نحو سلف من إدراكنا الأمور الوجودية وهذا المدرك الوجودى ليس شرا

---

(١) يهمها : تهي‌ء د ، ط || شيء : ساقطة من ب ؛ لشيء د || ويدعوها : + شيء حـ || لها : عليها م ؛ + عليها ص (٢) السموات : السماويات ب ، ص ، ط ، م || الحيوان والنبات : النبات والحيوان د ، م (٥) الوجه : + الأكمل د (٨) يقال على وجوه : على وجوه يقال م || فيقال : ساقطة من م (٩) الخلقة : الحقة د || شر : ساقطة من ط || يكون : + هناك حـ ، د ، ص ، ط ، م (١٠) بسبب : لسبب ص (١١) إلى : فى د (١٢) بالشمس : بالتسخين ص || أنه : بأنه حـ ، ط || منتفع : + به حـ ، د ، ص ، ط (١٣) يدرك : يدركه ب ، حـ ، ص ، ط (١٤) أو منتقصا : ومنتقصا د ؛ ساقطة من ب (١٥) كمن : لمن ط || يتألم : تألم د || بفقدان : لفقدان د || ممزقة : محرقة حـ ، د (١٦) يدرك : + مثلا م (١٨) نحو : ساقطة من ب ، د ، ط .

فى نفسه بل بالقياس إلى هذا الشيء . وأما عدم كماله وسلامته فليس شرا بالقياس إليه فقط ، حتى يكون له وجود ليس هو به شرا ، بل وليس نفس وجوده إلا شرا فيه ، وعلى نحو كونه شرا ، فإن العمى لايجوز إلا أن يكون فى العين ، ومن حيث هو فى العين لايجوز أن يكون إلا شرا ، وليس له جهة أخرى حتى يكون بها غير شر . وأما الحرارة مثلا إذا صارت شرا بالقياس إلى المتألم بها ، فلها جهة أخرى تكون بها غير شر ؛ فالشر بالذات هو العدم ولا كل عدم ، بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته ، والشر بالعرض هو المعدوم ، أو الحابس للكمال عن مستحقه . ولا خير عن عدم مطلق إلا عن لفظه ، فليس هو بشر حاصل ، ولو كان له حصول ما لكان الشر العام . فكل شيء وجوده على كماله الأقصى ، وليس فيه ما بالقوة ، فلا يلحقه شر ، وإنما الشر يلحق ما فى طباعه ما بالقوة ، وذلك لأجل المادة . والشر يلحق المادة لأمر أول يعرض لها فى نفسها ، ولأمر طارئ من بعد . فأما الأمر الذى فى نفسها ، فأن يكون قد عرض لمادة ما فى أول وجودها بعض أسباب الشر الخارجة ، فتمكن منها هيئة من الهيئات ؛ تلك الهيئة يمانع استعدادها الخاص الكمال الذى منيت بشر يوازيه ، مثل المادة التى يتكون منها إنسان أو فرس ، إذا عرض لها من الأسباب الطارئة ما جعلها أردأ مزاجا وأعصى جوهرا ، فلم تقبل التخطيط والتشكيل والتقويم ، فتشوهت الخلقة ولم يوجد المحتاج إليه من كمال المزاج والبنية ، لا لأن الفاعل حرم ، بل لأن المنفعل لم يقبل . وأما الأمر الطارئ من خارج فأحد شيئين : إما مانع وحائل ومبعد للكمل ، وإما مضاد واصل ممحق للكمال .

(١) بل : + شرب ، حـ ؛ + شرا د ؛ ساقطة من ص ، ط (٢) فقط . . . . وليس : شر بالقياس إلى هذا الشيء لا إلى فقط حتى يكون له وجود ليس هو به شرا إذ ليس حـ || له : ساقطة من ط || هو به : يتو به د وعلى : على د (٣) إلا : ساقطة من م || يكون : + ألا م (٤) أن يكون إلا : إلا أن يكون د ، م || حتى : ساقطة من ب ، حـ ، ص ، ط ، م (٤ — ٥) وأما الحرارة مثلا إذا صارت شرا : ساقطة من د (٥) بالقياس . . . شر : ساقطة من د (٦) الثابتة : الثانية حـ ، ص || لنوعه : لنوعيه د (٧) المعدوم : العدم حـ ؛ المعدم ص || الحابس : الحابس حـ (٨) ما : ساقطة من د ؛ لم حـ ، ص || لكان : لما كان ب ، د (٩) على كماله : وأ كماله ط || شر : ساقطة من حـ || الشر : الشيء حـ || الشر يلحق : يلحق الشر د ، م || ما : ساقطة من حـ (١٠) بالقوة : فيما بالقوة حـ || فى نفسها : فى نفسه ب ، د ، ص : ساقط من م (١١) ولأمر : أو لأمر حـ ؛ أو والأمر د || نفسها : نفسه م || فأن : أن حـ || عرض : يعرض حـ (١٢) يمانع : مانع م ؛ مانعه د ؛ لمانع حـ (١٣) منيت : منعت حـ || يوازيه : توازمه د || وأعصى : وعصيت د (١٥) فتشوهت : فتشوش د (١٦) الفاعل : الفاعل د (١٧) ومبعد للكمل : ومبعدا لكل د (١٧) ممحق : محق م .

مثال الأول وقوع سحب كثيرة وتراكمها ، وإظلال جبال شاهقة تمنع تأثير الشمس في الثمار على الكمال .

ومثال الثاني حبس البرد للنبات المصيب لكماله في وقته ، حتى يفسد الاستعداد الخاص وما يتبعه . وجميع سبب الشر إنما يوجد فيما تحت فلك القمر وجملة ما تحت فلك القمر طفيف بالقياس إلى سائر الوجود كما علمت . ٥

ثم الشر إنما يصيب أشخاصاً ، وفي أوقات . والأنواع محفوظة ، وليس الشر الحقيقي يعم أكثر الأشخاص، إلا نوعاً من الشر . واعلم أن الشر الذي هو بمعنى العدم، إما أن يكون شرا بحسب أمر واجب أو نافع قريب من الواجب، وإما أن لا يكون شرا بحسب ذلك ، بل شرا بحسب الأمر الذي هو ممكن في الأقل . ولو وجد كان على سبيل ما هو فضل من الكمالات التي بعد الكمالات الثانية ، ولا مقتضى له من طباع الممكن هو فيه . وهذا ١٠ القسم غير الذي نحن فيه ، وهو الذي استثنيناه ، هذا وليس هو شراً بحسب النوع ، بل بحسب اعتبار زائد على واجب النوع كالجهل بالفلسفة ، أو بالهندسة أو غير ذلك ، فإن ذلك ليس شرا من جهة ما نحن ناس ، بل هو شر بحسب كمال الإصلاح في أن يعم، وستعرف أنه إنما يكون بالحقيقة شرا إذا اقتضاه شخص إنسان ، أو شخص نفسه ، وإنما يقتضيه الشخص لا لأنه إنسان أو نفس، بل لأنه قد ثبت عنده حسن ذلك واشتاق ١٥ إليه ، واستعد لذلك الاستعداد كما سنشرح لك بعد . وأما قبل ذلك فليس مما ينبعث الشيء إليه في بقاء طبيعة النوع انبعاثه إلى الكمالات الثانية التي تتلو الكمال الأول ، فإذا لم يكن ، كان عدماً في أمر ما يقتضي في الطباع . فالشر في أشخاص الموجودات قليل ،

---

(٣) حبس : حسن م (٤) يتبعه : تبعه ص ، م || فلك : ساقطة من ب ، م (٥) طفيف : ضعيف د ، ط (٧) هو : ساقطة من ط (٩) الأقل : الأول ط || كان : لكان د ، ص ، م (١٠) مقتضى : يقتضى ب (١١) الذي : ما ط (١٢) أو بالهندسة : أو الهندسة ح ، ص (١٣) ليس : ساقطة من ح || الاصلاح : لأصلاح ب ، م (١٤) وستعرف : ستعرفه م ؛ وستعرفه د || أنه : ساقطة من ب ، د ، م || إنما : وأنما ب ، د ، م (١٥) حسن : وحسن ط (١٦) إليه : ساقطة من د ، م || واستعد : مستعد ب || لك : ذلك ط (١٧) إليه : مثابه م || الكمال : الكمالات ط (١٨) ما : ساقطة من ب ، ح ، د ، م ؛ + مقتضى كان ب ، ح ، د ، ص ، ط || يقتضي : مقتضى م ؛ ساقطة من ب ، د ، ص ، ط .

ومع ذلك فإن وجود الشر فى الأشياء ضرورة تابعة للحاجة إلى الخير ، فإن هذه العناصر لو لم تكن بحيث تتضاد وتنفعل عن الغالب، لم يمكن أن تكون منها هذه الأنواع الشريفة، ولو لم تكن النار منها بحيث إذا تأدت بها المصادمات الواقعة فى مجرى الكل على الضرورة إلى ملاقاة رداء رجل شريف ، وجب احتراقه ، لم تكن النار منتفعاً بها النفع العام ،
٥ فوجب ضرورة أن يكون الخير الممكن فى هذه الأشياء إنما يكون خيرا بعد أن يمكن وقوع مثل هذا الشر عنه ومعه ، فإفاضة الخير لا توجب أن يترك الخير الغالب لشر يندر ، فيكون تركه شرا من ذلك الشر ، لأن عدم ما يمكن فى طباع المادة وجوده إذا كان عدمان شرا من عدم واحد ، ولهذا ما يؤثر العاقل الاحتراق بالنار بشرط أن يسلم منها حيا على الموت بلا ألم . فلو ترك هذا القبيل من الخير لكان يكون ذلك شرا فوق هذا الشر
١٠ الكائن بإيجاده ، وكان فى مقتضى العقل المحيط بكيفية وجوب الترتيب فى نظام الخير أن يحتمل استحقاق مثل هذا النمط من الأشياء موجودا مجوزا ما يقع معه من الشر ضرورة، فوجب أن يفيض وجوده ، فإن قال قائل : فقد كان جائزاً أن يوجد المدبر الأول خيرا محضا مبرأ عن الشر ، فنقول : هذا لم يكن جائزاً فى مثل هذا النمط من الوجود ، وإن كان جائزا فى الوجود المطلق على أنه ضرب من الوجود المطلق مبرأ ، ليس هذا الضرب ،
١٥ وذلك مما قد فاض عن المدبر الأول ، ووجد فى الأمور العقلية والنفسية والسماوية ، وبقى هذا النمط فى الإمكان ولم يكن ترك إيجاده لأجل ما قد يخالطه من الشر الذى إذا لم يكن مبدؤه موجوداً أصلا ، وترك لئلا يكون هذا الشر كان ذلك شرا من أن يكون هو فكونه خير الشرين ، ولكان أيضاً يجب أن لا توجد الأسباب الخيرية التى هى قبل هذه الأسباب التى تؤدى إلى الشر بالعرض ، فإن وجود تلك مستتبع لوجود هذه ، فكان فيه أعظم خلل فى نظام الخير الكلى، بل وإن لم نلتفت إلى ذلك ، وقصرنا التفاتنا

---

(١) ومع ذلك فإن وجود : بل ب || وجود : + الشر د ، م (٢) الغالب : الغالبة د || تكن : يمكن م (٤) احتراقه : أحراقه ، ب ، ح ، د ، ط ، م : (٦) فإفاضة : وإفاضة ب ، ح ، د ، ص ، م (٨) عدمان : عدما ب ، د ، م || الاحتراق : الإحراق م (١٠) وكان : فكان ب ، د ، م || وجوب : وجود ب (١٣) فنقول : فيقال د ، م || وإن : فإن د (١٤) ليس : + برا ، د (١٦) يكن : يجز ص || قد : ساقطة من ب ، ح ، ص || يخالطه : يخالط ح ، ص ، ط (١٧) وترك : وتركه د || لئلا : أملا م (٢٠) الخير : الخلل ب || الكلى : الكامل ط ؛ الكل د || وقصرنا : وصيرنا م .

إلى ما ينقسم إليه الإمكان فى الوجود من أصناف الموجودات المختلفة فى أحوالها ، فكان
الوجود المبرأ من الشر قد حصل ، و بقى نمط من الوجود إنما يكون على هذه السبيل ،
ولا كونه أعظم شرا من كونه ، فواجب أن يفيض وجوده من حيث يفيض عنه الوجود
الذى هو أصوب، وعلى النمط الذى قيل ؛ بل نقول من رأس : إن الشر يقال على وجوه ،
٥ فيقال شر للأفعال المذمومة، ويقال شر لمبادئها من الأخلاق ، و يقال شر للآلام والغموم
وما يشبهها ، ويقال شر النقصان كل شئ عن كماله وفقدانه ما من شأنه أن يكون له . فكأن الآلام
والغموم ، و إن كانت معانيها وجودية ليست أعداما ، فإنها تتبع الإعدام والنقصان ،
والشر الذى هو فى الأفعال هو أيضاً إنما هو بالقياس إلى من يفقد كماله بوصول ذلك إليه ،
مثل الظلم أو بالقياس إلى ما يفقد من كمال يجب فى السياسة الدينية كالزنا ، وكذلك الأخلاق
١٠ إنما هى شرور بسبب صدور هذه عنها وهى مقارنة لأعدام النفس كمالات يجب أن تكون
لها ، ولا تجد شيئاً مما يقال له شر من الأفعال إلا وهو كمال بالقياس إلى سببه الفاعل له ،
وعسى إنما هو شر بالقياس إلى السبب القابل له ، أو بالقياس إلى فاعل آخر يمنع عن
فعله فى تلك المادة التى هو أولى بها من هذا الفعل ، فالظلم يصدر مثلا عن قوة طلابة
للغلبة وهى الغضبية مثلا ، والغلبة هى كمالها ، ولذلك خلقت من حيث هى غضبية ، يعنى
١٥ أنها خلقت لتكون متوجهة إلى الغلبة ، تطلبها وتفرح بها ، فهذا الفعل بالقياس إليها خير
لها ، و إن ضعفت عنه ، فهو بالقياس إليها شر لها ، و إنما هى شر للمظلوم ، أو للنفس النطقية
التى كمالها كسر هذه القوة والاستيلاء عليها ، فإن عجزت عنه كان شرا لها ، وكذلك السبب

---

(١) من : إلى م || الموجودات : الوجودات ب || فكان : وكان د (٢) الوجود : الموجود د ، م || حصل : + به د || هذه : هذا د ، ص (٤) رأس : الرأس ب ، ح ، ط
(٥) فيقال : يقال ب ، ح ؛ ويقال م || يقال (الأولى) : من م || من : فى م || الأخلاق : الاختلاف ح ، ص ، ط (٦) يشبهها : أشبههما ح (٧) إعداما : للأعدام د (٨) الذى هو : الذى ب ، ح ، ص ، ط ، م || من ما ، ب || يفقد : + من ب ، د || كماله : كمال ب
(٨ — ٩) بوصول ... كمال : ساقطة من ب (٩) الدينية : المدنية ص ؛ أو المدنية : ب ، ح ، د ، م
(١٠) بسبب : بحسب د || صدور : صدوره د (١١) كمال بالقياس الى سببه : كمانسبة ح ؛ كمال لسببه ب : كمال ستنبط د ؛ كمال بسبب م (١٣) التى : الذى ب ، م || يصدر مثلا : مثلا يصدر ب ، د || عن : منه م || طلابة : طالبة د (١٤) مثلا : ساقطة من م || والغلبة : والغضبية ط (١٤) يعنى : أعنى ب ، م (١٥) أنها : ساقطة من م || تطلبها : وتطلبها د ، ص ، ط (١٦) عنه : ساقطة من ص || وإنما : إنما ب ، م || للنفس : لنفس ح ، ص ، ط .

فى الفاعل للآلام والإحراق كالنار إذا أحرقت مثلا فإن الإحراق كمال للنار ، لكنه شر
بالقياس إلى من سلب سلامته بذلك ، لفقدانه ما فقد . وأما الشر الذى سببه النقصان
وقصور يقع فى الجبلة ، وليس فاعلا فعله ، بل لأن الفاعل لم يفعله ، فليس ذلك بالحقيقة
خيراً بالقياس إلى شىء ، وأما الشرور التى تتصل بأشياء هى خيرات ، فإنما هى من
٥ سببين : سبب من جهة المادة أنها قابلة للصورة والعدم ، وسبب من جهة الفاعل ؛
فإنه لما وجب أن يكون عنه الماديات ، وكان مستحيلا أن يكون للمادة وجود الوجود
الذى يغنى غناء المادة و يفعل فعل المادة إلا أن يكون قابلا للصورة والعدم ، وكان مستحيلا
أن لا يكون قابلا للتقابلات ، وكان مستحيلا أن يكون للقوى الفعالة أفعال مضادة لأفعال أخرى ،
قد حصل وجودها وهى لا تفعل فعلها ، فإنه من المستحيل أن يخلق ما يراد منه الغرض المقصود بالنار ،
١٠ وهى لا تحرق ، ثم كان الكل إنما يتم بأن يكون فيه محترق ومسخن ، وأن يكون فيه محرق مسخِّن
لم يكن بد من أن يكون الغرض النافع فى وجود هذين يستتبع آفات تعرض من الإحراق
والاحتراق ، كذلك إحراق النار عضو إنسان ناسك ، لكن الأمر الأكثرى هو حصول الخير
المقصود فى الطبيعة ، والأمر الدائم أيضاً . أما الأكثرى فإن أكثر أشخاص الأنواع
فى كنف السلامة من الاحتراق ، وأما الدائم فلأن أنواعاً كثيرة لا تستحفظ على الدوام
١٥ إلا بوجود مثل النار على أن تكون محرقة ، وفى الأقل ما يصدر عن النيران الآفات التى
تصدر عنها ، وكذلك فى سائر تلك الأسباب المشابهة لذلك ، فما كان يحسن أن تترك المنافع
الأكثرية والدائمة لأغراض شرية أقلية ، فأريدت الخيرات الكائنة عن هذه الأشياء
إرادة أولية على الوجه الذى يصلح أن يقال : إن الله تعالى يريد الأشياء ، وأريد الشر أيضاً

---

(١) فى : ساقطة من م || الفاعل : ساقطة من حـ || أحرقت : أحرق د || النار : النار م
(٢) لفقدانه : لقصد أنه د || (٣) وليس : + لأن حـ ، ص ، ط (٤) وأما : فأما ب
(٥) جهة : ساقطة من ، ب ، د ، م (٦) للمادة : المادة ص (٧) يغنى : + عن حـ
(٨) مضادة : متضادة ط (٩) وجودها : بوجودها ط || من المستحيل : يستحيل د
(١٠) ثم كان : فكان د || إنما : + كان ط ، م || محترق : ساقطة من ، ب ، حـ ، د ، ص ، م ||
مسخن : متسخن ب ، ص ، ط ، م (١١) يستتبع : ليستتبع ط (١٢) والاحتراق : ساقطة من د
|| احراق : احتراق ص (١٣) أشخاص : الأشخاص د ، ص (١٤) الاحتراق : الأحراق حـ ، ص ، ط ، م
|| الدوام : الدوم ب ، م (١٥) بوجود : بموجود د (١٦) تترك : ترك حـ
(١٨) أولية : أزلية ط || على : + على م || يصلح : يصح ص ، ط || تعالى : ساقطة من ب ، م
|| وأريد : ويريد م || أيضا : ساقطة من م .

على الوجه الذى بالعرض ، إذ علم أنه يكون ضرورة فلم يعبأ به ، فالخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر . وكذلك فإن المادة قد علم من أمرها أنها تعجز عن أمور، وتقصر عنها الكمالات فى أمور ، لكنها يتم لها مالا نسبة له كثيرا إلى ما يقصر عنها ، فإذا كان كذلك فليس من الحكمة الإلهية ان تترك الخيرات الفائقة الدائمة ، والأكثرية لأجل شرور فى أمور شخصية غير دائمة ؛ بل نقول : إن الأمور فى الوهم إما أمور إذا ٥ توهمت موجودة ، يمتنع أن تكون إلا شرا على الإطلاق ، وإما أمور وجودها أن يكون خيرا ، ويمتنع أن تكون شرورا وناقصة ؛ وإما أمور تغلب فيها الخيرية إذا وجدت وجودها، ولا يمكن غير ذلك لطباعها ؛ وإما أمور تغلب فيها الشرية ؛ وإما أمور متساوية الحالين . فأما ما لا شرية فيه ، فقد وجد فى الطباع ؛ وأما ما كله شر أو الغالب أو المساوى أيضاً ، فلم يوجد . وأما الذى الغالب فى وجوده الخير فالأحرى به أن يوجد، ١٠ إذا كان الأغلب فيه أنه خير .

فإن قيل : فلم لم تمنع الشرية عنه أصلا ، حتى كان يكون كله خيراً ، فيقال حينئذ لم يكن هى هى إذ قلنا إن وجودها الوجود الذى يستحيل أن يكون ، بحيث لا يعرض عنها شر فإذا صيرت بحيث لا يعرض عنها شر فلا يكون وجودها الوجود الذى لها بل يكون وجود أشياء أخرى وجدت وهى غيرها وهى حاصلة . أعنى ما خلق بحيث لا يلزمه ١٥ شر لزوماً أولياً . ومثال هذا ، أن النار إذا كان وجودها أن تكون محرقة ، وكان وجود المحرق هو أنه إذا مس ثوب الفقير أحرقه ، وكان وجود ثوب الفقير أنه قابل للاحتراق وكان وجود كل واحد منهما أن يعرض له حركات شىء ، وكان وجود الحركات الشتى

(١) إذ : إذا د || يعبأ به : يعباه د || مقتضى : مقضى ب ، م (٢) مقتضى : مقضى ب ، د
(٣) وتقصر : تقصر ب || كثيرا : كثرة ، ب ، حـ ، د ، ص ، ط (٤) الفائقة : الفائتة حـ ، هـ ؛ القائمة د (٥ — ٦) اذا توهمت موجودة يمتنع : توهمت موجودة وجودها يمتنع حـ ؛ وجودها يمتنع ب ؛ وجودها اذا توهمت موجودة يمتنع د ، ط ؛ إذا توهمت موجوده وجودها لفتنع م (٧) فيها : فيه ط (٨) الشرية : الشرورية د (٩) فأما : وأما د || شرية : شر ب (١٠) المساوى : المتساوى ص || الذى : + فى ط (١١) إذا : إذ ط || الأغلب : الغالب ط
(١٦) لزوما أوليا : ساقطة من ب ، حـ ، م || وجودها : + وجودا د || وكان : فكان د
(١٧) وكان : إذ كان ب ، حـ ، د ، ط ؛ أو كان م || للاحتراق : للإحراق حـ ، د ، ص ، ط
(١٨) وكان : فكان د || منهما : منها ب ، د || الشتى : الشىء ، حـ ، د ، ص ، ط .

فى الأشياء على هذه الصفة وجود ما يعرض له الالتقاء ، وكان وجود الالتقاء بين الفاعل والمنفعل بالطبع وجودا يلزمه الفعل والانفعال ؛ فإن لم تكن الثوانى لم تكن الأوائل ، فالكل إنما رتبت فيه القوى الفعالة والمنفعلة السماوية والأرضية الطبيعية والنفسانية ، بحيث تؤدى إلى النظام الكلى مع استحالة أن تكون هى على ما هى عليه ولا تؤدى إلى شرور . فيلزم
٥ من أحوال العالم بعضها بالقياس إلى بعض أن يحدث فى نفس ما صورة اعتقاد ردىء أو كفر أو شر آخر فى نفس أو بدن ، بحيث لو لم يكن كذلك لم يكن النظام الكلى يثبت ، فلم يعبأ ولم يلتفت إلى اللوازم الفاسدة التى تعرض بالضرورة . وقيل : خلقت هؤلاء للنار ولا أبالى ، وخلقت هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وقيل : كل ميسر لما خلق له .

فإن قال قائل : ليس الشر شيئا نادرا أو أقليا ، بل هو أكثرى . فليس هو كذلك بل
١٠ الشر كثير ، وليس بأكثرى ، وفرق بين الكثير والأكثرى ، فإن ههنا أمورا كثيرة هى كثيرة وليست بأكثرية كالأمراض ، فإنها كثيرة وليست أكثرية . فإذا تأملت هذا الصنف الذى نحن فى ذكره من الشر وجدته أقل من الخير الذى يقابله ، ويوجد فى مادته فضلا عنه بالقياس إلى الخيرات الأخرى الأبدية . نعم الشرور التى هى نقصانات للكمالات الثانية هى أكثرية ، لكنها ليست من الشرور التى كلامنا فيها ، وهذه الشرور مثل الجهل
١٥ بالهندسة ، ومثل فوت الجمال الرائع وغير ذلك مما لا يضر فى الكمالات الأولى ، ولا فى الكمالات التى تليها مما يظهر منفعتها ، وهذه الشرور ليست بفعل فاعل ، بل لأن لا يفعل الفاعل لأجل أن القابل ليس مستعدا أو ليس يتحرك إلى القبول . وهذه الشرور هى أعدام خيرات من باب الفضل والزيادة .

---

(١) ما يعرض : بالعرض د (٢) الثوانى : الوالى د (٣) رتبت : رتب د ، ط || فيه : فيها ح ، د ، ص ، ط ، م || الفعالة : الفعال د || الطبيعية : والطبيعية د ، ط (٤) تكون : + شىء ب ، د ، ح (٥) ما : ساقطة من ب ، ح ، م (٦) شر : شرية د || آخر : أخرى د || يثبت : مثبت ح (٩) فليس هو : فليس ب ، د ، ح ، ط ، م (١٠) أمورا كثيرة : أمورا د (١١) بأكثرية : أكثرية د || كالأمراض ... أكثرية : ساقطة من م || فإذا : وإذا ب ، ح ، ص ، ه ، م (١٢) الشر : الشرور ط (١٤) هى : فهى : ب ، ح ، د ، ص ، م (١٥) بالهندسة : بالهندسية ط || فوت : قوة د || مما : ما ط || فى الكمالات : بالكمالات م (١٦) بل لأن : لأن د || لأن : بأن ب ، ح ، ص ، ط || يفعل : + الفعل د (١٧) أو ليس : وليس م || يتحرك : محركة د .

[الفصل السابع]

(ز) فصل فى المعاد

وبالحرى أن نحقق ههنا أحوال الأنفس الإنسانية إذا فارقت أبدانها ، وأنها إلى أية حال ستصير ، فنقول : يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذى للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله حال السعادة والشقاوة التى بحسب البدن . ٥

ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس اللتان للأنفس وإن كانت الأوهام ههنا تقصر عن تصورهما الآن لما نوضح من العلل ، والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك ، وإن أعطوها ، ولا يستعظمونها فى جنبة هذه السعادة التى هى مقاربة الحق الأول ، وهى على ما سنصفها عن قريب ، فلنعرف حال هذه السعادة ، والشقاوة المضادة لها فإن البدنية مفروغ منها فى الشرع ، فنقول : يجب أن تعلم أن لكل قوة نفسانية لذة وخيرا يخصها وأذى وشرا يخصها ؛ مثاله أن لذة الشهوة وخيرها أن يتأدى إليها كيفية محسوسة ملائمة من الخمسة ، ولذة الغضب الظفر ، ولذة الوهم الرجاء ، ولذة الحفظ تذكر الأمور الموافقة الماضية . ١٠ ١٥

---

(٢) فصل : ساقطة من د (٣) وبالحرى : فبالحرى ـ ، د ، ص ، ط || الأنفس : النفس ـ ، ط || وأنها : ساقطة من د || أية : أى ب ، ـ ، ص ، ط ، م (٤) حال : حالة ب ، م || منقول : متبول ب ، ج ، د ص ، م || من : منه فى ط (٥) طريق : طرق د || النبوة : النبى ط (٦) معلومة : معلوم د || أن : ساقطة من ـ ، ص ، ط || نبينا : ساقطة من م (٦ ـ ٧) نبينا . . . . آله : صلعم ب (٧) على : ساقطة من ـ ، د ، ص ، ط (٨) مدرك : يدرك د (٧ ـ ٨) التى بحسب . . . والشقاوة : ساقطة من م (٩) بالقياس : بالمقياس م || ههنا : منا ب ، ـ ، ص ، ط ، م || تصورهما : تصورها ـ ، د ، ص ، ط (١٠) فى إصابة : + هذه د || السعادة : + والشقاوة ص (١١) لا يلتفتون : لا يتنون د || هى : ساقطة من ب ، ـ ، د ، ص ، ط || سنصفها : سنصفه ص ؛ نصفه ، ـ ، د ، م (١٣) منها : عنها ـ ، ص ، ط (١٦) تذكر : ذكر د .

ولذى كل واحد منها مايضاده ويشترك كلها نوعا من الشركة فى أن الشعور بموافقها وملائمها هو الخير واللذة الخاصة بها ، وموافق كل واحد منها بالذات والحقيقة هو حصول الكمال الذى هو بالقياس إليه كمال بالفعل ، فهذا أصل .

وأيضا فإن هذه القوى وإن اشتركت فى هذه المعانى فإن مراتبها فى الحقيقة مختلفة ، ٥ فالذى كماله أفضل وأتم ، والذى كماله أكثر ، والذى كماله أدوم ، والذى كماله أوصل إليه وأحصل له ، والذى هو فى نفسه أكمل فعلا وأفضل ، والذى هو فى نفسه أشد إدراكا ؛ فاللذة التى له هى أبلغ وأوفر لا محالة ، وهذا أصل .

وأيضا فإنه قد يكون الخروج إلى الفعل فى كمال ما بحيث يعلم أنه كائن ولذيذ ولا يتصور كيفيته ولا يشعر بالتلذذ ما لم يحصل ، وما لم يشعر به لم يشتق إليه ولم ينزع نحوه، مثل العنين ١٠ فإنه متحقق أن للجماع لذة لكنه لا يشتهيه ولا يحن نحوه الاشتهاء والحنين اللذين يكونان مخصوصين به ، بل شهوة أخرى كما يشتهى من يجرب من حيث يحصل به إدراك وإن كان مؤذيا ، وبالجملة ، فإنه لا يتخيله . وكذلك حال الأكمه عند الصور الجميلة ، والأصم عند الألحان المنتظمة ، ولهذا يجب أن لا يتوهم العاقل أن كل لذة فهى كما للحمار فى بطنه وفرجه ، وأن المبادئ الأول المقربة عند رب العالمين عادمة اللذة والغبطة ، وأن رب ١٥ العالمين ليس له فى سلطانه وخاصيته البهاء الذى له وقوته غير المتناهية أمر فى غاية الفضيلة والشرف والطيب نجله عن أن نسميه لذة ، وللحمار والبهائم حالة طيبة ولذيذة ، كلا بل أى نسبة تكون لما العالية إلى هذه الخسيسة ، ولكنا نتخيل هذا ونشاهده ولم نعرف

---

(١) ويشترك : فيشترك د || بموافقها : بمرافقتها ط (٢) وملائمها : وملائمها ﺣ ، ط
(٣) كمال : كان ط || فهذا : فهو د (٤) اشتركت : اشترك د (٦) وأفضل : وأيضا ط
(٧) هى : ساقطة ب ، ﺣ ، د ، ص ، م || وأوفر : وأوفى ب ، م (٨) يعلم : ساقطة من م
(٩) العنين : العليل ب (١٠) فإنه متحقق : فأن يتحقق د || لكنه : ولكنه م || نحوه : نحو د
(١١) شهوة : لشهوة د || به : بها ب ، ﺣ ، د ، ص ، ط || وإن : فأن د (١٢) وبالجملة : وفى الجملة م ؛ فى الجملة ﺣ ، د ، ص ، ط || فإنه : ذاته م (١٣) فهى : فهو د ، م || كما : كمال ﺣ || للحمار : كالحمار د (١٤) اللذة : للذة ب ، د ، م || وأن : فأن د (١٦) والطيب : والطيب ﺣ ، ص ، ط || عن : من ط || نسميه : نسمى ب ، م || وللحمار : ثم للحمار ت ، ﺣ ، د ، ص ، م || كلا : كل ﺣ (١٧) ولكنا : ولكننا ط .

ذلك بالاستشعار بل بالقياس ، فحاله عنده كحال الأصم الذى لم يسمع قط ، فى عدم تخيل اللذة اللحنية وهو متيقن لطيبها ، وهذا أصل .

وأيضا فإن الكمال والأمر الملائم قد يتيسر للقوة الدراكة وهناك مانع أو شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده عليه مثل كراهية بعض المرضى للطعم الحلو وشهوتهم للطعوم الردية الكريهة بالذات ، وربما لم يكن كراهية ، ولكن كان عدم الاستلذاذ به كالخائف ٥ يجد الغلبة أو اللذة فلا يشعر بها ولا يستلذها ، وهذا أصل .

وأيضا فإنه قد تكون القوة الدراكة ممنوه بضد ما هو كمالها ولا تحس به ولا تنفر عنه حتى إذا زال العائق ورجعت إلى غريزتها تأذت به مثل الممرور فربما لا يحس بمرارة فمه إلى أن يصلح مزاجه ويستنق أعضاءه ، فحينئذ ينفر عن الحال العارضة له ، وكذلك قد يكون الحيوان غير مشته للغذاء ألبتة ، بل كارها له ، وهو أوفق شئ له ويبقى ١٠ عليه مدة طويلة ، فإذا زال العائق عاد إلى واجبه فى طبعه ، فاشتد جوعه وشهوته للغذاء حتى لا يصبر عنه ويهلك عند فقدانه ، وقد يحصل سبب الألم العظيم مثل إحراق النار وتبريد الزمهرير إلا أن الحس مئوف فلا يتأذى البدن به حتى تزول الآفة فيحس حينئذ بالألم العظيم .

فإذا تقررت هذه الأصول فيجب أن ننصرف إلى الغرض الذى نؤمه فنقول : إن ١٥ النفس الناطقة كمالها الخاص بها أن تصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول فى الكل والخير الفائض فى الكل مبتدئة من مبدأ الكل سالكة إلى الجواهر

---

(١) قط : فقط د || عدم : عدمه ب ، د ، ط ، م (٢) متيقن : متعين د || لطيبها بطيبها ب ، ط ؛ لطربها د (٣) يتيسر : تيسر ب ، د ، ح ، ص ، ط || أو شاغل : وشاغل ح (٤) كراهية : كراهة ص || للطعم ؛ للطعام د (٥) بالذات : ساقطة من د (٦) يجد : بعد م || يشعر بها : يشعر عاد ؛ يشعر لها ب || ولا يستلذها : ولا يستلذ بها ح ، د ، ص ، ط (٧) فإنه : ساقطة من م || بضدها : لضدها د (٨) زال : أزال د || ورجعت إلى غريزتها تأذت به : تأذت به ورجعت إلى غريزتها م || مثل : مثلا ح || لا : ا د ، م (٩) ينفر : ينفر له د || الحال : الحالة ب ، ح ، د ، ص ، ط || له : ساقطة من د (١٠) وكذلك : ولذلك ح ؛ ط || بل : ساقطة من ط (١٢) عنه : عليه د || إحراق : حرق ب (١٣) البدن : بالبدن ط (١٥) الغرض : ساقطة من د (١٦) صورة : صور ب ، ح ، د ، ص ، ط (١٧) مبتدئة : مبتدئا ب ، ح ، د ، ص ، م || سالكة : سالكا ، ب ، ح ، د ؛ وسالكا ص ، م || الجواهر : الجوهر د ، ط .

الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما بالأبدان ، ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها ، ثم كذلك حتى تستوفى فى نفسها هيئة الوجود كله ، فتنقلب عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدة لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحق المطلق ومتحدة به ومنتقشة بمثاله وهيئته ومنخرطة فى سلكه وصائرة من جوهره ، فإذا قيس هذا بالكمالات المعشوقة التى للقوى الأخرى وجد فى المرتبة التى بحيث يقبح معها ٥
أن يقال : إنه أفضل وأتم منها بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلة وتماما وكثرة وسائر ما يتم به التذاذ المدركات مما ذكرناه . وأما الدوام فكيف يقاس الدوام الأبدى بدوام المتغير الفاسد . وأما شدة الوصول فكيف يكون حال ما وصوله بملاقاة السطوح بالقياس إلى ما هو سار فى جوهر قابله حتى يكون كأنه هو هو بلا انفصال ، إذ العقل والعاقل والمعقول واحد أو قريب من الواحد ، وأما أن المدرك فى نفسه أكمل فأمر لا يخفى ، ١٠
وأما أنه أشد إدراكا فأمر أيضا تعرفه بأدنى تأمل وتذكر لما سلف بيانه ، فإن النفس النطقية أكثر عدد مدركات ، وأشد تقصيا للمدرك وأشد تجريدا له عن الزوائد الغير الداخلة فى معناه إلا بالعرض ولها الخوض فى باطن المدرك وظاهره ، بل كيف يقاس هذا الإدراك بذلك الإدراك أو كيف تقاس هذه اللذة باللذة الحسية والبهيمية والغضبية ، ولكنا فى عالمنا و بدننا هذين وانغمارنا فى الرذائل لا نحس بتلك اللذة إذا حصل عندنا شئ من أسبابها ١٥
كما أومأنا إليه فى بعض ما قدمناه من الأصول ولذلك لا نطلبها ولا نحن إليها اللهم إلا أن نكون قد خلعنا ربقة الشهوة والغضب وأخواتهما عن أعناقنا ، وطالعنا شيئا من تلك

---

(١) الشريفة : الشريف د || المطلقة ثم الروحانية : ساقطة من ب || نوعا ما : نوعا من التعلق ← ؛ نوعا من التعلق ص ؛ نوعا د || الأجسام : أجسام ← (٢) وقواها : وقوامها ط (٣) مشاهدة : مشاهدا ب ، ← ، د ، ص ، م (٣ — ٤) الحق المطلق : الحق د ، ص ، م ؛ المطلق ب ، ← (٤) ومتحدة : ومتحدا ب ، ← ، د ، ص م || ومنتقشة : ومنتقشا ب ، ← ، د ، ص ، م || ومنخرطة : ومنخرطا ب ، ← ، د ، ص ، م || وصائرة : وصائرا ب ، ← ، د ، ص ، م || فإذا : وإذا ب ، ← ، ص ، ط ، م (٥) هذا : هذه ← ، ط || وجد : يوجد ب ، ← || التى : ساقطة من ب || يقبح : يصح ← (٦) لها : ساقطة من ط (٧) التذاذ : ألذاذ ص ، ط ، م || مما ذكرناه : ما ذكرناه م ؛ مما ذكرنا ط ؛ كما ذكرناه ← || وأما : فأما ب || الدوام الأبدى : دوام الأبدى ص ، م (٩) جوهر : الجوهر ← || هو هو : هو ، ب ، ← ، د ، ص ، ط || إذ : إذا ، ط (١٠) أو قريب : وقريب د (١١) تأمل : ساقطة من ب ، م || تذكر : + منك ب ، ← ، د ، ص ، ط (١٢) أكثر : + من ط || أشد : ساقطة من ، ب ، د ، م (١٣) ولها : وله ب ، ← ، د ، ط ، م || وظاهره : فظاهره م || هذا : ساقطة من ط (١٤) بذلك الإدراك : ساقطة من ط || أو كيف : وكيف م || هذه : هذا ب ، ط || ولكنا : ولكنا ص (١٦) نحن : يحن ← (١٧) وأخواتهما : وأخواتها ب ، د ، م || أعناقنا : أعناقها د .

اللذة ، فحينئذ ربما تخيلنا منها خيالا طفيفا ضعيفا ، وخصوصا عند انحلال المشكلات واستيضاح المطلوبات النفسية ونسبة التذاذنا هذا إلى التذاذنا ذلك ، ونسبة الالتذاذ الحسى بنشق روائح المذاقات اللذيذة إلى الالتذاذ بتطاعمها ، بل أبعد من ذلك بعدا غير محدود .

٥ وأنت تعلم إذا تأملت عويصا يهمك وعرضت عليك شهوة وخيرت بين الظفرين ، استخففت بالشهوة إن كنت كريم النفس ؛ والأنفس العامية أيضا فإنها تترك الشهوات المعترضة وتؤثر الغرامات والآلام الفادحة بسبب افتضاح أو خجل أو تعيير أو سوء قالة . وهذه كلها أحوال عقلية تؤثر هى وأضداد (ها) على المؤثرات الطبيعية ويصبر لها على المكروهات الطبيعية فيعلم من ذلك أن الغايات العقلية أكرم على النفس من محقرات الأشياء ١٠ فكيف فى الأمور البهية العالية؟ إلا أن النفس الخسيسة تحس بما يلحق المحقرات من الخير والشر ، ولا تحس بما يلحق الأمور البهية لما قيل من المعاذير .

وأما إذا انفصلنا عن البدن ، وكانت النفس منا تنبهت فى البدن لكمالها الذى هو معشوقها ولم تحصله ، وهى بالطبع نازعة إليه إذ عقلت بالفعل أنه موجود . إلا أن اشتغالها بالبدن كما قلنا قد أنساها ذاتها ومعشوقها كما ينسى المرض الحاجة إلى بدل ما يتحلل وكما ١٥ ينسى المرض الاستلذاذ بالحلو واشتهاءه ، ويميل بالشهوة من المريض إلى المكروهات فى الحقيقة عرض لها حينئذ من الألم لفقدانه كفاء ما يعرض من اللذة التى أوجبنا وجودها ودللنا على عظم منزلتها ، فيكون ذلك هو الشقاوة والعقوبة التى لا يعد لها تفريق النار

(١) منا : منهما ط || ضعيفا : ساقطة من ط || وخصوصا : (إلى هنا تنتهى نسخة م) (٥) وأنت : أنت د || تعلم : ساقطة من ب (٧) المعترضة : المعرضة ح ، د || افتضاح : استقباح ط || تعيير : تغير ب ، د ، م (٨) تؤثر هى وأضدادها : تؤثر بعضها وأضداد بعضها ح ، ص ، ط ؛ بعضها وأضداد بعضها تؤثر ، د || لها : بها ، د (٩) فيعلم : ويعلم ح ، ط || النفس : الأنفس ب ، ح ، ص ، ط (١٠) النفس : الأنفس ب ، ح ، د ، ص || المحقرات : المعقولات ح (١١) ولا تحس بما : ولا تحس ما ح ؛ ولا تحس عما ط || الأمور : الأمر د (١٣) إذ : إذا ح ؛ أو ، د (١٤) المرض : المرضى ، ح د ، ص ، ط (١٥) المرض : المريض ح ؛ الأمراض د ، ص ، ط || بالحلو : الحلو د || بالشهوة : الشهوة د (١٦) لها حينئذ : حينئذ لها د || لفقدانه : بفقدانه ب ، د || كفاء ما يعرض : كذا بالمرض د || أوجبنا وجودها : أوجبنا وجوده د (١٧) يعد لها : يعدلها ب ، ح ، د ، ص .

للاتصال وتبديل الزمهرير للزاج، فيكون مثلنا حينئذ مثل الخدر الذى أومأنا إليه فيما سلف، أى الذى قد عملت فيه نار أو زمهرير، فمنعت المادة الملابسة وجه الحس عن الشعور به فلم يتأذ، ثم عرض أن زال العائق فشعر بالبلاء العظيم. وأما إذا كانت القوة العقلية بلغت من النفس حدا من الكمال يمكنها به إذا فارقت البدن أن تستكمل الاستكمال التام الذى لها أن تبلغه، كان مثلها مثل الخدر الذى أذيق المطعم الألذ وعرض للحالة الأشهى وكان لا يشعر به، فزال عنه الخدر وطالع اللذة العظيمة دفعة، وتكون تلك اللذة لا من جنس اللذة الحسية والحيوانية بوجه، بل لذة تشاكل الحال الطيبة التى هى للجواهر الحية المحضة، وهى أجل من كل لذة وأشرف.

فهذه هى السعادة وتلك هى الشقاوة، وتلك الشقاوة ليست تكون لكل واحد من الناقصين، بل للذين اكتسبوا للقوة العقلية التشوق إلى كمالها وذلك عندما يبرهن لهم أن من شأن النفس إدراك ماهية الكل بكسب المجهول من المعلوم والاستكمال بالفعل، فإن ذلك ليس فيها بالطبع الأول، ولا أيضا فى سائر القوى، بل شعور أكثر القوى بكمالاتها إنما يحدث بعد أسباب. وأما النفوس والقوى الساذجة الصرفة، فكأنها هيولى موضوعة لم تكتسب ألبتة هذا الشوق، لأن هذا الشوق إنما يحدث حدوثا وينطبع فى جوهر النفس إذا برهن للقوة النفسانية أن ههنا أمورا يكتسب العلم بها بالحدود الوسطى على ما علمت. وأما قبل ذلك فلا يكون، لأن هذا الشوق يتبع رأيا، إذ كل شوق يتبع رأيا، وليس هذا الرأى للنفس رأيا أوليا بل رأيا مكتسبا. فهؤلاء إذا اكتسبوا هذا الرأى، لزم النفس ضرورة هذا الشوق، وإذا فارقت ولم يحصل معها ما تبلغ به بعد الانفصال التام

(١) للاتصال : اتصال ب ؛ + وتبديلها ب، ح، د، ط ‖ للزاج : المزاج ب، د، ط ‖ مثلنا : مثلها د، ص، ط (٢) اى : أو ب د، ‖ قد : ساقطة من د، ص، ط ‖ عملت : عمل ب، د، ص، ط ‖ أو زمهرير : فزمهرير ح ‖ الملابسة : الملامسة ب، د، ص (٣) أن زال العائق : إزالة العائق د (٤) تستكمل : يستكملها د ‖ التام : ساقطة من ب، ح، د، ص (٥) المطعم : المطم د، ط ‖ للحالة : الحالة د (٦) وطالع : فطالع ب، د (٧) بوجه : بوجهه ب ‖ الحال : الحالة ح، د، ص، ط (٩) فهذه : وهذا ط ؛ فهذا ب، د، ص ‖ هى : هو ب، د، ص، ط (١٠) التشوق : الشوق ح، ص (١٢) و : ساقطة من د (١٤) هذا الشوق : هذا د (١٥) برهن : تبرهن ب (١٧) للنفس رأيا : للنفس ب ‖ اكتسبوا : كسبوا د (١٨) وإذا : فإذا ب، د، ص ‖ فارقت : فارق ب، د، ط ‖ ولم : فلم د ‖ معها : معه ب، د، ح ‖ ما تبلغ : ما تتبع ح ‖ به : ساقطة من ب، د، ط .

وقعت فى هذا النوع من الشقاء الأبدى ؛ لأن أوائل الملكة العلمية إنما كانت تكتسب بالبدن لا غير وقد فات ، وهؤلاء إما مقصرون عن السعى فى كسب الكمال الأسنى ، وإما معاندون جاحدون متعصبون لآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية ، والجاحدون أسوأ حالا لما اكتسبوا من هيآت مضادة للكمال . وأما أنه كم ينبغى أن يحصل عند نفس الإنسان من تصور المعقولات حتى يجاوز به الحد الذى فى مثله تقع ٥ هذه الشقاوة ، وفى تعديه وجوازه ترجى هذه السعادة ، فليس يمكننى أن أنص عليه نصا إلا بالتقريب. وأظن أن ذلك أن يتصور نفس الإنسان المبادئ المفارقة تصورا حقيقيا ، وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عندها بالبرهان وتعرف العلل الغائية للأمور الواقعة فى الحركات الكلية دون الجزئية التى لا تتناهى ، وتتقرر عندها هيئة الكل ونسب أجزاء بعضها إلى بعض،والنظام الآخذ من المبدأ الأول إلى أقصى الموجودات الواقعة ١٠ فى ترتيبه ، وتتصور العناية وكيفيتها،وتتحقق أن الذات المتقدمة للكل أى وجود يخصها، وأية وحدة تخصها ،وأنها كيف تعرف حتى لا يلحقها تكثر وتغير بوجه من الوجوه ، وكيف ترتيب نسبة الموجودات إليها . ثم كلما ازداد الناظر استبصارا ازداد للسعادة استعدادا ، وكأنه ليس يتبرأ الإنسان عن هذا العالم وعلائقه إلا أن يكون أكد العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق إلى ما هناك وعشق لما هناك فصده عن الالتفات إلى ما خلفه جملة. ١٥

ونقول أيضا : إن هذه السعادة الحقيقية لاتتم إلا بإصلاح الجزء العملى من النفس ، ولنقدم لذلك مقدمة ، وكأنا قد ذكرناها فيما سلف، فنقول: إن الخلق هو ملكة يصدر بها من النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم روية ، وقد أمر فى كتب الأخلاق بأن يستعمل التوسط بين الخلقين الضدين لا بأن نفعل أفعال التوسط دون أن تحصل ملكة التوسط ،

---

(١) وقعت : وقع د ، ب || كانت : ساقطة من د ، ص (٢) الأسنى : ساقطة من ح ، ص (٣) جاحدون : جاهدون ط || والجاحدون : والجاهدون ط (٥) تصور : تصورات د (٦) وجوازه : وبجوازه ب ، ح ، ص ، ط || يمكننى : يمكنى د (٧) المفارقة : العالية ح (٨) بها : لها د || عندها : عنده ب ، د (٩) عندها : عنده ، ب ، د || نسب : ساقطة من د (١٠) أجزاء : أجزائه ب ، د || من المبدأ : مبدأ د (١١) وتتصور : وتصور د (١٢) وأية : وأى ب (١٣) للسعادة : فإسعاده ب (١٤) وكأنه : كأنه د (١٧) ولنقدم : ونقدم ب ؛ فنقدم د (١٨) من : عن ب ، ح ، د ، ص (١٩) بين الخلقين ... التوسط : ساقطة من د .

بل أن تحصل التوسط، وملكة التوسط ملكة كأنها موجودة للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معا، أما القوى الحيوانية فبأن تحصل فيها هيئة الإذعان، وأما القوة الناطقة فبأن تحصل فيها هيئة الاستعلاء والانفعال، كما أن ملكة الإفراط والتفريط موجودة للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معا، ولكن بعكس هذه النسبة. ومعلوم أن الإفراط والتفريط هما مقتضى القوى الحيوانية، وإذا قويت القوى الحيوانية وحصل لها ملكة استعلائية حدثت في ٥ النفس الناطقة هيئة إذعانية وأثر انفعالى قد رسخ في النفس الناطقة من شأنها أن يجعلها قوية العلاقة مع البدن شديدة الانصراف إليه.

وأما ملكة التوسط فالمراد منها التنزيه عن الهيئات الانقيادية وتبقية النفس الناطقة على جبلتها مع إفادة هيئة الاستعلاء والتنزه، وذلك غير مضاد لجوهرها ولا مائل بها إلى جهة ١٠ البدن، بل عن جهته، فإن المتوسط يسلب عنه الطرفان دائما. ثم جوهر النفس إنما كان البدن هو الذى يغمره ويلهيه، ويغفله عن الشوق الذى يخصه، وعن طلب الكمال الذى له، وعن الشعور بلذة الكمال إن حصل له، والشعور بألم الكمال إن قصر عنه، لا بأن النفس منطبعة في البدن أو منغمسة فيه، ولكن العلاقة التى كانت بينهما وهو الشوق الجبلى إلى تدبيره والاشتغال بآثاره وبما توردهعليه من عوارضه، وبما يتقرر فيه من ملكات مبدؤها البدن، ١٥ فإذا فارق وفيه الملكة الحاصلة بسبب الاتصال به كان قريب الشبه من حاله وهو فيه، فبما ينقص من ذلك تزول غفلته عن حركة الشوق الذى له إلى كماله، وبما يبقى منه معه يكون محجوبا عن الاتصال الصرف بمحل سعادته، ويحدث هناك من الحركات المشوشة ما يعظم

(١) التوسط وملكة التوسط: ساقطة من ط || كأنها: كان د || الناطقة وللقوى: ساقطة من د || القوى: القوى حـ، د، ص، ط || القوة: القوة د (٢) فبأن: بأن د
(٣) وللقوى: وللقوة د (٤) مقتضى: مقتضيا ب، حـ، ص، ط
(٥) للقوى: القوة ط || قويت القوى: قويت القوة ط || حدثت: حدث ب (٩) والتنزه: والتبرئة ط
(١٠) المتوسط: التوسط حـ، ص || عنه: منه د || الطرفان: الطرف د (١١) وعن: عن د
(١٢) والشعور: أو الشعور ب || الكمال: النقصان ص (١٣) أو منغمسة: ومنغمسة حـ || العلاقة: للعلاقة ص || بينهما: بينها د (١٤) وبما: وما ب، وربما د || توردهـ: توردها د || من ملكات: ملكات د
(١٥) كان: وكان د || حاله: + لها ص (١٦) إلى كماله: الكمال حـ || يبقى: بقى ب || يكون: فيكون د
(١٧) عن: عنه ب، ط || بمحل: لمحل ب، د || سعادته: ساقطة من ب، د، ط || المشوشة: المشوقة ب، حـ، ص، ط.

أذاه . ثم أن تلك الهيئة البدنية مضادة لجوهرها مؤذية له ، وإنما كان يلهيها عنها أيضا البدن وتمام انغماسها فيه ، فإذا فارقت النفس البدن أحست بتلك المضادة العظيمة وتأذت بها أذى عظيما ، لكن هذا الأذى وهذا الألم ليس لأمر لازم ، بل لأمر عارض غريب ، والأمر العارض الغريب لايدوم ولايبقى ، و يزول و يبطل مع ترك الأفعال التي كانت تثبت تلك الهيئة بتكررها ، فيلزم إذن أن تكون العقوبة التي بحسب ذلك غير خالدة، ٥ بل تزول وتمحى قليلا قليلا حتى تزكو النفس وتبلغ السعادة التي تخصها .

وأما النفوس البله التي لم تكتسب الشوق فإنها إذا فارقت البدن وكانت غير مكتسبة للهيئات الردية صارت إلى سعة من رحمة الله تعالى ونوع من الراحة، وإن كانت مكتسبة للهيئات البدنية الردية وليس لها عندها هيئة غير ذلك ولا معنى تضاده وتنافيه فتكون لامحالة ممنوة بشوقها إلى مقتضاها، فتتعذب عذابا شديدا بفقد البدن ومقتضيات البدن ١٠ من غير أن يحصل المشتاق إليه ، لأن آلة ذلك قد بطلت وخلق التعلق بالبدن قد بقي .

ويشبه أيضا أن يكون ماقاله بعض العلماء حقا وهو إن هذه الأنفس إن كانت زكية وفارقت البدن وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة التي تكون لامثالهم على مثل مايمكن أن يخاطب به العامة وتصور ذلك في أنفسهم من ذلك، فإنهم إذا فارقوا الأبدان ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي فوقهم ، لا كمال فيسعدوا تلك السعادة ، ولاشوق كمال فيشقوا ١٥ تلك الشقاوة ، بل جميع هيئاتهم النفسانية متوجهة نحو الأسفل منجذبة إلى الأجسام ، ولا منع من المواد السماوية من أن تكون موضوعة لفعل نفس فيها ، قالوا فإنها تخيل

---

(١) أذاه : أذاها د || له : ساقطة من د || وإنما : فإنما د || يلهيها عنها : يلهيها عنه ب ، ح ، د ؛ لهيا عنها ط (٢) فإذا : وإذا د || فارقت : فارق ب ، د (٣) لأمر (الأولى) : بأمر ح ؛ ساقطة من ط || لأمر (الثانية) : الأمر ح (٥) إذن : ساقطة من ب (٥ — ٧) فيلزم ... تكتسب : ساقطة من د (٧ — ٨) الشوق ... صارت : ساقطة من د (٨) من : ساقطة من د || تعالى : ساقطة من ب ، د (٩) لها : ساقطة من ب ، د ، ص || وتنافيه : ولا ينافيه د ، ص (١٠) ممنوة بشوقها إلى : ممنو ط || فتتعذب : فتعذب ح ، د ؛ ساقطة من ط || بفقد : بفقدان ب ؛ فقدان د || ومقتضيات : وبمقتضيات ب ، ح ، ص ؛ ولمقتضيات د (١١) لأن آلة ذلك قد : لا ط (١٢) أيضا : ساقطة من ب (١٤) من ذلك : ساقطة من ب ، ح ، د ، ط || الأبدان : البدن ح (١٥) التي : + هي د ، ص || فيسعدوا تلك السعادة ولا شوق كمال : عدم د (١٦) جميع : كل ب || منجذبة إلى : تجذبه د (١٧) من المواد : في المواد ب ، ح ، د ، ص || من أن : عن أن ح ، د ، ص || لفعل : بفعل د || تخيل : تخيل د ؛ + من ط .

جميع ما كانت اعتقدته من الأحوال الأخروية ، وتكون الآلة التى يمكنها بها التخيل شيئا من الأجرام السماوية فتشاهد جميع ما قيل لها فى الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية ، وتكون الأنفس الردية أيضا تشاهد العقاب بحسب ذلك المصور لهم فى الدنيا وتقاسيه ، فإن الصور الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد عليها تأثيرا وصفاء كما يشاهد فى المنام، فربما كان المحلوم به أعظم شأنا فى بابه من المحسوس، على أن الأخروى ٥
أشد استقرارا من الموجود فى المنام بحسب قلة العوائق وتجرد النفس وصفاء القابل ، وليست الصورة التى ترى فى المنام ، بل ولا التى تحس فى اليقظة، كما علمت، إلا المرتسمة فى النفس. إلا أن أحدهما يبتدئ من باطن وينحدر إليه ، والثانى يبتدئ من خارج ويرتفع إليه، فإذا ارتسم فى النفس تم هناك الإدراك المشاهد ، وإنما يلذ ويؤذى بالحقيقة هذا المرتسم فى النفس لا الموجود من خارج ، فكلما ارتسم فى النفس فعل فعله وإن لم يكن ١٠
بسبب من خارج ، فإن السبب الذاتى هو هذا المرتسم ، والخارج هو سبب بالعرض أو سبب السبب .

فهذه هى السعادة والشقاوة الخسيستان اللتان بالقياس إلى الأنفس الخسيسة ، وأما الأنفس المقدسة فانها تبعد عن مثل هذه الأحوال وتتصل بكمالاتها بالذات وتنغمس فى اللذة الحقيقية ، وتتبرأ عن النظر إلى ما خلفها ، وإلى المملكة التى كانت لها ، كل ١٥
التبرئ . ولو كان بقى فيها من ذلك أثر اعتقادى أو خلقى تأذت به ، وتخلفت لأجله عن درجة العليين إلى أن تنفسخ وتزول .

---

(١) الأحوال : أحوال د || التى : ساقطة من د || بها : به ب ، ح ، د (٤) الصور : الصورة ح ، د ، ص || الخيالية : الخالية د || تزداد : راد د || وصفاء : وصفاها د (٥) المحلوم : المحكوم د || الأخروى : الأخرى ب ، ح ، ص ، ط (٦) الموجود : الموجودة ب ، د ، ص (٧) وليست : وليس د || ولا : ساقطة من ب ، د || التى : والتى ب ، د (٨) أحدهما : أحدها ب (٩) الادراك : ساقطة من د || وإنما : إنما ح ، ص ، ط (١٠) من خارج : فى خارج ح ؛ فى الخارج د ، ص ، ط || فكلما : وكلما ص || وإن : ساقطة من د (١١) بسبب : سبب ب ؛ له سبب د ، ص || هو سبب : سبب من ب ، د || بالعرض : ما يعرض ح (١٢) السبب : فالسبب ب (١٣) السعادة : ساقطة من د || الخسيستان : الخسيسان ح ، د ص ، ط || اللتان : واللتان ب (١٤) وأما : فأما : د || بكمالاتها : بكمالها ب ، ح ، د ، ص (١٥) عن : من ب || المملكة : الملكة ب ، ح ، د ، ط (١٦) من ذلك أثر : أثر من ذلك د || به : ساقطة من د (١٧) العليين : عليين ب ؛ علمان د || وتزول : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص .

المقالة العاشرة

وفيها خمسة فصول



[الفصـــــل الأول]

(١) فصل
فى المبـدأ والمعـاد

بقول مجمل ، وفى الإلهامات والمنامات ، والدعوات المستجابة ، والعقوبات السماوية ، وفى أحوال النبوة ، وفى حال أحكام النجوم ٥

فالوجود إذا ابتدأ من عند الأول لم يزل كل تال منـه أدون مرتبة من الأول ، ولا يزال ينحط درجات ؛ فأول ذلك درجة الملائكة الروحانية المجردة التى تسمى عقولا ، ثم مراتب الملائكة الروحانية التى تسمى نفوسا ، وهى الملائكة العملة ، ثم مراتب الأجرام السماوية ، وبعضها أشرف من بعض إلى أن يبلغ آخرها ، ثم بعدها يبتدئ وجود المادة القابلة للصور الكائنة الفاسدة ، فيلبس أول شىء صور العناصر ثم يتدرج يسيرا يسيرا ١٠ فيكون أول الوجود فيها أخس وأدون مرتبة من الذى يتلوه ، فيكون أخس ما فيه المادة ثم العناصر ، ثم المركبات الجمادية ، ثم النباتات ، وأفضلها الإنسان ، وبعده الحيوانات ثم النبات ، وأفضل الناس من استكملت نفسه عقلا بالفعل ، ومحصلا للأخلاق التى تكون فضائل عملية ، وأفضل هؤلاء هو المستعد لمرتبة النبوة وهو الذى فى قواه النفسانية خصائص ثلاث ذكرناها : وهى أن يسمع كلام الله تعالى ، ويرى ملائكته وقد تحولت ١٥ له على صورة يراها . وقد بينا كيفية هذا ، وبينا أن هذا الذى يوحى إليه تتشبح الملائكة له ويحدث له فى سمعه صوت يسمعه يكون من قبل الله والملائكة ، فيسمعه من غير أن

(٢) فصل : ساقطة من د (٤) والمنامات : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص || والدعوات : وفى الدعوات ح ، د ، ص ، ط (٥) وفى حال : وفى أحوال ح (٦) فالوجود : والوجود د || ابتدأ : بتدأ ط || الأول : + يقال ط || تال : ثان ط (٧) ينحط : + عن ط (٨) ثم : ساقطة ب ، د || مراتب : ودرجة د ؛ ومراتب ب || العملة : العملية ح ، د ، ص ، ط (٩) ثم : + من ح ، ط (١٠) ثم : لم د (١١) فيها : منها د || وأدون : وأرذل د || من : ساقطة من د (١٢) النباتات : الناميات ب ، ح ، د ، ص || الحيوانات : + الناميات ب (١٣) النبات : النباته د || الناس : الإنسان ص || استكملت : استكمل ص ، ط (١٥) وهى : وهو ب ، د ، ط || أن : أنه د ؛ ساقطة من ح || تعالى : ساقطة من ب ، د ، ص ، ط (١٦) وقد بينا : فقد بينا د (١٦ — ١٧) الملائكة له : له الملائكة ح ، د ، ص .

يكون ذلك كلاما من الناس والحيوان الأرضى ، وهذا هو الموحى إليه ؛ وكما أن أول الكائنات من الابتداء إلى درجة العناصر كان عقلا ثم نفسا ثم جرما ، فههنا يبتدئ الوجود من الأجرام ، ثم تحدث نفوس ، ثم عقول ، وإنما تفيض هذه الصور لا محالة من عند تلك المبادئ ، والأمور الحادثة فى هذا العالم تحدث من مصادمات القوى الفعالة السماوية ، والمنفعلة الأرضية تابعة لمصادمات القوى الفعالة السماوية ، وأما القوى الأرضية فيتم حدوث ما يحدث فيها بسبب شيئين :

أحدهما القوى الفعالة فيها : إما الطبيعية وإما الارادية .

والثانى القوى الانفعالية : إما الطبيعية وإما النفسانية .

وأما القوى السماوية فتحدث عنها آثارها فى هذه الأجرام التى تحتها على ثلاثة وجوه:

أحدها من تلقائها بحيث لا تسبب فيها للأمور الأرضية بوجه من الوجوه ، وتلك إما عن طبائع أجسامها وقواها الجسمانية بحسب التشكيلات الواقعة منها مع القوى الأرضية والمناسبات بينها ، وإما عن طبائعها النفسانية .

والوجه الثانى فيه شركة ما مع الأحوال الأرضية وتسبب بوجه من الوجوه على الوجه الذى أقول إنه قد اتضح لك ، أن لنفوس تلك الأجرام السماوية ضربا من التصرف فى المعانى الجزئية على سبيل إدراك غير عقلى محض وأن لمثلها ان يتوصل الى إدراك الحادثات الجزئية ، وذلك يمكن بسبب إدراك تفاريق أسبابها الفاعلة والقابلة الحاصلة من حيث هى أسباب وما يتأدى إليه ، وأنها دائما تنتهى الى طبيعية أو إرادية موجبة ليست إرادية فاترة غير حاتمة ولا جازمة . ولا تنتهى إلى القسر ، فإن القسرية إما قسر

---

(١) الناس : النفس د (٢) العناصر : العنصر ب ، ـه ، د ، ص || عقلا : عقل ب || نفسا: نفس ب || جرما : جرم ب (٤) من عند : ساقطة من ط (٥) السماوية : ساقطة من ب || الأرضية : + لا والمنفعلة الأرضية د ؛ + والمنفعلة الأرضية ـه ، ص ، ط (٦) فيها : منها ب (٩) آثارها : آثار ب || وجوه : أوجه د ، ص (١٠) فيها : منها ب ؛ فيه ـه ، ط (١١) أجسامها: أجسام د || وقواها : وقوتها د (١٢) بينها : بينهما ـ ، ص ، ط (١٣) الثانى : الثالث ب ، ـه ، د ، ط || وتسبب : وسببه د (١٤) تلك : ساقطة من ب (١٥) وأن : فان د (١٦) يمكن : يكن د || الحاصلة : والحاصلة د ؛ ساقطة من ـه ، ص (١٧) دائما : ساقطة من ب ، د ، ص || أو إرادية : وإرادية ب ، ـه ، د ، ص (١٨) فاترة : ساقطة من د .

عن طبيعة، و إما قسر عن إرادة، و إليهما ينتهى التحليل فى القسريات أجمع. ثم إن الإرادات
كلها كائنة بعد ما لم تكن ، فلها أسباب تتوافى فتوجبها ، وليس توجد إرادة بإرادة
و إلا لذهبت إلى غير النهاية ، ولا عن طبيعة للمريد و إلا للزمت الإرادة ما دامت الطبيعة،
بل الإرادات تحدث بحدوث علل هى الموجبات، والدواعى تستند إلى أرضيات وسماويات،
وتكون موجبة ضرورة لتلك الإرادة ، وأما الطبيعية فإن كانت ثابتة فهى أصل و إن ٥
كانت قد حدثت فلا محالة أنها تستند أيضا إلى أمور سماوية وأرضية .

عرفت جميع هذا فيما قبل وأن لازدحام هذه العلل وتصادمها واستمرارها نظاما ينجر بحسب
الحركة السماوية، فإذا علمت الأوائل بما هى أوائل وهيئة انجرارها إلى الثوانى، علمت الثوانى
ضرورة. فمن هذه الأشياء علمنا أن النفوس السماوية ومافوقها عالمة بالجزئيات، وأما ما فوقها
فعلمها بالجزئيات على نحو كلى، وأما هى فعلى نحو جزئى كالمباشر أو المتأدى إلى المباشر أو المشاهد ١٠
بالحواس، فلا محالة أنها تعلم ما يكون، لا محالة أنها تعلم فى كثير منها على الوجه الذى هو أصوب
والذى هو أصلح وأقرب من الخير المطلق من الأمرين الممكنين ، وقد بينا أن التصورات
التى لتلك العلل مبادئ لوجود تلك الصور ههنا إذا كانت ممكنة ولم تكن هناك أسباب سماوية،
تكون أقوى من تلك التصورات مما هو أقدم ومما هو فى أحد القسمين من الثلاثة غير هذا
الثالث . و إذا كان الأمر كذلك وجب أن يحصل ذلك الأمر الممكن موجودا لا عن ١٥
سبب أرضى ولا عن سبب طبيعى فى السماء ، بل عن تأثير بوجه ما لهذه الأمور فى الأمور
السماوية . وليس هذا بالحقيقة تأثيرا ، بل التأثير لمبادئ وجود ذلك من الأمور السماوية ؛
فإنها إذا عقلت الأوائل عقلت ذلك الأمر، و إذا عقلت ذلك الأمر عقلت ما هو الأولى

---

(١) والبهما : وإليها د ، ط (٢) وليس : فليس ح ، ص ، ط (٣) لذهبت : لذهب ب ، ح ، د || للريد : المريد د (٤) بحدوث : حدوث ب (٥) ضرورة : ساقطة من ط || الارادة : الارادات ح || فإن : فإنها أن ح || ثابتة : واهنة ب ؛ راهنة د ؛ راهنه ح ، ط
(٥ — ٦) وإن كانت : فأن كان د (٧) لازدحام : بالأزدحام د || بحسب : تحت ب ، ح ، د ، ط
(٨) فإذا : وإذا ه || الثوانى : التوالى د (٩) علمنا : علمت ب ، ح ، ط
(٩) وأما : أما ب (١٠) بالجزئيات : ساقطة من ب || أو المتأدى : المتأدى د ؛ ذو المتأدى ب
(١١) لا محالة : ولا محالة ص ، ط || أنها : وأنها ح || على : ساقطة من ب ، ح ، ص ، ط
(١٢) وأقرب : + هو د (١٣) لوجود : لوجودات ب ، ح ، ص ، ط (١٤) ومما : مما ب
(١٥) لا عن : إلا عن ط (١٦) بل عن : بل من د (١٧) ذلك : + الأمر ب ، د
(١٨) وإذا عقلت ذلك الأمر : ساقطة من د .

بأن يكون ، و إذا عقلت ذلك كان لامانع فيه إلا عدم علة طبيعية أرضية أو وجود علة طبيعية أرضية ، وأما عدم العلة الطبيعية الأرضية، مثلا أن يكون ذلك الشئ هو يوجد حرارة ، فلا يكون قوة مسخنة طبيعية أرضية ، فتلك السخونة تحدث للتصور السماوى بوجه كون الخير فيه ، كما أنها تحدث هى فى أبدان الناس عن أسباب من تصورات الناس ٥ وعلى ماعرفته فيما سلف .

وأما مثال الثانى فأن يكون ليس المانع عدم سبب التسخين فقط ، بل وجود المبرد فالتصور السماوى للخير فى وجود ضد مايوجبه المبرد فى ذلك أيضا يقسر المبرد كما يقسر تصورنا المغضب السبب المبرد فينا فيكون الحر ، فتكون أصناف هذا القسم إحالات لأمور طبيعية أو إلهامات تتصل بالمستدعى أو بغيره، أو اختلاط من ذلك يؤدى واحد منها أو جملة مجتمعة ١٠ إلى الغاية النافعة ، ونسبة التضرع إلى استدعاء هذه القوة نسبة التفكر إلى استدعاء البيان ، وكل يفيض من فوق . وليس هذا يتبع التصورات السماوية ، بل الأول الحق يعلم جميع ذلك على الوجه الذى قلنا : إنه يليق به ومن عنده يبتدئ كون مايكون ، ولكن بالتوسط ، وعلى ذلك علمه . فبسبب هذه الأمور ماينتفع بالدعوات والقرابين وخصوصا فى أمر الاستسقاء وفى أمور أخرى ، ولهذا مايجب أن يخاف المكافآت على الشر ويتوقع المكافآت على الخير ؛ فإن ١٥ فى ثبوت حقية ذلك مزجرة عن الشر ، وثبوت حقية ذلك يكون بظهور آياته ، وآياته هى وجود جزئياته ، وهذه الحال معقولة عند المبادئ ، فيجب أن يكون لها وجود ، فإن لم يوجد فهناك شر وسبب لاندركه ، أو سبب آخر يعاوقه ، وذلك أولى بالوجود من هذا ، ووجود ذلك ووجود هذا معا من المحال ؛ و إذا شئت أن تعلم أن الأمور التى عقلت

---

(١) كان : + إذ كان ب ، ـه ، ص ، ط || أرضية : أو أرضية ـه (٢) وأما : أماب (٣) فتلك : فكـ د (٤) بوجه : لوجه ب || أنها : أنه ب ، ـه ، د ، ص (٦) التسخين : التسخن ب ، ـه ، ط ؛ المسخن د || المبرد : البرد د (٧) المبرد : البرد د || فيكون : ويكون ب ، د || الحر : الخير ب ، د || احالات لأمور : حالات لا أمور ـه ، ص ، ط (٩) من : عن ـه (١٠) ونسبة : نسبته د (١١) هذا : هو ص ؛ هذا هو ـه ، د ؛ ساقطة من ط || التصورات السماوية : تصورات السماويات ب (١٣) والقرابين : وللقرابين د (١٥) يكون : ساقطة من ب || بظهور : لظهور د (١٦) وهذه : وهذا ب (١٧) وسبب : أوسبب ب ، د ، ص || وذلك أولى بالوجود من هذا : ذلك الوجود أولى من هذا ب ؛ وذلك بالوجود أولى من هذا ـه ، د ؛ وذلك بالموجود أولى من هذا ط (١٨) ووجود : أووجود د ، ط || ذلك ووجود : ساقطة من د || معا : ساقطة من د .

نافعة مؤدية إلى المصالح قد أوجدت فى الطبيعة على النحو من الإيجاد الذى علمته وتحققته فتأمل حال منافع الأعضاء فى الحيوانات والنباتات ، وأن كل واحد كيف خلق . وليس هناك ألبتة سبب طبيعى، بل مبدؤه لا محالة من العناية على الوجه الذى علمت العناية . فكذلك يصدق بوجود هذه المعانى ؛ فإنها متعلقة بالعناية على الوجه الذى علمت العناية تعلق تلك . ٥

واعلم أن أكثر ما يقر به الجمهور ويفزع إليه ، ويقول به ، فهو حق وإنما يدفعه هؤلاء المتشبهة بالفلاسفة جهلا منهم بعلله وأسبابه ، وقد عملنا فى هذا الباب كتاب البر والإثم فتأمل شرح هذه الأمور من هناك وصدق بما يحكى من العقوبات الإلهية النازلة على مدن فاسدة ، وأشخاص ظالمة ؛ وانظر أن الحق كيف ينصر ؛ واعلم أن السبب فى الدعاء منا أيضا وفى الصدقة وغير ذلك وكذلك حدوث الظلم والإثم إنما يكون من هناك ١٠ فإن مبادئ جميع هذه الأمور تنتهى إلى الطبيعة والإرادة والاتفاق ، والطبيعة مبدؤها من هناك ، والإرادات التى لنا كائنة بعد مالم تكن ، وكل كائن بعد مالم يكن فله علة، وكل إرادة لنا فلها علة ، وعلة تلك الإرادة ليست إرادة متسلسلة فى ذلك إلى غير النهاية، بل أمور تعرض من خارج ، أرضية وسماوية ؛ والأرضية تنتهى إلى السماوية ، واجتماع ذلك كله يوجب وجود الإرادة . ١٥

واما الاتفاق فهو حادث عن مصادمات هذه ، فإذا حالت الأمور كلها استندت إلى مبادئ إيجابها ، تنزل من عند الله تعالى .

والقضاء من الله تعالى هو الوضع الأول البسيط .

---

(١) قد : فقد د || النحو : نحو ــ || الذى : ساقطة من ط (٢) حال : أن ط || والنباتات : والنبات ب (٣) ألبتة سبب : سبب ألبته ب : ساقطة من ط || مبدؤه : ساقطة من ب، د ، ط || العناية : ساقطة من د (٤) يصدق : فصدق ب ، ص ، ط || بوجود : لوجود د || الوجه : ساقطة من د (٧) بالفلاسفة : بالفلسفة ط || بعلله : لعلله د (٨) فتأمل : فليتأمل ب، ــ، د، ط (١٢) وكل : فكل ب ، ــ ، ص ، ط (١٦) وأما : فأما د || عن : من د || مصادمات : مصادفات د || استندت : اسندت د (١٧) تنزل . نزل د ؛ منزل ب ، ط || تعالى : ساقطة من ب، د (١٨) من الله تعالى : من الله ب ؛ من الله سبحانه وتعالى د ؛ ساقطة من ط .

والتقدير هو ما يتوجه إليه القضاء على التدريج كأنه موجب اجتماعات من الأمور البسيطة التى تنسب من حيث هى بسيطة إلى القضاء والأمر الإلهى الأول . ولو أمكن إنسانا من الناس أن يعرف الحوادث التى فى الأرض والسماء جميعها وطبائعها، لفهم كيفية جميع ما يحدث فى المستقبل . وهذا المنجم القائل بالأحكام — مع أن أوضاعه الأولى ومقدماته ليست تستند إلى برهان، بل عسى أن يدعى فيها التجربة أو الوحى، وربما حاول قياسات شعرية أو خطابية فى إثباتها — فإنه إنما يعول على دلائل جلس واحد من أسباب الكائنات وهى التى فى السماء ، على أنه لا يضمن من عنده الإحاطة بجميع الأحوال التى فى السماء ، ولو ضمن لنا ذلك ووفى به لم يمكنه أن يجعلنا ونفسه بحيث نقف على وجود جميعها فى كل وقت ، وإن كان جميعها من حيث فعله وطبعه معلوما عنده ؛ وذلك مما لا يكفى أن يعلم أنه وجد أو لم يوجد . وذلك لأنه لا يكفيك أن تعلم أن النار حارة مسخنة وفاعلة كذا وكذا ، فى أن تعلم أنها سخنت مالم تعلم أنها حصلت ، وأى طريق من الحساب يعطينا المعرفة بكل حدث وبدعة فى الفلك ، ولو أمكنه أن يجعلنا ونفسه بحيث نقف على وجود جميع ذلك لم يتم لنا به الانتقال إلى المغيبات . فإن الأمور المغيبة التى فى طريق الحدوث إنما تتم بمخالطات بين الأمور السماوية التى لنا تسامح أنا حصلناها بكمال عددها ، وبين الأمور الأرضية المتقدمة واللاحقة، فاعلها ومنفعلها، طبيعيها وإراديها وليس تتم بالسماويات وحدها ، فما لم يحط بجميع الحاضر من الأمرين ، وموجب كل واحد منهما خصوصا ما كان متعلقا بالمغيب ، لم يتمكن من الانتقال إلى المغيب . فليس لنا إذن اعتماد على أقوالهم ، وإن سلمنا متبرعين أن جميع ما يعطوننا من مقدماتهم الحكمية صادقة .

---

(٣) انسانا : انسان ب || جميعها : جميعات ، ح ، ص ، ط || وطبائعها : وطبائعهما ب
(٤) جميع : ساقطة من ب ، د || المنجم : + بل د || مع : من د (٧) لا يضمن : لا يظهر د
(٨) ضمن : ظهر د (٩) عنده : عندنا ص (١٠) يكفيك : يمكنك د (١١) وأى : فأى ح
(١٢) من : فى د || الحساب : الحسبات ح || حدث : حدوث ح ، د (١٣) لم يتم : لما تم ص
(١٤) لنا : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص || تسامح : لتسامح ب ، ح ، ص ، ط (١٥) طبيعيها وإراديها : طبيعها وإراديها د (١٦) وليس يتم : وليست تتم د ، ص (١٧) لم : لا ح || فليس : فليست د
(١٨) لنا إذن : إذن لنا ح ، ص || يعطوننا : يعطونا ب ، د ، ص .

[الفصل الثانى]

(ب) فصــل

فى إثبات النبوة وكيفية دعوة النبي إلى الله تعالى ، والمعاد إليه

ونقول الآن : إنه من المعلوم أن الانسان يفارق سائرالحيوانات بأنه لايحسن معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحداً يتولى تدبيرأمره من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته ، وأنه لابد من أن يكون الإنسان مكفيا بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضاً ٥ مكفياً به وبنظيره،فيكون مثلا هـذا يبقل لذلك ، وذاك يخبز لهذا ، وهـذا يخيط لآخر، والآخر يتخذ الإبرة لهذا، حتى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفيا. ولهذا ما اضطروا إلى عقد المدن والاجتماعات فمن كان منهم غير محتاط فى عقد مدينته على شرائط المدينة وقد وقع منه ومن شركائه الاقتصار على اجتماع فقط فإنه يتحيل على جنس بعيد الشبه من الناس وعادم ١٠ لكمالات الناس، ومع ذلك فلا بد لأمثاله من اجتماع ومن تشبه بالمدنيين . فإذا كان هذا ظاهراً فلا بد فى وجود الإنسان وبقائه من مشاركته ، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة ، كما لا بد فى ذلك من سائرالأسباب التى تكون له ، ولا بد فى المعاملة من سنة وعدل ، ولا بد للسنة والعدل من سانّ ومُعدِّل ، ولا بد من أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس و يلزمهم السنة. ولا بد من أن يكون هذا إنسانا، ولا يجوز ان يترك الناس وآراءهم ١٥ فى ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ما له عدلا ، وما عليه ظلما؛ فالحاجة إلى هذا الإنسان فى أن يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين ، وتقعير الإخمص من القدمين ، وأشياء أخرى من المنافع التى لا ضرورة

---

(٢) فصل : ساقطة من د (٣) دعوة : دعوى د|| النبي : + صلى الله عليه وسلم د|| إليه : ساقطة من ب
(٤) بأنه : ساقطة من ب || معيشته : معيشة ب ، ـه ، د ، ط (٥) تدبير : تدبر د
(٦) حاجاته : حاجته ـه ، ص ، ط || الآخر : الأمر ب ، ط (٧) وبنظيره : وبنظره د || مثلا هذا : هذا مثلا ـه ، د ، ص ، ط || لذلك : إلى ذاك ب ، د || لآخر : للآخر ـه ، د ، ص ، ط
(٩) مدينته : مدينة ـه ، د ، ص ، ط (٩) يتحيل : متحيل ـه ؛ يخيل ط ؛ محيل د (١٣) له : ساقطة من ب
(١٤) ولا بد من : ولا بد د (١٥) يترك : ينزل ب (١٦) الإنسان : الناس ـه ، د ، ص ، ط
(١٨) وعلى الحاجبين : على الحاجبين ـه ، ص ، ط || الإخمص : الأخمص ط || القدمين : المقدمين ط || المنافع : المنافعة د .

فيها فى البقاء ، بل أكثر ما لها أنها تنفع فى البقاء ، ووجود الإنسان الصالح لان يسن ويعدل ممكن كما سلف منا ذكره . فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضى تلك المنافع ولا تقتضى هذه التى هى أسها ، ولا أن يكون المبدأ الأول والملائكة بعده يعلم ذلك ولا يعلم هذا ، ولا أن يكون ما يعلمه فى نظام الخير الممكن وجوده الضرورى حصوله لتمهيد
٥ نظام الخير لا يوجد ؛ بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبنى على وجوده موجود ؟ فواجب إذن أن يوجد نبى ، وواجب أن يكون إنسانا ، وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم ، فيتميز به منهم ، فتكون له المعجزات التى أخبرنا بها ، وهذا الانسان إذا وجد يجب أن يسن للناس فى أمورهم سنناً بإذن الله تعالى وأمره ووحيه وإنزاله الروح المقدس عليه ، ويكون الأصل
١٠ الأول فيما يسنه تعريفه إياهم أن لهم صانعاً واحداً قادرا ، وأنه عالم بالسر والعلانية ، وان من حقه أن يطاع أمره ؛ فإنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق ، وأنه قد أعد لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المشقى ، حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الإله والملائكة بالسمع والطاعة ، ولا ينبغى له أن يشغلهم بشىء من معرفة الله تعالى فوق معرفة أنه واحد حق لا شبيه له . فأما أن يعدى بهم إلى أن يكلفهم أن يصدقوا
١٥ بوجوده وهو غير مشار إليه فى مكان ، ولا منقسم بالقول ، ولا خارج العالم ولا داخله ، ولا شيئا من هذا الجنس ، فقد عظم عليهم الشغل وشوش فيما بين أيديهم الدين ، وأوقعهم فيما لا مخلص عنه ، إلا لمن كان المعان الموفق الذى يشذ وجوده ويندر كونه ؛ فإنه لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها إلا بكدّ ، وإنما يمكن القليلَ منهم أن يتصوروا حقيقة هذا التوحيد والتنزيه ، فلا يلبثون أن يكذبوا بمثل هذا الوجود ، ويقعوا فى تنازع
٢٠ وينصرفوا إلى المباحثات والمقايسات التى تصدهم عن أعمالهم المدنية . وربما أوقعهم

---

(١) فى : من د (٤) الخير : الأمر ‍ـ ، د ، ص (٦) موجود : + آخر ‍ـ (٩) تعالى : محذوفة من ب ، د (١٢) المسعد : المستعد د (١٣) والملائكة : وملائكته ب || له : لهم ب || بشىء : ساقطة من د || تعالى : ساقطة من ب ، ‍ـ ، ص ، ط (١٤) معرفة : معرفته د || لا شبيه : لا شبه د ؛ لا تشبيه ب || فأما : وأما ‍ـ || بهم : لهم د ، ص (١٥) منقسم : مقسم ط ؛ ينقسم د (١٧) مخلص : تخلص ط || لمن : أن ب || المعان : ساقطة من د || يشذ : شذ ‍ـ || فإنه : فإنهم ب || لا يمكنهم : يمكنهم د (١٨) بكد : بكده ‍ـ ، ص ، ط || يتصوروا : يتصور ب ، د (١٩) بمثل : مثل د (٢٠) المباحثات : الباحثات ط || والمقايسات : + بمثل ط || وربما : فربما ط .

فى آراء مخالفة لصلاح المدينة ، ومنافية لواجب الحق ، وكثرت فيهم الشكوك والشبه ، وصعب الأمر على إنسان فى ضبطهم، فما كل بميسر له فى الحكمة الإلهية ، ولا إنسان يصلح له أن يظهر أن عنده حقيقة يكتمها عن العامة، بل يجب أن لا يرخص فى تعرض شىء من ذلك ، بل يجب أن يعرفهم جلالة الله تعالى وعظمته برموز وأمثلة من الأشياء التى هى عندهم جليلة وعظيمة ، ويلقى إليهم مع هذا ، هذا القدر ، أعنى أنه لانظير له ولاشريك ٥ له ولا شبيه له ، وكذلك يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن إليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه . وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه إلا أمراً مجملا ، وهو أن ذلك شىء لا عين رأته ولا أذن سمعته ، وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم ومن الألم ما هو عذاب مقيم .

واعلم أن الله تعالى يعلم أن وجه الخير فى هذا ، فيجب أن يوجد معلوم الله تعالى على ١٠ وجهه على ما علمت ، ولا بأس أن يشتمل خطابه على رموز وإشارات تستدعى المستعدين بالجبلة للنظر إلى البحث الحكمى .

[الفصل الثالث]

(جـ) فصـــل

فى العبادات ومنفعتها فى الدنيا والآخرة ١٥

ثم إن هـذا الشخص الذى هو النبى ليس مما يتكرر وجود مثله فى كل وقت ؛ فإن المادة التى تقبل كمال مثـله تقع فى قليل من الأمزجة ؛ فيجب لا محالة أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه فى أمور المصالح الإنسانية تدبيراً عظيما .

(١) وكثرت : فكثرت ص (٢) بميسر : ميسر ب ؛ يدبر د || له : ساقطة من د (٣) يظهر : ساقطة من د (٤) جلالة : جلال جـ ، د ، ط || تعالى : ساقطة من ب ، د (٥) وعظيمة : عظيمة ب (٥-٦) ولاشريك له : ولاشريك ب (٦) شبيه : شبه ب ، جـ ، د || ولا شبيه له : ولا شبيه ب ، جـ ، د ، ط (٧) يفهمونه : يفهمون د (٨) أمرا : رمزا جـ (١٠) واعلم : + أنت د || تعالى : ساقطة من ب ، جـ ، د || أن وجه : وجه د || يوجد : + هذا د (١١) خطابه : خطاب د || رموز : أمور ب (١٢) للنظر : النظر د (١٤) فصل : ساقطة من د (١٨) صلى الله عليه وسلم : ساقطة من ب ، د || يسنه ويشرعه : سنه وشرعه د || تدبيرا : تدبرا د || عظيما : ساقطة من ب ، جـ ، د ، ص .

ولا شك أن القاعدة فى ذلك هى استمرار الناس على معرفتهم بالصانع والمعاد ، وحسم سبب
وقوع النسيان فيه مع انقراض القرن الذى يلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيجب أن يكون
على الناس أفعال وأعمال يسن تكرارها عليهم فى مدد متقاربة حتى يكون الذى ميقاته بطل
مصاقبا للمنقضى منه، فيعود به التذكر من رأس، وقبل أن ينفسخ يلحق عاقبه. ويجب أن
٥ تكون هذه الأفعال مقرونة بما يذكر بالله والمعاد لامحالة، وإلا فلا فائدة فيها، والتذكير لا يكون
إلا بألفاظ تقال، أو نيات تنوى فى الخيال، وأن يقال لهم: إن هذه الأفعال تقرب إلى الله
تعالى، ويستوجب بها الجزاء الكريم، وأن تكون تلك الأفعال بالحقيقة على هذه الصفة، وهذه
الأفعال مثل العبادات المفروضة على الناس ، وبالجملة يجب أن تكون منبهات، والمنبهات
إما حركات وإما أعدام حركات تفضى إلى حركات ، فأما الحركات فمثل الصلاة ، وأما
١٠ أعدام الحركات فمثل الصوم ، فإنه وإن كان معنى عدميا فإنه يحرك من الطبيعة تحريكا
شديدا ينبه صاحبه أنه على جملة من الأمر ليس هزلا ، فيتذكر سبب ما ينويه من ذلك
أنه القرب إلى الله تعالى ، ويجب إن أمكن أن تخلط بهذه الأحوال مصالح أخرى فى
تقوية السنة وبسطها . والمنافع الدنيوية للناس أيضا أن يفعل ذلك ، وذلك مثل الجهاد
والحج على أن يعين مواضع من البلاد بأنها أصلح المواضع لعبادة الله تعالى ، وأنها خاصة
١٥ لله تعالى، وتعيّن أفعال لا بد منها للناس وأنها فى ذات الله تعالى مثل القرابين ؛ فإنها مما
يعين فى هذا الباب معونة شديدة . والموضع الذى منفعته فى هذا الباب هذه المنفعة إذا
كان فيه مأوى الشارع ومسكنه فإنه يذكر به أيضا ، وذكراه فى المنفعة المذكورة تالية لذكر
الله تعالى والملائكة ، والمأوى الواحد ليس يجوز أن يكون نصب عين الأمة كافة. فبالحرى

---

(١) هى : هو ب ، د (٢) النبى : ساقطة من ط || صلى الله عليه وسلم : ساقطة من ب ، د (٣) ميقاته : متقاربة د ؛ مقاته ب || بطل : معطلا د ؛ معطل ــ ، ص ، ط
(٤) للمنقضى : للمنقضى د (٥) بالله والمعاد . . . لا يكون : ساقطة من ط (٦) تنوى : ينوى ــ ؛ موى د (٧) تعالى : ساقطة من ب ، د || بها : به ب || الجزاء : الخير ــ ، د ، ص ، ط
|| الصفة وهذه : ساقطة من د (٩) تفضى إلى حركات : ساقطة من د || الصلاة : الصلوات ب ، د
(١١) ليس : ليست د || هزلا : هذرا ب ، ــ ، ص ، ط (١٢) أنه : وأنه ب ؛ فأنه ــ ، ط || القرب : التقرب ب ، ــ ، ط || تعالى : ساقطة من ب ، د || يخلط : تختلط د || بهذه : هذه ــ ، ص ، ط
(١٣) يفعل : يفعله ب ، ــ ، ط || ذلك : ساقطة من ب ، ــ (١٤) تعالى : ساقطة من ب ، د
(١٥) تعالى : ساقطة من ب || وتعين : وتعيين د ، ص || أفعال : أفعالا ــ || وأنها : أنها ب || تعالى : ساقطة من ب || مما : ساقطة من د (١٧) فيه : ساقطة من د || مأوى : ما ولى ــ (١٨) تعالى : ساقطة من ب ، د || والمأوى : ما المأواى د ؛ ساقطة من ــ .

أن يفرض إليه مهاجرة وسفرة ، ويجب أن يكون أشرف هذه العبادات من وجه هو
ما يفرض متوليه أنه مخاطب لله تعالى ومناج إياه وصائر إليه ومائل بين يديه ، وهذا هو
الصلاة . فيجب أن يسن للمصلى من الأحوال التى يستعد بها للصلاة ما جرت العادة
بمؤاخذة الإنسان نفسه به عند لقاء الملك الإنسانى من الطهارة والتنظيف، وأن يسن
فى الطهارة والتنظيف سننا بالغة ، وأن يسن عليه فيها ماجرت العادة بمؤاخذة نفسه به عند ٥
لقاء الملوك من الخشوع والسكون وغض البصر وقبض الأطراف وترك الالتفات والاضطراب،
وكذلك يسن له فى كل وقت من أوقات العبادة آدابا ورسوما محمودة ؛ فهذه الأفعال
ينتفع بها العامة من رسوخ ذكر الله تعالى والمعاد فى أنفسهم ، فيدوم لهم التشبث بالسنن
والشرائع بسبب ذلك ؛ فإن لم يكن لهم مثل هذه المذكرات تناسوا جميع ذلك مع انقراض
قرن أو قرنين ، وينفعهم أيضا فى المعاد منفعة عظيمة فيما تنزه به أنفسهم على ما عرفته . ١٠

وأما الخاصة فأكثر منفعة هذه الأشياء إياهم فى المعاد ، وقد قررنا حال المعاد الحقيق
وأثبتنا أن السعادة فى الآخرة مكتسبة بتنزيه النفس ، وتنزيه النفس يبعدها عن اكتساب
الهيئات البدنية المضادة لأسباب السعادة ، وهذا التنزيه يحصل بأخلاق وملكات ،
والأخلاق والملكات تكتسب بأفعال من شأنها أن تصرف النفس عن البدن والحس
وتديم تذكيرها للمعدن الذى لها ؛ فإذا كانت كثيرة الرجوع إلى ذاتها لم تنفعل من الأحوال ١٥
البدنية ، ومما يذكرها ذلك ويعينها عليه أفعال متعبة خارجة عن عادة الفطرة بل هى إلى
التكلف أقرب ؛ فإنها تتعب البدن والقوى الحيوانية وتهزم إرادتها من الاستراحة والكسل
ورفض العناء وإخماد الحرارة الغريزية واجتناب الارتياض إلا فى اكتساب أغراض

---

(١) هذه : ساقطة من ب || هو : ساقطة من ب (٢) متوليه أنه : متولها لأنه ب ، د
|| تعالى : ساقطة من ب ، د || وهذا : وهذه ص (٣) الصلاة : الصلوات د (٤) بمؤاخذة : بمؤاخذات
جـ ، ص ، ط || والتنظيف : والتنظف ب (٥) والتنظيف : والتنظف ب || بمؤاخذة : بمؤاخذته جـ ،
ص ، ط (٦) لقاء : لقائه ب ، د || وغض : وغمض ب ، د (٧) وكذلك : ولذلك د || الأفعال :
الأحوال ب ، جـ ، ص ، ط (٨) من : فى ب ، د || تعالى : ساقطة من ب (٩) بسبب ذلك : بذلك د
|| فإن : وإن ب ، جـ ، ص ، ط || لهم : ساقطة من ب ، د ، ط (١١) وقد : فقد ب ، جـ ، ص ، ط
(١٢) وتنزيه : وبراءة د || يبعدها : بتبعدها ب ، جـ ، ص ، ط (١٣) وهذا : وهذه جـ ، ص ، ط
|| بأخلاق : لأخلاق د (١٥) وتديم : وتدم د || تذكيرها : تذكرها ب ، د || للمعدن : المعدن ب ، د
(١٦) خارجة : وخارجة ب ، د (١٧) التكلف : التكليف د || وتهزم : وتهدم ، جـ ، د ، ص ، ط ؛
وتهزم هامش ص .

من اللذائذ البهيمية، و يفرض على النفس المحاولة لتلك الحركات وذكر الله تعالى والملائكة
وعالم السعادة شاءت أم أبت ، فيتقرر لذلك فيها هيئة الانزعاج عن هذا البدن وتأثيراته ،
وملكة التسلط على البدن ، فلا تنفعل عنه ، فإذا جرت عليها أفعال بدنية لم تؤثر فيها هيئة
وملكة تأثيرها لو كانت مخلدة إليها منقادة لها من كل وجه . ولذلك قال القائل الحق :
« إن الحسنات يذهبن السيئات » فإن دام هذا الفعل من الإنسان استفاد ملكة التفات
إلى جهة الحق و إعراض عن الباطل ، وصار شديد الاستعداد للتخلص إلى السعادة بعد
المفارقة البدنية . وهذه الأفعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد أنها فريضة من عند الله ، وكان
مع اعتقاده ذلك يلزم في كل فعل أن يتذكر الله و يعرض عن غيره، لكان جديرا بأن يفوز
من هذا الزكاء بحظ ، فكيف إذا استعملها من يعلم أن النبي من عند الله تعالى و بإرسال
الله تعالى ، وواجب في الحكمة الإلهية إرساله ، وأن جميع ما يسنه فإنما هو مما وجب
من عند الله أن يسنه ، وأن جميع ما يسنه عن عند الله تعالى . فالنبي فرض عليه من عند
الله ان يفرض عباداته ، وتكون الفائدة في العبادات للعابدين فيما يبقى به فيهم السنة والشريعة
التي هي أسباب وجودهم ، وفيما يقربهم عند المعاد من الله زلفى بزكائهم ، ثم هذا الإنسان
هو الملىء بتدبير أحوال الناس على ما تنتظم به أسباب معايشهم ومصالح معادهم ، وهو
إنسان متميز عن سائر الناس بتألهه .

(١) و يفرض : و يعرض ـ ، ص || النفس : + عند المجادلة ـ || وذكر : ذكر ب ، د
ص ، ط || تعالى : ساقطة من ب (٢) السعادة : السعادات د || أم : أو ب || فيتقرر : فيقرر
ـ ، د ، ط ، ص (٣) فإذا : وإذا د || عليها : عليه أيضا ب (٤) إليها : إليه د || لها : له
ب ، د || ولذلك : لذلك ب || قال : ما قال ب ، د ، ص (٥) التفات : الالتفات د (٩) الزكاء :
الذكاء د || بحظ : ساقطة من د || إذا : + كانت د || تعالى : ساقطة من ب ، د (١٠) تعالى : ساقطة
من ب ، د (١١) من : ساقطة من د || وأن جميع ما يسنه : ساقطة من د || جميع ما يسنه :
السنة ب ، ـ ، ما يسنه ص || تعالى : ساقطة من ب ، د (١٣) وفيما : بما د ، ب || بزكائهم :
بزكاتهم د (١٤) معايشهم : معيشتهم ب ، د .

[الفصل الرابع]

(د) فصــل

في عقد المدينة وعقد البيت ، وهو النكاح والسنن الكلية في ذلك

فيجب أن يكون القصد الأول للسان في وضع السنن وترتيب المدينة على أجزاء ثلاثة :
المدبرون ، والصناع ، والحفظة ؛ وأن يرتب في كل جنس منهم رئيسا يترتب تحته رؤساء يلونه ، يترتب عنهم رؤساء يلونهم ، إلى أن ينتهى إلى أفناء الناس . فلا يكون في المدينة إنسان معطل ليس له مقام محدود، بل يكون لكل واحد منهم منفعة في المدينة ، وأن تحرم البطالة والتعطل ، وأن لا يجعل لأحد سبيلا إلى أن يكون له من غيره الحظ الذى لا بد منه للإنسان ، وتكون جنبته معافاة ليس يلزمها كلفة ؛ فإن هؤلاء يجب أن يردعهم كل الردع ؛ فإن لم يرتدعوا نفاهم من الأرض ؛ فإن كان السبب في ذلك مرضا أو آفة أفرد لهم موضعا يكون فيه أمثالهم ، ويكون عليهم قيِّم ، ويجب أن يكون في المدينة وجه مال مشترك ، بعضه من حقوق تفرض على الأرباح المكتسبة والطبيعية ، كالثمرات والنتاج ؛ وبعضه يفرض عقوبة ، وبعضه يكون من أموال المعاندين للسنة، وهو الغنائم. ويكون ذلك عدة لمصالح مشتركة، ولإزاحة لعلة الحفظة الذين لايشغلون بصناعة، ونفقة على الذين حيل بينهم وبين الكسب بأمراض وزمانات ، ومن الناس من رأى قتل الميئوس من صلاحه منهم. وذلك قبيح، فإن مئوتهم لا تجحف بالمدينة ؛ فإن كان لأمثال هؤلاء من قرابته من يرجع إلى فضل استظهار من قوته فرض عليه كفايته .

---

(٢) فصل : ساقطة من د (٤) وترتيب : ترتيب ب ، د (٥) يترتب : مترتب ط : ويرتب ب ، د (٦) يلونه : يلزمه د ؛ ساقطة من ح || يترتب : ويترتب ص ؛ مرتب د || ينتهى : + منه د (٦) للإنسان : للإنسانية د || وتكون : + من م (١٠) فإن : وأن د || يرتدعوا : يردعوا د || نفاهم : أنفاهم ح ، د ، ص ، ط (١١) فإن : وأن ص || فيه : في ط (١٤) وبعضه : بعضه ب || المعاندين : المنابذين ب ، ح ، ص ، ط || عدة : ساقطة من د (١٥) الحفظة : الحفظ ح ، ص ، ط || يشغلون : يشتغلون ب ، د || على : في د (١٥) صلاحه : إصلاحه ص ؛ إقباله ب (١٧) مئوتهم : قوتهم ب ، ح ، ص ، ط || فإن (الثانية) : وإن ب || يرجع : رجع د (١٨) من : عن ، ب ، ح ، د ، ص .

والغرامات كلها لاتسن على صاحب جناية ما ، بل يجب أن يسن بعضها على أوليائه وذويه الذين لا يزجرونه ولا يحرسونه ، ويكون ما يسن من ذلك عليهم مخففا فيه بالمهلة للطالبة ، ويكون ذلك فى جنايات تقع خطأ فلا يجوز إهمال أمرها مع وقوعها خطأ .

وكما أنه يجب أن تحرم البطالة كذلك يجب أن تحرم الصناعات التى يقع فيها انتقالات الأملاك أو المنافع من غير مصالح تكون بإزائها، وذلك مثل القمار فإن المقامر يأخذ من غير أن يعطى منفعة البتة، بل يجب أن يكون الآخذ آخذا من صناعة يعطى بها فائدة تكون عوضا، إما عوضا هو جوهر ، أو عوضا هو منفعة، أو عوضا هو ذكر جميل، أو غير ذلك مما هى معدودة فى الخيرات البشرية ، وكذلك يجب أن تحرم الصناعات التى تدعو إلى أضداد المصالح أو المنافع ، مثل تعلم السرقة واللصوصية والقيادة وغير ذلك .

وتحرم أيضا الحرف التى تغنى الناس عن تعلم الصناعات الداخلة فى الشركة ، مثل المراباة ؛ فإنها طلب زيادة كسب من غير حرفة تحصله ، وإن كانت بإزاء منفعة .

وتحرم أيضا الأفعال التى ان وقع فيها ترخيص أدى إلى ضد ما عليه بناء أمر المدينة، مثل الزنا واللواط ، الذى يدعو إلى الاستغناء عن أفضل أركان المدينة وهو التزوج .

ثم أول ما يجب أن يشرع فيه هو أمر التزوج المؤدى إلى التناسل وأن يدعو إليه ويحرض عليه، فإن به بقاء الأنواع التى بقاؤها دليل وجود الله تعالى، وأن يدبر فى أن يقع ذلك وقوعا ظاهرا لئلا يقع ريبة فى النسب فيقع بسبب ذلك خلل فى انتقال المواريث التى

---

(١) والغرامات : وبغرامات ب || كلها لاتسن : لاتسن كلها ب || ما : ساقطة من ح ، ص ، ط (٢) الذين : والذين ح ، د ، ص ، ط || مخففا : متجففا د || بالمهلة : بالمهملة ط (٣) فلا : ولا ب ، ح ، ط (٥) أو المنافع : والمنافع د (٧) إما عوضا : إما عوض ب ، ح ، ص || أو عوضا : أو عوض ب ، ح ، د ، ص ، ط || أو عوضا هو ذكر : أو عوض هو ذكر ب ، ح ، ص ، ط || هى : هو د ، ص (٨) معدودة : معدود د (٩) أو المنافع : والمنافع د || ذلك : + بل ب (١٠) تغنى : يقع ط (١١) كانت : كان ب ، ح ، ص ، ط (١٢) ضد ما : ضدها ط (١٣) واللواط : واللواطة ح ، د ، ص ، ط || الذى يدعو : التى تدعو ص || التزوج : التزويج د (١٥) بقاء : لقاء د || تعالى : ساقطة من ب ، د (١٦) فيقع : وتقع د || المواريث : الموارث د .

هى أصول الأموال ؛ لأن المال لا بد منه فى المعيشة ، والمال منه أصل ، ومنه فرع ؛
والأصل موروث ، أو ملقوط أو موهوب ؛ وأصح الأصول من هذه الثلاثة الموروث
فإنه ليس عن بخت واتفاق ، بل على مذهب كالطبيعى .

وقد يقع فى ذلك — أعنى خفاء المناكحات — أيضا خلل فى وجوه أخرى مثل وجه وجوب
نفقة بعض على بعض ، ومعاونة بعض لبعض ، وغير ذلك مما إذا تأمله العاقل عرفه ، ٥
ويجب أن يؤكد الأمر أيضا فى ثبوت هذه الوصلة ، حتى لا يقع مع كل نزق فرقة ؛
فيؤدى ذلك إلى تشتت الشمل الجامع للأولاد ووالديهم ؛ وإلى تجدد احتياج كل إنسان
إلى المزاوجة ؛ وفى ذلك أنواع من الضرر كثيرة ؛ ولأن أكثر أسباب المصلحة المحبة ،
والمحبة لا تنعقد إلا بالألفة ، والألفة لا تحصل إلا بالعادة ، والعادة لا تحصل إلا بطول
المخالطة . وهذا التأكد يحصل من جهة المرأة ؛ بأن لا يكون فى يديها إيقاع هذه الفرقة ؛ ١٠
فإنها بالحقيقة واهية العقل، مبادرة إلى طاعة الهوى والغضب، ويجب أن يكون إلى الفرقة
سبيل ما ، وأن لا يسد ذلك من كل وجه ؛ لأن حسم أسباب التوصل إلى الفرقة بالكلية
يقتضى وجوها من الضرر والخلل ، منها أن من الطبائع مالا يؤالف بعض الطباع ، فكلما
اجتهد فى الجمع بينهما زاد الشر والنبو ونغصت المعايش .

ومنها أن من الناس من يمنى بزوج غير كفؤ ، ولا حسن المذاهب فى العشرة ، أو ١٥
بغيض تعافه الطبيعة ، فيصير ذلك داعية إلى الرغبة فى غيره ، إذ الشهوة طبيعية ؛ وربما
أدى ذلك إلى وجوه من الفساد ، وربما كان المتزاوجان لا يتعاونان على النسل ؛ فإذا
بدلا زوجين آخرين تعاونا ؛ فيجب أيضا أن يكون إلى المفارقة سبيل ، ولكن يجب
أن يكون مشددا فيه .

---

(١) المال : الأول د (٥) ومعاونة : ومعاملة ب ؛ ومقابلة د (٦) نزق : ساقطة من د
(٩) بالعادة : بالمعادة د (١٠) التأكد : التأكيد ب ، ح ، ص ، ط (١١) العقل : العقد ب
(١٢) وأن لا : ولا ص || التوصل : التواصل ح ، ص ، ط || بالكلية : الكلية ب (١٣) وجوها : وجودها ح ، ص ، ط || مالا يؤالف : مالا يؤلف ح ، ط ؛ بألا يولف د || الطباع : الطبائع ب ، ح ، ص ، ط
فكلما : وكلما د (١٤) بينهما : ساقطة من د || ونغصت : وتنغصت ب ، ح ، ص ، ط
(١٥) بزوج : زوج د (١٦) طبيعية : طبيعة د (١٨) زوجين : بزوجين ح ، د ، ص ، ط
|| ولكن : ولكنه ب ، ح ، د ، ط .

فأما أنقص الشخصين عقلا ، وأكثرهما اختلافا واختلاطا وتلونا ، فلا يجعل فى يديه من ذلك شىء ، بل يجعل إلى الحكام ، حتى إذا عرفوا سوء صحبة تلحقها من الزوج الآخر فرقوا .

وأما من جهة الرجل فإنه يلزمه فى ذلك غرامة لا يقدم عليه إلا بعد التثبت واستصابة ذلك لنفسه من كل وجه ، ومع ذلك فالأحسن أن يترك للصلح وجه من غير أن يمعن فى توجيهه ، فيصير سببا إلى طاعة الطيش ، بل يغلظ الأمر فى المعاودة أشد من التغليظ فى الابتداء ، فنعم ما أمر به أفضل الشارعين أنها لا تحل له بعد الثالثة إلا بعد أن يوطن نفسه على تجرع مضض لا مضض فوقه ، وهو تمكين رجل آخر من حليلته أن يتزوجها بنكاح صحيح ، ويطأها بوطىء صريح ؛ فإنه إذا كان بين عينيه مثل هذا الخطب لم يقدم على الفرقة بالجزاف إلا أن يصمم على الفرقة التامة ، أو يكون هناك وكالة فلا يرى بأسا بفضيحة تصحبها لذه ، وأمثال هؤلاء خارجون عن استحقاق طلب المصلحة لهم .

ولما كان من حق المرأة أن تصان ، لأنها مشتركة فى شهوتها ، وداعية جدا إلى نفسها ، وهى مع ذلك أشد انخداعا ، وأقل للعقل طاعة ، والاشتراك فيها يوقع أنفة وعارا عظيما ، وهى من المضار المشهورة ، والاشتراك فى الرجل لا يوقع عارا بل حسدا ، والحسد غير ملتفت إليه ، فإنه طاعة للشيطان .

فبالحرى أن يسن عليها فى بابها التستر والتخدر ؛ فلذلك ينبغى أن لا تكون المرأة من أهل الكسب كالرجل ؛ فلذلك يجب أن يسن لها أن تكفى من جهة الرجل ، فيلزم الرجل نفقتها ؛ لكن الرجل يجب أن يعوض من ذلك عوضا ، وهو أنه يملكها وهى لا تملكه ،

---

(١) أنقص : + فيه ـ || وأكثرهما : أو أكثرها د || اختلافا واختلاطا : اختلاطا واختلافا د
(٢) يجعل : يجعله ـ ، ص ، ط || صحبة : صحبتها د (٤) الرجل : الوحدة د || فإنه : فإن ب ، د || التثبت : التثبت د || واستصابة : وبعد استطابه ـ ، ص ، ط ؛ وبعد استظهار د
(٥) وجه : + آخر ط (٦) توجيهه : توجهه د || يغلظ : تغليظ د (٧) أنها : أنه د || يوطن : يوطى د (٨) مضض : المضض د || من : ساقطة من ط || أن : بأن ب ، ـ ، د ، ص || يتزوجها : تزوجها د (١٠) بالجزاف : بانحراف ب || وكالة : وكالة ب ، ـ ، ص ، ط (١٢) كان : كانوا د || فى : ساقطة من د || نفسها : انفسها د (١٣) يوقع : لوقع د (١٤) المشهورة : الشهوة د || لا يوقع : ولا يوقع د (١٦) يسن : يسنن د || عليها : به ط ؛ ساقطة من ب ، د || ينبغى : لا ينبغى ط || المرأة : ساقطة من ب (١٧) كالرجل : دون الرجل د ؛ كون الرجل ب ، ص ، ط .

فلا يكون لها أن تنكح غيره . وأما الرجل فلا يحجر عليه فى هذا الباب ، وإن حرم عليه
تجاوز عدد لا يفى بإرضاء ما وراءه و يعوله ، فيكون البضع المملوك من المرأة بإزاء
ذلك . ولست أعنى بالبضع المملوك الجماع ، فإن الانتفاع بالجماع مشترك بينهما ، وحظها
أكثر من حظه . والاغتباط والاستمتاع بالولد كذلك ، بل أن لا يكون إلى استعمالها
لغيره سبيل ، و يسن فى الولد أن يتولاه كل واحد من الوالدين بالتربية ، أما الوالدة ٥
فيما يخصها ، وأما الوالد فالنفقة ، وكذلك الولد أيضا يسن عليه خدمتهما وطاعتهما و إكبارهما
و إجلالهما ، فهما سبب وجوده ، ومع ذلك فقد احتملا مئونته التى لا حاجة إلى شرحها
لظهورها .

[الفصل الخامس]

(٥) فصل ١٠

فى الخليفة والإمام ووجوب طاعتهما ، والإشارة إلى السياسات
والمعاملات والأخلاق

ثم يجب أن يفرض السانّ طاعة من يخلفه ، وأن لا يكون الاستخلاف إلا من جهته ،
أو بإجماع من أهل السابقة على من يصححون علانية عند الجمهور أنه مستقل بالسياسة ،
وأنه أصيل العقل حاصل عنده الأخلاق الشريفة من الشجاعة والعفة وحسن التدبير ، ١٥
وأنه عارف بالشريعة حتى لا أعرف منه ، تصحيحا يظهر ويستعلن و يتفق عليه الجمهور
عند الجميع ، ويسن عليهم أنهم إذا افترقوا أو تنازعوا للهوى والميل ، أو أجمعوا على

---

(٢) تجاوز : تجاز حـ || ويعوله : ويقوله حـ ، د ؛ وعوله ب ، ص || المملوك : المملوك د
(٤) استعمالها : استعماله ب ، حـ ، د ، ط (٥) يتولاه : لا يتولاه د || الوالدين : الأبوين د
(٦) يخصها : تخصه ب (٧) سبب : سببا حـ ، ط ، د || فقد احتملا : فهما قد احتملا د ؛ فهما فقد احتملا ط
(١٠) فصل : ساقطة من د (١١) والمعاملات والأخلاق : والأخلاق وفى المعاملات حـ : والأخلاق والمعاملات ص
|| والمعاملات : ساقطة من ب ، د (١٣) السان : إنسان د (١٤) أهل : ساقطة من د || بالسياسة : والسياسة د
(١٥) عنده : عند ط (١٦) ويستعلن : ويستعان د (١٧) أنهم : أنه د || للهوى
والميل : للميل والهوى د || أو أجمعوا : وأجمعوا د .

غير من وجد الفضل فيه والاستحقاق له فقد كفروا بالله . والاستخلاف بالنص أصوب فإن ذلك لا يؤدى إلى التشعب والتشاغب والاختلاف ، ثم يجب أن يحكم فى سنته أن من خرج فادعى خلافته بفضل قوة أو مال ، فعلى الكافة من أهل المدينة قتاله وقتله ؛ فإن قدروا ولم يفعلوا فقد عصوا الله وكفروا به ، ويحل دم من قعد عن ذلك وهو متمكن بعد أن يصحح على رأس الملأ ذلك منه ، ويجب أن يسن أنه لا قربة عند الله تعالى بعد الإيمان بالنبي أعظم من إتلاف هذا المتغلب ، فإن صحح الخارجى أن المتولى للخلافة غير أهل لها ، وانه ممنو بنقص ، وأن ذلك النقص غير موجود فى الخارجى ، فالأولى أن يطابقه أهل المدينة . والمعول عليه الأعظم العقل،وحسن الإيالة ، فمن كان متوسطا فى الباقى ومتقدما فى هذين بعد أن لا يكون غريبا فى البواقى وصائرا إلى أضدادها ، فهو أولى ممن يكون متقدما فى البواقى ولا يكون بمنزلته فى هذين . فيلزم أعلمهما أن يشارك أعقلهما ، ويعاضده ، ويلزم أعقلهما أن يعتضد به ويرجع إليه ؛ مثل ما فعل عمر وعلى ،ثم يجب أن يفرض فى العبادات أمور لا تتم إلا بالخليفة تنويها به وجذبا إلى تعظيمه ، وتلك الأمور هى الأمور الجامعة ، مثل الأعياد . فإنه يجب أن يفرض اجتماعات مثل هذه ، فإن فيها دعاء للناس إلى التمسك بالجماعة ، وإلى استعمال عدد الشجاعة ، وإلى المنافسة ؛ وبالمنافسة تدرك الفضائل ، وفى الاجتماعات استجابة الدعوات ، ونزول البركات على الأحوال التى عرفت من أقاويلنا . وكذلك يجب أن يكون فى المعاملات معاملات يشترك فيها الإمام ، وهى المعاملات التى تؤدى إلى ابتناء أركان المدينة ،مثل المناكحات والمشاركات الكلية . ثم يجب أن يفرض أيضا فى المعاملات المؤدية إلى الأخذ والإعطاء سننا تمنع وقوع الغدر والحيف ، وأن يحرم المعاملات التى فيها غرر ، والتى تتغير فيها الأعواض قبل الفراغ من الإيفاء والاستيفاء ، كالصرف،

---

(١) الفضل : والفضل ح ، ص ، ط (٢) سنته : سنة ب ، د (٣) قوة : وقوة د || قتاله وقتله : قتله وقتاله د (٥) يصحح : يصح ط || تعالى : ساقطة من ب ، د (٦) المتغلب : ساقطة من ح ، ص (٧) وأنه : وأنها د || الخارجى : الخارج د (٨) عليه : ساقطة من ب ، ح ، د ، ص (١١) يعتضد : يعضده ب || به : ساقطة من ط (١٢) على : + عليه السلام ط || به : ساقطة من ح (١٣) تعظيمه : العظمة هامش ح (١٥) المنافسة : المنافثة ص || وبالمنافسة : وبالمنافثة ص || الاجتماعات : الجماعات ط (١٦) ونزول : بنزول ب || من : ساقطة من ب ، د (١٧) معاملات : ساقطة من د || يشترك : يشترط ب ، د (١٩) الغدر : الغرور ب ، ص ، ط ؛ الغرور د (٢٠) غرر : غلو ح ، ص .

والنسيئة ، وغير ذلك ، وأن يسن على الناس معاونة الناس والذب عنهم ووقاية أموالهم وأنفسهم، من غير أن يغرم متبرع فيما يلحق بتبرعه . وأما الأعداء والمخالفون للسنة فيجب أن يسن مقاتلتهم وإفناءهم بعد أن يدعوا إلى الحق ، وأن تباح أموالهم وفروجهم ؛ فإن تلك الأموال والفروج إذا لم تكن مدبرة بتدبير المدينة الفاضلة لم تكن عائدة بالمصلحة التي يطلب المال والفروج لها ، بل معينة على الفساد والشر . ٥

وإذ لابد من ناس يخدمون الناس فيجب أن يكون أمثال هؤلاء يجبرون على خدمة أهل المدينة العادلة، وكذلك من كان من الناس بعيدا عن تلقى الفضيلة فهم عبيد بالطبع، مثل الترك والزنج ، وبالجملة الذين نشأوا فى غير الأقاليم الشريفة التى أكثر أحوالها أن ينشأ فيها أمم حسنة الأمزجة صحيحة القرائح والعقول .

وإذا كانت غير مدينة ولها سنة حميدة لم يتعرض لها إلا أن يكون الوقت يوجب التصريح بأن لاسنة غير السنة النازلة ، فإن الأمم والمدن إذا ضلت فسنت عليها سنة ؛ فإنه يجب أن يؤكد إلزامها ، وإذا أوجب إلزامها ، فربما أوجب توكيدها أن يحمل عليها العالم بأسره ، وإذا كان أهل المدينة الحسنة السيرة تجد هذه السنة أيضا حسنة محمودة ، ويرى فى تجددها إعادة أحوال مدن فاسدة إلى الصلاح ، ثم صرحت بأن هذه السنة ليس من حقها أن تقبل ، وكذبت السانّ فى دعواه أنها نازلة على المدن كلها ؛ كان فى ذلك وهن عظيم يستولى على السنة ، ويكون للمخالفين أن يحتجوا فى ردها بامتناع أهل تلك المدينة عنها ، فحينئذ يجب أن يؤدب هؤلاء أيضا ويجاهدوا ، ولكن مجاهدة دون مجاهدة أهل الضلال الصرف ، أو يلزموا غرامة على مايؤثرونه ، ويصحح عليهم أنهم مبطلون ، وكيف لايكونون مبطلين وقد امتنعوا عن طاعة الشريعة التى أنزلها الله تعالى ؛ فإن أهلكوا فهم لها أهل ، فإن فى هلاكهم فسادا لأشخاصهم، وصلاحا باقيا، وخصوصا إذا كانت السنة الجديدة أتم وأفضل .

١٠ ١٥ ٢٠

(١) معاونة الناس : معاونة د (٢) بتبرعه : تبرعه حـ ، ص (٤) فإن : وإن ب (٥) والفروج : والفرج ب || لها : ساقطة من حـ (٦) من ناس يخدمون الناس : للناس من الخدم ص || هؤلاء : ساقطة من ط (٧) تلقى : تلقن ب (٨) وبالجملة : + فإن ط (١٠) وإذا : فإذا حـ ، د ، ص || مدينة : مدنية حـ ، دنيته ب ، ص ؛ + مدينة ب ، حـ ، ص ، ط || ولها : ولها د ، || إلا : ساقطة من د (١٢) وإذا : فإذا د || أوجب : وجب ب ، حـ ، ص (١٣) وإذا : فإذا ب ، حـ ، د ، ص (١٤) يرى : ساقطة من ب ، د (١٦) يستولى : فيستولى د (١٧) تلك : ساقطة من ط || ولكن : لكن د (١٩) يكونون : يكون ط || عن : من د || تعالى : ساقطة من ب ، د (٢١) السنة : ساقطة من د .

ويسن فى بابهم أيضا فى أنهم إن أريدت مساعتهم على فداء أو جزية فعل .

وبالجملة يجب ألا يجريهم وهؤلاء الآخرين مجرى واحدا ، ويجب أن يفرض عقوبات وحدودا ومزاجر ليمنع بذلك عن معصية الشريعة ، فليس كل إنسان ينزجر لما يخشاه فى الآخرة .

٥ ويجب أن يكون أكثر ذلك فى الأفعال المخالفة للسنة الداعية إلى فساد نظام المدينة ، مثل الزنا ، والسرقة ، وموطأة أعداء المدينة وغير ذلك . فأما ما يكون من ذلك مما يضر الشخص فى نفسه فيجب أن يكون فيه تأديب لا يبلغ به المفروضات ، ويجب أن تكون السنة فى العبادات والمزاوجات والمزاجر معتدلة لا تشدد فيها ولا تساهل ، ويجب أن يفوض كثير من الأحوال خصوصا فى المعاملات إلى الاجتهاد ؛ فإن للأوقات أحكاما لا يمكن أن ١٠ تنضبط ، وأما ضبط المدينة بعد ذلك بمعرفة ترتيب الحفظة ومعرفة الدخل والخرج وإعداد أهب الأسلحة والحقوق والثغور وغير ذلك فينبغى أن يكون ذلك إلى السايس من حيث هو خليفة ، ولا يفرض فيها أحكام جزئية ، فإن فى فرضها فسادا ، لأنها تتغير مع تغير الأوقات وفرض الكليات فيها مع تمام الاحتراز غير ممكن . فيجب أن يجعل ذلك إلى أهل المشورة ، ويجب أن يكون السان يسن أيضا فى الأخلاق والعادات سننا تدعو إلى العدالة ١٥ التى هى الوساطة ، والوساطة تطلب فى الأخلاق والعادات بجهتين :

فأما ما فيها من كسر غلبه القوى ، فلأجل زكاه النفس خاصة ، واستفادتها الهيئة الاستعلائية ، وأن يكون تخلصها من البدن تخلصا نقيا .

---

١) فى بابهم أيضا : أيضا فى بابهم ب ، ـه ، د ، ص || فى : ساقطة من ب ، د ، ص || أريدت مساعتهم : روبت مسالمتهم ب ، ـه ، ص ، ط || أو جزية : وبجزية ب (٢) يجريهم : يجرى د ؛ يجروهم ب || وهؤلاء : هؤلاء د (٣) ومزاجر : ومزاجره د ؛ ساقطة من ب (٦) الزنا والسرقة : السرقة والزنا د || ما يكون : أن يكون د || من : ساقطة من ب ، د (٧) أن يكون : ساقطة من ط (٨) والمزاوجات : ساقطة من ب ، ـه ، د ، ص || والمزاجر : والمزاجر د || تشدد : متشددا ، ب || تساهل : متساهلا ب (١٠) تنضبط : تضبط ب ، د ص ، ط || ترتيب : وترتيب د (١١) الأسلحة : الأدلة ط (١٢) فى : ساقطة من ـه ، ص ، ط (١٣) أهل : ساقطة من ب ، ـه (١٤) والعادات : والعبادات د ، ص (١٥) التى هى : وهى ب || والعادات : ساقطة من ب ، ص || بجهتين : لجهتين ب ، د ، ص (١٦) واستفادتها : واستفادته ب ، د ، وباستفادته ـه ، ولتستفاد بها ص .

وأما ما فيها من استعمال هذه القوى فلمصالح دنيوية ، وأما استعمال اللذات فلبقاء البدن والنسل ، وأما الشجاعة فلبقاء المدينة

والرذائل الإفراطية تجتنب لضررها فى المصالح الإنسانية، والتفريطية لضررها فى المدينة . والحكمة الفضيلية التى هى ثالثة العفة والشجاعة فليس يعنى بها الحكمة النظرية ؛ فإنها لا يكلف فيها التوسط ألبتة، بل الحكمة العملية التى فى الأفعال الدنيوية والتصرفات الدنيوية؛ فإن الإمعان ٥
فى تعريفها والحرص على التفنن فى توجيه الفوائد من كل وجه منها، واجتناب أسباب المضار من كل وجه، حتى يتبع ذلك وصول أضداد ما يطلبه لنفسه إلى شركائه ، أو يشغله عن اكتساب الفضائل الأخرى ، فهو الجربزة ، وجعل اليد مغلولة إلى العنق هو إضاعة من الإنسان نفسه وعمره وآلة صلاحه وبقائه إلى وقت استكماله ؛ ولأن الدواعى شهوانية ، وغضبية ، وتدبيرية . فالفضائل ثلاثة : هيئة التوسط فى الشهوانية مثل لذة المنكوح ١٠
والمطعوم والملبوس والراحة وغير ذلك من اللذات الحسية والوهمية ، وهيئة التوسط فى الغضبيات كلها مثل الخوف والغضب والغم والأنفة والحقد والحسد وغير ذلك، وهيئة التوسط فى التدبيرية . ورؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ، ومجموعها العدالة ، وهى خارجة عن الفضيلة النظرية ؛ ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد ، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير ربا إنسانيا وكاد أن تحل عبادته بعد ١٥
الله تعالى ، وهو سلطان العالم الأرضى وخليفة الله فيه .

---

(٤) الفضيلية : الفضيلة ـه ، د ، ص ، ط (٦) تعريفها : تعرفها ب ، ـه ، ص ، ط || التفنن : التيقن ـه ، ص || وجه : جهة ب (٨) فهو : فهى ص (١٠) الشهوانية : الشهوانيات د (١١) والوهمية : والوهبة ط (١٢) والأنفة : والألفة ص (١٣) عفة وحكمة : حكمة وعفة ـه ، ص (١٤) عن : + الحكمة ـه (١٥) كاد : يكاد ب || وكاد أن تحل : فكاد أن تحل د ؛ أو كاد أن يحل ـه؛ وكاد د ، ط (١٠) بعد : بعيد د (١٦) تعالى : ساقطة من د؛ + وكاد أن يفوض إليه أمور عباد الله ـه || سلطان : السلطان ص || فيه : + قد تم الكتاب المسمى بالشفاء على يد الأقل عبد الكريم الشريف الشيرازى فى شهر محرم الحرام سنة ثلاث والمائة بعد الألف من الهجرة النبوية ط ؛ + تم بحث الالهى من كتاب الشفاء والحمد لله رب العالمين كاتبه العبد الضعيف الجانى ابن شمس الدين عماد الدين محمود الكرمانى ، فى عام ٦٨٣ ـه؛ + تم بالخير ووقع الفراغ من مشتة كتابته يوم الأربعاء خامس عشر من شهر شوال سنة أربع وثمان وألف هجرية على يد الفقير الحقير صفر الكرمانى . اللهم اغفر ذنوبه بحق محمد وآله وأولاده أجمعين ص ؛ + والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد على كل حال ، والصلاة والسلام على محمد سيد أهل الكمال ، وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل ، كتبه عبد الله بن مرعبد الله د .



فهرس الم

(١)

---

(١) وضع هذا الفهرس مشكورا الأستاذ محمود ا
للإلهيات إلى جانب النص العربى ، لك الترجمة التى طبع

The Franciscan Institute St. Bonaventura,

وهى منقولة من طبعة البندقية سنة ١٥٢٠ واستفاد أ
رقم ١٨٧

وتشير الأرقام الكبرى فى هذا الفهرس إلى صفحا
بالإشارة إلى بعض المواطن فقط .

(خ)

(د)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ى)

